

مركز تحقيق التراث

معين التارخ
لأهل التارخ
نَهْائِيَةُ الْأَدَبِ
فِي
فُنُونِ الْأَدَبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النُّوَيْرِي

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثامن والعشرون

مققه ورضيع موابيه

دكتور محمد هاني محمد أحمد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دكتور محمد محمد أمين
كلية الآداب - جامعة القاهرة



١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وفريته وتابعيه إلى يوم الدين .

وبعد فهذا هو الجزء الثامن والعشرون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ، وهو الجزء السادس والعشرون من مخطوطة الكتاب المحفوظة بكتبة كوبريلى بالأستانة ، والتي توجد منها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ويختلف منهج التحقين في هذا الجزء بالذات عن منهج تحقيق الأجزاء السابقة ، فضلا عن الأجزاء اللاحقة ، ذلك ، أنه توجد عدة نسخ غير متكاملة من مخطوط نهاية الأرب لدرجة أنه توافرت لبعض الأجزاء أربع نسخ ، منها نسخة بخط المؤلف في بعض الأحيان ، مما جعل مهمة تحقيق النص أكثر سهولة ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لهذا الجزء بالذات ، فلا توجد نسخ أخرى كاملة من هذا الجزء بين ما هو معروف من نسخ كتاب نهاية الأرب .

وتزداد صعوبة العمل في تحقيق هذا الجزء لوجود نقص في أوله — قد لايزيد عن بضع ورقات — كما يوجد نقص في آخره — قد يكون ورقة واحدة — ، كما أن سياق الكلام والحوادث غير متصل فيما بين اللوحتين ١٢٤ ، ١٢٥ .

فأوراق هذا الجزء تبدأ باللوحة رقم ٧، وعلى هامشه إشارة لأحد العاملين بدار الكتب «الأصمعي» في الثلاثينات من هذا القرن، تفيد أن الأوراق من ١ إلى ٦ موضوعة خطأ. وبالبحث عن هذه الأوراق المفقودة، وبالرجوع إلى سلبات تصوير هذا الجزء، والتي ترجع إلى سنة ١٩٢٣، تبين أن هذه الأوراق موجودة بالسلبية، ولكن بها أخبار حوادث سنوات ٥٩٩ - ٦٠٢ هـ، وهذه الأحداث تقع ضمن الجزء التالي، وأن الأوراق التي نزعنا من بداية الجزء ٢٦ نقلت إلى موضعها في بدايات الجزء ٢٧ من المخطوطة.

ولإزاء هذا الوضع لم نجد بُدًّا من تقديم المتن الموجود من الجزء ٢٦ من المخطوط كما هو، مع الإشارة إلى مواضع النقص.

ولإزاء عدم وجود نسخ أخرى من هذا الجزء كان لزاما الرجوع إلى المصادر التي نقل عنها النويري للمقابلة عليها في محاولة لتقديم نص أقرب ما يكون لنص المؤلف، ولم يكن الأمر سهلا، فرغم أن النويري يبدأ عباراته بلفظ «قال»، أو «قال المؤرخ»، فإنه لا يذكر لنا من الذي قال، أو من هو المؤرخ إلا في حالات محدودة ذكر فيها صراحة أنه نقل عن «ابن جلب راغب في تاريخ مصر»، وهو المعروف بابن ميسر. وعن طريق متابعة هذه الإشارات، مع مقارنة النصوص ومقابلتها على المصادر المعاصرة للأحداث أمكن التعرف على أهم مصادر النويري في هذا الجزء.

وطبيعة هذا الجزء الذي يتناول فيه النويري «أخبار ملوك الديار المصرية» من بداية العصر الطولوني حتى دخول الملك العادل الأيوبي القاهرة في أوائل العصر الأيوبي، جعلت النويري ينتقي لكل فترة

مصدرا أو أكثر يأخذ عنه مادته العلمية، فعل سبيل المثال، عندما يتناول أخبار الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا يعتمد على كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، وعندما تنتقل الدولة إلى مصر يعتمد على كتاب أخبار مصر لابن ميسر، وعندما يتحدث عن الحملة الصليبية الأولى يعتمد على كتاب الكامل لابن الأثير، وهكذا.

وبالإضافة إلى هذه المصادر الأساسية كان النويرى ينقل عبارات أو مقتطفات من مصادر أخرى يضمنها كتاباته، وعلى سبيل المثال أيضا ما كان يأخذه عن كتاب أخبار الدول المنظمة لابن ظافر.

لذلك استلزم تحقيق هذا الجزء بالذات مقابلة ما ورد به مع المصادر المعاصرة للأحداث، في محاولة لتقديم نص متكامل أقرب ما يكون إلى نص المؤلف، واقتضى الأمر إضافة بعض الكلمات أو العبارات، أو تصحيح بعضها وفقا لما يرد في هذه المصادر.

وفي جميع الأحوال أشرنا إلى ذلك في الهوامش، فكل ما أضيف إلى المتن وضع بين حاصرتين []، وكل ما تم تصحيحه تم التنبيه عليه في الهوامش.

وبالإضافة إلى معالجة النص تم التعرف بالأعلام والأماكن والمصطلحات بقدر الإمكان، وذلك عند ورودها لأول مرة، مع ترك المعروف منها والمتواتر حتى لا تنتقل الهوامش ويطنى التعليق على النص الأصلي للمؤلف.

ولما كان هذا الجزء يتناول أساسا العصر الفاطمي، من الورقة ٢١ إلى الورقة ١٠٥، فقد كان للنصوص التي تشرت حديثا عن هذا العصر

أهمية خاصة في تحقيق هذا الجزء . وعلى سبيل المثال : أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر والذي صدر عام ١٩٧٢ ، والجزء الثالث من اتعاظ الحنفا للمقريزى عام ١٩٧٣ ، وكتاب افتتاح الدعوة للقاضى النعمان عام ١٩٧٥ ، وأخبار مصر للمسبحى عام ١٩٧٨ ، وأخبار مصر لابن ميسر عام ١٩٨١ ، ونصوص من أخبار مصر لابن المأمون عام ١٩٨٣ .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أحب أن أشير إلى أن مؤسسة التأليف والترجمة سبق وأن عهدت إلى المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة بتحقيق هذا الجزء من كتاب نهاية الأرب ، وقد قام رحمه الله بإنجاز هذا التحقيق فى حوالى سنة ١٩٦٥ ، ولكن لأسباب مختلفة تأخر طبع أجزاء كتاب نهاية الأرب .

وعندما شرع مركز تحقيق التراث فى تقديم هذا الجزء إلى المطبعة فى عام ١٩٨٥ رأى أن التحقيق المقدم من المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد منذ عشرين عاما فى حاجة إلى استكمال . ولم يكن فى وسع أحد أن يستكمل ما بدأه الدكتور محمد حلمى محمد أحمد نظرا لاختلاف مناهج التحقيق ، فضلا عن ظهور العديد من المصادر والمراجع التاريخية التى لم تكن متوافرة وقت أن حقق المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد هذا الجزء ، ومن ثم أصبح من الضروري إعادة قراءة هذا الجزء وتحقيقه فى ضوء المصادر التى ظهرت بعد سنة ١٩٦٥ .

ورغم عدم إمكانية الإفادة من التحقيق الذى قام به الدكتور محمد حلمى محمد أحمد — للأسباب المذكورة — فإنى رأيت أن أضع اسم المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد — كمحقق مشارك — على غلاف هذا الجزء باعتبار أنه — رحمه الله — أول من عمل فى تحقيق هذا

الجزء ، وأن ظروف وفاته هي التي حالت دون أن يظهر هذا الجزء بتحقيقه ، وذلك تكريماً له ، وإحياءً لذكراه ، رحمه الله .

وفي ختام هذه المقدمة لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى كل من الأستاذ محمد كامل محمد شحاته ، وكيل الوزارة ورئيس قطاع دار الكتب والوثائق القومية ، والأستاذ على عبد المحسن زكى مدير عام مركز تحقيق التراث ، لما قاما به من تذليل للصعاب والمواقف الإدارية ، وتوفيرهما للمخطوطات والمصورات التي احتجت إليها عند تحقيق هذا الجزء .

كما أوجه الشكر إلى السيد / محمد محمد صقر الباحث الأول بمركز تحقيق التراث لما بذله من جهد في الإشراف على طبع هذا الجزء وتصحيح تجارب الطباعة ، مما أدى إلى إخراج الكتاب على هذا النحو . كذلك أوجه الشكر إلى السيدة / حكمت الحضرى لما بذلته من جهد في إعداد (ماكيت) الكتاب .

وبعد ، فالكمال لله وحده ، ولايسعني إلا أن أذكر قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ، وأدعوه سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة التراث الإسلامى ،

والله ولى التوفيق ..

دكتور محمد محمد أمين

القاهرة ١٥ شعبان ١٤٠٦ هـ

في ٢٤ أبريل ١٩٨٦ م

[الباب الثاني عشر من القسم الخامس]

من الفتن الخامس

أخبار ملوك الديار المصرية ^(١)

[الدولة الطولونية ^(٢)]

[٧] فتجهز أحمد للمسير إلى الشام ^(٣) ، وسار في شوال سنة أربع وستين لقصده ^(٤) . واستحلف على مصر ابنه العباس ، وعصده بأحمد بن محمد الواسطي . وكتب إلى علي بن أماجور وإلى أصحاب أبيه الذين أقاموه يذكر أن خليفة ^(٥) أقطعه الشام والثغور مضافاً إلى ما بيده . فأجابوه بالسمع والطاعة . وتلقاه ابن أماجور بالرملة . فأقره عليها . وسار إلى دمشق فملكها وأقر قواد أمجور على إقطاعاتهم . وسار إلى حمص فتلقاء عيسى الكرخي ،

(١) [إضافة من خاتمة جـ ٢٥ من مخطوط نهاية الأرب عن نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢١٤ معارف عامة . وهي صورة عن نسخة بخط المؤلف محفوظة بكتبة أمانة خزانة باستنبول تحت رقم ١٣٧١ .

(٢) [إضافة تتفق مع الموضوع التال . وهو أخبار الدولة الطولونية .

(٣) هذه بداية ما وجد من الجزء السادس والعشرين من مخطوط نهاية الأرب . وفي سيرة ابن طولون : « ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور . وكان أحد من يعرب عليه . ويسمى في أذهنه فلا تمكته . فلما بلغه موته حمد الله عز وجل على ذلك . واستحلف ابنه العباس على مصر . وخرج من وقته » - ص ٩١ .

(٤) المقصود هنا علي بن أماجور . وورد في الكامل : « وفي هذه السنة (٢٦٤ هـ) توفي أماجور مقطع دست . وولي ابنه مكانه . فتجهز ابن طولون لمسير إلى الشام فيملكه » - جـ ٧ ص ٣١٦ . ورد أن خروج أحمد بن طولون كان في شعبان - الولاة والقضاة ص ٢٩٩ .

(٥) المقصود هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد المعتضد على الله . ولى الخلافة في الفترة من ٢٧٩ - ٢٨٧ هـ / ٨٩٢ - ٨٩٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢

وكان يَتَقَلَّدُهَا ، فشكاهُ أهلها فعزله عنهم [وولَّاهُ يَمَنَ التُّرْكِي] ^(١) . وملك حَمَاة وحلب .

وأُرْسِلَ إلى سِيا الطَّوِيلِ بأنطاكية يدعوه إلى طاعته لِيُقَرَّرَ على ولايته ، فامتنع ، فعَاوَدَهُ ، فلم يُطِعه ، فَسَارَ إليه . ودَلَّوه على عَوْرَةِ أنطاكية فنصب عليها المجانيق ، وملك البلد عنوة ، وقاتله سِيا الطَّوِيلِ حتى قتل ، فساء أحمد قتله لأنَّه كان نصيحه قديماً ^(٢) ؛ وكان ذلك في المحَرَّم سنة خمس وستين ومائتين .

ورحل عن أنطاكية إلى طرسوس ^(٣) . فدخلها في جَمْعٍ عظيم ، وعزم على المُقَامَ بها ومُلازمة العزِّو ، فعَلَا السَّعْرَ وضاقَت بِسَاكِرِهِ ، فركب أهلها إليه بالخيَمِ وقالوا له : لقد ضَيِّقَت علينا بلدنا وأَغْلَبَت أسعارنا ، فإِذَا أَقْبَسَتْ في عَدَدٍ يَسِيرٍ وإِنَّمَا رحلت عنا ، وأَغْلَظُوا له في القول وشَعَبُوا عليه ، فقال لأَصْحَابِهِ أَنْ يَنْهَضُوا عن الطرسوسيين ويرتَحِلُوا عن البلد ، لِيُظْهَرَ لِلْعَدُوِّ أَنَّ ابْنَ طُولُونَ على كثرة عساكره لم يَقْوِ لأهل طرسوس ، وإنَّه أَنهَزَمَ عنهم ، لِيَتَقَعَ مهابتهم في قلوب العدو .

وعاد إلى الشام ، فأتاهُ خَبْرُ وَلَدِهِ العَبَّاسِ أَنَّهُ عَصَى عليه بمصر وأخذ الأموال وسار إلى برقة ، فلم يَكْتَرِثَ أحمد لذلك ، وقضى أَشْغَالَهُ ، وحفظ

(١) [إضافة من سيرة ابن طولون للتوضيح .

(٢) أمر أحمد بن طولون رجاله ألا يقتلوه وإن أمكن قتله ، وألا يرموه . وأن يأخذوه سليماً . ولكن أهل أنطاكية رموه بالطوب والحجارة من منازلهم ليفضهم له . فتحرى في الميدان ، ولحقه سهم فصدعه ، فقتل في المعركة . ولم يعلم أحد إلا بعد انتهائها — سيرة ابن طولون ص ٩٦ . انظر أيضاً الكامل ج ٧ ص ٣٦٧ .

(٣) طَرَسُوس : بفتح أوله وثانيه ، مدينة بتفوز الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم — معجم البلدان .

أطراف بلاديه . وبعث إلى حَرَّان^(١) أحمد بن جِيغَوِيَه في جيشٍ كثيف ،
 ونزل غلامُه لَوْلُو بِالرَّقَّة^(٢) في جيشٍ كثيف ، وكانت حَرَّان لمحمد بن
 أتماش ، فأخرجهُ أحمد بن جِيغَوِيَه عها ، وهزموه هزيمةً قبيحةً ، فانتصل
 خبرُهُ بأخيه موسى بن أتماش ، وكان شجاعاً بطلاً ، فجمع عسكراً كثيراً ،
 وسار بهم إلى نحو حَرَّان . فانتصل ذلك بأبن طولون ، فأهمته وأقلقه
 وأزعجه ، فنظر إليه رجلٌ من الأعراب يقال له أبو الأغرّ ، فقال له : أيها
 الأمير أراك مفكراً منذ أتاك خبرُ ابن أتماش ، وما هذا عملُه ، فإنه طائش
 قَلْبٍ ، ولو شاء الأمير أتيتُه به أسيراً . فغاضه قوله^(٣) ، وقال : لقد شئت أن
 تأتيني به أسيراً [فقال الاعرابي]^(٤) فاضمُّم إلى عشرين اختارهم .
 قال : افعل . فانتقاهم أبو الأغرّ ، وسار بهم .

فلما قاربَ عسكرُ موسى ، كَمَنَ بعضهم ، وجعل بينَهُ وبينَهُم إشارةً إذا
 ميموها ظهرُوا .

ثم دَخَلَ العسكرُ فيمن بعى معه على زِيّ الأعراب ، وأصحابُ موسى
 على غرةً ، وقد تفرَّق بعضهم في حوائجهم ، فانزعج العسكرُ وركبوا ، فركب
 موسى ، فانهزم أبو الأغرّ بين يديه ، فأتبعه حتى أخرجه من العسكر ، واستمرَّ
 حتى جاور الكمين ، فنادى أبو الأغرّ بالإشارة التي بينَهُ وبينَهُم ، فثاروا ،

(١) حَرَّان : بفتح الحاء وتشديد الراء ، قصبة ديار مصر بالمجزيرة ، على الطريق الرئيسية الموصلة
 إلى الموصل والشام ، وإلى منطقة النفوس - معجم البلدان .

(٢) الرَّقَّة : بتشديد الراء والقاف : بلدة على الفرات اتخذها بعض الخلفاء العباسيين مصطفاً
 لهم - معجم البلدان .

(٣) يرى الهلوي أن الأمير الذي أغاضه هذا القول هو ابن جفويه . وليس أحمد بن طولون . كما
 يذكر النويري وابن الأثير - سيرة ابن طولون ص ١٠٤ ، وانظر الكامل ج ٧ ص ٣١٨ .

(٤) [إضافة من سيرة ابن طولون ص ١٠٤ .

وعطف أبو الأغر على موسى فأسره ، وأخذوه حتى وصلوا به إلى ابن جبرئيل
وإلى ابن طولون فاعتقلاه ، ورفع إلى مصر . وكان وصوله إليها في سنة ست
وستين (١) ..

ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه وما كان من أمره

وفي سنة خمس وستين ومائتين عصى العباس بن أحمد على أبيه ، وسبب
ذلك أن أباه لما استخلفه بمصر ، كما ذكرناه ، وخرج إلى الشام ، حسن
للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والإنسراح (٢) إلى برقة ، ففعل
ذلك ، وحمل معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه ، وأمين الأسود
مقيدين .

فلما رجع أحمد إلى مصر وجدّه قد أخذ ألف دينار ، واستلّف من
التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضمّنها لهم ، ففعل .
فرأسل أحمد ابنه واستعطفه ، فلم يرجع ، فخاف من معه وأشاروا عليه
بقصد إفريقية ، فسار إليها ، وكاتب وجوه البربر ، فاتاه بعضهم وامتنع
بعضهم . وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب (٣) يقول : إن أمير المؤمنين قلّلت

(١) « وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائتين » - الكامل ج ٧ ص ٣١٨ .

(٢) « الإنسراح » في الكامل ج ٧ ص ٢٢٤ .

(٣) هو إبراهيم (الثاني) بن أحمد بن محمد بن الأغلب . كان على رأس دولة الأغالية التي
استقلت بتونس عن الدولة العباسية . وولى إبراهيم الحكم في الفترة من ٢٦١ - ٢٨٩ هـ
٨٧٥ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٦ .

إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن لَيْدَة ^(١) ، ففتحها أهله له ،
فقابلهم أسوأ مقابلة ، ونهيم ، ففض أهل الحصن إلى إلياس بن منصور
القنوصي ، رئيس الإياضية هناك ، فاستأثروا به ، فغضب لذلك ، وسار إلى
العباس ليقاتله .

وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال
العباس ، فاتصروا واقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز بينهما الليل . فلما كان الغد
واقفهم إلياس ابن منصور الإياضي في اثني عشر ألفاً من الإياضية ، فأجمع
هو وعامل طرابلس على قتال العباس . فاقتلوا ، فقتل من أصحابه خلق
كثير ، وانهمز أفتيح هزيمة ، وكاد أن يأسر . فخلصه مولى من مواله ، ونهبوا
سوائفه ، وأكثر ما حمله من مصر . فعاد إلى برقة أفتيح عود .

[وشاع بمصر أن العباس قد انهزم] ^(٢) [٨] فاغتم أبوه لذلك غمّاً
شديداً ، وسير إليه العساكر ، فقاتلهم وقتلوه ، فانهزم ، وكثر القتل في
أصحابه ، وأخذ أسيراً ، وحمل إلى أبيه . فحبسه في حجره في الدار إلى أن
قدمت العسكر ببقية الأسرى من أصحابه . فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده ،
والعباس معهم ، وأمره أن يقطع أيدي أغنيائهم وأرجلهم ، ففعل ذلك .
فلما فرغ منهم ورحل أبوه وذنبه . وقال له : هكذا يكون الرئيس والمقدم !
كان الأحسن أنك ألقيت نفسك بين يدي وأسألت الصفيح عنك وعنهم ،

(١) ليدة : مدينة فنيقية قديمة . تقع شرق طرابلس بشمال سيب — بنحو ١٢٤ كم — معجم
البلدان الليبية ص ٢٩٥ .

(٢) « وكان الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قزح عامل طرابلس بخادم له يعرف ببلاغ في جمع من
أهل القيروان كثير » — سيرة ابن طولون ص ٢٥٤ .

(٣) [هذه العبارة مشطوبة بالأصل . وأنتهانا اعتداه بما جاء في سيرة ابن طولون ص
٢٥٥ . والكامل ج ٧ ص ٣٢٥ .

مكان ذلك أَعْلَى لِمَحَلِّكَ . وكنت قضيت حقوقهم^(١) . ثم أَمَرَ به فُضِرَ به مائة مِقْرَعَة ، ودُمُوع أحمد تجرى على خَدَيْهِ رِقَّةً على ولده ، ثم رُدَّه إلى الحجرة واعتقله ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين .

ذكر خلاف لؤلؤ على أحمد

كان سببُ ذلك أَنَّ الحُسَيْنَ بنَ مُهَاجِرٍ^(٢) غَلَبَ على أحمد بن طولون ، وحَسَّنَ له جَمْعَ الأموال ومَتَّعَهُ من سماحته وجَزَّيَهُ على عوائله الجميلة ، فَتَغَيَّرَتِ القلوبُ عن أحمد ، وَتَغَيَّرَتِ الخواطرُ عليه : فَتَنَكَّرَ له غلامُه لؤلؤ ، وَكَانَ عَمْدَتَهُ عليه . وَكَانَ في يده حَلَبٌ وحمص وقُيُسْرَيْنَ وديار مُضَرَ . وَكَانَ أحمد إذا أَنْكَرَ على لؤلؤ شَيْئًا أَوْقَعَ بِكَاتِبِهِ مُحَمَّدَ بنِ سُلَيْمَانَ . وَيَقُولُ له . هَذَا مِثْلُكَ لَيْسَ مِنْهُ ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الخوفَ من أحمد على أَنَّ حَسَنَ [-] (٣) لؤلؤ حَمَلَ جُمْلَةَ من المال إلى الموقِفِ^(٤) . فَحَمَلَ ذلك إليه ، وَكَتَبَ بِهِ عن لؤلؤ كِتَابًا يَعْرِفُهُ رَغْبَتُهُ في المَصِيرِ إليه ، وَالتَّصَرُّفِ تحت أمره ونَهْيِهِ . وَتُدْخُلُ في طَاعَتِهِ ، فَسَرَّ الموقِفُ لذلك واستَبَشَرَ . نِمَا في نَفْسِهِ من أحمد ، وَرَأَى أَنَّ ذلكَ من الفُرْصِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ انْتِهَازُهَا . فَأَجَابَهُ بِأَحْسَنِ جَوَابٍ : وَنَقَلَ إِلَيْهِ خِلْعًا .

(١) « وَكَتَبَ قَضِيَّةَ حَقُوقِهِمْ » في الأصل . وَالتَّصْحِيحُ من سيرة ابن طولون ص ٢٧١ . الكامل

ج ٧ ص ٣٢٥

(٢) « الحسن بن مهاجر » في سيرة ابن طولون ص ٢٧١ .

(٣) [ل] إضافة من سيرة ابن طولون ص ٢٧١ تتفق وسباق الكلام .

٤ . هو طلحة ويقال لمحمد بن المتوكل . الموقِفُ أبو أحمد . ولى عهد أخيه الخليفة العباسي المعتمد على الله . وَكَانَ في خلاف مع أحمد بن طولون ، وَتَوَلَّى السُّرُورَ سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ -

شدرات الذهب ج ٢ ص ١٧٢

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد ، فلما أنكروا حاله ، وأطلعوا على ما فعله ، فارقوه ، والتحقوا بأحمد ، وأطلعوه على ما كان من أمر لؤلؤ . فتألم لذلك . وأخذ في إعمال الحيلة والمخادعة لؤلؤ والتلطّف به ، ومكاتبة محمد بن سنيّ . فلم يقدّر ذلك عنده . فكتب أحمد إلى المعتمد على الله كتاباً يقول فيه : إني خائف على أمير المؤمنين من سوء يلحقه ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عتار أتجاد ، وأنا أرى لسيدى أمير المؤمنين الأنجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الامتحان إلى نهاية العز ، ولا يتبيّأ لأخيه الموق شيئا مما يخافه عليه . وجهّز له قرين ذلك ، سفائح ^(١) بمائة ألف دينار ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين . وأظهر أحمد الخروج لهذا الأمر . فلما وصل كتابه إلى الخليفة . تجهّز لقصد مصر ، فكان من خروجه ورجوعه إلى بغداد ما ذكرناه في أخباره .

وأما أحمد فإنه تجهّز إلى الشام ، وأخذ معه ابنه العباس مقبداً ، واستخلف ابنه خمارويه على مصر . فسار ، فوصل إلى دمشق وهو يظهر الانتصار للمعتمد ، ويقصد لؤلؤاً غلامه . فعند ذلك التحق لؤلؤ بالموقف ، وكان لحافه به في سنة تسع وستين .

وانتهى إلى أحمد عود المعتمد ، وأنه فسّق عليه ، فأحضر أحمد قضاة أعياله وفيهم بكّار بن قتيبة ^(٢) والعمرى وأبو حازم ، وغيرهم ، وخلع الموق ، فكلّمهم وافقه على ذلك إلا بكّار . وأسقط أحمد دعوة الموق ، وقلع اسمه

(١) سفائح - سفائح : صك مال . أو حرافة مالية - القاموس المحيط ، السلوك ج ٢ ص

(٢) ، ول قضاة مصر من قبل الخليفة العباسي المتوكل ، سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م . وتوفي سنة

من الطُّرُز . فلما بلغ الموفق ذلك أَمَرَ بَلْعَنَ أحمد بن طُولُون في المنابر في سائر الأمصار . ثم رجع الموفق عن ذلك ، وأمر كاتبه صاعد بن مخلد وجماعة من خاصته بمكاتبة أحمد بن طُولُون وتوبيخه على ما فعله ، فكتبوا إليه واستألوهُ ، فعلم أَنَّ ذلك عن رأي الموفق وإذنه لهم ، فأجابهم بأحسن جواب . فعرضوا كُتِبَ على الموفق ، فسرَّهُ ما تَضَمَّنَتْهُ ، وعلم أَنَّ ابن طولون إنما فعل ذلك لمغالاته في المناصحة هم . وكان الموفق كامل العقل ، فسكَّن ذلك منه ما كان في نفسه على أحمد ، ومال قلبه إليه . وكتب الموفق إلى أخيه المعتمد يُعَلِّمه برجوعه عن أمر أحمد وتُدْعيه على ما كان منه في حقِّه ، وسأله أَنْ يكتب إليه ، فسَرَّ المعتمد بذلك ، وكتب إلى أحمد كتاباً بخطه ، وأمره بالرجوع عما هو عليه من أمر الموفق ، وبعث إليه كتاب الموفق برجوعه عن لُغته ، وأتَّفَقَ الكتاب مع الحسن بن عَطَّاف . فلما بلغ الرِّقَّة بلغه وفاة أحمد ابن طُولُون^(١) ، فرجع إلى الحضرة .

وأما لُؤْلُؤُ فَإِنَّهُ بلغه أَنَّ مولاه أحمد باع أولاده وخدمه بسوق الرِّقِيق بمصر ، وقبض على أملاكه ، فبلغ ذلك منه كلُّ مبلغ ، ونفدَّم إلى الموفق ويكئ ، وسأله إنفاذ الجيوش معه ، وضَّيِّنَ له أَخَذَ البلد من مولاه ، وبَسَطَ لسانه في سيرته ، فخلع الموفق عليه ، وحَمَلَهُ على دابة ، ووعَدَهُ ، وأمر بتجريد الجيوش [٩] معه ، كلُّ ذلك وهو يسخرُ به ويماطله إلى أَنْ يعودَ جوابُ أحمد مع الحسن ابن عَطَّاف ، فقبض حينئذٍ على لُؤْلُؤ ورَّده إلى مولاه ، واستصيح ما فعله لُؤْلُؤ في حقِّ سيده ، فلما اتَّفَقَ وفاة أحمد ، أقامَ لُؤْلُؤ في

(١) تولى أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م - الكامل ج ٧ ص ٤٠٨ ، شذرات الذهب ج

٢ ص ١٥٧ . وانظر ما يلى عن وفاته .

خدمته الموفق إلى سنة ثلاث وسبعين ، قبض الموفق عليه ، وأخذ منه أربعمائة ألف دينار ، وكان لؤلؤ يقول : ليس لي ذنب إلا كثرة مالى .

ولم تزل أمور لؤلؤ في إذبار إلى أن افتقر ، ولم يبق له شيء ، فعاد إلى مصر في آخر أيام هارون بن خنارويه بخلام^(١) واحد . وهكذا تكون ثمرة القدر وكفر الإحسان .

ذكر وفاة أحمد بن طولون

وشىء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في نصف الليل من ليلة الأحد لعشر ليالٍ خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين .

قيل : وكان سبب وفاته أن نائبه بطرسوس^(٢) وثب عليه يازمان^(٣) الخادم وقبض عليه ، وأظهر الخلاف على أحمد . فجمع أحمد العساكر ، وسار إليه . فلمّا وصل إلى أذنة^(٤) كاتبه وراسلته واستأله ، فلم يلتفت

(١) ولى في الفترة من ٢٨٣ - ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ - ٩٠٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢٨ .

(٢) كان نائب أحمد بن طولون بطرسوس أخوه موسى ، فلما حضرته الوفاة استخلف عليها أحد أعوانه يسمى خليفة طخشي ، وهو الذي ثار عليه يازمان - سيرة ابن طولون ص ٣٦٠ .

(٣) ورد في المخطوط بعدة صور : مازيار ، يازمار ، يازمار ، وورد في الكامل يازمار ، وورد في سيرة ابن طولون ، والنجوم الزاهرة يازمان ، فوجدنا الرسم طبقاً للصورة الأخيرة لورودها في سيرة ابن طولون ، والولاة والقضاة .

(٤) أذنة = أطنه : يفتح أوله وتانيه ، من بلاد التفر - قرب المصيصة - معجم البلدان .

بازمان الخادم إلى رسالته . فسار أحمد إليه وحَصَره ، فخرق يازمان نهر البلد^(١) على مَثَرَة العسكر ، فكاد النَّاس يهلكون . فرحل أحمد حَيِّفاً ، وكان الزمان شتاءً ، وكتب إلى يازمان : إني لم أرحل إلا خوفاً أن تُخْرِقَ حرمة هذا الثَّغر ، ويطمع العدو فيه . وعاد إلى أنطاكيَّة ، فأكل من لبن الجواميس وأكثَرَ منه ، فأصابته هَيْضَة واتصلت به حتى صار منها ذَرْبٌ^(٢) . وكان الأطباء يعالجونه ، وهو يأكلُ سرّاً غير ما يصفونه ، فلم ينجع الدَّواء فيه . فمات رحمه الله .

هكذا ذكر ابنُ الأثير الجزري في تاريخه الكامل في سبب وفاته^(٣) .
وأما صاحبُ الدَّول المنقطعة^(٤) فإنه قال : إنه رجع إلى مصر واعتلَّ بزلق للمعدة . واشتكت به العلة وطالت ، فعهد إلى ابنه أبي الجيش خُاروبه ، وأطلقَ ابنَه العباس من قيده ، وذلك في القعدة سنة سبعين ومائتين ، وخلع عليه وقلَّده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشَّامات والسُّغور ، وأوصاه بتَقْوَى الله وطاعة أخيه . ثم توفَّى رحمه الله وسنَّه يومئذٍ خمسون سنة وشهرٌ وثمانية وعشرون يوماً ، ومدة إمرته على مصر ست عشرة سنة وشهر واحد وسبعة وعشرون يوماً^(٥) .

(١) كان يسمى « نهر البردان » ، ويعرف حالياً بنهر « قره صوره » ، أى النهر الأسود — سيرة ابن طولون ص ٣١٠ .

(٢) ذرب : فساد المعدة .

(٣) الكامل ج ٧ ص ٤٠٩ .

(٤) هو على بن ظافر ، جمال الدين ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م — انظر مقدمة الجزء المطبوع من كتابه : أخبار الدول المنقطعة ، نشر أندريه فريد — القاهرة ١٩٧٢ .

(٥) انظر أيضاً تفاصيل أمر مرضه ووفاته في سيرة ابن طولون ص ٣١٢ وما بعدها ، الولاة والقضاة ص ٢٣١ .

وأما سيرته ، فإنه ، رحمه الله ، كان عادلاً شجاعاً ، كريماً متواضعاً ،
حسن السيرة ، يُبَاشِرُ الأمور بنفسه ويتفقد رعاياه ، ومحِبُّ أهل العلم ، ويُثْنِي
مجالسهم . وكان كثير الصدقات . وهو الذى بنى قلعة يافا ، وكانت المدينة
بغير قلعة .

اولاده ثلاثة وثلاثون ^(١) . منهم ^(٢) : أبو القُضَلُ العباس ، أبو الجيش
خُمارويه ، أبو العشائر مُضَر . أبو الكرم ربيعة ، أبو المقانب شيبان ،
أبو ناهض عياض ، أبو معدن عدنان ، أبو الكراديس خزرج . أبو حبشون
عدى ، أبو شجاع كندة ، أبو منصور أغلب ، أبو بهجة ميسرة ، أبو البقاء
هدى ، أبو المفوض غسان ، أبو الفرج مبارك ، أبو عبد الله محمد ، أبو الفتح
مظفر .

والبنات ست عشرة ، وهُنَّ : فاطمة ، ولبس ، وتغلب ^(٣) ،
وصفية ، وغالية ^(٤) ، وخديجة ، وميمونة ، ومريم ، وعائشة ، وأم
القرى ^(٥) ، ومؤمنة ، وعزيزة ، وزينب ، وسمانة ، وسارة ، وغريرة .

وخَلَفَ من الأموال والعين والورق كثيراً ، ومن الغلمان أربعة وعشرين
ألف غلام ، ومن الموالى سبعة آلاف رجل ، ومن الخليل سبعة آلاف وثلاثمائة
وخمسين رأساً ، منها : لركابه ثلاثمائة وخمسون ، ومن الجبال ثلاثة آلاف

(١) « منهم سبعة عشر ذكراً ، وست عشرة أنثى » سيرة ابن طولون ص ٣٤٩ .

(٢) هكذا بالأصل . والواقع أن المؤلف أوردتهم جميعاً حسب رواية البلوى .

(٣) هكذا بالأصل . وفي سيرة ابن طولون . ولعله يحرف عن « تغلب » .

(٤) لم تذكر في سيرة ابن طولون .

(٥) أم الهدى « في سيرة ابن طولون .

جمل ، وألف بغل ، ومن المراكب الحرية الكبار مائتي مركب بآلتها ، ومن الأمتعة والفرش والآلات والأواني ما لا يحصى كثرة ولا يُعدّ أتساعا ، وأنفق على الجامع مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وعلى اليمارسَتان ستين ألف دينار ، وعلى العين التي بالمعاير مائة ألف وأربعين ألف دينار ، وعلى حِصْن الجزيرة مائة ألف دينار . وأنفق في بناء الميدان مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وعلى مرمات التَّغور وحِصْن يافا مائتي ألف دينار .

وكانت صدقاته في كلِّ شهر ألف دينار سيوى المرتبات ، وكانت له وظائف من خُبز ولحم تجرى على قومٍ مستورين ، في كلِّ شهر ألفا دينار . وكان يصنع في كلِّ جمعة من أصناف الأطعمة والحلو أشياء كثيرة يحضرها الناس من فقير ، ومُسْتَوْر ، ومتجملٍ ، ومحتاج ، وكان إذا عاين ذلك وهو بمشرف عالمٍ بسجدة لله تعالى شكراً تارةً ، وبصلّى تارةً ، ويدعو تارةً ، ويكي تارةً . فكانت سيرته رحمه الله أجمل سيرة ، وفراسته أعظم فراسة . بحيث إنه كان ينظر إلى الرَّجُل فيدرك [١٦] فراسته غرضه ، ولما مات ملك بعده ولده .

ذكر ولاية أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الثاني من ملوك الطولونية

مَلَكَ بعد وفاة أبيه في يَوْمِ الأحد لعشرِ خَلَوْنَ من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ، وهو ابن عشرين سنة وشهور ، في خلافة المعتمد على الله . وذلك أَنَّهُ لَمَّا تَوَفَّى والدهُ اجتمع الأجنادُ وقتلوا وَلَدَه العباس الأكبر وولَّوا خمارويه ، فاستقل بالأمْر .

ذكر مسير إسحاق بن كنداجق^(١) ومحمد بن أبي الساج إلى الشام

قال المؤرخ^(٢) : لما توفي أحمد بن طولون كان إسحاق بن كنداجق على الموصل والجزيرة ، وابن أبي الساج^(٣) على أرمينية والجبال ، فطمعا في الشام ، واستصغرا أولاد أحمد بن طولون ، فكانتا الموفق واستمداه ، فأمرهما بقصد الشام ، ووعدهما إنفاذ الجيوش . فجتمعا وقصدا ما يحاورهما من البلاد ، فاستوليا عليها ، وأعانهما نائب دمشق الذي كان من قبيل أحمد بن طولون ووعدهما الأنحيار إليهما ، وأظهر العصبان ، واستولى إسحاق على حلب وحمص وأنطاكية ودمشق .

فلما انتهى الخبر إلى أبي الجيش خأرويه نذب العساكر المصرية إلى الشام ، فملكوا دمشق ، وهرب نائبها . وسار عسكر خأرويه من دمشق إلى شيزر^(٤) لقتال إسحاق وابن أبي الساج ، فطاوهم إسحاق ينتظر المدد من العراق . وهجم الشتاء على الطائفتين ، وأضر بأصحاب خأرويه ، ففترقوا في المنازل بشيزر . ووصل العسكر العراقي إلى ابن كنداجق وعليهم أبو العباس أحمد بن الموفق ، وهو المعتضد بالله . فلما وصل سار مجدداً إلى عسكر

(١) « بن كنداجق » في الكامل ج ٧ ص ٤٠٩ . « بن كنداج » في الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٥٠ .

(٢) المقصود ابن الأثير . فالمؤلف يكاثر بنقل عنه الأحداث التالية - الكامل ج ٧ ص ٤٠٩ -

٤١٠ .

(٣) هو محمد بن دبرداد أبي الساج - الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .

(٤) شيزر : بتقديم الزاى على الراء . وفتح أوله . كانت ناهية لحمص - معجم البلدان .

خُثَارُويه بشيزر ، فكسبهم في المساكن ووضع فيهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار مَنْ سَلِمَ منهم إلى دمشق على أقيع صورة . فسار المعتضد إليهم ، ففارقوا دمشق وتوجهوا إلى الرملة ، وأقاموا بها . ودخل أبو العباس المعتضد إلى دمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين . وكتب عسكر مصر إلى خُثَارُويه ، فخرج من مصر بعساكره .

ذكر وقعة الطواحين

وفي سنة إحدى وسبعين ومائتين كانت وقعة الطواحين ^(١) بين أبي العباس أحمد بن الموفق ، وهو المعتضد ، وبين أبي الجيش خُثَارُويه بن أحمد . وكان سبب هذه الوقعة أن المعتضد لما ملك دمشق سار بعساكره إلى الرملة لقصْد عسكر خُثَارُويه ، فأناه الخبر بوصول خُثَارُويه إلى عسكره وكثرتْ مَنْ معه من الجموع ، فهم المعتضد بالعود ، فلم يُمكنه مَنْ معه من أصحاب ابن طولون الذين صاروا معه . وكان المعتضد قد أوحش ابن كنداجق وابن أبي السَّاج ونسبها إلى الجبن ، حيث انتظراه حتى وصل إليهما ولم ينجزا عسكر خُثَارُويه الحرب ، ففسدت نيأتهما .

قال : ورحل خُثَارُويه ونزل على الماء الذي عليه الطواحين [عند الرملة] ^(٢) وملكه ، فنسبت الوقعة إليه . ووصل المعتضد وقد عبأ أصحابه ، وفعل خُثَارُويه كذلك ، وجعل كمينًا عليهم سعد الأيسر ، فحملت ميسرة المعتضد على مينة خُثَارُويه فانهمزت . فلما رأى خُثَارُويه ذلك ، ولم يكن

(١) الطواحين : موضع قرب الرملة — معجم البلدان ، وورد أن هذا الموضع على « نهر أبي

فطرس » — الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .

(٢) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ٧ ص ٤١٤ .

رأى مصافاً قبله ، وكى منهزماً في طائفة من الأحداث الذين لا عِلمَ لهم بالحرب ، ولم يقف دون مصر .

ونزل المعتضدُ إلى خيام خُزارويه وهو لا يشكُّ في تمام النصر ، فخرج سعد الأيسر بالكَمِين وانضاف إليه مَنْ بَقِيَ من الجيش ، ونادَوْا بشعارهم ، وحملُوا على عسكر المعتضد وقد اشتغلُوا بنهب السَّواد ، فوضع المصريون السَّيفَ فيهم . فظنَّ المعتضدُ أَنَّ خُزارويه قد عاد ، فركبَ وانهمز لا يَلْوِي على شيء ، ووصلَ إلى دمشق فلم يفتح له أهلها ، فمضى منهزماً حتَّى وصل طرسوس . واقتتلَ العسكرانَ وليس لواحدٍ منها أميرٌ [١٧] ، وطلب سعد الأيسر خُزارويه فلم يجدْه . فأقام أنحاه أبا العشائر مُقامه . وتمت الهزيمة على العراقيين ، وقتل منهم خلق كثيرٌ ، وأسر خلق كثير .

وجاءت البشائرُ بالنصر إلى مصر ، فسُرَّ خُزارويه بالظفر ، وخجلَ من الهزيمة ، وأكثرَ الصَّدقة ، وفعل مع الأسرى ما لم يُسبق إليه ، وقال لأصحابه : هؤلاء أضينُكم ، فأكرمُوهم . ثم أحضرهم بعد ذلك وقال : من اختار العُقَام عَنَدَنَا فَهوَ الإكرام والمواساة ، وَمَنْ أراد الرجوعَ جَهَّزَنَاهُ وسَيَّرَنَاهُ ، ففإنهم من أده . ومنهم من عاد مكرِّماً . وسارت عساكرُ خُزارويه إلى الشام ففتحه أجمع ، واستقر ملكُ خُزارويه (١) .

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين زُلْزِلَت مصر في جُادى الآخرة زلْزلةً شديدةً أغرَبَت الدُّورَ والمسجدَ الجامع ، وأخصى بها في يومٍ واحدٍ ألفَ جنازة .

(١) انظر الكامل ج ٧ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

ذكر اختلاف محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق والخطبة لخارويه بالجزيرة

وفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين فسدت الحال بين محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق^(١)، وكانا قبل ذلك متفقين بالجزيرة .

وسبب ذلك أن ابن أبي الساج نفّس إسحاق في الأعمال وأراد التقدّم ، فامتنع إسحاق عليه ، فكاتب محمد بن أبي الساج خُارويه وانضمَّ إليه ، وخطب له بأعماله ، وهى قُتُسرِين ، وسير ولده دِيوَذَاد^(٢) إلى خارويه رهينةً ، فأرسل خُارويه إلى الشَّام ، واجتمع هو وابن السَّاج ببالس^(٣) . وعبر ابنُ أبي السَّاج الفرات إلى الرُّقَّة فلقبه إسحاق ، وكان بينهما حرب انجلت عن انهماك إسحاق ، واستولى ابنُ أبي الساج على ما كان معه . وعبر خُارويه الفرات ونزل الرَّاغِقَة^(٤) ، وانهم إسحاق إلى قلعة مَارْدِين^(٥) ، فحصره ابنُ أبي السَّاج بها ، وسار عنها إلى سنجار^(٦) ، وأوقع بطائفة من

(١) أحمد بن إسحاق بن كنداجق « في الأصل ، والتصحيح مما سبق ، ومن الكامل جـ ٧ ص ٤٢٢ .

(٢) « ديوداد » في الكامل جـ ٧ ص ٤٢٢ .

(٣) بالبس : بين حلب والرقة ، كانت على الضفة الغربية للفرات ، ثم انحرف عنها الفرات شرقاً حتى صار منها على مسافة أربعة أميال — معجم البلدان .

(٤) الرافقة : بلدة متصلة البناء بالرقة على الفرات — معجم البلدان .

(٥) ماردین : قلعة على قمة جبل بإقليم الجزيرة ، ومنازلها متدرجة على سفح الجبل — معجم البلدان .

(٦) سنجار : بلدة في لطف جبل عال ، قرب الموصل — معجم البلدان .

لأعراب . وسار إسحاق إلى الموصل فلقبَه ابنُ أبي السَّاج بِبَرْقَعِيد^(١) ،
وَكَمَّنْ لَهُ ، واقتتلوا ، فخرج الكمينُ على إسحاق ، فانهزم وعاد إلى مَآرِدِينَ .
فَقَوَّى ابنُ أبي السَّاج وظهر أمره ، واستولى على الجزيرة والموصل ، وخطب
لخارويه فيها ، ثم لنفسه بعده .

وفيها أيضًا ثار السودان بمصر ، وحصرُوا صاحبَ الشرطة^(٢) ، فركب
خُأْرُوهُ بنفسه ، ويده سيفٌ مسلول ، وقصد دَارَ صاحبِ الشرطة ، فقتل
مَنْ لَقِيَهُ مِنَ السُّودَانِ ، فهزَمُوا ، وكثر القتلُ فيهم ، وسكنت مصر .

ذكر الاختلاف بين خارويه ومحمد بن أبي السَّاج والحرب بينهما

وفي سنة أربع وسبعين ومائتين خالف محمد بن أبي السَّاج على خُأْرُوهِ ،
فسار خارويه إلى الشام ، فَقَدِمَهَا في آخر السَّنة ، وسار ابنُ أبي السَّاج إليه ،
فالتقوا عند بُيْنَةِ العقاب^(٣) ، على مرحلةٍ من دمشق إلى جهة حمص .
واقتتلوا في الحَرَمِ سنة خمس وسبعين ، فانهزمت ميمنة خُأْرُوهِ ، وأحاط
عسكرُ خُأْرُوهِ بآبِنِ أبي السَّاج ، فانهزم ، واستُبيحَ عسكرُهُ .

وكان قد خَلَفَ بحمص أموالًا كثيرة ، فندب خُأْرُوهِ إليها قائدًا من قَوَّاده
في جيشٍ جريده^(٤) ، فسبقوا ابنُ أبي السَّاج إليها ومنعوه من الدخول

(١) برقعيد : بلدة من أعمال الموصل — معجم البلدان .

(٢) هو موسى بن طونيق ، الذي صرف في مسهل الحرم سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م — الولاة
والقضاة ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

(٣) تبة العقاب : بالضم . تشرف على غوطة دمشق ، في الطريق من دمشق في اتجاه حمص —
معجم البلدان .

ورود في الكامل « فالتقى في البتينة من أعمال دمشق » — ج ٧ ص ٤٢٨ .

(٤) الجريدة : الفرقة من العسكر الفرسان ، والفرقة من الجند إذا خرجت بسرعة من غير أنقال
لهمة تستدعي الإسراع في الخروج — لسان العرب .

والاعتصام بها ، واستولوا على أمواله التي بها . ففُضِيَ إلى حلب ، ومنها إلى الرُّقَّة ، فتبعه خُزَّارويه ، ففارقها . وعبر خُزَّارويه الفرات وسار في أثره ، فوصل إلى مدينة بَلَد^(١) ، وسبقه ابنُ أبي السَّاج إلى الموصل ، ثم فارقها إلى الحديثة^(٢) ، وأقام خُزَّارويه ببَلَد ، وعُمِّلَ له سريرًا طويلًا الأرجل ، وكان يجلس عليه في دجلة .

ذكر الدعاء لخُزَّارويه بطرسوس

وفي سنة سبعٍ ومائتين دعا يازمان بطرسوس لخُزَّارويه . وسببُ ذلك أنَّ خُزَّارويه أُنْفَذَ إليه ثلاثين ألف دينار ، وخمسمائة ثوب ، وخمسمائة مطرف ، وسلاحًا كثيرًا ، فلما وصل ذلك إليه ، دَعَا له ، ثمَّ وجَّه إليه خمسين ألف دينار .

ثم توفى يازمان في جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وسبعين ، فخلقه ابنُ عمجيف ، وكتب إلى خُزَّارويه بوفاة يازمان ، فأقرَّه على ولاية طرسوس ، وأمدَّه بالخيول^(١) والسَّلاح والذَّخائر ، ثمَّ عزله ، واستعمل عليها ابنَ عمِّه محمَّد ابن موسى بن طولون .

ذكر الفتنة بطرسوس

وفي سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين ثار النَّاسُ بطرسوس بالأمير محمَّد بن موسى ، فغضبوا عليه . وسببُ ذلك أنَّ الموفق كان له خادِم من خواصه يقال

(١) بلد : اسم لمواضع كثيرة ، والمقصود هنا بلدة من نواحي دجيل قرب الحظيرة وحرى ، من أعمال بغداد — معجم البلدان .

(٢) الحديثة : هي حديثة الموصل : كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى — معجم البلدان .

له راعِبٌ ، فلما مات الموفق اختارَ راعِبَ الجهاد ، فسار إلى طرسوس على عِزَمِ المقام بها ، فلما وصل إلى الشام سَيرَ ما مَعَهُ من دَوَابٍّ وآلاتٍ وخِيَامٍ وغير ذلك إلى طرسوس ، وسار هو جريدة إلى خُثَارَوِيهِ لِيُزَوِّرَهُ وَيَعْرِفَهُ ما عِزَمَ عليه ، فَلَاقِيَّ خُثَارَوِيهِ بدمشق ، فأكرمه خُثَارَوِيهِ وَأَتَسَ بِهِ وَلَحَبَهُ ، فاستَحْيَا راعِبٌ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ المَسيرَ إلى طرسوس ، فطال مُقَامُهُ عنده . فظَنَّ أصحابه أَنَّهُ قَبِضَ عليه ، وأذاعوا ذلك ، فاستَغْظَمَهُ النَّاسُ ، وقالوا : يَعْتَمِدُ إلى رجلٍ قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه ، فشَقُّوا عَلَى أَمِيرِهِمْ ، وقبضوا عليه ، وقالوا : لا تَزَالُ في الحبسِ حَتَّى يُطْلِقَ ابْنُ عَمَّتِكَ خُثَارَوِيهِ راعِبًا ، ونهبوا دارَهُ ، وهتكوا حرمه .

وبلغ الخُثَارَوِيهِ فَأُطْلِعَ راعِبًا عليه ، وأُذِنَ لَهُ في المَسيرِ إلى طرسوس . فلما دخلها أَطْلَقَ أَهْلُهَا أَمِيرَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى ، فسار عنها إلى البيت المقدس . ولما سار عنها وَلِيَهَا أَحْمَدُ التَّعِجَنِيُّ ، وكان يليها قبل ذلك (١) .

ذكر زواج المعتضد بالله بآبنة خُثَارَوِيهِ

ابن أحمد بن طولون

قال : ولما توفي المَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ (٢) وتولَّى المَعْتَضِدُ بِاللَّهِ (٣) بَادَرَ خُثَارَوِيهِ

(١) انظر الكامل ج ٧ ص ٤٥٠ .

(٢) توفي في ١٩ رجب ٢٢٩ هـ / ٨٩٢ م - الكامل ج ٧ ص ٤٥٥ ، شذرات الذهب ج ٢ ص

١٧٣

(٣) هو أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل . المعتضد بالله . ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة

٢٢٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

إليه بالهدايا الجليلة على يد الحسين^(١) بن عبد الله بن منصور بن الجصاص الجوهري ، فأقره المعتضد بالله على ما يیده من الأعمال . وسأل خُارويه المعتضد أن يزوجه ابنته قطر الندى^(٢) للمكفي بالله وليّ العهد ، فقال المعتضد بل أنا أتزوجها . [وكان ذلك]^(٣) في سنة ثمانين ، وحملت إليه في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وأصدقها ألف ألف درهم .

وقيل : إن المعتضد بالله إنما قصد بزواجها إفقار الطولونية ، وكذلك كان ، فإن خُارويه جهّزها بجهاز لم يسمع بمثله^(٤) ، حتى قيل إنه كان لها ألف هاون من ذهب ، وشرط المعتضد على خُارويه أن يحمل في كل سنة مائتي ألف دينار ، بعد القيام بجميع وظائف مصر وبرزاق الجند ، فأجاب إلى ذلك .

ذكر مقتل أبي الجيش خُارويه

كان مقتله في ليلة الأحد لثلاث بَيعِنَ من ذى القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين ، وقيل^(٥) في ذى الحجة منها بدمشق .

(١) « الحسن » في الأصل . وهو الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص . التاريخ الجوهري . ت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) قطر الندى . واسمها اسماء . توفيت سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م . ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٣) [إضافة تتفق وسياق الكلام .

(٤) عن جهاز قطر الندى انظر المراعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٩٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥ ، ج ٢ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ . النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٦ وما بعدها .

(٥) الكامل ج ٧ ص ٤٧٤

وكان سبب قتله أنه قيل له إن جوارى داره قد اتخذت كل واحدٍ منهنَّ خَصِيًّا وجعلته لما كاتزوج ، وقال له التَّائِلُ إن شئتَ [أن] ^(١) تعلم صحَّة ذلك فقرر بعض الجوارى بالضرب ، فكتب من وقته إلى نائبه بمصر يأمره أن يسير إليه الجوارى ، فاجتمع جماعة من خَدَم الخاصَّة وتواعدوا على قتله ، فذبحوه على فراشه ليلاً . فلما قُتِل قُتِل من خَدَمه الَّذِينَ اتَّهَمُوا بِقَتْلِهِ نِيفٌ وعشرون نفساً .

وحُمِل خُمارويه إلى مصر فدفن بحبل المقطم . وكانت مدَّة ملكه ثنَى عشرة سنة وأياماً .

ذكر ولاية أبي العشائر جيش

ابن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون

وهو الثالث من الملوك الطولونية

ملك بعد وفاة أبيه في يوم الأحد لثلاث بقين من دى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وذلك أنَّ خُمارويه لما قُتِل اجتمع القَوَاد على ابنه أبي العشائر (١١٣) وأبائعه ، وكان مع أبيه بدمشق ، وهو أكبر ولده ، ففرَّق فيهم الأموال ، ورجع إلى مصر ، وكان صبيًّا غيًّا .

(١) [إضافة بقنضها سياق الكلام من الكامل ج ٧ ص ٤٧٥ .

ذكر عصيان دمشق على جيش وخلاف جنده وقتله

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين خرج جماعة من قواد جيش بن خمارويه وجاهره بالخلاف ، وقالوا : لانرضى بك أميراً ، فاعتزلنا حتى نولى الإمارة ^(١) عمك .

وكان سبب ذلك أنه لما ولي قَرَبَ الأحداث والسُّل ، وأُخذ إلى سماع أقوالهم ، فغبروا نيته على قواده وأصحابه ، فصار يقعُ فيهم ويدمهم ، ويُظهر العزم على الاستبداد بهم ، وأخذَ نعمهم وأموالهم ، فأنفقوا على قتله وإقامة عَمِّه . فبلغه ذلك فلم يثبتْ ، وأطلق لسانه فيهم ، ففارقه بعضهم ، وخلعه طُغج بن جُف ^(٢) أمير دمشق .

وسار القواد الذين فارقوه إلى بغداد ، وهم : محمد بن إسحاق بن كنداجق ، وخاقان المفلحي ، ويدر بن جُف أخو طغج ، وغيرهم من قواد مضر ^(٣) . فسلخوا البرية وتركوا أموالهم وأهلهم ، فتأهوا أياماً ، ومات جماعة منهم من العطش ، وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتين ، وقَدِمُوا على المعتضد ، فخلَّعَ عليهم ، وأحسن إليهم . وبقي سائر الجند بمصر على خلافهم ، فسألهم كاتبه على بن أحمد الماذرائي أن ينصرفوا يومهم ذلك ،

(١) « ففتح عنا حتى نولى عمك نصر بن أحمد بن طولون » في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) ولي حكم دمشق وطبرية من قبل خمارويه — وفیات الأعيان ج ٥ ص ٥٧ .

(٣) عن هؤلاء القواد انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٩ — ٩٠ .

فرجعوا ، فقتل جيش عمّين من عمومته (١) ، فثار الجند إليه ، فرمى لهم بالتراسين ، فهجم الجند عليه وقتلوه ، ونهبوا داره ، ونهبوا مصر وأحرقوها (٢) . وكانت ولايته تسعة أشهر ، وقيل ثمانية ، والله أعلم .

ذكر ولاية أبي موسى هارون ابن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية

ملك بعد مقتل أخيه في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وهو ابن عشر سنين ، فاحتلت الأحوال ، واختلف القواد وطمعوا ، فاخلت النظام ، وتفرقت الكلمة ، ثم اتفقوا على أن جعلوا أبا جعفر بن أبي التركي مدبر الدولة ، وكان مقدما عند أبيه وجده : فأصلح الأحوال جهده طاقته . وجهاز جيشا إلى دمشق عليه بدر الحامى والحسن بن أحمد الماذرائى ، فأصلحا حالهما ، وقررا أمور الشام ، واستعملا على دمشق طنج بن جف القرغانى ، وهو والد الإخشيد ، ورجعا إلى مصر ، وفي الأمور اختلال ، والقواد قد تغلبوا ، وضم كل منهم إلى نفسه طائفة من الجند . ولم يزل الأمر على ذلك إلى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(١) أحدهما نصر بن أحمد بن طولون - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) تعددت الروايات في قتله انظر تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٤٥ . الولاة والنساء ص ٢٤٢ .

والروايات المختلفة التي وردت في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٩ وما بعدها .

ذكر انقراض الدولة الطولونية

كان انقراضها في يوم الخميس لِلْيَمِينِ بقيتا من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين

وسبب ذلك أن الخليفة المكتفي بالله^(١) ندب محمد بن سليمان كاتب الجيش في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وخلق عليه وعلى جماعة من القواد ، وأمرهم بالمسير إلى الشام ومصر وانتزاعها من هارون بن خنارويه ، لِمَا ظهر من عجزه واختلاف أصحابه عليه .

فسار عن بغداد في شهر رجب ، هو عشرة آلاف ، ووصل إلى حدود مصر في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ووجه المكتفي أيضًا دميانة الرومي غلام يازمان بالمرائب ، فوصل إلى تيس^(٢) ودخل نهر النيل ، فوجه إليه هارون جماعة من القواد ، فالتقوا ، فهزمهم دميانة ، وزحف محمد بن سليمان بالجيش في البر حتى دنا من مصر ، وكاتب من بها من القواد ، فكان أول من خرج إليه والتحق به بدر الحامى ، وهو رئيس القواد ففت ذلك في أعضاء المصريين . وتتابع القواد إليه . فلما رأى هارون ذلك خرج يَمَنُ بقى معه من القواد لقتال محمد بن سليمان ، فكانت بينهم حروب ، ثم وقع بين

(١) هو علي بن أحمد بن طلحة ، أبو محمد ، المكتفي بالله . ول الحلافة العباسية ببغداد في الفترة من ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٢) تيس : من المدن المصرية القديمة . ما بين الفرما ودمياط . وهي جزيرة بهيمة المنزلة - القاموس الجغرافى - القسم الأول ص ١٩٧ - ١٩٨ .

أصحاب هارون في بعض الأيام ، فاقتلوا ، فخرج هارون ليسكنهم ، فرماه بعض المغاربة بيزراق^(١) فقتله ، وقيل بل فعل ذلك عمه شيان ، وذلك لانتفى عشرة ليلة بقيت من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

وكانت مدة ولايته نحوًا من تسع سنين تقريبًا .

فبايع الأجناد عمه [١٤] أبا المقائب شيان بن أحمد بن طولون ، وهو الخامس من ملوك الدولة الطولونية ، وعليه انقرضت .

قال : ولما بويغ بذل الأموال للجند فأطاعوه^(٢) ، وقاتلوا معه قتالاً شديداً ، ثم لم يلبثوا أن وافتهم كُتُب بدر الحامى يدعوهم إلى الأمان فأجابوه إلى ذلك . وسار محمد بن سليمان إلى مصر ، فنزلها في يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأرسل إليه شيان يطلب منه الأمان ، فأمنه ، فخرج إليه ولم يعلم به أحد من جنده ، فلما أصبحوا قصدوا دار الإمارة فلم يجدوه ، فبقوا حيارى .

واستولى محمد بن سليمان على مصر ، وعلى منازل آل طولون وأموالهم ، وقبض عليهم كلهم ، وهم عشرون رجلاً ، فقيدهم وحبسهم ، واستنصف أموالهم . وكسب بالفتح إلى الخليفة ، فأمره بإشخاص آل طولون وأشياهم^(٣) من مصر والشام إلى بغداد ، فحملهم وأتباعهم وأنقاد

(١) يزراق : ما زرق ، وهو نوع من الرماح ، صغير . ويرمى به من اليد . خزائن السلاح ص ٣٨ .

(٢) « فأطاعوه » في الكامل جـ ٧ ص ٥٣٦ .

(٣) « قصدوا داره » في الكامل جـ ٧ ص ٥٣٦ .

(٤) « وأسباهم » في الأصل . و « وأسباهم » في الكامل جـ ٧ ص ٥٣٦ . تاريخ الطبری جـ ١٠ ص ١١٩ .

قصورهم ، وعاد إلى بغداد ، ووُكِّلَ معاوية^(١) مصر عيسى النوشري^(٢).

وانقرضت الدولة الطولونية ، وكانت مدتها من لدُنْ ولاية أحمد بن طولون وإلى آخر أيام أبي المقانب سبعا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وملك منهم خمسة نفر .

(١) معاوية « في الأصل ، والتصحيح مما يلى . ومن الكامل جـ ٧ ص ٥٣٦ .

(٢) انظر الولاية والقضاء ص ٢٥٨ .

وهو عيسى بن محمد النوشري . الأمير أبو موسى — النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٥

ذكر أخبار من ولي مصر بعد انقراض الدولة الطولونية
وإلى قيام الدولة الإخشيدية من الأعمال
وملخص ما وقع في أيامهم من الحوادث

لما انقضت الدولة الطولونية كما ذكرنا ، كان أول من ولي مصر
عيسى النوشري ، رُتب في ولاية معاونتها محمد بن سليمان الكاتب ، فلما
سار محمد إلى العراق ظهر بمصر رجل يسمى إبراهيم الخليجي وتغلب
عليها .

ذكر إبراهيم الخليجي ^(١) وما كان من أمره

كان إبراهيم هذا من القواد الطولونية ، وكان قد تخلف عن محمد بن
سليمان (٢) ، فاستمال جماعة وخالف على السلطان وكثر جمعه . وعجز النوشري
عنه ، فسار إلى الإسكندرية ، ودخل الخليجي مصر . وكتب النوشري إلى
المكتفي بالخبر ، فكتب إليه الجنود مع فائق مولى المعتضد ، ويدر الحامي ،
فساروا في شوال سنة اثنين وتسعين ومائتين ، ووصلوا إلى نواحي مصر في سنة

(١) ورد اسم في الصادر بصور مختلفة فهو « ابن الخليج » في الولاة والقضاء ص ٢٥٩ .
و « إبراهيم الخليجي » في تاريخ الطبري ج ١٠ ص ١١٩ . و « محمد بن علي الخليج » في
المواظ والاعتبار ج ١ ص ٢٢٧ . و « محمد بن علي الخلنجي » في النجوم الزاهرة ج ٣
ص ١٤٧ ، و « الخلنجي » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٢) « كان خلفه في دمشق وسمه شفيع الخادم الطولوني » - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٧ .

ثلاث ، فتقدم أحمد بن كيغلغ^(١) في جماعة من القوّاد ، فلقبهم الخليجي بالقرب من العريش ، فهزمهم أقيح هزيمة ، فندب من بغداد جماعة من القوّاد فيهم إبراهيم بن كيغلغ^(٢) فخرجوا في شهر ربيع الأول . وأتصلت الأخبار بقوة الخليجي حتى برز المكتفى بالله إلى باب السماسية على عزم السير إلى مصر ، ثم التقى القوّاد بالخليجي ، واقتتلوا قتالاً شديداً عدة دفعات ، كان آخرها أن انهزم الخليجي ودخل فسطاط مصر ، واستتر عند رجل من أهلها ، ودخل عسكر الخليفة فظفروا به وأخذوه هو والذي استتر عنده^(٣) وحبسوها ، وكتبوا بذلك إلى الخليفة ، ووجه فانك إبراهيم الخليجي إلى بغداد ، فدخلها هو ومن معه في شهر رمضان ، فحبسهم المكتفى .

واستقر عيسى النوشري بمصر إلى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فتوفي في شعبان منها ، وحمل إلى البيت المقدس فدفن به .

واستعمل المقتدر^(٤) على مصر تكين الخاصة^(٥) في منتصف شهر رمضان من السنة .

(١) ولي حكم مصر مرين سنة ٣١١ هـ / ٩٢٢ م ، ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م — الولاة والقضاة ص ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢ — ٦٣ . وانظر ما يلي .

(٢) توفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٣ .

(٣) وذلك في رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م — الولاة والقضاة ص ٢٦٢ .

(٤) هو جعفر بن أحمد بن طلحة . أهر الفضل . المقتدر بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ — ٩٣٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٥) ولي حكم مصر ثلاث مرات ، وتوفي بها في المرة الثالثة سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢ . وانظر ما يلي .

وفي سنة ثلاثمائة ندب تكين عسكريًا وجعل مقدمه أبا النمر^(١) أحمد بن صالح ، فضى إلى برقة والتقى مع عسكر حُجاسة قائد المهدي ، وأبلى بلاء حسنًا . ثم صرفه تكين وولى حر المنصوري فضى إلى برقة فوجد أبا النمر موافقا لحجاسة ، فلما علم أبو النمر بعزله تخاذل حتى^(٢) على تكين ، فاغتنم حجة الفرصة وحاربها ، فكسرها ، وعادا إلى مصر .

ذكر استيلاء حُجاسة على الإسكندرية

[١٥] وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة سار حُجاسة قائد المهدي من برقة ودخل الإسكندرية وملكها ، فوصل من بغداد أحمد بن كيخلف ، وأبو قابوس محمود بن حمد ، والقاسم بن سبأ ، في جمع من القواد والعساكر ، وكان وصولهم في العشرين من صفر ، فخرج بهم تكين إلى الجيزة في يوم الاثنين لسبع خلون من جادى الأولى فعسكر بها ، وصار حُجاسة من الإسكندرية بعسكر مستوفى ، ونودى في فسطاط مصر بالتفكير في العشرين من الشهر ، فخرج الناس إلى الجيزة ، ولم يتخلف أحد من الخاصة والعامة ، وتقدم حُجاسة في جيوشه والتقى الفريقان وكثرت القتل بينهم ، فقتل أكثر رجال حُجاسة ، وانهمز بمن بقى معه .

ثم قدم مؤنس الخادم من العراق في منتصف شهر رمضان من السنة ، ومعه جمع من الأمراء ، وأمر أحمد بن كيخلف بالسير إلى الشام ، وصرف

(١) هكذا بالأصل ، والولاية والقضاة ص ٢٦٨ ، و« أبو اليمن » في المرواظة والاعتبار ج ١ ص

٢٢٧ . و« أبو اليمن » في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) « حقا » في الأصل والنصحيح يتفق وسياق الكلام .

تكنين الخاصة عن ولاية مصر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . فكانت مدة ولايته خمس سنين وشهرين .

وفى سنة ثلاث وثلاثمائة قدم أبو الحسن ذكا^(١) الأعور الرومى أميراً على مصر ، وذلك لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر ، وخرج مؤنس بجيوشه إلى العراق لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج ذكا إلى الإسكندرية لإصلاحها ، وجعل فيها ولده مظفراً وتبع من كان يذكر بمكاتبة المهدي ، فحبس جماعة منهم ، وقطع أيدي جماعة وأرجلهم .

ذكر وصول أبي القاسم بن المهدي إلى الديار المصرية واستيلائه على الإسكندرية والقيوم والأشمونين

وفى سنة سبع وثلاثمائة ، فى الثانى من صفر ، وصل أبو القاسم بن المهدي بجيوش المغرب إلى الإسكندرية وملكها . وهى الدفعة الثانية ، فإنه كان قد قدم فى سنة إحدى وثلاثمائة وملكها أيضاً ، ثم عاد إلى أفريقيا .

ووافق وصوله الآن والجند مخالفون لذكاً أمير مصر ، فتقاعدوا عن الخروج معه للقاء عسكر للمهدي ، فخرج إلى الجيزة فى عسكر قليل فى التصف من صفر ، وابتنى حصناً بالجيزة ، واحتفر خندقاً على عسكره ، ثم صُرف ذكا ، وتوفى لليلة خلت من شهر ربيع الأول من السنة ، وكانت مدة إمارته أربع سنين وأياماً .

(١) « دعا » فى الأصل ، كما ورد فى الأصل بعد ذلك « وكا » . والتصحيح هنا وفقاً لى من الولاة والقضاة ص ٢٧٣ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٦ .

وقدم أبو قابوس محمود بن حمد أمير الشام بمساكره نُصرةً لساكر مصر، فكان قدومه لثمان خلون من شهر ربيع الأول، ونزل الجيزة، ثم قدم إبراهيم بن كيغلق لسبع بقين من شهر ربيع الآخر. ودخل تكين الخاصة متولياً لإحدى عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة، ونزل الجيزة، وحضر خندقاً ثانياً، وأقبلت مراكب المهدي صاحب إفريقية. وهي مائة مركب حربية^(١)، وعليها سليمان الحاكم^(٢)، فبعث تكين إلى بقال الخادم أمير طرسوس أن ينجده، فحضر إليه في مراكبه^(٣)، وانتهى إلى نهر رشيد، والتقت مراكبه بمركب المهدي لعشر بقين من شوال من السنة، وكان بينهم حرب شديدة، وهبت ريح على مراكب المهدي فألقته إلى البر، وتكسر أكثرها، وأسر من فيها، وقتل منهم خلق كثير، ودخل من بقي منهم إلى الفسطاط، وهم سبعمائة نفر، فقتلوا عن آخرهم.

وقدم مؤنس الخادم من بغداد في الخامس من المحرم سنة ثمان وثلاثمائة^(٤)، وتولّى إمرة مصر من بغداد هلال بن بدر، ودخلها في السادس من ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة، وأقام إلى سنة^(٥) عشرة،

(١) «ثمانون مركباً» في انعاظ الحنفا ج ١ ص ٧١.

(٢) هكذا بالأصل، و«عليها سليمان الخادم وعقوب الكتاني» في انعاظ الحنفا ج ١ ص ٧١، وانظر أيضاً الولاة والقضاة ص ٢٧٦.

(٣) في انعاظ الحنفا أن الخليفة المقتدر هو الذي أمر بإرسال مراكب طرسوس ج ١ ص ٧١.

(٤) «وصرف تكين عن مصر يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة وولى مؤنس عليها أبا قابوس محمود بن حنك فأقام عليها أياماً، ثم رد تكين عليها يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأول فأقام أربعة أيام» — الولاة والقضاة ص ٢٧٨.

(٥) «وأقام إلى ست عشرة» في الأصل. والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٧٩.

فشب عليه الجند ، وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصُرف هلال عن مصر في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . فكانت مدة ولايته نحو ستين .

وتولى مصر أحمد بن كيغلق فقدمها في شهر رجب من السنة ، فأقام بمنية الأصبح^(١) ، وأحضر الجند ، ووضع المعطاء فيهم ، وأسقط كثيراً من الرجال ، فسعت الرجال عليه ، وخرجوا لقتاله ، فانتقل إلى فاقوس وأقام بها إلى أن قدم رسول تكين الخاصة بولاية مصر ، وذلك في ذى القعدة من السنة .

وقدم تكين من العراق لعشر مضين من المحرم سنة ثنى عشرة وثلاثمائة ، فكان بها إلى أن توفي في السادس من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وحمل إلى بيت المقدس فدفن هناك ، فكانت مدة ولايته هذه تسع سنين وأربعة أشهر إلا أربعة أيام ، واستخلف ابنه محمد ، وكان الوزير بمصر والمتولى لخراجها يومئذ محمد بن علي الماذرائي^(٢) فوقع بينه وبين محمد

(١) « فتحت » في الأصل ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٧٩ .

(٢) منية الأصبح : قرية تسب إلى أبي ريان أصبح بن عبد العزيز بن مردان بن الحكم ، أنشأها على الخليج المصري عرفت باسمه ، وعرفت في مصر القاطن بقرية الخندق ، وهي في شرق القاهرة حالياً بوسط منطقة دير الملاك ، القاموس الجغرافي - القسم الأول ص ٤٢٨ .

(٣) اختلفت المصادر - في رسم هذا الاسم ، ففي الأصل ، وعقد الجمان ، « المارداني » ، وفي المواظ والاعتبار « المازرائي » ، و « الماذرائي » في الولاية والقضاء ص ٢٤٤ . ونسبت هذه الأسرة إلى مازاريا : من أعمال البصرة . ويقول ياقوت : ينسب إليها الماذرائيون . كتاب الطولونية بمصر - معجم البلدان . ولذلك تم تصحيح الاسم هنا وفي المواضع التالية .

ابن تكين فتنة لأربع بقين من الشهر ، وانتشرت حتى قامت الحرب بينها ، وقتل فيها جماعة من الفريقين وأُحرق دور المازرائي الوزير وجماعة من أصحابه .

[١٦] وخرج محمد بن تكين هارباً من مصر ، ودُعي بمصر لمحمد ابن طُفج بن جُفّ الإخشيدي في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة ، ثم دُعي لأحمد بن كيفلغ^(١) في شوال من السنة ، ثم رجع محمد بن تكين إلى مصر في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وأقام بالجيزة أياماً ، ودخل دار الإمارة بمصر ، واستقر بها لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، ودُعي له بالأمانة ثم وقع بينه وبين عرب المغاربة حرب انجلت^(٢) عن انهزامهم إلى الصعيد ، وأقام محمد بن تكين ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، ثم هرب مع جماعة من أصحابه لحمس خلون من شهر رجب . ودخل أحمد بن كيفلغ في يوم السبت السادس من الشهر ، ثم رجع محمد بن تكين لقتاله لثلاث بقين منه ، وكان بينها حرب انجلت^(٣) عن انهزام محمد بن تكين ، ثم نفى بعد ذلك إلى الصعيد ، فلم يزل هناك إلى أن جاء محمد بن طُفج .

(١) « لمحمد بن كيفلغ » في الأصل . وهو تحريف ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٨٢ .
النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٢ . وما يلى .

(٢) ، (٣) « أجلت » في الأصل . والتصحيح يتفق وسباق الكلام ، وما جاء في الولاية والقضاء ص ٢٨٢ .

ذكر أخبار الدولة الإخشيدية وابتداء أمر من قام بها وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده إلى أن انقرضت أيامهم

كانت هذه الدولة بمصر والشام ، وهى من الدول المشهورة . وأول من ولى من ملوكها الإخشيد أبو بكر محمد بن طنج . واسم طنج عبد الرحمن ابن جُف بن يَتَكِين بن فُورَى^(١) بن خاقان الملك ، وهو من فرغانة ، وكان طنج من القواد الطولونية ، وتولى لخمارويه بن أحمد [بن طولون]^(٢) دمشق والشام . ولما مات طنج ترك من الأولاد أبا بكر محمداً الإخشيد ، وأبا القاسم علياً ، وأبا المظفر الحسين ، وأبا الحسن عبيد الله ، وكان أبو بكر أكبرهم فتولى الولايات وتنقل فى المراتب إلى أن ملك مصر والشام .

وكان ابتداء ولايته الديار المصرية والدعاء له بها فى يوم الجمعة لاثنتى عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، كما قدمناه ، ولم تثبت ولايته هذه . ثم دُعى لأحمد بن كَيْخَلَج ، وكان ما ذكرناه ، ثم ولى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فى خلافة الرضى بالله^(٣)

(١) « بن فُورَى » فى الأصل ، والنصح من وفعات الأعيان — انظر ترجمة أبو بكر محمد بن أبى محمد طنج جـ ٥ ص ٥٦ رقم ٦٨٩ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

(٣) هو أحمد بن جعفر القنتر بالله ، أبو العباس الرضى بالله ، ولى الخلافة العباسية فى بغداد فى الفترة من ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

وكانت هذه الولاية مفتعلة في ابتدائها ، وذلك أن التقليد من دار الخلافة ببغداد خرج باسم محمد بن تكين الخاصة ، وكان بن طغج بالساحل يقبض على الرسول الواصل من دار الخلافة وأخذ منه التقليد وكشط « تكين » وكتب « طغج » وأنفذ التقليد إلى مصر فورد في يوم السبت ثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ، فاعتزل أحمد بن كيغلف النظر ، وامتنع محمد ابن علي الماذرائي الوزير من التسليم له ، وكان غالباً على أمر أحمد [بن كيغلف ^(١)] ، وعزم على قتال محمد بن طغج ، فبلغه ذلك ، فبعث صاعد بن كلمم بمراكب كثيرة من ساحل الشام ، وسار هو في البر ، فقدمت عساكره مصر براً وبحراً ، ووصل صاعد إلى الجزيرة في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان ، وأقام خمسة أيام ، وأحرق الجسر ، ووصل الإخشيد إلى مصر فلقبه محمد بن علي الماذرائي الوزير وأحمد بن كيغلف ومحمد بن عيسى النوشري وبرزوا لقتاله . فلما تصافوا للقتال انحاز أحمد بن كيغلف وانضم إلى الإخشيد . وقاتل الماذرائي وابن النوشري قتالاً شديداً ، ثم انهزما إلى الفيوم .

ودخل الإخشيد مصر بعد القتال في يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان من السنة ، فندب صاعداً لقتال الماذرائي وابن النوشري ، فوقع بينهما حرب انجلت ^(٢) عن قتل صاعد وهرب النوشري إلى برقة ، وواصل القائم ^(٣)

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) « أجلت » في الأصل . والتصحيح يتفق وسياق الكلام . وما ورد في الولاة والقضاة ص

٢٨٧ .

(٣) هو الخليفة الفاطمي الثاني بالمغرب . وهو القائم بأمره أبو القاسم محمد . ولي الخلافة بالمغرب

في الفترة من ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٣ .

صاحب إفريقية يطلب نجدة ، فسير إليه عسكرياً عليه أبو تازرت فدخلوا الإسكندرية وملكوها ، فخرج إليهم أبو المظفر الحسين بن طنج ومعه صالح ابن نافع ، ووقع بينهم القتال ، فانهزم النوشري وعسكر المغاربة ، وقتلوا أبو تازرت ، وأسر عامر المجنون ، وجماعة منهم . وأما محمد بن علي الماذرائي الوزير فإنه استتر ، ودام استتاره إلى أن دخل الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزاية وتلقاه الإخشيد ، وزينت له مصر ، فأخرجه . ثم وصل التقليد من دار الخلافة لمحمد بن طنج في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

وفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة نعت الخليفة الراضي بالله محمد بن طنج بالإخشيد بسؤال منه في ذلك . ومعنى الإخشيد ملك الملوك .

وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة خرج الإخشيد إلى الشام واجتمع بالخليفة المتقي بالله بالرقّة ، وخدمه ، ومشى بين يديه ، وسأله المسير معه إلى مصر [١٧] وخوفه من توزون التركي ، فلم يقبل منه . فضمّ إليه الإخشيد عسكرياً وقائداً من قواده ورجع الإخشيد إلى الشام ، ثم إلى مصر . وولاه المتقي مصر والشام والحرمين ، وعقد لولديه من بعده ،

(١) « أبو باروت » في الأصل . والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٨٨ .

(٢) « المتقي بالله » في الأصل . وهو تحريف .

وهو أبو إسحاق إبراهيم المتقي بالله . ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من

٣٢٢ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

أَنُوجُورَ وَعَلَى ، عَلَى أَنَّ يَكْفُلُهَا كَأَقُورِ الْحَصَى . وَكَانَ عَوْدُ الْإِخْشِيدِ إِلَى
مِصْرَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى
النَّاسِ لَوْلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ أَنُوجُورَ لِلْيَلْتِنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا .

(١١) « أُنُوجُورَ وَعَلَى ، وَعَلَى أَنَّ يَكْفُلُهَا » فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَسَيَجْرِي تَصْحِيحُ اسْمِ
أَنُوجُورَ فَمَا يَلِي طَبَقًا لَضَبْطِهِ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ وَهُوَ « يَفْتَحُ الْحَمْرَةَ وَضَمَّ النُّونَ وَالْجِيمَ بِعَدَا
وَقَبْلَهَا وَأَوَّ سَاكِنَةً »

ذكر مسير الإخشيد إلى الشام ووفاته وشىء من أخباره وسيرته

وفي خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج الإخشيد إلى الشام والتقى بأصحاب ابن حمدان^(١)، على لَدَ^(٢)، وهزَمَهُمْ. ثم سار إلى حمص وقتل سيف الدولة بن حمدان، ومضى إلى حلب. ثم وقع الصلح بينهما، وتسلم الإخشيد من سيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية^(٣)، وتزوج سيف الدولة بنت عبيد الله بن طنج أنسى الإخشيد. ثم عاد الإخشيد إلى دمشق فتوفى^(٤) بها في يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان عمره ستاً وستين سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام، وكانت مدة ولايته الثانية^(٥) من لدُنْ دخوله إلى مصر وإلى حين وفاته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا يوماً واحداً.

قال التنوخي^(٦): وكان الإخشيد حازماً شديداً، يتيقظ في حروبه،

(١) هو علي بن عداقة بن حمدان، سيف الدولة، أبو الحسن حكم حلب في الفترة ٣٣٢ -

٣٥٦ هـ/٩٤٤ - ٩٦٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤.

(٢) لَدَ، بالضم والتشديد، هي مدينة اللد، من فلسطين - معجم البلدان.

(٣) عن تفاصيل الصراع بين الإخشيد وسيف الدولة انظر الكامل ج ٨ ص ٤٤٥، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٦، الولاة والقضاة ص ٢٩٢. مصر في عصر الإخشيد ص ٣٦٧ - ٣٧٢.

(٤) «فنول بها» في الأصل، وهو تحريف، والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٩٣.

(٥) «الأول» في الأصل، والتصحيح يتفق وسير الأحداث - انظر ما سبق.

(٦) هو المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد، القاضي أبو علي التنوخي، صاحب كتابي الفرج بعد الغمة، وجامع التراخي المسمى بكتاب نثر المعاصرة وأخبار المذاكرة، والمتوفى سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م - ولها الأعيان ج ٤ ص ١٥٩ رقم ٥٥٧.

حسن التدبير ، مكرماً للأجناد ، أيداً في نفسه ، لا يكاد يجر قوسه الأعداء من الناس لقوته ، حسن السيرة في رعيته ، وكان جيشه يمتوى على أربعة آلاف رجل ، وله ثمانية آلاف مملوك ، بحرسه في كل ليلة منهم ^(١) ألفا مملوك . وكان إذا سافر يتنقل في الخيام عند الثوم حتى كان ينام في خيمة الفراءشين . قال وترك الإخشيد سبع بيوت مال ، في كل بيت مال منها ألف ألف دينار من سكة واحدة .

أولاده : أبو القاسم أنوجور ، أبو الحسن على .
 كتابه : أبو جعفر بن المنق ، وابن قوماقس ، وابن الرودباري .
 ولما مات ملك بعده ابنه أنوجور .

ذكر ولاية أبي القاسم أنوجور

ومعنى أنوجور محمود ؛ ابن أبي بكر محمد بن طنج ، وهو الثاني من ملوك الدولة الإخشيدية .

كانت ولايته بالشام بعد وفاة أبيه لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ويومع له بمصر عند ورود الخبر ب وفاة الإخشيد في اليوم الثاني من المحرم سنة خمس وثلاثين ، وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة . وقام بيعته الوزير أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل ^(٢) . وكان أبو المظفر الحسن بن

(١) د . يثيد ، أيداً : اشتد وقوى وصلب — القاموس .

(٢) « منها » في الأصل ، والتصحيح يثق والسياق ، فالضمير عائد على ثمانية آلاف مملوك .

(٣) هو صاحب خراج مصر يومئذ — الولاة والقضاة ص ٢٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص

طنج بمصر فقبض على الوزير محمد بن علي المذكور في ثالث المحرم ، وعزله ،
ورأى الوزارة ^(١) محمد بن علي الماذرائي ، وجلس ابن مقاتل ، فلم يزل في
الاعتقال إلى أن قدم كافور بالعسكر من الشام فأفرج عنه . وكان قدوم كافور
بالعسكر في يوم الثلاثاء لثمان مضين من صفر سنة خمس وثلاثين .

ثم خرج كافور بالعسكر إلى الشام ومُقَلِّمَه أبو المظفر بن طنج ، أخو
الإخشيد ، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأول . وكان سبب خروجه أن
سيف الدولة بن حمدان طمع في ملك الشام لما تَوَقَّى الإخشيد ، فسار إلى
دمشق وملكها ، ثم سار إلى الرملة فلقبه كافور بها وقاتله ، وكانت الهزيمة على
ابن حمدان . واستعاد الإخشيدية ما كان سيف الدولة استولى عليه ، وأقام
كافور بالشام .

ذكر قيام أبي نصر غلبون بن سعيد المغربي وما كان من أمره

كان قيامه في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وكان يتولى . إلى اسيروط
وأخميم من صعيد مصر ، فعزله [١٨] كافور عنها وهو بالشام ، فامتنع ،
وطمع لخلق البلاد من الأستاذ كافور ، فندب إليه عسكرياً فهزمهم غلبون ،
وهزم عسكرياً ثانياً ، وتقوى بما أخذهم منهم . ثم سار إلى الشرقية في أواخر
السنة ثم سار منها ونزل على بركة الحبش ^(٢) فخرج إليه جماعة من الإخشيدية

(١) « دوى مكانه على الحراج » في النجوم الزاهرة . « وجعل مكانه » في الولاة والقضاة .

(٢) بركة الحبش : من أجل متنزعات مدينة القضاة . وكانت تعرف ببركة المغافر وحيدر ،
وتعرف باصطبل قماش . وكانت في ملك أبي بكر محمد بن علي الماذرائي — المواعظ
والاعتبار جـ ٢ ص ١٥٢ .

فهمزهم . فرحل عند ذلك أبو القاسم أنوجور وأخوه وأهلها ^(١) ، والوزير إلى الشام ، وأُخليت دارُ الإمارة ، فدخل غلبون مصر وسير عسكرياً إلى أبي القاسم فتبعه إلى مسجد تبر ^(٢) . ومُسك الوزير محمد بن الماذرائي وحي به إلى غلبون ، فلما رآه أطلقه .

وسار أبو القاسم نحو الشام ، فلقبه مرتاح الشرائي في أثناء الطريق ، وقد قدم من قبل كافور في جماعة من الإخشيدية ، فردّه . وعاد أبو القاسم إلى مصر بالمسكر فوجدوا غلبون وقد تفرق عنه أصحابه في البلد ، فحاربهم في نفر يسير ، فانهزم . ودخلوا دار الإمارة ، فوجدوا الوزير ابن الماذرائي ، فهبوا بقتله ، فأخذوه القائد منجج ونجباء عنده ، ونهبت دُورهُ وأحرق بعضها .

ووصل الخبر إلى كافور بالشام فقبض على ولده ، واستوزر عوضاً عنه أبا الفضل جعفر ^(٣) ابن الفرات المعروف بابن حترابة ، ثم قديم الأستاذ كافور من الشام في شهر رمضان ، سنة ست وثلاثين ، فأطلق الوزير ابن الماذرائي وأكرمه ، وردّ عليه ضياعه وأملاكه ، واستوزر محمد بن علي بن مقاتل .

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة لست خلون من صفر زُلزِلت مصر ، وتابعت الزلازلُ بها ، فتهدم أكثر دُورها ، وسقط من الجامع العتيق بمصر

(١) وأهلهم » في الأصل والتصحيح يتفق وساق الكلام .

(٢) مسجد تبر : خارج القاهرة . وعرف قديماً بالبر والجميزة . وتسميه العامة مسجد التين وهو خطأ . وموضعه خارج القاهرة من المطرية — وتبر أحد الأمراء الأكابر في أيام كافور — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣) هو جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات . المعروف بابن حترابة . توفي سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م — وفات الأعيان ج ١ ص ٣٤٦ رقم ١٣٣ .

قطعة ، وتوالت الزلازل في سنة أربعين أيضًا ثلاثة أيام متوالية ، وخُسِفَ بعضُ القرى وهلك من كان بها .

فقال محمد بن عاصم من قصيدة مدح بها كافر جاء منها :
 مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ سُوءٍ يُرَادُّ بِهَا وَأُنْصَا رَقَصَتْ مِنْ عَذْلِهِ فَرَحًا
 وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ انْقَضَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَاحْرَقَتْ أَكْثَرَ
 دُورِ مِصْرَ .

ذكر وفاة الوزير أبي بكر محمد بن الماذرائي وشيء من أخباره ومآثره

وفي شوال من سنة خمس وأربعين وثلثمائة مات الوزير أبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم الماذرائي ، وزير الخنارويه بن أحمد ولغيره من أمراء مصر ، ومولده بالعراق سنة سبع وخمسين ومائتين ، وكان له ضياعٌ وأملأٌ ، قيل إن مقدار ارتفاعها ^(١) في كل سنة أربعمائة ألف دينار . وواصل الحج من سنة إحدى وثلثمائة إلى سنة اثنين وعشرين ، وكان ينفق في كل حجة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وكان يحمل معه أنحواصًا من الخشب على الجمال ، مزروعٌ فيها الخضروات ، وكان لا ينصرف عن الحجاز إلا وقد استغنى فقراؤه . ثم واصل الحج من سنة ثمان وعشرين إلى سنة أربعين . وقام أربعين سنةً يصوم .

(١) « وزير » في الأصل ، والتصحيح ينفق وسباق الكلام .

(٢) ارتفاعها : إيرادها .

وقال المسبحي في تاريخه^(١) : حبس هذا الوزير على مكة والمدينة ضياعاً ارتفاعها نحو مائة ألف دينار في كل سنة ، منها كورة سيوط ، ومنها نوير ، ومنها بركة الحبش . وحبس أيضاً عليها بالشام . وقال في كُتُب وقفه : من بلغنا فرسول الله صلى الله عليه وسلم خصمه . رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة خالف شبيب العقيلي ، وكان والياً على الرملة والساحل ، وسار إلى دمشق وفتحها ، ودخل إليها من باب الجابية ، فوقع عن فرسه ميتاً ، واختلّف في موته ، فقيل إن امرأة أرخت عليه حجر طاحون ، وقيل بل مات حتف أنفه ، وأتصل الخبر بالأستاذ كافور فسكن بعد قلق عظيم . والله أعلم .

ذكر وفاة أبي القاسم أنوجور وولاية أخيه أبي الحسن على بن الإخشيد

كانت وفاته لإسيع^(٢) خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكانت مدة وقوع اسم الملك عليه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأياماً . وكان كافور هو الغالب على أمره والحاكم [١٩] في دولته ، وليس لأبي القاسم معه إلا مجرد الاسم .

(١) هو محمد بن عبيد الله بن أحمد . الأمير المختار عز الملك المسبحي ، المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م . صاحب كتاب أخبار مصر . ولم يصل إلينا منه سوى الجزء الأربعين ويتناول أحداث سنتي ٤١٤ ، ٤١٥ هـ . ونشره أمين فؤاد سيد ، وتبارى بيانكي — المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٧٨ .

(٢) « لثمان » في الولاة والقضاة ص ٢٩٦ . « سابع أو ثامن » في التجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٣ .

ولما مات عُدَّت البيعة بعده لأخيه أبي الحسن على في يوم الأحد لثمان
 خلون من ذى القعدة ، فجرى الأستاذ كافور معه على قاعدته مع أخيه ،
 وزاد على ذلك بأن حجبه ومنعه من الظهور إلى الناس إلا معه .
 ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن توفى لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم
 سنة خمس وخمسين^(١) وثلاثمائة ، وكان مدة ملكه خمس سنين وشهرين
 وأياماً ، وقيل : إن وفاته كانت في هذا التاريخ من سنة أربع وخمسين ،
 وكان مولده لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلاثمائة ،
 وخلف ولداً واحداً وهو أبو الفوارس أحمد .

ذكر ولاية أبي المسك كافور الحنصلي الإخشيدى واستقلاله بملك مصر دون شريك ولا منازع

كانت ولايته بعد وفاة أبي الحسن على ، ابن سيده ، لإحدى عشرة ليلة
 خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . وقيل في هذا التاريخ من سنة
 أربع وخمسين .

قال الفرغاني المؤرخ : لما توفي على بن الإخشيد استدعاني كافور وقال
 لي : ما ترى أن أصنع ؟ فقلت له : أيها الأستاذ إن للمرحوم عندك صنائع
 وآثاراً تقتضي أن ينظر لعقبه ، والرأي عندي أن تنصب أحمد بن الأمير على
 مكان^(٢) أبيه ، وتدبر أنت الدولة كما كنت . فاعتذر بصغره ، فقلت : قد

(١) اتفق على هذا التاريخ الكندي : الولاة والقضاء ص ٢٩٦ . وابن تفرى بردى : للتجوم
 الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦ .

(٢) « ما كان » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

عُقد لأبيه ولم يبلغ سنّه ، وأجاز ذلك ثلاثة أئمة : المتقي والمستكني^(١) والمطيع^(٢) . فقال نظروا في ذلك . وانصرفت . فبلغني أنّه قال بعدى : أبو محمد لا يثبت في ولاته^(٣) لكنه يميل إلى الفرغانيّة ، ثم لم يقبل ما أنشأه الفرغاني ، بل وثب على الأمر وأزل اسم مواليه عن المنابر ، وأقام كذلك إلى أن توفّي في يوم الثلاثاء لعشرين بقيّن من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

وكان سبب وفاته أنه سُمّ في لوزينج^(٤) قدمته له إحدى جواربه وقد أتى من الميدان وهو جائع ، فأكله ومات ، وقُتِلت الجارية بعده ، وكانت قد وضعت لذلك . ومات وله من العمر خمس وستون سنة على التقدير ، فإنه جُلِب في سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة وعمره أربع عشرة سنة ، ويبيع بأثنى عشر دينارًا^(٥) .

قال المؤرخ : وكان لكافور معروف في كل سنة للحاج أكثر ما^(٦) يتقدّم معهم مالاً وكسوة وطعاماً ، ويبيع معهم صندوقين من كسوة بذّيو تُفرّق على الأشراف . وكان له من الغلمان الأتراك ألف وسبعون غلاماً يلقى عليهم باب داره ، وتنام الألفي غلام روم ، سيوى المولّدين والسودان ، يكون عدّة

(١) هو أبو القاسم عبد الله المستكني بالله ، الخليفة الهباسي ببغداد . ولى في الفترة من ٣٢٣ -

٣٣٤ هـ / ٩٤٤ - ٩٤٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع لله ، الخليفة الهباسي ببغداد . ولى في الفترة من ٣٣٤ -

٣٦٣ هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٣) « في ولايته » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) لوزينج : نوع من الحلوى .

(٥) « اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيد بثمانية عشر ديناراً من الزياتين » - النجوم

الزاهرة ج ٤ ص ١ .

(٦) « في كل سنة لحاج أكثر » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

غلمانة أربعة آلاف غلام . وكان راتبه في مطبخه في كل يوم ألف وسبعائة رطل لحمًا سوى الدجاج والفرايح والخراف المشوية والحلوى وغير ذلك . وخطب له بالحرمين الشريفين ، وقَدَّ حكمه في الشام والحجاز وطرسوس . وكانت له خزانة شراب يُقَرَّق منها في كل يوم خمسون قرابة ^(١) من سائر الأشربة في الحاشية . ولما مات كافور خلف في خزائنه عينا وجوهرا وثيابا وسلاحا بمبلغ ألف ألف دينار .

وحكى عنه أنه كان في ابتداء أمره قبل اتصاله بالإخشيده لحقه جرب حتى كان لا يتقابل فطرده سيده ، وكان يمشي في سوق بني جاسة ، وفيه طبّاح يبيع الطيبخ ، فطلب كافور منه أن يطعمه ، فضره بالمغرفة على يده ، وهي حارة ، فسقط مغشيا عليه ، فأخذه رجل من المصريين ودأواه حتى وجد العافية فأنى إلى سيده فقال له سيده : خُذْ أجرة ما فعلت . فأنى ؛ وقال : أُجْرِي على الله . وكان كافور كلما عزَّتْ نفسه يذكرها بضرب الطبّاح بالمغرفة ، وربما يركب ويأنى ذلك الحُطَّ ويتزل ويسجد شكرا لله عز وجل .

وحكى أيضا أنه اجتاز يوما بالتحامين وهو في موكبه فوقف على حانوت هراس ^(٢) ، وكان إلى جانبه الوزير ابن الفرات فبكى كافور بكاء شديداً وكان يقول في بكائه : فاز الجمال فاز الجمال ، وساق وهو على تلك الحال ، فلما استقر بمكانه وسكن ، سأله الوزير عن سبب بكائه ، فقال : لما طلعتُ من المركب من بحر الحجاز ، وكان يومئذ سيدى الذى جلبنى إبراهيم البلوق ،

(١) قرابة : من الآنية : ما قارب الامتلاء — والمقصود راوية الماء التى تصنع من جلد الحيران . وتستخدَم في نقل الماء .

(٢) هراس : أى بائع الهريسة . وهى نوع من الحلوى .

فركب الجمل وقصدنا قُوص وتزلنا في بعض الأيام وجلستُ مع الجمال ورجلي آخر كان معنا قد وصل من الحج ، فقال الرجل : أشتى على الله قُدر هريسة قدامى . فقلتُ : أنا أشتى على الله ملك مصر ، فقال الجمال اشتيتُ على الله الجنة . وغاب عني هذا الحديث . فاتفق أن سيدي إبراهيم باعني لمحمد بن هاشم ، ثم باعني لأبي أحمد بن عياش ، فوهبني لجارية له ، ثم وهب [٢٠] أبو أحمد الجارية بعد مدّة الإخشيد ، فطلبني تكين الخاصة من الإخشيد فأهداني إليه فلم أزل إلى أن ملكت مصر . وصاحبُ الخانوت الذي وقفْتُ عنده هو الذي اشتى القُدر الهريسة ؛ فعرفتُ أن ذلك الوقت وهب الله لكلِّ منا ما اشتى ، ففاز الجمال بالجنة .

وحكى أبو جعفر المنطقي قال : دعاني كافور يوماً وقال لي : أتعرف مُنجباً ، كان يجلس عند دار فلان ؟ فقلت : نعم . قال : ما صنع ؟ قلت : مات منذ سنين كثيرة . فقال : مررتُ عليه يوماً فدعاني وقال : أنظرُ لك ؟ قلت : افعل . فنظر ، ثم قال : ستَملك هذه المدينة وتأمُر فيها وتنهى . وكان معي درهمين فدفعتهما إليه ، وقلت : ما معي غيرهما . وقال : وأزيدُك ؛ ستَملك هذه المدينة وغيرها وتبلغ مبلغاً عظيماً ، فادكرني . فانصرفت . فلما نمتُ البارحة رأيتُ في منامي وهو يقول لي : ما على هذا قُدرتي . وأريد أن تخشى وتَسأل عن حاله ، وهل له ورثة ؟ فسألتُ عنه فقيل : لا إبتان إحداهما بكر والأخرى متروجة ، وأعلمته ؛ فاشتري لها داراً بأربعمائة دينار ، ودفع للبكر مائتي دينار تتجهز بها .

وقال الحسن بن زولاق المصري المؤرخ : كان الشريف عبد الله بن أحمد

الحسيني ، وهو ابن طباطبا ، يرسل إلى كافور في كل يوم جامين^(١) حلوى^(٢) ورغيفاً في مندبل محترم ، فحُوطِب كافور في الرغيف وقيل له الحلوى حسنٌ فما تصنع بالرغيف ؟ فأرسل إليه وقال : يُجْزِي الشَّريفُ في الحلوى على العادة . ويعفيني من الرغيف ، فركب الشَّريفُ إليه وقال : أَيْدِكَ اللهُ ، أنا ما أنفذ الرغيف تطاولاً ولا تعاضلاً وإنما هي صبيّة حَسَنِيَّة تعجُّهُ بيدها وتخبره ، فأرسله^(٣) على سبيل التبرُّك ، فإذا كرهته قطعناه . فقال : لا والله ، ولا يكون قُوتِي سِوَاهُ .

وقيل أنه ركب يوماً في موكبه والشَّريف أبو جعفر^(٤) نقب الطالبين يسايره ، فوقعت مقرعته ، فترل الشَّريف فتأوله إياها ، فتذمَّ كافور من ذلك وتأوَّه وبلغ منه مبلغاً عظيماً . فلما نزل إلى داره أرسل إلى الشَّريف جميع ما كان يملكه في موكبه من ممالك ودواب وآلة واعتذر منه . قال المتنوخى في نشوار المحاضرة : وكان قيمة ما سيره إليه خمسة عشر ألف دينار^(٥) .

وفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة قدم عليه أبو الطيب المنشي^(٦) فأكرمه . وخلع عليه ، وأنزله بدار ، وحمل إليه ألوفاً من المال ، فقال أبو الطيب

(١) الجام : إناء من فضة - القاموس المحيط .

(٢) « حلوا » في الأصل .

(٣) « فبرسله » في الأصل . والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) هو مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة ، أبو جعفر - النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ .

(٥) انظر تفصيل ذلك في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ - ٤ .

(٦) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبيد الله الكندي الكوفي ، أبو الطيب المنشي ، الشاعر المشهور . توفي سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م . وفات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ رقم ٥٠ .

قصيدته التي أولها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافها وحسب^(١) المنايا أن تكون أمانيا
تَمَنِّيْتُهَا لما تَمَنِّيْتُ أن أرى صدقا ، فأعيا أو عدواً مداجيا
وجاء منها في مدح كافور :

فجاءت^(٢) به إنسان عَيْنَ زمانه وغلَّت بياضاً خلَقَهَا وماقِيا
فَحَسُنَ موقعُهُ عند كافور ، ثم هرب منه وهَجَّاهُ بما هو مسطورٌ في
ديوانه^(٣) .

ولما مات كافور قام بالأمر بعده أبو الفوارس أحمد بن علي بن
الإخشيد محمد بن طغج بن جُف ، كانت ولايته بعد الأستاذ كافور لعشر
بقيين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . وذلك أن القواد
والغلمان الإخشيدية اجتمعوا وتحالفوا ألا يختلفوا ، وعقدوا الرئاسة له ،

(١) « وجب » في الأصل ، والنصح من ديوان المتنبي .

(٢) « فجاءت بنا » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧ .

(٣) للمتنبي في كافور أماج كثيرة ، أشهرها قصيدته الدالية ، التي قالها في يوم عرفة قبل مفارقتها
مصر بيوم واحد والتي مطلعها :

عهد بأية حال عدت ياعيد بما مضى أم لأمر فيك تجديس
وضئنا :

من علم الأسود المخصى مكربة أقوم به البض أم آسائه الصبد
أم أذنه في يد التماس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود

انظر ديوان المتنبي ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨ .

وهو ابن إحدى عشرة سنة . وجعلوا الخليفة عنه الحسن^(١) بن عبد الله ابن طنج ، وهو ابن عم أبيه ؛ وردوا تدبير العساكر والرجال إلى شمول^(٢) الإخشيدى ، وتدبر الأموال إلى جعفر بن حنزابه^(٣) الوزير ؛ وذلك كله قبل دفن كافور . ؟

وأقام الأمر على ذلك ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً ، واشترك معه ابن عم أبيه الحسن بن عبد الله بن طنج ، وكان يخطب فما جُمِعاً بمصر والشام والحرمين ، يُبدأ في الخطبة بأبي الفوارس ويُنشئ بأبي محمد الحسن .

ثم سار الحسن إلى الشام لقتال القرامطة ، وصادر الوزير جماعة من المصريين ، وقبض على يعقوب بن كلّس وصادره على أربعة آلاف وخمسمائة دينار ، وقبض على إبراهيم بن مروان التصرفي ، كاتب أنوجور وعلى ابني الإخشيد وصادره على عشرة آلاف دينار . ولم يقدر الوزير على رضا الإخشيدية والكافورية لتباين أغراضهم ، فاضطرب التدبير على الوزير ، واستتر مرتين ، ونُهبت داره ودُور أصحابه ، فكتب جماعة من وجوه البلد إلى المعز بإفريقية يستدعون منه إنفاذ العساكر^(٤) .

وكان بمصر في هذه السنة غلاء شديد وفناء عظيم ، فإن النيل انتهت زيادته في سنة ست وخمسين وثلاثمائة إلى اثني عشر ذراعاً وتسعة عشر

(١) « حسين » في الأصل ، والتصحيح من بعض المواضع التالية فقد ذكر حسين وأحياناً الحسن . ومن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩ .

(٢) « سمول » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦ .

(٣) هو جعفر بن القرات ، أبو الفضل ، انظر ما سبق ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠ .

(٤) هو محمد بن إسماعيل ، أبو تميم ، المعز لدين الله ، أول الخلفاء الفاطميين بمصر . توفي بالقاهرة سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٤ رقم ٧٧٧ .

أصبها ، ولم يوف في السنة التي قبلها ، فاشتد الغلاء ، وكثر الوباء .
نقل بعضُ المؤرخين أنه أحصى من كُفّن ودُفّن خارجاً ، عدا من رُمى في
البحر ، ستمائة ألف إنسان .

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة قدم الحسن بن عبيد الله من الشام
[٢١] منتهزاً من القرامطة ، ودخل مصر ، وقبض على جعفر بن القرات
الوزير ، واستوزر الحسن بن جابر الرياحي ، ثم أطلق الوزير بن القرات ،
بوساطة أبي جعفر مسلم الحسبي الشريف ، وفوض إليه الوزارة ، ثم سار
الحسن بن عبيد الله إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر ، وخرج جماعة من
الأولياء والكتاب والأشراف إلى الشام ، وخرج يعقوب^(١) بن كلّس إلى
الغرب مستتراً ، ثم صار منه ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ثم توارثت الأخبار في جُادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أن المعز
صاحب إفريقية قد جهّز عساكره مع غلامه جوهر إلى مصر ، فجمع الوزير
القواد ووقع رأيهم على تقديم تحرير سويران فاستدعوه من الأشمونين^(٢) ،
وعقدوا له الرئاسة عليهم .

ووصل الخبر بوصول جوهر إلى برقة ، فاجتمع رأى الجماعة على أن بعثوا
الشريف أبا جعفر مسلماً الحسبي وأبا إسماعيل بن أحمد الزيني وأبا الطيب

(١) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلّس . أبو الفرج . استوزره العزيز
بأمر الخليفة الناطقى . وتوفى ابن كلّس سنة ٢٨٠ هـ / ٩٩٠ م - وفيات الأعيان ج ٧ ص
٢٧ رقم ٨٢٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢ ، الإشارة إلى من نال الوزارة ص ١٩ ، كنز الدور
ج ٦ ص ٢٢٦ وما بعدها . التجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨ . وانظر ما يلى في خلافة العزيز
بأمره .

(٢) الأشمونين : من المدن المصرية القديمة . وهي حالياً قرية من قرى مركز ملوى . محافظة
أسيوط - القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٤ ص ٥٩ - ٦٠ .

العباس بن أحمد العباسي والقاضي أبا ظاهر ، وغيرهم ، لتقرير الصلح بينهم وبين جوهر على تسليم البلاد له ، فساروا في يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فلقوه على ثروجة^(١) ، فأكرمهم وأجابهم إلى ما طلبوه ثم بعد انفصالهم اجتمع القواد على إبطال المصالحة وتجهزوا للحرب ، ورجع أولئك القرب بكتاب الأمان ، فلم يقبل القواد ذلك ، وخرجوا إلى الجيزة بأجمعهم .

ووصل جوهر وابتدأ القتال يوم الخميس الحادي عشر من شعبان من السنة ، ثم سار جوهر بعد ذلك إلى منية شلقان^(٢) وملك الخفايض ، فبعث المصريون مزاحيم بن أرتق لحفظها فلم يحفظها ، وخامر عليهم ، وعدى^(٣) جوهر ، وانتهز الإخشيديون ، ودخل جوهر مصر بعد العصر من يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان منها ، ونذب القائد جوهر المعزى بعد ذلك جعفر بن فلاح إلى الشام ، والتقى هو والحسن بن عبيد الله على الرملة في شهر رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، واقتتلا^(٤) فانهزم الحسن وأسر ، وملك جعفر الشام أجمع .

وانقرضت الدولة الإخشيدية ، وكانت مدتها خمسا وثلاثين سنة ، وتسعة أشهر ، وأياما .

(١) ثروجة : من القرى المصرية القديمة . مكانها اليوم كوم ثروجة بمرکز أبو المطاير بمحافظة البحيرة - القاموس الجغرافي ق ١ ج ١ ص ١٩٠ .

(٢) منية شلقان : من القرى المصرية القديمة . من أعمال القليوبية . وحاليًا تبع مركز قلوب - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٦ .

(٣) « عدا » في الأصل .

(٤) « واقتتلا » في الأصل .

ذكر أخبار الدولة العُيُودِيَّة
التي انتسب ملوكها إلى الشرف
والحقوا نسيم بالحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنها

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها واتسعت ممالكها ، واستولت
ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقاً وغرباً ، ببلاد المغرب ، والديار
المصرية . والبلاد الشامية ، والنُجُور والعواصم ، وغير ذلك .

وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب ، وإنما أوردناها في أخبار
ملوك الديار المصرية ، والحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي لأن الديار المصرية
قاعدة ملكهم وبها قام أكثر ملوكهم .

ولنبداً بذكر أخبار ملوك هذه الدولة وابتداء أمرهم . وما قيل في نسبهم
وإلى من ينسبون ، وكيف تنقلت^(١) بهم الحال إلى أن ملكوا البلاد .
واستولوا على الأقاليم . وخذت الدولة أسباب ولوازم وشيعة . هم الذين مهدوا
لهم البلاد . ووطئوا الممالك . وعزموا الجيوش ، وفتحوا الأقاليم ، وأبادوا
الأبطال . حتى استقر الملك للملك هذه الدولة وتسلموا عتقاً صفواً .

(١) « تنقلب » في الأصل .

لأبد لنا أن نبتدئ بذكر أخبارهم ، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم ، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة واحداً بعد واحد إلى أن انقرضت دولتهم وبادت أيامهم .

ف نقول وبالله التوفيق :

أول من ملك منهم عبيد الله المنصور بالمهدي ، ونسب نفسه أنه : عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأهل العلم بالأنساب من المحققين يُنكرون ذلك ويُثبِّتونه عن ^(١) الشرف ، ويقولون : اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح ^(٢) بن أبي شاذان ميمون بن ديسان بن سعيد الغضبان ، صاحب كتاب « الميدان في نصر الزندقة » ، وهو من أهل رامهرمز ^(٣) ، كورة من كور الأهواز ، وكان من خربة الجوس ^(٤) ، ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد وأن أبا سعيد يهودي . وقال القاضي أبو بكر بن الطيب ^(٥) في كتابه المسمى بكشف الأسرار

(١) للدراسة التفصيلية انظر : ذكر ما قيل في أنساب خلفاء الفاطميين — انماط المختار ج ١ ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) « القراح » في الأصل .

(٣) رامهرمز : وتسميها العامة : رامز نكاسلا . وهي من نواحي خوزستان — معجم البلدان .

(٤) الحرمية : حركة دينية ترجع إلى أصول مجوسية ، يعتقدون في تناسخ الأرواح ، وينحللون من القيم الدينية — الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ .

(٥) هو محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم . القاضي أبو بكر . البصري . البغدادي . المالكي . الأشعري . المعروف بالافلاقي . توفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ / ٩٨٨ م — المعراج ص ٨٦ .

وهتك الأستار : إن سعيداً هذا كان قد رياه عمه محمد بن أحمد المكنى بأبي
 الشلغلخ [٢٢] وكأثراً دُعاهُ لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون
 البلاد باسمه ويدعون أنه حيُّ يُرزق إلى زمانهم ، وفيه عمل ابن المنجم
 قصيدته التي يقول فيها :

فإنك في دعواك أنك منهم كمن يدعى أن النحاس من الذهب
 متى كان مولى الباهليين ملحقاً بآل رسول الله يوماً إذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة أبو نصر [بن] ^(١) عضد الدولة فناخسرو بن بويه ،
 ببغداد جمع الطالبين من آفاق العراق ، وسألم عنهم ، فكلهم أنكرهم
 ونفاهم ، ونبراً منهم ، فأخذ خُطوطهم بذلك . وكان ممن شهد الشريهان
 الرضوي ^(٢) والمرتضي ^(٣) وأبو حامد الأسفرايني ^(٤) ، وأبو الحسين

(١) [بن] إضافة يقتضيها السياق فهو بهاء الدولة أبو النصر غيروز بن عضد الدولة أبو شجاع
 فناخسرو - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ ، وانظر ترجمة عضد الدولة في وفيات الأعيان
 ج ٤ ص ٥٠ رقم ٥٣٢ .

وقد ولي أبو نصر بهاء الدولة حكم العراق في ظل الخلافة العباسية في الفترة من ٣٧٩ -
 ٤٠٤ هـ / ٩٨٩ - ١٠١٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ .

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم . الشريف
 الرضي أبو الحسن ، توفي بهبغداد سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م - وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤
 رقم ٦٦٧ .

(٣) هو علي بن الحسين بن موسى ، أخو السابق ، توفي بهبغداد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م - وفيات
 الأعيان ج ٣ ص ٣١٣ رقم ٤٤٣ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرايني الشيخ أبو حامد ، الفقيه الشافعي . توفي بهبغداد سنة
 ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٢ رقم ٢٦ .

القُدُورى^(١) ، وغيرهم^(٢) ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة^(٣) بأمر القادر بالله^(٤) العباسي .

هذا مع ما ينسب إلى بنى بويه من التشيع . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الأمير نعيم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، وكان ميمَن صحبَ أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بنى أسد^(٥) ، فَأَلَقُوا إلى كلٍّ من اختصُّوا به أَنَّ لكلِّ شيءٍ من العبادات باطناً ، وَأَنَّ الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاةً ولا زكاةً ولا صوماً ولا حجاً ؛ ولا حرَّم عليهم شيئاً من المحرمات ؛ وأباح لهم نكاح البنات والأخوات . وإنما هذه العباداتُ عذابٌ على الأمة وأهل الظَّاهر ، وهي ساقطةٌ عن الخاصَّة . يقولون ذلك لِمَنْ يثقون به ويستكُون

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو الحسين القدوري ، الفقيه الحنفي ، توفى بهتداد سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨ رقم ٣٠ .

(٢) عن أسماء الموقعين على هذا الحضر انظر الكامل ج ٩ ص ٢٣٦ ، انماط الحنفا ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) « في سنة ٤٠٢ هـ » في كل من الكامل وانماط الحنفا .

(٤) هو أبو العباس أحمد القادر بالله ، ولي الخلافة العباسية بهتداد في الفترة من ٣٨١ -

٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٥) هو محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، مولى بنى أسد ، ويعرف أصحابه بالخطابية ، وهم من غلاة الشيعة - الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩ .

إليه . ويقولون في آدمَ وجميع الأئمة : كَذَابُونَ عَتَائُونَ طلابُ للرئاسة .

فاشتدَّت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، واتفقوا في البلاد شرقاً وغرباً ، يُظهرون التقشف ، والزهد ، والتصوّف ، وكثرة الصلاة والصيام ، يُعرفون الناس بذلك وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب إلى أن قامت البيعة بالكوفة أن أبا الخطاب استقطب العبادات وأحلّ المحارم ، فأخذه عيسى ^(١) بن موسى الهاشمي ، مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم ، ففترّق بقية أصحابه في البلاد ، فصار قومٌ ممن كان على مذهبه إلى نواحي خراسان ، وقومٌ إلى الهند ، وصار أبو شاعر ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه ، وأخذوا في تعلم الشعبة ^(٢) والتارنجيات ^(٣) والحيل ومعرفة الرزق من صنعة التجوّم والكيمياء ، ويحتالون على كلّ قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة بإظهار الزهد والورع ، ونشأ لأبي شاعر ابنٌ يقال له عبدالله القذّاح ، علّمه الحيل وأطلّعه على أسرار هذه النحلة ، فتحقّق وتقدّم ، وكانوا يظهرون التشيع والبكاء على أهل البيت ويزيدون أكاذيب خترعوها يخدعون بها ضعفاء العقول .

وكان من كبار الشعوية ^(٤) رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهاز نجار

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي . ولي عهد السفاح بعد أخيه المنصور ، خلعته المهدي . توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م . المعراج ١ ص ٢٥٣ .

(٢) يقال : شعزّ وععبزّ . والشعوذة والشعبذة : خفة في اليد . وأخذ كالسحر ، القاموس المحيط .

(٣) التارنجيات : هي الرقى أو الطلاسم أو السحر . وعن أخبار أصحاب التارنجيات والحيل . انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٢٩ - ٤٣٥ .

(٤) « الشعنية » في الأصل .

الملقب دندان^(١) وهو بنواحى الكرج^(٢) وأصفهان له حالٌ واسعة وضياح عظيمة ، وهو المتولّى على تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع معاييمهم ، وكان كلُّ من طمِع في نواله تقرب إليه بذمّ العرب ، فسمع به عبدُ الله بن ميمون القُدّاح وما يتخله من بُغض العرب وصنعة التجوّم ، فسار إليه ، وكان عبد الله يتعاطى الطّب وعلاج العين ، ويقدح الماء التازل فيها ، ويظهر أنه إنما يفعل ذلك حبسةً وتقرباً إلى الله عز وجلّ ، فطار له هذا الاسمُ بنواحى أصفهان والجليل ، فأحضره دندان وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحبّ ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوى العرب والطنن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتدّ إعجابه به ، وقال له : مثلك لا ينبغي أن يطبّ ، وإنّ قدرَكَ يرتفع ويحلّ عن ذلك ، فقال : إنما جعلت هذا ذريعةً لما وراءه ممّا ألقيه إلى الناس وإلى من أسكن إليه على رفقٍ ومهّل ، من الطنن على الإسلام ، وأنا أشير عليك ألا تُظهر ما في نفسك إلى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدّين ، فإنّ هذا الدّين قد غلب على الأديان كلّها فما يطيقه ملوك الروم ، ولا الترك ، والفرس ، والهند ، مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدّة بابك صاحب الخرمية^(٣) وكسرة عساكره ، وأنّه لما أظهر ما في نفسه من بُغض الإسلام وترك التّستر بالتّشيع^(٤) [٢٣] كما يقول أوّل قُلعي أصله ،

(١) اختلفت المصادر في رسم هذا الاسم فهو زيدان ، وزندان ، وذندان .. إلخ كما اختلفت في التعريف به المصادر السنية عن المصادر الشيعية - للتفصيل انظر انعاظ الحنفيا ج ١ ص ٢٩ هامش ٥ .

(٢) الكرج : مدينة بين أصفهان وهمدان - معجم البلدان .

(٣) بابك الخرمي : قائد حركة خارجة عن الدولة العباسية ، بدأت في سنة ٢٠١ هـ / ١٦٦ م . واستمرت هذه الحركة حتى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م - الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ ، ص ٤٧٧ .

(٤) « ترك السير بالتشيع » في الأصل . والصحيح يتنق والساق .

فَاللَّهِ أَفْهَى أَنْ تُظْهَرُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالزَّمِ الشُّعْبَ وَالْبَكَاءَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ ،
فَإِنَّكَ مُجَدُّ مَنْ يُسَاعِدُكَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَقُولُ : هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ
[وَسُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعِمْرَ] ^(١) وَادَّعَى عَلَيْهَا عِدَاوَةَ الرَّسُولِ وَتَغْيِيرَ الْقُرْآنِ وَتَبْدِيلَ
الْأَحْكَامِ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَيَّيْتُهَا سَيَّيْتُ صَاحِبَهَا ^(٢) ، فَإِذَا اسْتَوَى لَكَ الطَّعْنُ
عَلَيْهَا فَقَدْ اسْتَفْتَيْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ تُعْمِلُ الْحِيلَةَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي اسْتِثْوَاحِ دِينِهِ .
وَمَنْ سَاعَدَكَ عَلَى هَذَا فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، وَيَمُتُّ لَكَ
[الْأَمْرُ] ^(٣) كَمَا تَرِيدُ ، فَقَالَ دَنْدَانُ ^(٤) : هَذَا هُوَ الرَّأْيُ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْقَدَّاحُ : إِنْ لِيَ أَصْحَابًا وَاتِّبَاعًا أَبْغَاهُمْ فِي الْبِلَادِ
يُظْهِرُونَ التَّقَشُّفَ وَالتَّصَوُّفَ وَالتَّشْيِعَ ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَا تَرِيدُهُ بَعْدَ إِحْكَامِ
الْأَمْرِ . فَاسْتَصَوَّبَ دَنْدَانُ ذَلِكَ وَسَرَّ بِهِ ، وَبَذَلَ لِعَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحِ أَلْفَ
دِينَارٍ . فَقَبِلَ الْمَالَ وَفَرَّقَهُ فِي كُورِ الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ وَسَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَبَطَالِقَانَ ،
وَحِرَاسَانَ ^(٥) ، وَسَكَنِيَّةَ مِنْ أَرْضِ حِمصَ .

ثُمَّ مَاتَ دَنْدَانُ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ الْقَدَّاحُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَسَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَبَثَّ
الدَّعَاةَ ، وَتَقَوَّى بِالْمَالِ ، وَدَبَّرَ الْأَمْرَ .

(١) [إضافة تتفق وسباق الكلام .

(٢) [يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٣) [إضافة تتفق والسباق .

(٤) « ديدان » في الأصل . والتصحيح مما سبق .

(٥) « بطالقان خراسان » في الأصل . والتصحيح من اتعاظ الخنفا جـ ١ ص ٤٠ .

وطالقان : مدينة بخراسان بين مرو الرزد وبلخ — معجم البلدان .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأنحى محسن^(١) في كتابه أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم^(٢) فسكن بسابط أبي نوح ، وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمه ويجهه من التعطيل والإيابة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه^(٣) الشيعة ، ثم المعتزلة وسائر الناس ، وكبسوا داره ، فهرب إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي ، فترل يتأهله على موالو لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم : أنا من ولد عقيل ، وداع^(٤) إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر^(٥) . فلما أقام وانتشر خبره طلبه العسكرون فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الأهوازي ، فلما توسط الشام عدلا إلى سلمية^(٦) ليحتمي أمرها فأقام بها عبد الله وخفى أمره .

نرجع إلى قول ابن شداد . قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة من الولد فخلقه منهم ابنه^(٧) أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ،

(١) علوي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . وله مجلد يشتمل على بعض وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين — انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢ .

(٢) مكرم : من نواحي خوزستان — معجم البلدان .

(٣) « فأول من ثار عليه » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٩ .

(٤) « داعي » في الأصل . والنصح من كنز الدرر ج ٦ ص ١٩ .

(٥) « فادعي أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق » — اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٥ - ٢٦ .

(٦) سلمية : يفتح أوله وثانيه . وسكون الميم . وياء مثناه . من تحت حقيقة — بلدة من جهة البرية من أعمال حماة ، وكانت من أعمال حمص — معجم البلدان .

(٧) « أبيه » في الأصل ، والنصح من اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦ .

وَبَيْتُ الدُّعَاةِ ، واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو الحسين رستم بن الكرخيين بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الإمامية الذين يقولون بإمامة موسى^(١) بن جعفر ، فنقله إلى القول بإمامة إسماعيل^(٢) بن جعفر . وكانوا يرصدون مَنْ يَرُدُّ من المشاهد وينظرون إليهم ، فمن كان فيه مطمَعٌ وجهالة استدعوه ، ولا يستدعون إلا الجهال وَمَنْ له بأسٌ وجلد ، وعشيرة ومال ، وعزٌّ ومنعة ، ويتجشون الفقهاء والعلماء ، والأدباء والعقلاء .

وكانوا يطلبون أطراف البلاد ، فقال ضم بعض من ورد عليهم : إن بجيشان^(٣) والملاحرة والجند^(٤) من أرض اليمن رجلاً جلدًا كثير المال والعشيرة ، يتشيع ، وبهذه الناحية شاعر يقن له ابن خيران يسبُّ في شعره أبابكر وعمر ، المهاجرين والأنصار ، على مثل سبيل الحميري الشاعر ، فورد ذلك الرجل المذكور ، وهو أبو الخير محمد بن الفضل من أهل جيشان من اليمن ، ودخل إلى الحيرة ، فراه يتيكى على الحُسَيْن بن علي ، فلما فرغ من زيارته أخذ الداعى يذمه وقال له : إِنِّي رأيت ما كان منك من البكاء والقلق

(١) هو موسى بن جعفر الصادق . أبو الحسن ، موسى الكاظم ، توفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م — وتسب إليه الفرقة الموسوية — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٠٨ رقم ٧٤٦ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) هو إسماعيل بن جعفر الصادق ، وتسب إليه الفرقة الإسماعيلية الواقعة الذين قالوا إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نَصًّا عليه باتفاق أولاده . ومن ثم الإمامة بعده في أولاده — الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧ .

(٣) جيشان : بالفتح ثم السكون ، مخلاف باليمن — معجم البلدان .

(٤) جند : بالفتح ثم السكون ، أحد أقسام اليمن الثلاثة في العصر الإسلامي الأول وهو أعظمها — معجم البلدان .

على صاحب هذا القبر ، فلو أدركته ما كنت تصنع قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضاً بطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه . فقال له : أنتظن أن ما بقى لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ، ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : إى والله . فسكت عنه الداعى . فقال له محمد ابن الفضل : ما قلت لى هذا القول إلا وأنت عارف به . فسكت الداعى ، فقوى ظن ابن الفضل أن هذا الرجل يعرف الإمام والحجة ، فألح عليه وقال له : الله الله فى أمرى ، إجتمع بينى وبينه ، فأبى خرجت إلى الحج وبحث إلى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعى ، وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع إليه ، ويسأله ، ويُبكي يده . فقال له الداعى : اصبر ، ولا تفعل ، وأقم ، فهذا الأمر لا يتم بسرعة ، ولا بد له من صبر ومهلة . فقال ابن الفضل لأصحابه ومن كان معه من جيشان : انصرفوا فلى بالكوفة شغل ، فانصرفوا ، وأقام هو واجتمع بالداعى ، فقال له : ما عملت فى حاجتى ؟ فقال انتظرنى حتى أعود إليك ، فانصرف عنه ومضى إلى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة وإمام الزمان ، وبقى الداعى يترقبه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد من غير أن يعلم ابن الفضل به ، فلما كان بعد أربعين يوماً أتاه إلى المسجد وهو جالس ، فقال له : أنت بعدها هنا ؟ فقال : نعم ، ولولا تحننى لأضمت فى هذا المسجد إلى أن أموت . فعلم الداعى أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله ابن ميمون [٢٤] .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن على الحسينى فى كتابه الذى صرح فيه فى هؤلاء عن النسب إلى الحسين بن على ، رضى الله عنها ، واستدل

على ذلك بأدلة يطول شرحها - أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام بالأمر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الأهوازي^(١) من سلمية داعية إلى العراق ، فلما انتهى إلى سواد الكوفة لقي حمدان بن الأشعث ، وهو قرمط الذي يُنسب إليه القرامطة ، فصحبه ، وأتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس . فلما مات الأهوازي أسند الأمر من بعده إلى حمدان بن الأشعث ، قرمط ، وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار القرامطة .

نرجع إلى قول ابن شداد . قال : وكان أحمد يقول للحسن ابن حوشب الكوفي التجار : يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله ؟ فيقول : الأمر إليك يا مولاي ، فلما اجتمع بابن الفضل قال له : قد حاء ما كنت تريد يا أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعة ، قد أمكنك ما تريد ، وثم خلت من الشيعة ، فأخرج وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن . واجمع المال والرجال ، واظم الصوم والصلاة والتعشف ، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك شيء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره . وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعاً إلى أرض اليمن .

ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع ما معه من القماش ، وازم الزهد والتعشف . فقصده بنو موسى وقالوا له : فيم جئت ؟ قال : للتجارة . قالوا : لست بتاجر ، وإنما أنت رسول المهدي ،

(١) « إلى هوارى » في الأصل . والتصحيح مما يلى . ومن أتماط الحنفا جـ ١ ص ٢٦ .

وقد بلغنا خبرك . وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار إلى عدن لآعة^(١) . وسار ابن الفضل إلى بلده . ولما وصل ابن حَوْشَب إلى عدن لآعة قَوَّى عزائمهم وقَرَّب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستنكار من الخيل والسلاح

ولم يزل أمرُ ابن حَوْشَب يَقْوَى وأخبارُهُ ترد على مَنْ بالكوفة من الإمامية وطبقات الشيعة ، فَيُبادرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : دارَ الهجرة ، فكبر عددُهم واشتدَّ بأسُهم ، وأغار على من جاوره ونهب وسبي ، وجي الأموال ، وأنفذ إلى مَنْ بالكوفة من ولد عبد الله القُدَّاح أموالاً عظيمة ، وهدايا وطُرُفًا ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا نفذوا إلى المغرب رجلين ، أحدهما يعرف بالخلواني والآخر بآبي سفيان^(٢) ، وتقدَّما إليهما بالوصول إلى أقاصى المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما يَتْرَلْ كُلُّ واحدٍ منكما بعيداً من الآخر ، وقولاً : لكلُّ شيء باطن ، ونحن فقد قبل لنا اذهباً فالمغرب أرض بُور فاحترُثاها واكْرُباها حتى يَأْتِيَ صاحب البذر ، فتزل أحدهما بأرض كتامة^(٣) بمدينة مرجنه^(٤) والآخر سوق^(٥) حمار ، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما ، وصارا يحملان

(١) عدن لآعة : قرية بجوار مدينة لآعة في جبل صهر باليمن - معجم البلدان .

(٢) « هما أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد . وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦ .

(٣) « كتانة » في الأصل . والنصحیح مما يلى .

(٤) مَرْجَنَة = مرجانة : بالفتح ثم السكون . قرية بأفريقية (تونس) لقبيلة هواة من البربر - معجم البلدان .

(٥) كذا في الأصل والكامل . و « سوق حماد » في اتعاظ الحنفا . « سوجار » في افتتاح الدعوة ص ٢٩ .

التحفة التي تحمل إنيهما إلى ابن القدّاح ، ثم ماتا على قُربٍ بينهما بعد أن أقاما سنين كثيرة .

فقال ابن حَوْشَب لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ، وكان قد هاجر إليه ، يا أبا عبد الله أرض كُثَامَة من المغرب قد حُرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر إليها فإنها موطأة ممهدة لك ، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابن حَوْشَب معه عبد الله بن أبي ملاحف ، وأمدّه بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال . وكان أبو^(١) عبد الله قد شاهد أفعال ابن حَوْشَب وعرف تدبيره ، فسار إلى مكة ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأما أحمد بن عبد الله بن ميمون فإنه لما قوى أمره ، وكثرت أمواله ، ادّعى أنه من ولد عقيل ابن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترّون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم ، ويُغيّرون أسماءهم وأسماء دُعائهم ، ويتقلّون في الأماكن . ثم مات أحمد فخلفه محمّد . وكان لمحمّد ولدان ، أحمد والحسين . فأتى أحمد وصار الحسين إلى سلمية وله بها أموال من ودائع جدّه عبد الله القدّاح ، ووكلاء ، وأتباع ، وغلّان . وبقي يبعداد من أولاد القدّاح أبو الشلغلغ^(٢) ، وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان ، وهو مؤدّب بآداب الملوك .

وكان الذي بسلمية يدّعي أنه الوصي وصاحب الأمر دون بني القدّاح ،

(١) « بن عبد الله » في الأصل ، وهو تحريف — انظر ما سبق .

(٢) « الشلغلغ » في انماط المتفاجد ١ ص ٢٦ .
وفيه أيضًا اختلاف عما ورد هنا فيمن خلف أحمد بن عبد الله بن ميمون .

ويكتب الدعاة ، ويراسلونه من اليمن ، والمغرب ، والكوفة . واتفق أنه جرى بحضرته بسمية حديث النساء فوصفوا امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها ، وأنها فى غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوّجنى بها ، فقال إنها فقيرة ولها ولد ، فقال : ما علينا من الفقر ، زوّجنى بها فأرضيها وأبذل لها ما شأئت . فتزوجها وأحبها ، وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها فى الجمال ، فأحبّه وأدبه ، [٢٥] وعلمه ، وأقام له الخدم والأصحاب فتعلّم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمّة عظيمة .

فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول : إن الإمام الذى كان بسمية من ولد القدّاح مات ولم يكن له وَلَدٌ ، فعهد إلى ابن اليهودى الحدّاد ، وهو عبيد الله الذى نُعت بالمهدى ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الأموال ، وتقدّم إلى أصحابه ووكلائه بطاعته . وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الإمام والوصى ، وزوجه ابنة عمّه أبى الشلغلغ .

هذا قول ابن القاسم الأبيض العلوى وغيره من العلماء بهذه الدعوة . وبعضُ الناس ، وهم قليل ، يقولون إن عبيد الله هذا ، المنعوت بالمهدى ، من وَلَدِ القدّاح .

ومنهم من يقول فيه قولاً آخر ، نذكر إن شاء الله عزّ وجلّ .

فهذا ما حكى فى ابتداء أمرهم ، فلنذكر أخبار الشيعى ببلاد المغرب ، والله أعلم .

ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعي^(١)
داعي المغرب وما كان من أمره
وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب

قال أبو إسحاق إبراهيم^(٢) بن القاسم الكاتب المعروف بابن الرقيق : في تاريخ إفريقية ، وغير ابن الرقيق ممن ذكر أخبار هذه الدولة : كان أبو عبد الله الشيعي من أهل الكوفة ، وقيل من أهل صنعاء ، واسمه الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا ، فأنصل بالذي يدعى أنه الإمام ، وهو ابن القداح الذي ذكرناه المختلف في نسبه ، فأرسله إلى أبي القاسم الحسن بن حوشب الكوفي النجار . وهو المعروف بالصّادقي ، داعيتهم باليمن وكتب إليه أن ينصره ويرشده . وقال لأبي عبد الله : امثل سيرته ، وانظر^(٣) إلى

(١) « الشيعي » في الأصل ، والتصحيح مما يلي .

(٢) هو إبراهيم بن القاسم القروي الكاتب القيرواني ، أبو إسحاق ، المعروف بابن الرقيق . توفي سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٢ م . ومن مؤلفاته تاريخ القيروان — هدية العارفين ج ١ ص ٧ .

(٣) يعتمد التويري ابتداء من هذا الجزء من الكتاب على كتاب افتتاح الدعوة ، للقاضي النعمان ، فنقل منه صفحات متتالية ، وأحيانا لجأ إلى الاختصار أو حذف بعض الفقرات ، وسوف نشير إلى نقاط الاختلاف الجوهرية بين الكتابين ، كما ينضج من الموامش التالية . وكتاب افتتاح الدعوة نشر في بيروت سنة ١٩٧٠ بتحقيق وداد القاضي وب عنوان « رسالة افتتاح الدعوة » ، ثم نشر في تونس سنة ١٩٧٥ . بتحقيق فرحات الدشراوي ، وب عنوان « كتاب افتتاح الدعوة » .

وسنعمد على هذه النشرة الأخيرة في مقابلة ما جاء بنهاية الأرب .

(٤) « إلى أبي القاسم رستم بن الحسن » في انماط الحنفا ج ١ ص ٥٥ .

(٥) « وانظر » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣٠ .

مخارج أفعاله فاعمل بها ، ثم اذهب إلى المغرب . فخرج حتى انتهى إلى أبي القاسم ، فأنزله وأكرمه ، وأقام عنده من وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم في العام المقبل . فخرج أبو عبد الله مع الحاج إلى مكة .

فلما قضى الناس حجهم واستقرُّوا بيئتي جعل الشيعي يمشي بيئتي وينظر إلى الناس ، فمَرَّ بجماعة من كتامة وهم في رحالهم ، وكانوا من الشيعة الذين تشيعوا بسبب الحلواني وفيهم حرث الجيثلي وموسى بن وجاد (١) فسمعها الشيعي يذكران لأصحابها فضائل علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . فجلس إليهما وذكر من ذلك شيئاً ، وأقبل على القوم وحدثهم طويلاً ، ثم نهض ليقوم فقاموا معه ، ومشوا بمشيته ، وعرفوا مكانه . ثم أتوا من الغد فأوسع لهم في الحديث ، فزادهم ذلك فيه رغبةً ، وعليه إقبالاً . ثم صاحبه في طول الطريق بعد انصرافهم من الحج إلى أن وصلوا إلى مصر ، وهم يُبالغون في خدمته ، ويرحلون برجليه ، ويتزلون بتزوله ، وهو يسألهم عن بلادهم في خلال ذلك ، وعن طاعتهم للملكهم ، فيقولون ما علينا طاعة لهم ، وهو لا يعرض لهم بقضده ولا رغبته في بلادهم . فلما أتوا مصر أظهر أنه يريد الإقامة بها ، فتألَّموا لفراقه ، وقالوا ما الذي تقصد بمقامك مصر؟ قال : التعليم . فسألوه أن يصحبهم إلى بلادهم وأنهم يوجبون له على أنفسهم أجرة في كل سنة ، وما أوجب . ولم يُجبه إجابةً كليةً ؛ ورغبته كل يوم تزيد فيه ، فأجابهم إلى الخروج معهم : ففرحوا بذلك واستبشروا ، وجعلوا يزيدون في برِّه ، ويقولون له : عندنا كثير من إخوانك ومن يذهب إلى

(١) « موسى بن مكارم » في افتتاح الدعوة ص ٣٤ .

مذهبك ، ولورأوك ما رصوك إلا إلى شيوخهم ، فضلاً عن صبيانهم ، ولسنا نخليك للتعليم بل نعدك لما هو أعظم منه .

فلما عزم على المسير معهم جميعاً ، دنائير وأتوه بها ، فامتنع من قبولها ، وقال لم يكن منى ما يوجب ذلك ، فعظم في أنفسهم ، وزادت هيئته في صدورهم . وخرجوا به من مصر : وساروا حتى إذا كان بسوجار^(١) من أرض سمات ، تلقاهم رجال من الشيعة ، فأخبروهم بخبر الشيعة ، ونظروا إلى تعظيم الكتامين له ؛ فرغب كل واحد منهم أن يكون نزولاً عنده ، حتى رموا عليه السهام ، فخرج سهم أبي عبد الله الأندلسي فترل عنده ، ونزل كل واحد على صاحبه . وأصاب أبو عبد الله عندهم من علم الشيعة أصلاً قوياً ، فزاد في الكلام معهم ، فأجّلوه .

ثم سار القوم فدخلوا حدكامة يوه الخميس النصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين ، ومعهم أبو عبد الله الأندلسي وأبو القاسم الوراقجي ، فأراد كل واحد من الكتامين نزول الشيعة عنده ، وتنازعوا في ذلك حتى خيروهم في النزول ، فقال أي موضع عندكم [٢٦] فيجّ الأخبار ؟ فقالوا : عند بني سكتان فقال : فإياه نقصد . ثم نأى كل قوم منكم في موضعهم . ونزروهم في بيوتهم ، ولا يجعل لأحد منكم حظاً من نفسي دون أحد إن شاء الله تعالى ، فأرضاهم كلهم بذلك ، وسار كل قوم إلى جهتهم ، وسار الشيعة مع موسى بن حريث وأبي القاسم الوراقجي وأبي عبد الله الأندلسي إلى

(١) « بشرب حار » في الأصل ، والتي ذكرت من قبل على أنها « سوق حار » ، والنصح من افتتاح الدعوة ص ٤٠ .

(١) إيكجان موضع موسى من بني سكتان . قال ولما نزل عبد الله بإيكجان ومضى كل معه من الحجيج إلى مرافقهم أخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بخبره ، ووصفوه لهم مع الناس ، فتسامع الناس به ، وأقبلوا إليه من كل ناحية ؛ فكان يجلس لهم ويحدثهم [بظاهر] (٢) فضائل على رضى الله عنه .

قال : فاتصل خبر الشيعي بإبراهيم (٣) بن أحمد صاحب إفريقية ، فكتب إلى موسى بن عيَّاش (٤) يسأل عن خبره فضعَّف موسى أمره فكتب إليه ثانياً وأرسل ابن المعتصم المنجم ؛ وأمر إبراهيم بن أحمد موسى بن عيَّاش أن يتلطَّف في اتصاله إلى أبي عبد الله ، وأن يختبر أحواله ، ويأتيه بصحيح خبره . وأوصاه بوصايا أمره أن يذكرها له .

فلما وصل إلى موسى أرسل إلى بني سكتان يخبرهم أن إبراهيم قد بعث برجل إلى أبي عبد الله ليجتمع به . فرُفِع ذلك إلى أبي عبد الله ، فأذن له . فلما انتهى إليه قربه وأقبل عليه ، فقال له ابن المعتصم : إن الأمير إبراهيم ابن أحمد وجهني إليك برسالة ، فإن أذنت لي أدِّيْتُها . فقال له : أدِّ رسالتك قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم . فقال : بقول لك الأمير : ما حَمَلَكَ على التَّعرض لسخطي ، والوثوب في ملكي . وإفساد رعيتي ، والخروج عني ؛ فإن كنت تبتغي عَرَضاً من أعراض الدنيا فإنك تجده عندى ، وإن أنت

(١) إيكجان - إنكجان : بالياء أو النون : من بلاد كنامة بالمغرب . سماها أبو عبد الله الشيعي دار الهجرة - معجم البلدان .

(٢) [] إضافة من افتتاح الدعوة ص ٤٩ تتفق وسياق الكلام .

(٣) هو إبراهيم (الثاني) بن أحمد بن محمد الأغلب . كان على رأس دولة الأغالية في الفترة ٢٦٦ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٦ .

(٤) « موسى بن العباس » في افتتاح الدعوة ص ٥٤ .

تلاقيت أمرك ، ورجعت عن غيبك ، فَصِرْ إِلَيَّ وَأَنْتَ آمِنٌ ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَقَامَ بِيَلَدِنَا أَقِمْتَ ، وَإِنْ أَهْبَبْتَ الْأَنْصَارَ أَنْصَرَفْتَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ قَصْدَ مَنْ سَوَّلَ لَهُ نَفْسَهُ الْخِلَافَ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَاسْتَفْسَادَ جَهْلَةِ الْأُمَّةِ ، فَلَقَدْ عَرَفْتَ عَوَاقِبَ مَنْ تُنَمِّيهِ نَفْسُهُ أُمْنِيَّتِكَ ، وَسَوَّلَ لَهُ مَا سَوَّلَ لَكَ ، مِنْ الْهَلَاكِ الْعَاجِلِ ، قَبْلَ سَوِّهِ الْمَصِيرِ فِي الْآجِلِ . وَلَا يَغُرُّكَ مَا رَأَيْتَ مِنْ إِقْبَالِ هَؤُلَاءِ الْأَوْبَاشِ عَلَيْكَ ، وَاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاكَ ، فَإِنِّي لَوْ صَرَفْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ لَأَسْلَمُوكَ ، وَتَبَرَّكُوا مِنْكَ . وَاعْلَمْ أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ الْإِعْذَارَ إِلَيْكَ ، لَاسْتَظْهَارَ الْحُجَّةِ عَلَيْكَ . وَهَذَا أَوَّلُ كَلَامِي ^(١) وَآخِرُهُ ، لَا أَقْبِلُ لَكَ بَعْدَ هَذَا تَوْبَةً ، وَلَا أَقْبِلُكَ عَثْرَةً ، وَلَا أَجْعَلُ جَوَابَ مَا يُمْكِنُ مِنْكَ إِلَّا التَّهْوُّسَ إِلَيْكَ بِنَفْسِي ، وَجَمِيعِ أَهْلِ الْوَرَجَالِ ، وَأَنْصَارِ دَوْلَتِي . وَجُمْلَةُ أَهْلِ ^(٢) مَمْلَكَتِي فَعِنْدَ [ذَلِكَ] ^(٣) تَنْدَمُ حِينَ لَا يَنْفَعُكَ التَّدَمُّ ، وَلَا تَقْبَلُ مِنْكَ التَّوْبَةَ . فَانْظُرْ فِي يَوْمِكَ لَعْنُكَ ، وَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكَ مِنْ ^(٤) أَنْذَرُ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيُّ : قَدْ قُلْتَ فَاسْمَعْ . وَبَلَغْتَ فَأَبْلَغْ : مَا أَنَا مِمَّنْ يُرْوَعُ بِالْإِعْيَادِ ، وَلَا مِمَّنْ يَهْوَلُ الْإِبْرَاقَ وَالْإِرْعَادَ . فَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّائِي بِرِجَالِ مَمْلَكَتِكَ ، وَأَنْصَارِ دَوْلَتِكَ ، أَبْنَاءَ حِطَامِ الدُّنْيَا : الَّذِينَ يَقْتَادُونَ لِكُلِّ سَاقَتٍ ، وَيَحْيِيُونَ كُلَّ دَاعٍ وَنَاقٍ ، فَإِنِّي فِي أَنْصَارِ نَذِيرٍ ، وَحُجَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ لَا تَرَوْعُهُمْ كَثْرَةُ أَنْصَارِ الْبَاطِلِ ^(٥) ، مَعَ نَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ أَصْدَقُ

(١) « كَلَامِكَ » فِي الْأَصْلِ . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ . وَيُنْفَقُ مَعَ السِّيَاقِ .

(٢) « أَهْلُ عَلِيٍّ » فِي الْأَصْلِ . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ .

(٣) [] إِضَافَةٌ مِنْ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ .

(٤) يَوْجَدُ هَذَا النَّصُّ مَعَ اخْتِلَافٍ مَحْدُودٍ فِي الْأَلْفَاظِ فِي افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٦ - ٥٧ .

(٥) « أَنْصَارُ الظَّالِمِينَ » فِي افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ .

القاتلين : ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١) فَأَمَّا مَا أَطْمَعَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُ وَعَرَضَهُ مِنْ زَيْدِهَا وَحُطَامِهَا ، فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ فَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَلَا مَنَ يَرْغَبُ فِيهَا عِنْدَهُ فَيَأْتِيهِ . وَإِنَّمَا بَعَثَ (٢) رَسُولًا لِأَمْرِ قَدْ حَمَّ وَقَرَّبَ ، فَإِنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَا وَعَدَ بِهِ ، وَدَعَتْهُ (٣) إِلَيْهِ ، فَسَوْفَ يَفْهَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَرَائِهِ وَلَنْ تَغْنَى عَنْهُ فِتْنَةٌ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذَا جَوَابُ مَا جِئْتُ بِهِ ، فَيُبَلِّغُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال (٥) : ولما اشتهر أمر الشيعة ببلد كتامة ، ونظر رؤساء القبائل وولاة البلدان فلم يَرَوْا فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ نَهْضَةً فِي أَمْرٍ ، وَخَافُوا عَلَى زَوَالِ الرِّثَاةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَدَّمَ مَنْ يُسَارِعُ إِلَى أَمْرِهِ عَلَيْهِمْ ، مِمَّنْ كَانُوا يَرْوُونَهُ دُونَهُمْ ، كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا وَتَعَاقَدُوا . وَكَانَ مِنْ سَعَى فِي ذَلِكَ مُوسَى بْنُ عِيَّاشٍ صَاحِبَ مَيْلَةٍ (٦) ، وَعَلَى بْنُ عَسْلُوجَةَ صَاحِبَ سَطِيفٍ (٧) وَحَمِيَّ بْنَ تَمِيمٍ صَاحِبَ بِلْزَمَةِ (٨) وَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَمْرَاءُ هَذِهِ الْمَدِينِ . وَعِنْدَهُمُ الْعِدَّةُ وَالْعُدَّةُ وَالْأَمْوَالُ الْكَثِيرَةُ وَالنَّجْدَةُ ، وَالْقُوَّةُ ، وَمِنْ مُقَدَّمِي

(١) سورة البقرة رقم ٢ جزء من الآية رقم ٢٤٩ .

(٢) « يبعث » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٨ .

(٣) « وعدته » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٨ .

(٤) الجملة مقبسة من الآية ١٩ من سورة الأنفال : ﴿... وَلَنْ تَغْنَى عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٥) المقصود هو القاضي النعمان صاحب كتاب افتتاح الدعوة الذي يأخذ عنه التويري .

(٦) ميل : مدينة صغيرة بأقصى إقليم أفريقية (تونس) بالقرب من قسنطينة — معجم البلدان .

(٧) سطيف : مدينة صغيرة في جبال كتامة ، بين تاهرت والقروان — معجم البلدان .

(٨) بلزمة : مدينة صغيرة قرب بحيرة بادغوس في الطريق من بجاية إلى بطننة — المغرب ص ٥٠ .

كتامة وكبارهم وولّوا أمورهم : فتح بن يحيى المشالي^(١) ، وكان يقال له الأمير ، ومهدي بن كتاره^(٢) ، رئيس لهيصة ، وقرح بن خيران^(٣) رئيس أجبّاته ، وثمّل بن فحل^(٤) رئيس لطاية ، واستعملوا آراءهم في أخذ الشيعة فعملوا ، أنهم لا يقدرّون عليه عنوة من أبدى بنى سكتان لأنهم يمنعون ، ويجمع عليهم جيلة وغيرها من قبائل كتامة ، فتفرّق ذات البين ، ويكون ذلك داعية إلى أن يجعلوا له أنصاراً . وتصير كتامة فريقين ، ولم يأمنوا سوء العواقب ، فقصّدوا بنان^(٥) بن صقلان ، وهو من وجوه بنى سكتان ، ولم يكن له يومئذ دخل في أمر الشيعة ، وأرسلوا جماعة منهم إليه ، وبعثوا له أربعة أفراس وأعشأ وهدية . وقالوا له : إن هذا الرجل قد بدل الدين . وفرّق الجماعة ، وشئت الكلمة ، وأدخل الاختلاف بين الأقارب [٢٧] وقد قصدناك في أمره . وأملكتناك في قطع هذا المكروه بأن نقبض على الشيعة ونخرجه من بلدنا ، وتنفيه عنا إن كرهت قتله ، ونجعل لك بعد ذلك التقدمة على جميع كتامة والعرب ، فيكون لك شرف الدنيا وفخرها ، وثواب الآخرة وأجرها ، وترى عن أهل بيتك مكروهاً ، وتقطع عنهم شراً . وأخذوا معه في ذلك وحذروه عواقب السلطنة .

فقال لهم بنان : هذا رجل صار بين أظهرنا ، وهو ضيف عندنا ، كيف ينبغي أن نفعل فيه مثل هذا الفعل . فتزعروا في ذلك طويلاً ، وكان آخر خطاب بنان لهم أن قال : الرأي أن نجتمع العلماء إليه فيناظرهم ، فإن كان

(١) « المسالي » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٢) « كتارة » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٣) « بن خيران » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٤) « وقيم بن فحل » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٥) « بيان بن صقلان » في افتتاح الدعوة .

على حقٍ فيها أولًا، ولأنَّا وإياكم بُصِرتُه واتباعه ، وإن كان على باطلٍ عَرَفْنَا من اتبعه أن يرجعوا عنه .

فانصرفوا إلى أصحابهم وأخبروهم بما كان من بنان ، فخافوا أن تقوم حُجَّتُه ، ويستحكم أمره ، فتزول رئاستُهم بسببه . فأجمعوا على أن يَمْضُوا في جاعةٍ ويُظهروا أنهم أثَّروا بالعلماء ، فإذا خرج إليهم قتلوه ، وانصرفوا على حمية .

فاجتمعوا في عددٍ عظيمٍ من الخيل والرَّجُل ، فلَمَّا رآهم بنو سكتان ركبوا خيولهم ؛ والتقى الجمعان . فقالوا لبنان إنما أثبتناك لِمَا كان بيننا وبينك . فقال : إنما كان بيننا أن نأثروا بالعلماء ، وقد أثبتم بالزحف والمُعدَّة . وعَلَا الكلامُ بينهم ، فالتحم القتال ، وتداعت جِيشَةٌ من كلِّ مكان ؛ فنهزم القوم ، وانصرف عنهم بنو سكتان . وكان الشيعي قد سِيرَ في مبادئ هذا الأمر ، وخاف عليه أصحابه .

ثم راسل الجماعة نائناً مرَّةً ثانية ، وقالوا . فدُكُنَّا أخطأ: فيما أثبتنا به من الجمع ، ولم يكن ذلك عن قصد ، ولكن نَسَامَعَ النَّاسُ بنَ فتيْعونا . وقد رجَّوْناك لإصلاح جماعتنا . وقدَّمناك ؛ واختَرناك لأنفسنا . لِنَحْتَقِنَ دِمَاءَنَا . ونَجْمَع ما نَبْذُر من شملتنا . فقد عَادَى من أجل هذا الرَّجُلُ الأخُ أخوه . والابنُ أباه ، والقريبُ قريبه ؛ وهذه فتنةٌ قد بَدَتْ . ورِدَّةٌ قد ظهرت . وهذا الرجل من أهل المشرق ؛ وهم كما علمت شياطين . وعلمائونا بربر . وقومٌ لبست لهم تلك الأذهان ؛ فإنهم إن^(١) ناظروه يظهر عليهم ولم يحدوا حجة . ينجون بها عليه . وقالوا له : أثرى نحن وآبائنا والنَّاسُ كلُّهم في

(١) [إضافة يقتضيها السياق ، « وإن ناظروه ظهر عليهم » في افتتاح الدعوة .

ضَلَالَةٍ ، وهذا وحده على الحقِّ والهُدَى . وكثُرُوا عليه ما وعدوه به من التَّضَمُّنِ عليهم ، فأصغى إليهم ووَعَدَهُمْ أَنْ يتلطَّفَ في إخراجه . فجعل يتكلم في ذلك ويحتجُّ على أهل بيته ، ويخوفهم العواقب ؛ فاتصل كلام بنان بالشيعة فانتقل عنهم .

ذكر انتقال أبي عبدالله الشيعي عن بني سكتان إلى بني عصمة بتازرارت^(١)

قال : واتَّصل هذا الخبرُ بالحسن بن هارون العصمي^(٢) ، وكان قد دخل في هذا الأمر ، وهو معروفٌ بالأدب وكثرة التَّعَمُّعِ ، وهو مطاع في قومه . فأبى الشيعي ورغب إليه في الانتقال إلى مكانه ، ووَعَدَهُ باللُّبِّ عنه ، والمدافعة بنفسه وأهله وماله ؛ وذكر ذلك لأصحابه فأشاروا عليه به . وعظم ذلك على بني سكتان وكرهوه . وقالوا له : نحن ندافع عنك بأنفسنا حتى نُقَتِّلَ كُلُّنَا دونك . فشكر قولهم . وانتقل إلى الحسن بن هارون إلى تازرارت فتلقاه مَنْ بها من أصحابه وغيرهم . وقام العصميون^(٣) بما احتاج إليه الشيعي وأصحابه . وقاسموا أموالهم . وأقبل أصحابُ الشيعي من كلِّ ناحية ، وكلُّ

(١) « تازرارت » في الأصل . والتصحيح من المغرب في ذكر بلاد أفريقيا ص ١٦١ . وتازرارت : تقع على مسافة يوم من جبل درن الذي يعترض الصحراء متصلاً بجبل نفوسة وجبل أوراس - المغرب ص ١٦٠ - ١٦١ .

وهي « تازرارت » في افتتاح الدعوة ص ٨٧ .

(٢) « العنسي » في افتتاح الدعوة ص ٨٧ . وما بهل ذلك .

(٣) « وأقام » في الأصل . والتصحيح يتفق والبيان .

(٤) « وقام الفشتانيون » في افتتاح الدعوة ص ٨٨ . وما بهل ذلك .

منهم يأتي بما يملكه ، ويبدله بين يديه . فاجتمع أمره ، وامتنع جانبُه ، واجتمعت عصمان على نُصْرته ، وخلق كثيرٌ من قبائل كتامة ، وندم بنان بن صقلان على ما كان منه في حقه ، وعظُم شأنُ الحسن بن هارون بفعله . وكان للحسن أخ هو أسنُّ منه ، اسمه محمود . فوجد في نفسه من ذلك ، وكان قبل ذلك مُقْدِمًا على أخيه لِسَنه ، وكان أيضًا مُطَاعًا في أهل بيته ، فتكلَّ بذلك ، وفشا^(١) عنه هذا والحسن يُذكّره ويستعطفه ، خوفًا من أن يفترق جماعةُ عصمان .

فلما صار أمر الشيعة . بتازرات إلى ما صار إليه وانتهى ذلك إلى القوم الذين كانوا تعاقدوا عليه أولاً ، فسقط في أيديهم ، وعظُم أمره عليهم ، فرجوا أن يصلوا من محمود بن هارون إلى ما يريدونه من أمر الشيعة . فاجتمعوا إلى مهدي بن أبي كتامة اللهيبي^(٢) . فذكروا له ما بلغهم عن محمود ، وقالوا له : هذا جارُك وصديقُك ، فلعلَّك أن تستميله فتُفَرِّقَ به جماعةَ عصمان ، فيمكننا ما نريد .

فركب مهدي إلى محمود : وذكر له اجتماعُ وجوه كتامة وأنهم أرسلوه إليه وقالوا إنه قد أبحف أخوك بنفسه وأهل بيته وجاء إلى عصمان بِلَيْكَةٍ قد تَعَاقَى منها بنو سكتان ، وتخلَّصُوا من شرِّها [٢٨] . وجعل يخوفه من سوء العواقب ، ووعدّه عنهم^(٣) بالتَّقْدِمة على أنفسهم . فاستأله بذلك مع ما

(١) « فشق ذلك عليه . وتكلم به ، وفشا عنه » في افتتاح الدعوة ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) « مهدي بن كتانة اللهيبي » في افتتاح الدعوة . ص ٩٠ .

(٣) « ووعدهم عنه » في الأصل ، والنصحیح يتفق والسياني ، وما جاء في افتتاح الدعوة ص ٩١ « وبعده عنهم » .

داخله^(١) من الحسد لأخيه والغيرة منه .

فقال : القولُ في ذلك ما قلتَ ، ولكنه قد تمكَّن وقوى وكثُر أتباعه ، وليس هو الآن كما كان في بني سكتان ، وقد أجابته عصمان وكثير من عامة كتامة ، فهم يقاتلون دونه ؛ فتي دعوتُ من يطيعني من عصمان إلى أخذِهِ صرنا فريقين ، وأهلكَ بعضُنا بعضاً . وما أرى في أمره إلا ما رأى لي بنان^(٢) : أن يأتي بالعلماء إليه فيناظروه ، فإن قامت حجَّتُهم عليه وجدنا السبيل إليه ، وإن كانت الأخرى دبرنا رأياً آخر إن شاء الله تعالى .

وانصرف مهدي إلى القوم فاخبرهم . فقالوا : من الذي يُناظره من علمائنا وأنت ترى الواحد من جهالنا إذا دخل في أمره ناظرهم فقطعهم ، فكيف به . فقال : قد رأيتُ من محمود شهوةً في قتله ومال إلى ما وعدناه به من التقدمة ، مع ما داخله من الحسد لأخيه ؛ ولم أجد عنده غير ما فارقه عليه . وما علينا أن نأتي بالعلماء فإذا هم أخرجوه وقعن^(٣) عليه أسبافنا فقتلناه ، ويكون بعد ما عساه أن يكون . فأرسلوا في طلب العلماء من كل ناحية ، وقالوا لا نأتيه في احتفال كما فعلنا ببني سكتان .

واتصل الخبر بالحسن بن هارون ، وبالشيعي ، فقال لهم ليجمع جماعة عصمان إلى محمود فيلاطفوه ويذكروا له ما اتصل بهم ، ويحذروه العار ، والتقص ، وسوء العواقب ، ويقدموه على أنفسهم ، ويعظموه ، ويرفعوا من شأنه . ففعلوا ذلك ؛ ووافاه أخوه الحسن وجماعة عصمان ، وقالوا : نحن

(١) « ما دخله » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٩١ .

(٢) « إلا ما رآه بنان » في افتتاح الدعوة ص ٩١ .

(٣) « وضعنا » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٩٢ .

أهل بيتك وعشيرتك وأنت أميرنا ومقدمنا ، وهذا الرجلُ ضيفُك وضيفنا ، وقد رأيتَ ما لحقَ بنى سكتان من الشَّقْص في إخراجِه ، وأنهم نَدِمُوا عليه ، وأن بنانا حاولَ رَدَّهُ إليه ليصلح ما أفسده على نفسه فلم يَجِبْه إلى ذلك . فلا نجعلُ علينا عارًا ولا نقصًا . وحلفُوا له وقدموه على أنفسهم فقال إليهم .

فلما علم محمود أن أولئك القوم قَرُبُوا من تازرارَت ركب في جماعة وأركب الشَّيعيُّ أصحابه معه وقال لهم : إن قَدَرْتُمْ أَنْ تَلْحَمُوا الحربَ^(١) فافعلوا . فلما التَقُوا قالوا لمحمود : هؤلاء العلماء قد جئنا بهم ؛ وعزلوهم ناحية : فقال لَهُم محمود : انصرفُوا ودَعُوهُمْ عندنا حتى نَجْمَعَ بينهم وبين الرجل ، مع عشرة رجالٍ مِنْ وُجُوهِكُمْ وخياركم ، في مجلسٍ ، فننظر ما يكون بينهم . فأنحَلَّ ما عَقَدُوهُ . فقالوا : وما عليكم أن تُخْرِجُوهُ إلى ها هنا ونشهد ما يكونُ منه ومن العلماء ، فيكون ذلك أشهرَ وأقطعَ للأمر : فقال لهم محمود : قد بَلَّغْنَا عنكم أَنَّكُمْ عَقَدْتُمْ أَمْرًا وطِيعْتُمْ أن تترعوا ضيفنا مِنْ أَيْدِينَا بِالْغُلْبِ .

فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ . فحُملَ عليهم هو وأصحابه ، والنَّحْم القتال ، وقَاتَلَ محمود قتالاً شديداً فَجَرَحَ ، ثُمَّ افترقوا ، فمات محمود من جِرَاحِه ، فَسَرَّ أَخُوهُ والشَّيعيُّ بِمَوْتِه ، وَأَظْهَرُوا الطَّلَب بِدَمِيهِ . واجتمعت عصمان ألباً واحداً وصَحَّتْ الرئاسَةُ للحسن بن هارون وولاه الشَّيعيُّ أَعْتَه الخليل ، وَقَوَّدَهُ وعودَهُ على جميع أصحابه .

واشتعلت الحرب بين عصمان ولهيصة بسبب قتل محمود . واجتمع أمراء بلزمه وأكثر القبائل للشَّيعيِّ وأظهر نفسه ، وكان يشهدُ الحربَ ويأشُرُها .

(١) « أن تلقوا الحرب » في افتتاح الدعوة ص ٩٣ .

وطالت الحرب بينهم ، ثم اصطَلَحَتْ لهيصة وعصمان بعد أن قتل مهدي ، وانضموا كلهم إلى الشيعي ، واشتد أمره ، وحاربوا مَنْ بينهم من القبائل ، وشبوا الغارات على مَنْ بَعُدَ منهم . وبعث الشيعي خيلاً مُغِيرَةً إلى مزنة ورئيس مزنة^(١) يومئذ يوسف القنطاسي ، وكان قدم على إبراهيم بن أحمد فوصله وحيّاه ، وكساه ، وأعطاه جارية ، فكبسته خيل الشيعي ، وأخذوا جميع ما كان له ، وسبوا الجارية ، وقتلوا مَنْ قدروا عليه من أصحابه ، واختفى هو فنجاً ، ووصلوا إلى الشيعي بالغنيمة فاصطفى الجارية لنفسه وهي أم ولده .

فلما رأت القبائل ظهور الشيعي واجتماع لهيصة له ، وقتل مهدي ، مشى بعضهم إلى بعض ، وأرسلوا إلى مزنة ، فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا إليه بغير آلائهم ويحيطوا به من كل جانب ، فقتلهم عصمان وهبصة وَمَنْ مَعَهُمْ وبسأصلوهم . فانتهى الأمر إلى الشيعي ، فجمع أصحابه كلهم بتازارات ، وجاءت كثامة من أطرافها وأحاطوا به . فخذق على نفسه ، وأشار عليه وجوه أصحابه أن يعتزل الحرب وهم يقاتلون . فشكرهم على ذلك ، وأبى أن يقبله . ووعدهم النصر ، وحثهم على القتال ، فأخرج كل واحد ما عنده من مالٍ وسلاح وكراع ، وتشاوروا فيه ، وكمّلوا عدّتهم وعدّتهم ، فبلغوا سبعة فارس ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وألّفى راجل . والتفّوا بعد مراسلة لم تُجدِ شيئاً واقتتلوا قتالاً شديداً . ودأب القتال بينهم ثلاثة أيام . ودأب في اليوم الثالث إلى العصر ، وكان الظفر لأصحاب الشيعي . وانهمز أولئك ، وتبعوهم وقد امتلأت أيدي أصحابه من الغنائم والأموال ، وتفرّق ذلك الجمع . قال : فبيع الجمال كل عشرة بدينار [٢٩] والحمار بعشر

(١) تسكن هذه القبيلة في الطريق إلى قنصية وقسطنطينية - المغرب ص ١٤ .

بصلات ، وغنموا من الخيل ما لا يُحصى (١).

وانصرف الشيعة إلى تازرارث وابتنى بها قصرًا يسكنه ، واتخذها دار مقامه ، وأقطع أصحابه دورًا حول قصره . وارغل إليه أصحابه من كل ناحية ، وابتنوا وسكنوا ، وقوى أمرهم . واستأنم إليه كثير من القبائل ، وشن الغارات ، وداوم الحرب ، فأقبل الناس إليه من كل جهة .

ولحق فتح بن يحيى يافريقية (٢) فقدم على أبي العباس [بن] (٣) إبراهيم ابن أحمد ، وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إبراهيم إلى صقلية ، فوصله وأدناه ، وأكرمه ، وسأله عن الشيعة ، فضعف أمره ، فقال : أليس قد اجتمعتم عليه في عساكر عظيمة فلم تغدروا عليه ، فقال : ليس أمرنا من أمرك في شيء ، إنما نحن مقاتلة بغير رأس ، ونقاتل من يعرفنا من أهل بلدنا ، ولو جاءه عسكر من قبلك لكانت هيبتُه في صدور الناس . فأطمعه أبو العباس ، ثم أمسك عنه .

قال : واستولى الشيعة على جميع بلد كتامة ، وظهرت دُعائه في كل ناحية منها ، وغلب عليها ، وكانت وقائع كثيرة ببلد كتامة .

وأقام بعد انهزام الجمع نحو ستين وهو يشن الغارات ، ويغنم الأموال ، حتى أجابوه ، وسلموا الأمر إليه . ولم يبق إلا المدينة الحصينة ومن فيها من

(١) انظر تفصيل ذلك في افتتاح الدعوة ص ١٠٣ - ١٠٩ .

(٢) وذلك بعد هزيمته من الشيعة - انظر تفصيل ذلك في افتتاح الدعوة ص ١١١ - ١١٤ .

(٣) [إضافة في افتتاح الدعوة ص ١١٤ .

وهو أبو العباس عبد الله (الثاني) بن إبراهيم (الثاني) . الذي كان على رأس دولة الأغالبية في الفترة من ٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص

أمرائها ومن انقسم إليها من القبائل .

ذكر تغلب أنى عبدالله الشيعى على مدينة ميعة

قال ابن الرقيق : كان سبب ذلك أن قيس بن أنى جري^(١) من وجوه أهل ميعة ، وهم [من]^(٢) ربيعة وكان رئيسهم يومئذ حسن بن أحمد ، فوصل إلى الشيعى سرًا وأطلعه على أمر المدينة ، فتقدم الشيعى إليها وقاتل من بها ، وغلب على جميع أرضها ، فدخل جميع من كان بها إلى الحصن ، ثم سألوا الأمان : فأمنهم ما لم يحدثوا حدثًا . ففتحوا أبواب المدينة ودخلها أصحاب الشيعى ، وخرج إبراهيم بن موسى بن عباس مع جماعة منهم في الليل ، فهربوا إلى إفريقية ، إلى أنى العباس بن إبراهيم ، فأخبروه بالخبر ، وضعفوا عنده أمر الشيعى ، وسألوه في إخراج عسكر إليه ، وضمنوا أمره . فأمر بالحشد . وجمع وجوه رجاله ، وأمر عليهم ابنه محمدًا المعروف بأنى حوال^(٣) فاجتمع له عساكر عظيمة انتقى منها اثني عشر ألف فارس . واتصل الخبر بالشيعى فاستعد للقاء .

(١) هكذا في الأصل . « وكان بنو أنى خنزير من وجوه أهل ميعة » في افتتاح الدعوة ص ١٣٥ .

(٢) [إضافة من افتتاح الدعوة ص ١٣٥ للتوضيح .

(٣) « أنى حوال » في الأصل . والتصحيح من افتتاح الدعوة . في هذا الموضع والمواضع التالية .

وورد في للكامل « وبلغ الخبر أمير إفريقية . وهو حينئذ إبراهيم بن أحمد ، فنفذ ولده

الأحول » ج ٨ ص ٣٤ . وفيه تحريف . فالتقاء أبو حوال (أو الأحول) حفيد إبراهيم بن

أحمد وليس ابنه . وانظر أيضا نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ .

ذكر الحرب بين أبي عبد الله الشيعي وبين أبي حوال محمد بن أبي العباس

قال ^(١) : وخرج أبو حوال بالعسكر الذي اختاره من مدينة تونس ، في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وكلّ مَنْ مَرَّ عليه من القبائل ، بدأهم بالعطاء وخلع على وجوههم ، وقصد إلى سطيف ، فلم يصل إليها حتّى زاد في عسكره مثله . وتلقاهم بنو غسّلوحة أصحاب سطيف ^(٢) ، وبنو تميم أصحاب بلزمه ، ومن حولهم ممن لم يذخل في طاعة الشيعي ، فقتل من وجوههم قتلاً ذريعاً ، وانتهب أموالهم ، وسبى نساءهم وذريابهم ، وقصد الشيعي بتازرارت ، واتصل به الخبر ، فبرز إليه بمن معه ، والتفّوا ببلد بلزمة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الشيعي وأصحابه ، واتبعهم أبو حوال إلى الليل ، ثم أصبح فلحقه واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الشيعي ثانية إلى تازرارت وجاءهم تلج عظيم ، فحال بينهم .

ولم ير الشيعي أن تازرارت تحصنهم ، فأخذوا ما قدرُوا عليه ، وانضموا إلى إيكجان . فلما ارتفع الثلج تقدّم أبو حوال إلى تازرارت فأخربتها وهدم قصر الشيعي وسار إلى ميّلة ، ثم التقى هو والشيعي واقتتلوا إلى الليل ، فانهزم أبو حوال إلى تونس ، ورجع الكتّاميون إلى ميّلة ، واعتلّ الحسن بن هارون فلات بإيكجان ، وسكنها الشيعي وابتنى بها قصرًا .

(١) مازال النويري يأخذ عن القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة .

(٢) انظر ما يلى عن فتح مدينة سطيف ، وأصحابها .

وجاء الخبر إلى الشيعي بوفاة إبراهيم بن أحمد وأن ابنه أبا العباس ولي الأمر بعده^(١) ، وجلس في المسجد ورد على الناس ظلماتهم ، وأنه يجلس على حصير وبين يديه الدرة ، فاعتم لذلك لأن العوام مالت إليه . ثم أتاه الخبر بقتل أبي العباس ، وأن ابنه زيادة الله^(٢) قتله وولى مكانه ، وأنه شرب الخمر وارتكب المحارم ، وعكف على الملاهي ، فسره ذلك ، وقال لهم : قد زال عنكم ما كنتم تحافونه ، وهذا آخر ما تحاربون ، وسيصير الأمر إليكم .

قال : ثم خرج أبو حوال بالعساكر ثانية قبل وفاة أبيه ، فهزمه الشيعي واستولى على ميله ، وعاد أبو حوال إلى بلاده وقد ملك زيادة الله ، فقتله زيادة الله [٣٠] وقتل إخوته ، والله أعلم .

ذِكْرُ تَغْلِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ عَلَى مَدِينَةِ سَطِيف

كانت مدينة سَطِيف لعلی بن حفص ، المعروف بابن عسلوجة ، وكان قد زحف مع أبي حوال لقتال الشيعي . فلما استقام أمر الشيعي وأخذ ميله ذهب يجموعه إلى سَطِيف وأقام عليها أربعين يوماً وهو يقاتله ، ثم انصرف إلى

(١) توفي إبراهيم بن أحمد في ١٦ ذي القعدة ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ٩٠٢ م . وولي بعده ابنه أبو العباس عبد الله ، والذي قتل في ٢٩ شعبان ٢٩٠ هـ / ٢٨ يولية ٩٠٣ م — انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب . أبو مضر . زيادة الله (الثالث) ، ولي دولة الأغالية في الفترة من ٢٩٠ — ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ — ٩٠٩ م — نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ وما بعدها .

إيكجان فأقام بها شهراً ، وجمع^(١) مَنْ قَدَّر عليه ، وعاد إلى مدينة سَطِيف فأحاط بها ، وقَاتَلَهُ عَلَى بَنِ عَسْلُوجَة ، فهزَمَهُ الشَّيْعَى فَتَحَصَّنَ بِالْمَدِينَةِ . وَأَقَامَ أَيَّامًا يُحَاصِرُهُ ، فَمَاتَ عَلَى بَنِ عَسْلُوجَة ، هُوَ وَأَخُوهُ أَبُو حَبِيب . فِي أَيَّامِ قَتْلَانِ فَاَسْتَوَى الشَّيْعَى عَلَيْهَا^(٢) .

ذكر خروج إبراهيم بن حنبل إلى بلد كاتمة

قال^(٣) : لَمَّا اتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ زِيَادَةَ اللَّهِ أَخْبَارُ الشَّيْعَى ، وَظَهَرَهُ عَلَى بَلَدِ كَاتَمَةِ ، وَافْتَاتَحَهُ مَيْلَةً . وَوَصَلَ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ مِنْ كَاتَمَةِ مِنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَرَفُوهُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يُعَاجِلِ الشَّيْعَى زَادَ أَمْرُهُ ، أَخَذَ زِيَادَةُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْإِحْتِشَادِ وَزَادَ فِي الْعَطَاءِ . فَاجْتَمَعَتْ لَهُ عَسَاكِرُ عَظِيمَةٍ ، فَقَدَّمَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَنْبَلٍ^(٤) ، فَبَلَغَتْ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ . وَأَخْرَجَ مَعَهُ أَمْوَالًا جَلِيلَةً وَسَلَاحًا كَثِيرًا ، وَعُدَدًا عَظِيمَةً ، وَأَمَرَ بِبَدْلِ الْأَمْوَالِ ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ وُجُوهَ رِجَالِهِ وَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كَاتَمَةِ .

(١) « وجمع » في الأصل ، والصحيح يتفق والسابق .

(٢) انظر تفصيل هذه الأحداث في افتتاح الدعوة ص ١٦٥ ما بعدها .

(٣) ما زال التوهم ينقل عن افتتاح الدعوة ص ١٦٨ وما بعدها .

(٤) هكذا في الأصل ، ولم تتفق المصادر على رسم واحد لاسمه ، فهو « حنبل » في الكامل ج ٨

ص ٤٠ ، « حبش » في افتتاح الدعوة ص ١٦٨ ، و « حنبل » في انعاظ المنفا ج ١ ص

٦٢ ... إلخ .

فسار إبراهيم بن حنبل حتى أتى قسطنطينية ^(١)، وبينها وبين إيكجان التي بها الشيعة نحو مئحتين، وأردفه زيادة الله بسديد بن أبي شداد ^(٢)، فاجتمع معه نحو مائة ألف. وأقام بقسطنطينية ستة أشهر لا يتقدم إليه الشيعة، فلما رأى ذلك زحف بعساكره كلها، فندب الشيعة خيلاً اختارها من كتامة ليخبروا بربور حنبل، فأتوه. فلما رأى الخيل قصدها بنفسه. هذا والأنفال على الدواب؛ فانتشبت الحرب، واقتتلوا قتالاً شديداً. واتصل الخبر بأبي عبد الله الشيعة، فزحف بمن معه، فوقعت الهزيمة على ابن حنبل وأصحابه، وأسلموا الأنفال، وتبعهم أصحاب الشيعة يومهم ذلك إلى الليل، ومن الغد، يقتلون ويغنمون. فقتلوا منهم كثيراً وغنموا من الأموال والأمتعة والسلاح والكراع ما لا يحصى كثرة. ووصل ابن حنبل إلى باغاية ^(٣) وكتب كتاباً بخطه إلى زيادة الله يخبره بالخبر. ثم قدم إلى إفريقية، فاضطربت وماجت بأهلها، وعظم أمر الشيعة ثم غلب على مدينة طُبُستة ^(٤) ثم على مدينة بلزمة، ثم مدينة تيجس ^(٥)، ثم

(١) هكذا بالأصل، والكمال، وافتتاح الدعوة، و« قسطنطينية » في انماط المنفا، وفي العبر وديوان المبتدأ ج ٤ ص ٣٥ « قسطنطينية » ومازالت تعرف بالاسم الأخير حتى الآن. وهي مدينة مبنية على هضبة صخرية مرتفعة يحيط بها الوادي من جميع الجهات - انظر معجم البلدان.

(٢) هكذا بالأصل، و« شيب بن أبي الشداد » في افتتاح الدعوة ص ١٧٠.

(٣) « بالاية » في الأصل، والنصح من افتتاح الدعوة ص ١٧٢، ومايل هنا في نفس الورقة - انظر ما يلى.

(٤) طُبُستة : بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة - من أكبر مدن نهر الزاب، وقد اندثرت الآن - معجم البلدان - دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) تيجس : مدينة على الطريق من القهروان إلى قسطنطينية. كان عليها سور صخر رومى - المغرب ص ٦٣.

مدينة بَاغَايَة ^(١) ، ثم قَفَصَة ^(٢) ، وقَصْطِيلَة ^(٣) ، ثم مدينة الأَرُوس ^(٤) . وكان له في خلال هذه الفتوحات وقائع كثيرة كان آخرها مع إبراهيم بن أبي الأغلب لثالثي بقين من جُادى الآخرة ، سنة ست وتسعين ومائتين ، فانهزم إبراهيم إلى جهة القيروان واتبعهم أصحابُ الشيعة يقتلون ويغنمون ويأسرون ^(٥) .

ذكر هرب زيادة الله إلى المشرق

قال ^(٦) : ولَمَّا وَصَلَ خبر هذه الهزيمة إلى زيادة الله وهو بِرَقَادَة ^(٧) ، وكان قد علم أنه لا يقومُ له أمر إذا انهزم إبراهيم ، لأنه آخر ما جمع من الجيوش واستنفذ فيه الوسع والطاقة ، فلَمَّا جاءه خبر الهزيمة أظهر أنه جاءه الفتح ، وأرسل إلى السُجُون فأحضّر رجالاً منها فضرب أعناقهم ، وأمر أن

(١) باغاية : مدينة كبيرة بين مجانة وقسنطينة ، وعلى مقربة منها جبل أوراس — معجم البلدان ، المغرب ص ٥٠ .

(٢) قفصة : بالفتح ثم السكون ، وصاد مهلهلة ، بلدة صغيرة ، من عمل الزاب الكبير ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب — معجم البلدان .

(٣) قُصْطِيلَة = قسطنطية : بالفتح ثم السكون وكسر الطاء ، مدينة كبيرة من أرض الزاب الكبير — معجم البلدان .

(٤) الأَرُوس : بالضم ثم السكون والياء الموحدة مضمومة ، مدينة كبيرة ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب — معجم البلدان .

(٥) عن تفاصيل فتح هذه المدن — انظر افتتاح الدعوة من ص ١٧٣ إلى ص ٢٤٠ .

(٦) المقصود هو القاضي النعمان ، فعازال النويرى ينقل عن افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ .

(٧) رقادة : مدينة بأفريقية بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وظلت دار ملك الأغالبة حتى هرب منها زيادة الله وتركها لأبي عبد الله الشيعي — معجم البلدان .

يُطاف برؤوسهم في القيروان ، وأخذ في تجهيز أنقاله ، وحملها وحمل أمواله ، وأنذر خاصته وأهل بيته بالخروج معه ، وعرفهم بالخبر ، فأشار عليه ابن الصائغ ^(١) بالمقام ، فأبى ذلك ، وخرج إلى مصر ، كما ذكرناه ^(٢) وأقبل الناس في صبيحة يوم هرب زيادة الله وانتهبوا رقادة . والله أعلم .

[٣١] ذكر رجوع أبي عبد الله الشيعي إلى إفريقية

قال : ولما وافاه الخبر بهرب زيادة الله أمير إفريقية ، وهو بناحية سببية ^(٣) رحل لوقته ، وخرج إليه شيوخ القيروان ، وتلقوه ، فأكرمهم ، ودخل أبو عبد الله الشيعي رقادة في يوم السبت غرة شهر رجب ، سنة ست وتسعين ومائتين ، ونزل ببعض قصورها ، وفرق دُورها على كتامة ، ولم يكن قد بقي بها أحدٌ من أهلها ، وأمر متآديه فتأدى في القيروان بالأمان ، فرجع

(١) هو عبد الله بن الصائغ ، الذي ولي الوزارة والهريد لزيادة الله - نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ .

(٢) يشير المؤلف إلى ما سبق أن ذكره عند حديثه عن دولة الأغالة - انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) « سببة » في الأصل ، فهو تحريف ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ ، الكامل ج ٨ ص ٤٦ .

سببية : بفتح أوله وكسر ثانيه ، ناحية من أعمال القيروان - معجم البلدان .
أما سببة : فهي في أقصى بلاد المغرب في مواجهة جزيرة الأندلس ، على طرف مضيق جبل طارق - معجم البلدان - وهي بالتالي بعيدة عن مسرح الأحداث الواردة بالمتن .

الناس إلى أوطانهم . وغير المنكرات ، وولّى قضاء القيروان محمد^(١) بن عمر المروزي ، وأمره ، ورثب الخطباء وأمرهم أن يصلوا على : رسول الله ﷺ ، وعلى ، والحسن والحسين وفاطمة ، وأمر بضرب السكة ، وأن ينقش على الوجه الواحد « بلغت^(٢) حجة الله » . وعلى الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » ، ونقش على السلاح « عُدَّة لَسِيل^(٣) الله » ، ونقش على خاتمه الذي يطبع به الكتب (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا)^(٤) ورسم في جلال الخيل^(٥) ، الملك لله .

ذكر خروج أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة^(٦)

قال^(٧) : ولما استقر أبو عبد الله الشيعي برقادة ، أتاه أخوه أبو العباس محمد ابن أحمد ، فسّر بمقدمه ، وكان أسن من أبي عبد الله وأحد ذهنا ،

(١) هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي (المروزي) أصله من خراسان . وتوفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م — افتتاح الدعوة ص ٢٤٧ ، طبقات علماء أفريقيا ص ٢٣٩ ، وانظر ما يلى في أخبار وفاة المهدي .

(٢) « بلقب » في الأصل . والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٢٥٠ ، الكامل ج ٨ ص ٤٧ .

(٣) « عدة في سبيل الله » في افتتاح الدعوة ، والكامل .

(٤) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(٥) الجبل للداية : كالثوب للإنسان ، يلبس ليقى من البرد . والجمع جلال أو إجلال . القاموس .

« وسم الخيل الملك لله » في افتتاح الدعوة ص ٢٥١ . و« وسم الخيل على أفخاذها » في الكامل ج ٨ ص ٤٧ ، انماط الحفا ج ١ ص ٦٤ .

(٦) سجلماسة : يمس أوله وثانيه وسكون اللام . وبعد الألف سين مهملة : مدينة عظيمة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية ، على بعد نحو ٢٠٠ ميل جنوب شرق فاس ، أسسها المندراة ابن عبد الله سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م . وقد درست اليوم — معجم البلدان — دائرة المعارف الإسلامية .

(٧) ما زال التويعرى يأخذ عنه — افتتاح الدعوة ص ٢٦٩ .

وكان الشيعة يعظمه ، فإذا دخل قام إليه . وإذا دخل هو على أبي العباس قبل يده ووقف حتى يأمره بالجلوس فيجلس .

ولما وصل أبو العباس أراد أن يتخفى من القيروان من خالف مذهبه ، فقال له أبو عبد الله إن دولتنا دولة حجة وبيان ، وليست دولة قهر واستطالة ، فاترك الناس على مذاهبهم ، فتركهم .

وأخذ أبو عبد الله في الخروج إلى سبجلماسة ، فرحل إليها في النصف من شهر رمضان من السنة . في جيوش عظيمة ، واستخلف على إفريقية أبا زاكى تمام ابن معارك وأخاه^(١) أبا العباس .

قال : ولما خرج اختار الغرب لخروجه وزالت زناته^(٢) والقبائل عن طريقه ، وأوقع بقبائل عرضت له في الطريق حتى إذا قرب من سبجلماسة راسل أميرها اليسع بن مذرر^(٣) ، وكان بين أمره معه ما ذكره بعد في أخبار المهدي عبيد الله إن شاء الله .

فهذه أسباب ظهور هذه الدولة وقيامها وخبر شيعتها . فلنذكر أخبار المهدي وما كان من أمره . وخروجه من بلاد الشام ، وما اتفق له في مسيره إلى أن تسلم الملك من أبي عبيد الله الشيعة ، بعد أن مهد له القواعد وفتح

(١) هكذا في الأصل ، وفي افتتاح الدعوة ص ٢٢٥ ، أما في انعاظ الحنفا فلم يرد ذكر لأبي زاكى تمام ، فورد « واستخلف أخاه أبا العباس على إفريقية » ص ٦٥ .

(٢) زناته : قبيلة كبيرة من البربر ، يتسبون إلى زنا بن يحيى بن ضرى بن زجبك بن مادغس - العبر وديوان المبتدأ ج ٦ ص ٩١ .

(٣) ولى سبجلماسة في صفر سنة ٢٧٠ هـ / أغسطس ٨٨٣ م . وهو آخر أئمة سبجلماسة من المدرارين ، إذ ظل في الحكم حتى قتل على يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م - انظر ما يلي .

البلاد . ثم نذكر في أخبار عيِّد الله ، المنعوت بالمهدى ، ثَمَّةَ أخبار أبي عبد الله الشيعى إلى أن قُتِلَ هو وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد . فنقول وبالله التوفيق .

ذكر ابتداء الدولة العُيَيْدِيَّة وأخبار المهدي عيِّد الله وما كان من أمره منذ خرج من الشام إلى أن ملك البلاد وتسلم الأمر من أبي عبد الله الشيعى

كان ابتداء ظهور هذه الدولة وقيامها ببلاد المغرب فى سنة ست وتسعين ومائتين ، عند ظهور عيِّد الله بن الحسن المنعوت بالمهدى ، وتخلَّصه من سِجْن سِجْلَمَاسَة وقتله الحسن بن مِذْرَار . ومنهم من يجعل ابتداءها عند وصول عيِّد الله إلى رَقَادَة فى يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى . ولنبدأ بأخبار المهدي فى رحلته إلى المغرب .

ذكر رحيل عيِّد الله من الشام [٣٢] ووصوله إلى سِجْلَمَاسَة

وكان سبب ذلك أن المعتضد بالله أبا العباس العباسى طلب عيِّد الله هذا طلباً شديداً ، فخاف على نفسه إن هو أقام بالموضع الذى هو فيه من أرض الشام ، فخرج بنفسه وبولده أبى القاسم محمد ، وهو يومئذ غلام حدث وعيِّد الله شاب ، وخرج معه خاصته ومواليه ، يريدون المغرب ، وذلك فى خلافة المكتفى بالله العباسى ، وأمير إفريقية يومئذ زيادة الله بن أبى العباس بن إبراهيم بن أحمد .

فلما انتهى عبيد الله إلى مصر أراد أن يقصد اليمن ، وكان بها أبو القاسم الحسن بن حوشب الكوفي الداعي كما ذكرنا ، وقد استقام له الأمر ومكث أكثر البلاد ، ثم بعث بعده على بن الفضل فاستحل الحارم ودعا الناس إلى الإباحات ، فلما اتصل ذلك به كره دخول اليمن على هذه الحال ، وبلغه ما فعل الشيعة بالمغرب ، ودفع على يديه فأقام بمصر مستترا في زى الثجار ، وعامل مصر يومئذ عيسى التوشري بعد انقراض الدولة الطولونية ، فأنته الكتب بصفته ، وأمر بتقبض عليه .

وكان بعض خاصة التوشري بتشيع ، قيل إنه ابن المدبر ، هادر إلى عبيد الله وأخبره ، وأشار عليه بالسبر ، فخرج من مصر بمن صحبه . ففرق التوشري الرسل وذكر لهم صفته . ثم خرج بنفسه فأدركه وقد رحل من تروجة ، وهى على مرحلة من الإسكندرية ، فشنى التوشري فى القافلة التى عبيد الله فيها ، وجعل ينظر إلى وجوه القوم ، حتى رأى عبيد الله على هيئة التى وصفت له ، فقبض عليه وعلى من كان معه ، وأطلق الرفقة وعاد به إلى يستان فترز به ، وأنزل عبيد الله ومن معه بمقردهم ووكل بهم . ثم خلا به وقال له أصدقني عن أمرك فأنى ألطف فى خلاصك ، فقد جاءت صفتك من قبلى أمير المؤمنين وأمر بطلبك ، وذكر أنك تزوم الخلافة . فقال عبيد الله (١) إنما أنا رجل تاجر ، ولست أعلم شيئا مما تعمل ، وأنت غنى عن تقلد إمنى . فإزال بلاطفه يومه وليئنه حتى أطلقه وقال : إمض إلى سبيلك وأنا أبعت معك خيلا تشيعك . فشكروه وقال : أنا أستغنى بنفسى وبمن معى ، وانصرف . فرجع أصحاب التوشري عليه باللامامة ، وقالوا له : ماذا صنعت

(١) « أبو عبد الله » فى الأصل . والصحيح من السياق .

بنفسك ! عملت إلى بُعْيَةِ أمير المؤمنين وطلبت فاطمته . فندِمَ على إطلاقه
وهمَ أن يَبْعَثَ إليه خيلاً تردُّه .

فلَمَّا سار عبيدُ الله أميالاً افتقد أبو القاسم ابْنَهُ كلبَةَ صيدٍ كانت له ، فبكى
عليها فعرَفَهُ عبيده ^(١) أَنَّهُمْ تركوها بالبُستان ، فرجع عبيدُ الله في طلبها ، فرآهم
التُّوشَرى ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ فقال بعض أصحابه : الرَّجل قَدْ رجع .
فبَعَثَ غِلْمَانَهُ فسألوا أصحاب عبيدِ الله عن سبب رجوعه ، فقالوا : افتقد
وَلَدَ سيدنا كلبَةَ ، وهو عزيز على أبيه ، فعادَ معه في طلبها بعد أن قطع أميالاً
كثيرة . فقال التُّوشَرى لأصحابه : قَبِّحْكم الله ! أردنم أن نَحْمِلُونِي على رجلٍ
حالُه مثلُ هذه الحال أَعْتَقَلُهُ بشيْءٍ . لو كان مرتاباً لَطَوَى المراحل وما عادَ إلينا
مِنْ مسافةٍ بعيدةٍ في طلب كلبَةِ صيدٍ .

ورجع التُّوشَرى مِنْ وقته إلى مصر ، وعاد المهديّ ولحق برفقته . فلَمَّا
انتهى إلى مدينة طرابلس ، فارق مَنْ كان معه من التجار ، وقَدَّمَ أبا العباس
محمَّد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، أنا أُمِّي عبدُ الله الشيعيَّ إلى القيروان
ببعض ما كان معه ، وأمره أن يلحق بكتامة . فلما وصل أبو العباس إلى
القيروان وجدَ الكُتَبَ قَدْ سبقت إلى زيادة الله في أمر عبيدِ الله فأحضر الرِّقَّةَ
وسألهم عنه ، فأخبروه أنه تَخَلَّفَ بطرابلس وذكروا أنَّ أبا العباس من
أصحابه ؛ فأخَذَ وقرَّرَ ، فأنكر ، فحُبِسَ .

واتصل الخبر بعبيدِ الله بطرابلس فصادف رِقَّةً خارجةً إلى قَصْطِيلِيَّةَ ،
فخرج معهم ، وأتى كتابُ زيادةَ الله إلى طرابلس بصفته وطلَّبه ، فكتب إليه
عاملها أنه خرج مِنْ عَمَلِهِ ، وسار عبيدُ الله حتَّى وصل إلى قَصْطِيلِيَّةَ ، ثم منها

(١) « أبوه » في الأصل ، والنصح من الكامل جـ ٨ ص ٢٨ ، وهو يتفق مع السابق .

إلى سِجْلَمَاسَة ، وصاحب سِجْلَمَاسَة يومئذٍ الْبَيْعُ بن مدرار ، فهَذَا عبيد الله ، فأكرمهُ الْبَيْعُ وعظَّمهُ . فلم يزل كذلك إلى أن أتاه كتاب زيادة الله يخبرُهُ أَنَّهُ هو الَّذِي يدْعُو إليه الشَّيْعِي ، فتغير الْبَيْعُ عند ذلك عليه إِلَّا أَنَّهُ لم يكن مِنْهُ في حقِّه ما يكره .

ثم كان من تغلب الشَّيْعِي ما قَدَّمناه . وعَلِمَ بمكان عبيد الله ، وكان يُكاتبه في السَّرِّ . فلَمَّا هَزَمَ الشَّيْعِي جَيْشَ إِبْرَاهِيمَ بن حَنْبَش كَسَبَ إلى عبيد الله يخبرُهُ بالفتح ، فأرسل إليه مَالاً مع رجالٍ من قَبِيلِهِ من كَتَامَة ، وكان ذلك أول فتح ورد على عبيد الله ، فسُرَّ بِهِ . ثم استول الشَّيْعِي على ما ذكرناه ، وهرب مِنْهُ زيادة الله ، وملك رَقَادَة والقيروان . وسار إلى سِجْلَمَاسَة فلما انتهى خبرُهُ إلى الْبَيْعُ بن مدرار وقرب من سِجْلَمَاسَة سَأَلَهُ فحلف أَنَّهُ ما اجتمع بالشَّيْعِي وَلَا رَأَاهُ قَطُّ وَلَا عرفه ، وقال : إِنَّمَا أَنَا رجل تاجر فأغلطُ له في القول فلم [يغير] ^(١) كلامه الأول ولم يخرج عنه . فجعله في دارٍ وجعل عليه حرساً ، وجعل ابنه أبا القَاسِمِ في دارٍ أخرى ، وفرَّقَ بينهما . واختبر كلَّ واحدٍ منهما [٣٣] فلم يجد بينهما خلافاً ، وامتنَحَنَ رجالاً كانوا معهُمَا بالعذاب لِيَقْرُوا فلم يعترفوا بشيء .

وانصل الخبر بالشَّيْعِي فعظَّم عليه ، وأرسل إلى الْبَيْعُ بن مدرار يؤمِّنُهُ جانيه ويذكر أَنَّهُ إِنَّمَا قصد سِجْلَمَاسَة لحاجةٍ ويعدُّهُ الجميل والبرَّ والإكرام ، وأكد ذلك وبالغ فيه فلما وصلت رسل البيع رَمَى بالكتب وقتل الرُّسُل ، وانصل ذلك بالشَّيْعِي فعاوَدَهُ وَلَا طَفَقَهُ ، كُلُّ ذِكِّ خَوْفٍ مِنْهُ أَن يكون مِنْهُ في حقِّ عبيد الله ما يكرهه ، فقتل الرُّسُلَ أيضاً فلَمَّا رأى الشَّيْعِي إصرارَهُ عَنَّا

(١) [إضافة تنفق وسباق الكلام .

عساكره ودنا من المدينة فخرج إليه اليسعُ بمن معه ، فناوشهم القتال ، فقتل من أصحابه جماعة وكانَ ذلك في آخر النهار ، فحجز بينها الليل .

فلما جَنَّ الليلُ هرب اليسعُ بنُ مدرار مع أهل بيته وبات الشيعةُ ومن معه في غمٍّ عظيمٍ تلك الليلة ، لا يعلم ما صنَّع بعيد الله وابنه ، ولم يُمكنه دخولُ المدينة ، وما علم بهرب اليسع حتى أصبح ، فخرج إلى الشيعة وجَّوه أهل المدينة وأعلموه بهرب اليسع ، فدخل إلى المكان الذي فيه عبيد الله فأخرجوه وأخرج ولده أبا القاسم ، وقربَ لهما فرسين وحفَّتَ بهما العساكر ، وسار الشيعةُ والدُّعاة بين يدي عبيد الله وهو يقول : هذا مولاي ومولايكم ، حتى انتهى عبيد الله إلى فسطاطٍ ضربَ له ، فدخله ، وهو إذ ذاك شاب لم ينبذه الشيب . وابنه حرطَر شاربُهُ .

معين التارخ

هذا ما حكاه إبراهيم بن الرقيق في تاريخه لأهل التارخ . وقال غيره إن اليسع بن مدرار لما أراد الخروجَ من سجناسَة أحضر الشخص الذي اعتقله وقتله قبل هروبه ، وأن الشيعة لما دخل وعلم بقتل عبيد الله خاف من سكامَة لأنه كان يعدُّهم بمخرج المهدي وملكي الأرض على زعمه ، وخشى أن يفتضح فيهلك ويؤول ما حصل في يده . فأخرج لهم رجلاً يهودياً كان يخدم الشخصَ المقتول . وقال هذا إمامكم وإمام الاسماعيلية وأركبه ومشى في ركابه وأنسلخ له من الأمر . وهذا فيه بُعد ، وأراه من الثغالي في نفهم عن النسب ، والذي حكاه ابنُ الرقيق أشبه . فلترجع إلى ما حكاه إبراهيم بن الرقيق .

قال : ولما استقرَّ عبيد الله بالفسطاط أمر بطلب اليسع بن مدرار حيث كان . فخرجت الخيلُ في طلبه ، فأدركوه ومن معه من أهل بيته ،

فأخذوهم وأتوا بهم إلى عبيد الله ، فأمرَ بضرَبِ السَّبعِ بالسَّياطِ ، فضرَبَ وطيفَ به في بلاد سجلماسة ، ثم أمرَ بقتله فقتل هو وكلُّ من حرب معه من أهل بيته وغيرهم . وأمنَ الناسَ بعد ذلك وسكنهم ، واستعملَ عليهم عاملاً ، وأنته القبايل من كلِّ ناحية فأكرمهم ، ووعدهم بكلِّ جميل . وأقام بسجلماسة أربعين يوماً ، ثم سارَ يريد إفريقية . فلما حازى بلاد كتامة مال إليها ، ووصل إلى إيكجان ، وأمر بإحضار الأموال التي كانت مع الشيعي والشيوخ ، فأحضرها وشدها أحبالاً وقدم بها . وكان وُصوله إلى رَقَّادة في يوم الخميس لعشرِ بقينَ من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين . وفي هذه السنة زال ملكُ بني الأغلب وكان له بإفريقية مائة سنة واثنى عشرة سنة . وزال بزواله ملكُ بني مِذار وكان له بسجلماسة وما حوَّها مائة سنة وستون سنة . وزال ملكُ بني رُسْتَم من تاهرت (١) وما حوَّها ، وله مائة سنة وثلاثون سنة (٢) .

قال : ولما قارب عبيد الله القيروان تلقَّاه شيوخها ومشَّوا بين يديه ، فجزأهم خيرًا ونزل عبيد الله بقصرٍ من القصور برَقَّادة . وأنزل العساكر بدورها ودعى له بالخلافة في يوم الجمعة لِتسْعِ بقينَ من شهر ربيع الآخر من السنة برَقَّادة والقيروان والقصر القديم (٣) . وأنفذَ رُسُلَه ردْعَتِه وأنته وفود البلدان .

(١) « تهرت » في الأصل . والتصحيح من معجم البلدان .

(٢) عن هذه الدول ومدة حكمها انظر نهاية الأرب ج ٢٤ .

(٣) القصر القديم = قصر قيروان : مدينة عظيمة قبل القيروان بنحو أربعة أميال . أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م . واتخذها عاصمة لدولته — معجم البلدان .

قال ثم عرض عليه الشيعي جَوَارِيَّ زيادة الله فاصطفى مئتين لنفسه وأعطى ولده ، وفرّق أكثرهنّ على وجوه كرامة ، وقسم عليهم أعمال إفريقية ، واستعمل وجوههم على مدنها ، وأمرهم بالتجمل وحسن اللباس ، فلبسوا الثياب الفاخرة وركبوا بالسروج المحلاة . ورثب الدواوين وأنعم على الناس ، فرفع إليه صاحب بيت المال ما أخرجه من الصلّات في شهر رمضان ، فبلغ مائة الف دينار واستكثره صاحب بيت المال فقال عبيد الله : لو بلغت ما أوّله ما رضىتُ بمثل هذا المال لرجل واحد [من أوليائي] (١) .

ذكر أخبار أبي عبيد الله الشيعي وأخيه أبي العباس
وما كان من أمرهما بعد قيام عبيد الله المهدي
إلى أن قتلهما

قال : لما استقامت الأمور لعبيد الله المهدي داخل أبا العباس محمداً أخا الشيعي فساد دینه (٢)

وسبب ذلك أنّ أخاه أبا عبد الله كان يعظمه ويقوم له عن مجلسه ويقبل يده [٣٤] كما قدمناه ، وكان لأبي عبد الله من الرئاسة ونفوذ الكلمة والغلبة على الأمور كلّها ما ذكرناه (٣) . فلما صار الأمر لعبيد الله المهدي زالت تلك الرئاسة عن أبي عبد الله وأخيه ، فدخله الحسد ، فجعل يزرى على عبيد الله عند

(١) [إضافة للتوضيح من افتتاح الدعوة ص ٣٠٤ .

(٢) « داخل أبا العباس الحسد » في الكامل ج ٨ ص ٥٠ . واتّفاظ الحنفا ج ١ ص ٦٧ .

(٣) كما ذكرناه في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

أخيه وأبو عبد الله ينكر ذلك على أخيه ، وأبو العباس لا يرضى ، ويؤكد أسباب التفاق . ثم قال أبو العباس لأخيه : لقد ملكت أمراً عظيماً وانقطع لك الناس ، فحيث بمن أزالك عنه وأخرجك منه ، وكان الواجب عليه ألا يتخيمك هذا الانقيصام . ولم يزل يُغريه بمثل ذلك إلى أن أثر ذلك فيه ، وحمله على مُشافهة عبيد الله المهدي بغيضه ، وأشار عليه بتفويض الأمور إليه والانقطاع في قصره والاحتجاب عن الناس ، وقال هذا أهيب لك وأشد لأمرك . فردّ عليه في ذلك ردّاً لطيفاً . وكان قد بلغ المهدي ما هو عليه ، فحققه ولم يره أنه اطلع على شيء من ذلك . وعمد أبو العباس إلى الدعاة ، وكانوا يعظمونه لما يرون من تعظيم أخيه أبي عبد الله له ، فجعل يرمز لهم ، ثم صرح ، وطعن في عبيد الله ، وأدخل فيه الشبهة . وكل ذلك يبلغ عبيد الله بفرض عنه ويُغضى عليه ، هذا والشيعي في ذلك مُذَكِّر لم يبلغ حد التفاق إلى أن فشا أن حال أبي العباس قد أنهيت إلى عبيد الله .

وما زال أبو العباس يتخيل إلى أن قال للدعاة إن الإمام هو الذي يأتي بالآيات والمعجزات ويُختم بخاتمه في البلاط ، فأما هذا فقد شككنا فيه . فعند ذلك أرسل هارون بن يونس^(١) أحد المشايخ إلى عبيد الله يقول : قد شككنا في أمرك فأنتا بآية إن كنت المهدي كما قلت . فتعاضم ذلك وقال : ويحكم إنكم كستم قد أبقتُم والشك لا يُزيل اليقين ، فأبيتُم إلا الإضرار ! ثم أمر من قتله . فلما علم أبو العباس والقوم الذين استزلمهم^(٢) بقتله جعلوا ذلك سبباً لمباينة عيد الله وأجمعوا على التقص والإبرام في دار أبي زاكبي ابن مُعَارَك ، وعزموا على الفتك بعبيد الله . واجتمع كتابه إلا قليلاً منهم ؛

(١) « بن يوسف » في الأصل . والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١١١ و ص ٢٦٠ .

(٢) استزلم : أي جعلهم يزلون . أي الذين أغواهم .

وكان عزوبة ^(١) بن يوسف يأتي بأخبارهم لعبيد الله ، فجمع عبيد الله إليه من سليم من التفاق والعبيد واستعد لهم ، على كثرتهم وقلة المبايعين له . فجمعوا له الجموع وأحاطوا بقصره ليوقعوا به ، وهو في ذلك جالس متصب غير مكتئب ؛ فغذف الله في قلوبهم الرعب على كثرتهم وقلة من معه ، حتى كانوا يعبرون وقدم عزموا على الفتك به ، فإذا قابَلوه ملأت الهيبة قلوبهم فإذا انصرفوا ندموا على تركه ﴿ لَقَضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(٢) .

فنظر عبيد الله في بعض الأيام إلى أبي عبيد الله الشيعي وقد لبس ثوبه مقلوبا ، ودخل عليه ثلاثة أيام وهو على تلك الحال ، فقال له في اليوم الثالث : يا أبا عبد الله ؛ ما هذا الأمر الذي شغلك وأذهلك عن أمر نفسك ؟ فقال : وما هو يا مولاي ؟ قال : إن ثوبك مقلوب عليك منذ ثلاثة أيام ما اعتديت له ، وما أخيبك نزعته . فنظر إليه وقال : والله يا مولاي ما علمت به . فقال : إن هذا لشغل عظيم ، فأين تبيت منذ كذا من الليالي ؟ فسكت . فقال : ألسنت تبيت في دار أبي زاكمي قال له : بلى . قال : وما أخرجك من دارك التي أنزلت بها ؟ قال : يا مولاي خفت . قال : وما يخاف المرء إلا من عدوه ، والمؤمن لا يخاف وليه ^(٣) . فسكت أبو عبد الله وأيقن أن عورته قد بدت لعبيد الله ، ووجبت حجبته عليه ، وحل له قتله . فانصرف وأعلم القوم بما جرى بينهما ، فأمسكوا عن الدخول إلى عبيد الله وخافوا على أنفسهم منه . ثم جاءوه بعد ذلك وأظهروا البراءة مما قيل فيهم ،

(١) « عروبة » في الأصل . والكامل ج ٨ ص ٥٢ . وأخبار الدول المنقطعة ص ٩ . والتصحيح هنا والمواضع التالية من افتتاح الدعوة ص ٣١٢ .

(٢) سورة الأنفال آية ٤ .

(٣) « عدوه » في الأصل . والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣١٤ .

واعتذروا ، فردَّ عليهم ردًّا جميلاً ، وأخرج جماعةً منهم إلى البلدان ، ففترقت جماعتهم . وأخرج فيمن أخرج أبا زاكى بنَ مُعَارَك (١) إلى طرابلس ، وكان غزوية بن يوسف وإلياً عليها (٢) ، فلما وصل إليه كتب إليه عبيد الله ، فقتله وبعث برأسه إليه . وقُتل جماعةٌ منهم كذلك في البلدان بصنوفٍ من القتل .

وأخرج أبو عبد الله في بعض الأيام هو وأخوه أبو العباس يُريدان قصر عبيد الله على العادة . فحمل غزوية بن يوسف (٣) على أبي عبيد الله ، وحمل خير بن ماشيت (٤) على أبي العباس . فقال أبو عبد الله لابن غزوية : يا بُنَى لا تفعل . فقال : الذي أُمَرُّنا بطاعته أُمَرُّنا بقتلك . وتكلاهما فيما بين القصرين ؛ وذلك في يوم الاثنين ، التصف من جُادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين . وأمر عبيد الله بدفنهما .

قال : وهذا اليوم هو اليوم الذى قُتل فيه أبو زاكى بطرابلس . قال : ولما قتل أبو عبد الله وأبو العباس ثار جماعةٌ من بني الأغلب وأصرُّوا على التُّفاق ، وكانوا بالقصر القديم ، فأخرجوا منه الكتامين وقتلوا جماعةً منهم ، فأحاط به مَنْ حوله من كتامة ، فقاتلهم بُنُو الأغلب ، وقُتل من

(١) « بن معادل » في الأصل . والتصحيح مما سبق .

(٢) « وكان عمه أبو يوسف عاملاً عليها » في افتتاح الدعوة . ص ٣١٥ . وأخبار الدول المنقطعة ص ١٠ . وهو الأرجح — انظر ما يلى .

(٣) فحمل ابن غزوية بن أبي يوسف في الأصل . والتصحيح مما سبق . وافتتاح الدعوة ص ٣١٦ .

(٤) « خير بن ثمانيت » في افتتاح الدعوة ص ٣١٦ . « خير بن القسم » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٠ .

الطائفين قتل كثير . فبلغ ذلك عبيد الله فردّ كتابه وأنكر عليهم ، ففترق بنو الأغلب وانصرفوا إلى دورهم ، فتركهم عبيد الله ثم قبض عليهم فقتلوا على باب رقادة ، ثم تَبَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فقتلهم . ولَمَّا اسْتَقَامَت الْأُمُور لِعَبِيدِ اللَّهِ [٣٥] عَهْدَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَخَرَجَتْ كِتَابُهُ : مِنْ وَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ .

ذكر أخبار مَنْ خَالَفَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وما كان من أمرهم

قال : وَبَقِيَ^(١) بَقِيَّةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَيْهِ ، فَسَارُوا^(٢) إِلَى بَلَدِ كِتَامَةِ ، فَأَقَامُوا غِلَامًا حَلَتًا مِنْ جَبَلِ أَوْرَاسٍ مِنْ جِهَةِ أَوْرُسِهِ^(٣) . وَزَعَمُوا أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ لَحَلُّهُ الثُّبُورُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ ، وَقَالُوا : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَيٌّ لَمْ يَمِتْ ، وَأَبَاحُوا الزَّنا ، وَأَحْلَوْا الْحَارِمَ . وَزَحَفُوا إِلَى مِيلَةٍ فَأَخَذُوهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبِيدَ اللَّهِ^(٤) ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ فِي عَسْكَرٍ فَحَاصَرَهَا مَدَّةً ، ثُمَّ قَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْبَحْرِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَخَذَ الْعِلَامَ الَّذِي نَصَبُوهُ فَأَتَى بِهِ إِلَى أَبِيهِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقُتِلَ .

وَخَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ طَرَابُلُسَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا مَعَ أَبِي يُوسُفَ ، فَحَاصَرَهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا وَلَمْ يَفْتَحْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ ، وَقَدْ قَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ابْنَ إِسْحَاقَ الْقُرَشِيَّ ، فَكَانَ خُرُوجُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ

(١) « وتبى » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٤ .

(٢) « فساروا » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٤ .

(٣) « أوسنة » والتصحیح من افتتاح الدعوة ص ١٠٧ ، ص ٣٢٤ .

(٤) « أبو عبيد الله » في الأصل . وهو تحريف .

لِلْيَلَّتَيْنِ خَلَقًا مِنْ جُادَى الْأَوَّلَى سَنَةً ثَلَاثُمِائَةً . فَمَحَاصِرُهَا وَصَبَّقَ عَلَى مَنْ بِهَا
حَتَّى أَكَلُوا الْحَيْفَ ، فَفَتَحُوا فِي آخِرِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ ، فَعَفَا عَنْهُمْ ،
لَكِنَّهُ غَرَمَهُمْ جَمِيعَ مَا أَنْفَقَ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَتْ جَمْلَتُهُ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ
وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَ وَجْهُهُ رِجَالَهُمْ مَعَهُ إِلَى رَقَادَةِ رَهَاتِنَ ،
وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ، وَانصَرَفَ .

ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ (١) خَرَجَ عِيْدُ اللَّهِ إِلَى تُونَسٍ وَقَرْطَاجَةَ وَغَيْرِهَا ، يَرْتَادُ
لِنَفْسِهِ مَوْضِعًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَخَيَّرُ بِهِ مَدِينَةً ، فَاخْتَارَ مَوْضِعَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَأَمَرَ
بِبِنَائِهَا وَتَحْصِينِهَا بِالسُّورِ وَأَبْوَابِ الْحَدِيدِ الْمَحْكَمِ ، فَجَعَلَ فِي كُلِّ مَصْرَاعٍ مِنْ
الْحَدِيدِ مِائَةَ قَنْطَارٍ . وَكَانَ ابْتِدَاءُ الشُّرُوعِ فِي بِنَائِهَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِحُمْسٍ
خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (٢) مِنَ السَّنَةِ . وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ .
قَالَ : وَلَمَّا عَزِمَ عَلَى الْإِنْتِقَالِ إِلَيْهَا ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى جَنْدِهِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَسْتَقِلُّ
إِلَيْهَا وَنَدْعُكُمْ بِمَكَانِكُمْ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ سَتَنْتَقِلُونَ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ إِلَّا أَنْ
أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْطَارًا غَزِيرَةً ، فَهَدَمَتْ مَسَاكِنَهُمْ ، فَسَالَوْهُ الثَّقَلَةُ إِلَيْهَا فَأَذِنَ
لَهُمْ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ خَرَجَ وَلِيُّ الْعَهْدِ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ .

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي أَخْبَارِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١١ . وَلَكِنْ وَرَدَ أَنَّ اخْتِبَارَ مَوْضِعِ الْمَهْدِيَّةِ
وَالْبَدْءَ فِي بِنَائِهَا كَانَ سَنَةَ ٣٠٣ هـ . فِي كُلِّ مِنْ : الْكَامِلِ ج ٨ ص ٩٤ . انْبِطَاطُ الْحُنْفَا ج ١
ص ٧٠ .

(٢) « فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِحُمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ » فِي أَخْبَارِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١١ .

وكان خروجه من رقادة لست بيقين من جُمادى الآخرة منها^(١) ؛ وكان من أمره وأمر حباسة بن يوسف ووصولها إلى الإسكندرية ما قلّمناه في الحوادث فيما كان بين الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية .

ولما وصل حباسة إلى عبيد الله أمر بقتله على ما كان من انهمازه .

ثم خرج أبو القاسم بابنه إلى الديار المصرية . وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذى القعدة ، سنة ست وثلاثمائة ، ووصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة ، فخرج عنها عامل المقتدر ، وملكها أبو القاسم . ثم ملك الفيوم والأسمونين ، وغير ذلك . وأقام نحو سنتين . ثم وقع الفناء في عسكره ، وماتت خيلهم ، وجاء مؤنس من بغداد واجتمعت عليه العساكر كما ذكرنا ، فعجز عن قتالهم ، فرجع إلى أفريقية . وكان وصوله إلى المهديّة لعشر ليالٍ مضين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثمائة .

ذكر خروج أبي القاسم إلى بلاد المغرب [٣٦] ومناحه مدينة المسيلة

قال : وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج أبو القاسم ، ولّى العهد ، إلى بلاد المغرب في عسكرٍ عظيم وكان خروجه من المهديّة في يوم الخميس لسبع مضين من صفر منها ، ففتح مزاته ، وهوارة ، ومطاطة ، ولماية ،

(١) ورد هذا الحدث في أحداث سنة ٣٠٦ هـ في كل من الكامل ج ٨ ص ٨٤ . اتعاط الحنفاج ١ ص ٦٨ . وانظر ما سبق عن ذكر هذه الحوادث بعد انتهاء الدولة الطولونية .

وكل من خالطهم من الصُفَرِيَّة (١) والإِبَصِيَّة (٢) وبلغ إلى ما وراء ناهرت (٣) . ولَمَّا انصرف من سفرته اختط مدينة المَسِيلَة (٤) برمح ، وأمر على بن حمدون الأوبى ببنائها ، واستعمله على المحمدية فبناها وحصنها ، وكانت خطَّة لبني كملان فأخرجهم منها ، وأمرهم أن يرتفعوا إلى فَحْص (٥) القيروان ، وانتقل الناس إليها وعظم أمرها .

ذكر وفاة عُيَيْدَ الله المهملَى وشيء من أخباره

كانت وفاته ليلة الثلاثاء ، النصف من شهر ربيع الأول (٦) . سنة الثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وكانت إمارته منذ وصل

(١) الصفرية : أصحاب زياد بن الأصغر - الملل والتحل ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) الأباضية : أصحاب عبد الله بن إياض - الملل والتحل ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) « نهرت » في الأصل .

(٤) المسيلة : بالفتح ثم الكسر ، والياء ساكنة ولام . مدينة بالمغرب تسمى أيضًا « المحمدية » - معجم البلدان .

وورد في أخبار الدول المنقطعة « بنى عبد الرحمن النشمى بالمغرب بمحمد المدينة المعروفة بالمحمدية » ص ١١ .

(٥) فَحْص - فحوص : كل موضع يسكن - القاموس .

(٦) « فنى صبيحة يوم الثلاثاء لعشر ليل خلون من جمادى الآخر » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٩ . وفي طبعة أخرى « ربيع الآخر » - والافتتاح هو المصدر الوحيد الذى ضبط الوفاة في شهر جمادى الآخر لا في ربيع الأول - وقد يرجع السبب في الاختلاف على تاريخ الوفاة إخفاء خبر موته لمدة سنة حتى يدير ابنه أمره - انظر الكامل ج ٨ ص ٢٨٤ .

إلى رَقَادَة إلى يوم وفاته أربعًا وعشرين سنة وعشرة أشهر^(١) وعشرين يومًا .
قال : ولَمَّا مات كَتَمَ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ مَوْتَهُ سَنَةً حَتَّى دُبِرَ أَمْرُهُ .

أولادُه : أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَلِيُّ عَهْدِهِ وَتَسَمَّى بِالْمَغْرِبِ مُحَمَّدًا .
أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ ، مَاتَ بِمَصْرَ لِلنُّصَفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ
وِثْلَاثُمِائَةٍ وَدُفِنَ بِالْقَصْرِ .

أَبُو طَالِبٍ مُوسَى ، مَاتَ بِمَصْرَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ
وَدُفِنَ بِالْقَصْرِ .

أَبُو الْحُسَيْنِ عِيسَى ، تُوفِّي بِرَقَادَة فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ .

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ ، تُوفِّي بِالْمَغْرِبِ فِي أَيَّامِ الْقَائِمِ .

أَبُو سُلَيْبَانَ دَاوُدَ ، تُوفِّي بِالْمَغْرِبِ فِي أَيَّامِ الْقَائِمِ .

وَكَانَ لَهُ سَبْعُ بَنَاتٍ ، وَمِنْ السَّرَّارِ أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ سِتَّةٌ .

قَضَاتُهُ : أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو^(٢) الْمُرُورُوزِيُّ ، مَاتَ بَعْدَ أَنْ عُزِّلَ فِي
سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، ثُمَّ إِسْحَاقُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْفُوظِ
الْمَصْمُودِيِّ ، مَاتَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ
النَّفْطِيِّ ، مَاتَ فِي سَنَةِ عَشْرِ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، ثُمَّ إِسْحَاقُ بْنُ الْمُنْهَالِ ثَانِيًا .

(١) « وشهرا واحدا » في افتتاح الدعوة ص ٣٣٠ ، و « شهرا » في الكامل ج ٨ ص ٢٨٤ .

وما أورده التويزي يتفق مع ما سبق ذكره من أن المهدي دخل إلى رقادة « لعشر بقين من
شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين » — انظر ما سبق . وانظر أيضًا انعاظ الحنفا ج
١ ص ٧٣ .

(٢) « عمار » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما سبق .

حاجبه : جعفر بن علي .

حامل مظلته : [مسعود الصقلي ، ثم غرس الصقلي]^(١)

ذكرُ بيعة القاسم بأمر الله

هو أبو القاسم محمد ، وقيل أبو العباس ، ويدعى نزاراً ، وكان اسمه بالمشرك عبد الرحمن فتسمى محمد بن عبيد الله المهدي ، وهو الثاني من ملوك الدولة العبيدية ، بايع له أبوه بولاية العهد كما تقدم ، ثم جُددت له البيعة بعد وفاة أبيه بسنة ، فإنه كنم وفاته سنة كاملة ، حتى مهّد قواعد دولته ، ثم أظهرها . واستقل بالأمرو وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فقام مقام أبيه ، واقتنى آثاره ، وأظهر عليه من الحزن ما لم يُسَمَّع بمثله وواصل الحزن لفقدته ، ولم يرق^(٢) سريراً ، ولا ركب دابة منذ أفضى إليه الأمر إلى أن مات إلا مَرتين ، مرةً صلى على جنازة ، ومرةً صلى بالثاس العبد . واقتبحت في أيامه مدائن كثيرة من مُدُن الروم ، وثار عليه عدّة ثوار فتمكّن منهم ، فكان يمين ثار عليه ابن طالوت القرشي ، فسار إلى ناحية طرابلس وزعم للبربر أنه المهدي فقاموا معه واتبعوه ، فزحف بهم على مدينة طرابلس في عددٍ عظيم ، ثم تبين للبربر أمره فقتلوه ، وأثروا برأسه إلى أبي القاسم .

قال : وأول ما بدأ به أنه أمر بأخذ أنواع السلاح في سائر البلاد ،

(١) [إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ١٣ لاستكمال النص .

والمظلة هي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، مطوية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ ، ج ٤ ص ٨٠٧ .

(٢) «لم يرقد سريراً» في افتتاح الدعوة ص ٢٢٦ .

وأخرج ميسور^(١) الصقلي في عددٍ عظيمٍ إلى المغرب ، فأنتهى إلى مدينة قَاسَ ، وهَزَمَ ابن أبي العافية ، وأخذ أبنته الثوري أسيرًا ، وأخرج بعد ذلك بعثوب بن إسحاق على أسطولو عظيم إلى بلد الروم ، فافتتح بلد جنوة . وكان مِن خرج عليه أبو يزيد مُخَلَّد بن كَيْدَاد^(٢) ، في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وهو رَجُلٌ إِبَاضِيٌّ ، يُظْهَرُ الزُّهْدُ ، وأنه إنما قام عليهم غضبًا لله . وكان لَا يَرْكَبُ غَيْرَ حِمَارٍ ، وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا الصُّوفَ . وكان بَيْنَهُمَا وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ ، فملك أبو يزيد جميع مُدُنِ الْقَيْرَوَانِ ، ولم يَبْقَ لِلْقَائِمِ غَيْرُ الْمَهْدِيَّةِ ، فحاصرها أبو يزيد إلى أن هلك القائم . وكان بَيْنَهُ وبين ابنه المنصور ما نَذَكَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ذِكْرُ وُفَاةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ [٣٧] وَشَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ .

كانت وفاته بالمهدية في يوم الأحد الثالث عشر من شَوَّال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . ومولده بسلمية التي بالقرب من مدينة حماة من الشَّامِ في الْحَرَمِ سنة ثمانين ومائتين^(٣) . وكان عُمُرُهُ أَرْبَعًا وَخَمْسِينَ سنة وتسعة أشهر ، ومدة ملكه ثنتي عشرة سنة وستة شهور وأيامًا .

أولاده : كان لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ الذَّكَورِ سَبْعَةٌ ، وَهُمْ : أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرٌ ، تَوَفَّى فِي أَيَّامِ الْمَغْزِ ، وَحَمْزَةٌ ،

(١) « منشورًا الصقلي » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣٣٢ . انعاظ الحنفا ج ١ ص ٧٦ .

(٢) من قبيلة زناته من مدينة توزر — انعاظ الحنفا ج ١ ص ٧٥ ، وفيه « أبو يزيد مخلد » .

(٣) « ولد بسلمية سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقيل ولد في الحرم سنة ثمان وسبعين » — كنز الدرر ج ٦ ص ١١٠ .

وعدنان . وأبو كرامة قَضَوْا بالمغرب : ويوسف ، مات بركة سنة اثنتين وستين
وسبعمائة ؛ وأبو القران عبد الجبار ، تَوَفَّى بمصر في سنة سبعٍ وستين وثلاثمائة ،
وأربعُ بنات وسبع سَرَارٍ .

قضاته : إسحاق بن أبي المنهال إلى أن تَوَفَّى ، ثم أحمد بن بحر إلى أن
قتله أبوزيد ^(١) لما فتح إفريقية في صفر سنة ثلاثين ؛ ثم أحمد بن الوليد ،
ولته الرعيةُ فأقره .

حاجبه : جعفر بن علي حاجب أبيه .

ذكر بيعة المنصور بنصر الله

هو أبو الظاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله بن عبيد الله المهديّ ، وهو
الثالث من ملوكهم . بايع له أبوه القائم بأمر الله في حياته ، وولاه حرباً
أبي (٢) زيد ؛ وهلك أبوه القائم بأمر الله ، فأخفى إسماعيل موته ، وناصب
أبا زيد حتى رجع إلى المهديّة ، وتوجّه أبوزيد إلى سوسة فحاصرها ، فأدركه
المنصور إسماعيل فطرده عنها ؛ ووأى عليه الهزائم إلى أن أسره في يوم الأحد
لخمسٍ بقين من المحرم سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة ؛ فمات بعد أسره بأربعة
أيام من جراحةٍ كانت به ، فأمر المنصور بسلخه ، وحسّى جلده فُطئاً
وصلبه ، وبني مدينته المسماة بالمنصورية في موضع الوقعة ، واستوطنها في
سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة .

(١) « أبوزيد » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٧ .

(٢) « ابن » في الأصل . والتصحيح يتفق مع ما سبق .

وكان المنصور شجاعاً بليغاً يرتجل الخطب . حكى المروزي قال :
خرجت مع المنصور يوم هزم أبوزيد ، فسأريته ويده ربحان^(١) فسقط أحدهما
مراراً وأنا أمسحه وأناوله إياه وتفاءلت له بذلك . فأنشدت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
فقال : ألا قلت ما هو خير من هذا وأصدق لله وأوحينا إلى موسى أن
التر عصاك فإذا هي تلفت ما يأكون * فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون *
فقلوا هنالك وأنقلبوا صاغرين^(٢) .

ذكر وفاة المنصور بنصر الله وشيء من أخباره

كانت وفاته في يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .
وكان سبب وفاته أنه خرج في شهر رمضان من السنة إلى جلولا^(٣) ومعه
جاريته قضيب ، وكان يحبها ، فجاء مطر عظيم وريح شديدة بجلولا واشتد
البرد بها ، فخرج منها على فرس وقضيب في غمازيه وهو يريد المنصورة ،
ودام عليه المطر والبرد .

قال أبو الرقيق : أخبرني من كان معه ، قال : كنا ننظر إلى العيد السودان
على الطريق قعوداً فتأملهم فنجدهم موتى ، وقد جفوا من البرد . ووصل
المنصور إلى قصره آخر النهار ، فدخل الحمام ، فاعتل لوقته . وصلى العيد

(١) « ربحان » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ١٩ ، انماط الحنقا ج ١ ص ٨٨ .

(٢) سورة الأعراف الآيات ١١٧ - ١١٩ .

(٣) جلولا ، مدينة بأفريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميلاً - معجم البلدان .

بالتاس في مَبَادِي عِلَّتِهِ ، ثُمَّ اشْتَدَّتْ بِهِ ، فَمَاتَ فِي التَّارِيخِ [المذکور] ^(١) ،
وَأَوْصَى ابْنَهُ أَنْ يُنْتَمَعَ مِنَ التَّوْحِ عَلَيْهِ .

وَكَانَ مَوْلَدُهُ بِالْقَيْرَوَانِ ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ
سَنَةً .

وَقَالَ ابْنُ الرَّفِيقِ : إِنَّهُ وُلِدَ بِرَقَادَةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ
أَرْبَعِينَ سَنَةً تَقْرِيبًا . وَمَلَكُهُ سَبْعُ مِائَتَيْنِ وَأَيَّامٌ ^(٢) .

أَوْلَادُهُ الذِّكُورُ خَمْسَةٌ ، وَهُمْ : أَبُو تَعِيمٍ مَعْدٌ ، وَهَاشِمٌ ، وَحِيدَرَةٌ ، مَاتَ
بِمَصْرَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ طَاهِرٌ .
وَكَانَ لَهُ خَمْسُ بَنَاتٍ ، وَثَلَاثُ أُمَّهَاتٍ أَوْلَادَ .

قَضَاتُهُ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْوَلِيدِ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَسْطُورِ ، ثُمَّ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي شُعَيْبٍ ، عَلِيُّ الْمَنْصُورِيَّةِ . ثُمَّ أَبُو مُحَمَّدٍ
زُرَّارَةُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثُمَّ أَبُو حَنِيفَةَ التَّحْمَانُ ^(٣) بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيِّ .

حَاجِبُهُ : جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ ، حَاجِبُ أَبِيهِ وَجِلَّتُهُ .

[٣٨] ذِكْرُ بَيْعَةِ الْمُعْزَلِيِّينَ لِلَّهِ

هُوَ أَبُو تَعِيمٍ مَعْدٌ بْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْمُهْدِيِّ ، وَهُوَ الرَّابِعُ مِنْ مُلُوكِ
الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ . وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ وَالشَّامَ مِنْهُمْ .

(١) [إضافة تتفق مع السياق .

(٢) « ستة أيام » في أخبار الدول المنتظمة ص ١٩ .

(٣) هو صاحب كتاب افتتاح الدعوة .

صار الأمرُ إليه ببلاد المغرب بعد وفاة أبيه المنصور ، في آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فدبّر الأمور وأحكمها إلى يوم الأحد السابع من ذى الحجة من السنة ، فجلس على سرير الملك ، ودل عليه الخاصة وكثير من العامة فسلموا عليه بالخلافة ، وتلقّب بالمعز لدين الله . ولم يظهر على أبيه حزنًا ، وكان عمره يوم وليّ أربعًا وعشرين سنة . وأرسل إلى جميع من بالمهدية من عُمومته وعُومة أبيه ، فأثروا وسلموا عليه بالإمارة ، فأخذ عليهم البيعة ، ومثوا بين يديه رجالةً ، وأرضاهم بالمصلاة . واستقام له الأمر . وصلى بالناس عيد الأضحى ، ثم صرفهم إلى المهديّة .

ودخل في طاعته من العصاة من عصى على غيره ممن كان يجبل أوراس من بني كملان ومليلة ، وهما من قبائل هَوارة .

ثم بعث القائدة جوهرًا في يوم الخميس لإسبع خلّون من صفر ، سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، في جيش عظيم إلى المغرب ، فصار حتى بلغ البحر المحيط ، فأمر أن يُصاد من سمكه ، وجعله في قُلّة وجعل فيها الماء ، وحملها إلى المعز صُحبة البريد ، وجعل في باطن كتابه من ضريع البحر . وعاد وفتح فاس يوم الخميس لعشر بقين من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، واستخلف عليها وعلى سجلماسة وتاهرت وعاد جوهرًا من المغرب إلى رقادّة يوم الجمعة لاثنتي عشرة [ليلة]^(١) بقيت من شعبان .

وفي سنة خمس^(٢) وثلاثمائة ، في التصف من المحرم ، غلبت الروم على

(١) « ليلة » إضافة يقتضيها السياق .

وانظر تفصيلات فتوحات جوهر بالمغرب في : أخبار الدول المنظمة ص ٢١ - ٢٣ . الكامل

ج ٨ صفحات ٤٩٨ - ٤٩٩ ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٢) « خمس » في الأصل ، والتصحيح يتفق رسر الأحداث .

جزيرة إقريطش^(١) ، ففتحوا المدينة وقتلوا من أهلها مائتي ألف رجل وسبوا من النساء والصبيان مثل ذلك ، وحرقوا المصاحف والمساجد ؛ وكانوا قد أتوا في سبعائة مركب .

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث المعز لدين الله عماله من برقة إلى سجلماسة ، إلى جزيرة صقلية ، وأمرهم أن يكتبوا جميع الأطفال الذين في أعمالهم من الخاصة والعامة ليختنوا مع أولاده ، فبلغوا عددة لا تحصى . فلما كان في أول يوم من شهر ربيع الأول من هذه السنة ابتداءً بظهور أولاده وأهل بيته وأولاد خاصته من الكتاب ورجال الدولة وغيرهم ، وأعطاهم الصلوات والكساوى . قال : وأزدحم الناس في يوم الاثنين لإحدى عشرة [ليلة]^(٢) خلت من شهر ربيع الأول فأت من الرجال مائة وخمسون نفساً .

وفي سنة خمس وثلاثمائة أمر المعز لدين الله بحفر الآبار في طريق مضر وأن يبني له في كل موضع يقيم به قصور ، فأخذوا في عمل ذلك ، حتى تم ، وفي يوم الجمعة لليلة بقيت من جمادى الآخرة ، سنة سبع وخمسين ، وردت النجبة من مضر ب وفاة كافور الإخشيدي ، وكانت وفاته لعشر بقين من جمادى الأولى . كما تقدم .

(١) إقريطش : بفتح الحزنة وتكرس . جزيرة في بحر المغرب ، يقابلها من أمر قبة لوبيا — معجم البلدان . وهي حالياً جزيرة كريت بالبحر المتوسط .
ونجح البيزنطيون في استرداد جزيرة كريت والاستيلاء على عاصمتها سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦٦ م .
بعد حصار دام ثمانية أشهر ، وذلك في عهد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني ونحت قيادة نفقور غرقاس — المسلمون والبيزنطيون ص ١٢٤ .

(٢) [إضافة تنفق والسياق .

ذكر خبر إرسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر إلى الديار المصرية

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة قديم القائد جوهر من المغرب
بعسكر عظيم من كتامة والجند والبربر ؛ فأمره المعزُّ بالاستعداد والخروج
إلى مصر. فأقام بقصر الماء بالقرب من المنصورة ليجتمع إليه الحشود ؛
وفتح المعز بيت المال ووضع العطاء. وحشد من إفريقية من الكسامين
والزويليين والجند والبربر ، وأعطى من مائة دينار إلى عشرين ديناراً حتى
عمهم بالعطاء ، وتصرفوا في القيروان وصبره في ابتياع ما يحتاجون إليه ،
ثم أمر المعزُّ بالرحيل ، فرحل في يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من
شهر ربيع الأول منها . وفارقه خمسمائة فارس من البربر ، فجرد خلفهم
عدة من الوجوه فلم يرجعوا ؛ فقال المعز : الله أكرم أن ينصرنا بالبربر ،
ثم سار جوهر بجميع من معه من العساكر ، ومعه ألف حمل من المال ، ومن
السلح والعُدد والكراع ما لا يوصف ، وأغذ السير حتى أقبل على الديار
المصرية .

[٣٩] ذكر خبر وصول جَوهر القائد بالعساكر إلى

الديار المصرية

وما كان بينه وبين الإخشيدية والكافورية من المراسلة في طلب
الأمان وتقريره الصلح
ونكثهم وقتاله إياهم إلى أن ملك الديار المصرية واختط القاهرة .

قال ابن جالب^(١) راغب في تاريخ مصر: وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وردت الأخبار إلى مصر بقدم القائد جوهر، فاضطرب المصريون لذلك اضطراباً شديداً، ووقع اتفاق أرباب الدولة بحضرة الوزير جعفر بن الفضل على مراسلته في الصلح وطلب الأمان، وإقرار ضياعهم وأعمالهم في أيديهم. فراسلوه في ذلك واشترط تحرير سويران^(٢) ألا يجتمع مع القائد جوهر، وأن يكون له الأشمونين إقطاعاً، وتقلد مكة والمدينة، ويتوجه فيقيم بالحجاز، وسألوا الشريف أبا جعفر مسلم الحنفي في السير يرسلهم إلى جوهر، فأجابهم، وشرط أن يكون معه جماعة من الأغنياء، فجهزوا معه أبا إسماعيل إبراهيم بن أحمد الزيني، وأبا الطيب العباس بن أحمد العباسي والقاضي أبا طاهر، وغيرهم. وكتب الوزير كتاباً بما يريد. وسار أبو جعفر بمن معه في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب من السنة، وقيل لليلة بقيت منه، فلقى القائد جوهرًا قد نزل بتروجه فاجتمعوا به فبالغ القائد في إكرام الشريف، وأدى الشريف إليه الرسالة وأعطاه كتب الجماعة، وعرفه ما التمسوه، فأجابهم إلى ذلك، وكتب كتاباً بالأمان نسخته.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا كتاب من جوهر الكاتب، عبد أمير

(١) هو محمد بن علي بن يوسف بن جالب راغب. المعروف بابن ميسر. والمتوفى سنة ٦٦٧ هـ/١٢٦٨ م - المنهل الصافي.

وكتابه: أخبار مصر، نشر حديثاً بالقاهرة بتحقيق أين فؤاد سيد. وصدر عن المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٨١ بعنوان: المنتقى من أخبار مصر. وسوف نشر إلى ما يوجد في هذه الطبعة في هذا الجزء من نهاية الأرب.

(٢) «تحرير الشوزاني» في وفيات الأغنياء - في ترجمة جوهر - ج ١ ص ٣٧٨. «ابن الشوزاني» في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٠.

المؤمنين المعزّلين الله صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر من السّاكنين بها ويغيّرها (١) .

إنّه قد ورد من سألتموه التّرسّل إلىّ والاجتماع معي ، وهم (٢) : أبو جعفر الشّريف أطل الله بقاءه ، وأبو طاهر إسماعيل الرّئيس (٣) ، أيّده الله ، وأبو الطّيب الهاشمي ، أيّده الله ، والقاضي أبو طاهر (٤) أعزه الله ، وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله .

فذكّروا عنكم أنكم التمسّتم كتاباً يشتمل على أمانيتكم في أنفسكم وأموالكم ، وبلادكم وتعيّكم (٥) وجميع أحوالكم ، فعرّفنهم ما تقدّم به أمر مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، من نصّره لكم (٦) .

لتعتمدوا الله (٧) تعالى على ما أوّلاكم وتحمّدوه على ما حباكم (٨) ، وتنادّوا (٩) فيما يلزمكم ، وتساوّعوا للطّاعة (١٠) العاصمة لكم ، العائدة بالسّعادة عليكم ، المقضية بالسلامة لكم (١١) ، وهو أنّه صلوات الله عليه ،

(١) « أهل مصر السّاكنين بها . من أهلها . ومن غيرهم » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) « وهو » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا ، ويتفق مع السياق .

(٣) « الرّسى » في اتعاظ الحنفا .

(٤) « أبو طاهر » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٥) « وتعيّكم » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٦) « وحسن نظره لكم » في اتعاظ الحنفا .

(٧) « فلتعتمدوا الله » في اتعاظ الحنفا .

(٨) « وتشكروه على ما حباكم » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « وقد أبا » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « إلى طاعته » في اتعاظ الحنفا .

(١١) « العائدة بالسلامة لكم . وبالسّعادة عليكم » في اتعاظ الحنفا .

لَمْ يَكُنْ إِخْرَاجُهُ هَذِهِ الْعَسَاكِرَ ^(١) الْمَنْصُورَةَ ، وَالْجِيُوشَ الْمَظْفَرَةَ ، إِلَّا لِمَا فِيهِ
إِعْزَازُكُمْ وَجِمَاعِيَّتُكُمْ ، وَالْجِهَادُ عَنْكُمْ ، إِذْ قَدْ تَحَطَّفْتُمْ ^(٢) الْإِيْدَى ،
وَأَسْتَطَالَ عَلَيْكُمْ الْمُشْرِكُ ^(٣) ، وَأَطْمَعَتْ نَفْسُ بِالْاِقْتِدَارِ عَلَى بِلَادِكُمْ ^(٤)
[فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَالتَّغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَمِنْ فِيهِ] ^(٥) وَالْاِحْتَوَاءُ ^(٦) عَلَى
نَعِيمِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، حَسَبَ مَا فَعَلَهُ فِي غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ بِلْدَانِ الْمَشْرِقِ ، وَتَأَكَّدَ
عَزْمُهُ وَاشْتَدَّ كَلْبُهُ ، فَعَاجَلَهُ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
بِإِخْرَاجِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَبِإِنْفَازِ الْجِيُوشِ الْمَظْفَرَةِ لِقِتَالِهِ دُونَكُمْ ،
وَتَجَاهِدُهُ ^(٨) عَنْكُمْ وَعَنْ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِبِلْدِ الْمَشْرِقِ ، الَّذِينَ عَمَّهُمُ الْخِزْيُ ،
وَعَلَّتْهُمْ ^(٩) الذَّلَّةُ ، وَاسْتَنْفَتْهُمْ الْمَصَائِبُ ، وَتَتَابَعَتْ لَدَيْهِمْ ^(١٠) الرُّزَايَا ،
وَأَنْصَلَّ عَنْدَهُمُ الْخَوْفُ ، وَكَثُرَتْ اسْتِغَاثَتُهُمْ ، وَعَظُمَ ضَجِيجُهُمْ ، وَعَلَا
صِيَاحُهُمْ ^(١١) ، وَلَمْ يُبَيِّنْهُمْ ^(١٢) إِلَّا مَنْ أَرْمَضَهُ ^(١٣) حَالُهُمْ ، وَأَبْكَى عَنْهُ مَا
نَالَهُمْ ، وَأَسْهَرَهُ ^(١٤) مَا حَلَّ بِهِمْ ، وَهُوَ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا [فَرَجًا بِفَضْلِ اللَّهِ ،

(١) « للعساكر » في انماط المنفا ص ١٠٤ .

(٢) « تحطفتكم » في الأصل ، والتصحيح من انماط المنفا .

(٣) « المستذل » في انماط المنفا .

(٤) « بلدكم » في انماط المنفا .

(٥) [] إضافة من انماط المنفا .

(٦) « والاحتيا » في الأصل ، والتصحيح من انماط المنفا .

(٧) « لتقاتله » ساقط من انماط المنفا .

(٨) « وبجاهدته » في انماط المنفا .

(٩) « وشملتهم » في انماط المنفا .

(١٠) « لديهم » ساقط من انماط المنفا .

(١١) « صراخهم » في انماط المنفا .

(١٢) « فلم يبينهم » في انماط المنفا .

(١٣) « إلا من أرمضه أمرهم . ورضه حالهم » في انماط المنفا .

(١٤) « وأسهرها » في انماط المنفا .

وإحسانه لديه ، وما عوّده وأرجاه عليه ، استنقاذاً من أصبح منهم في ذلٍّ مقيم ، وعذاب أليم [^(١)] أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وأن يؤمن من استولى عليه المهمل ^(٢) ويفرخ روع مَنْ لم يزل في خوفٍ ووجل . وأثر إقامة الحجّ الذي تعطلّ ، وأهمّل العباد فروضه وحقوقه ، للخوف ^(٣) المستولى عليهم ، و [إذ] ^(٤) لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، [و] ^(٥) إذ قد وقع ^(٦) بهم مرّة بعد أخرى ، فسُفكت دماءهم .

وأطال جوهر في كتابه ، وحضّهم على الطاعة ، وأشهد عليه الشهود فيه ، وخلّع على الجماعة ، وحملهم .

قال : ولما توجه الشريف وَمَنْ معه إلى القائد جوهر ، اضطرب بعده البلد اضطراباً شديداً ، وأخذت الإحشدية والكافورية في إخراج مضاريهم ، وقام رجل من أهل بغداد ، يعرف بابن شعبان ، يوم الجمعة في المسجد قبل الصلاة فقال : أيها الناس قد أظلكم من أخرب فارس وسبى أهلها ، وذكر ما حلّ بأهل بلاد المغرب منه ، وقال : القوا الرجل القليل المعرفة ، يعني الوزير جعفر ابن حترابة ، فإنه قد شرّع في إتلاف بليدكم وسفك دمائكم بمراسلة هذا الرجل ، يعني القائد جوهرًا ، فسمع الناس كلامه ،

(١) [إضافة من انماط الحنفا .

(٢) هكذا في الأصل . وفي انماط الحنفا ، ورجع محقق انماط الحنفا أن تكون « الوهل » بمعنى الفزع .

(٣) « مخوف » في انماط الحنفا .

(٤) [إضافة من انماط الحنفا .

(٥) [إضافة من انماط الحنفا .

(٦) « أوقع » في انماط الحنفا .

(٧) انظر بقية الكتاب في انماط الحنفا جـ ١ ص ١٠٤ - ١٠٧ .

ورجعوا عما سألوه من الأمان . وبلغ الشريف ومن معه انتفاض الإخشيدية والكافورية ، وعزمهم على القتال ، فكتموه عن القائد جوهر خوفاً أن يعقلهم ، وبأدروا [٤٠] بالعدو وساروا . فبلغ القائد ذلك بعد رحيلهم ، فردهم ، وقال : قد بلغني أن القوم قد تقضوا ورجعوا ، فردوا على خطي فرفقوا به وداروه ، وقالوا : إذا يُظفرك الله وينصرك . فقال للقاضي : ما تقول فيمن أراد [أن] ^(١) يشق مدينة مصر فيجعلها طريقاً للجهاد المشركين والحج إلى بيت الله الحرام ؟ فتمعه ، من الجواز له أن يقابلهم . فقال : نعم ، اكتب خطك بذلك ^(٢) .

ثم سار الشريف ومن معه إلى مصر فوصلوها لسيح خلون من شعبان ، فركب الوزير والناس إليهم ، واجتمع الإخشيدية والكافورية وغيرهم ، فقرأ عليهم السجل الذي كتبه القائد ، وأوصل إلى كل واحد جواب كتابه بما أراد من الأمان والولاية والإقطاع . فلما قرءوا الكتب خاطبوا الشريف بخطاب طويل ؛ فقال نحرير ما بيننا وبينه إلا السيف فقدموا عليهم نحرير سويران ، وعبأوا عساكرهم ، وعدوا إلى الجزيرة والجزيرة ، وحفظوا الجسور .

ووصل جوهر ، وابتدأ القتال بينهم في حادي عشر شعبان . ثم مضى القائد جوهر بعد ذلك إلى منية الصيادين ^(٣) ، وأخذ المحاضرة بمنية شلقان واستأنم إليه جماعة من أهل مصر وغلماهم في مراكب ، ووقع القتال ،

(١) [إضافة تتفق وسياق الكلام .

(٢) « فقال : ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضي إلى الجهاد لقتال الروم فمنع ، أليس له قتالهم ؟ . فقال له القاضي : نعم ، فقال : وحلال قتالهم ؟ . قال : نعم » في انعاظ المنفا جـ ١ ص ١٠٨ .

(٣) منية الصيادين : من القرى القديمة . وهي حالياً جزء من وراق الحضرة ، التابعة لمركز إمبابة بمحافظة الجيزة — القاموس الجغرافي ق ٢ جـ ٣ ص ٦٥ .

وزحف جعفر بن قلاح ، بالرجال ، وقاتل عساكر مصر ، ووقع القتل في الإخشيدية والكافورية فانهزموا ليلاً ودخلوا مصر وأخذوا ما في دورهم ، وساروا إلى الشام .

قال : ولما انهزم ركب الناس إلى دار الشريف أبي جعفر مسلم وسأله كتاباً إلى القائد جواهر بإعادة الأمان عليهم ، فكتب كتاباً إليه يهتئ بالفتح ، وسأله إعادة الأمان للمصريين ، فكتب القائد أماناً وبعثه إلى الشريف ، فقرأه على الناس ، وهو :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وصل كتاب الشريف ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وتمكينه (١) ، يهتئ بما هيأه الله (٢) من الفتح المبارك (٣) ، وهو ، أيده الله ، المهناً بذلك لأنها دولته ودولة أهله ، وهو المخصوص بذلك (٤) وأما ما سأل من الأمان وإعادة الأمان الأول ، فقد أعيد إليه ما طلب ، وجعلت إليه عن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، أن يؤمن الناس كيف شاء بما شاء (٥) . وقد كتبت إلى الوزير ، أيده الله ، بالاحتياط على بيوت (٦) الهاربين إلى أن يدخلوا في الطاعة ، وما دخلت فيه

(١) « ابن » في الأصل . والنصح مما سبق .

(٢) « وعلوه » في انعاظ الحنفا جـ ١ ص ١١٠ .

(٣) « وهو المهناً بما هتأ به » في انعاظ الحنفا .

(٤) « الميمون » في انعاظ الحنفا .

(٥) « ساقط من انعاظ الحنفا .

(٦) « فوقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدته على حاله . وجعلت إلى الشريف — أعزّه الله — أن يؤمن كيف رأى وكيف أحب — ويزيد على ما كتبه كيف يشاء ، فهو أمانى . وعن إذنى وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه » في انعاظ الحنفا جـ ١ ص ١١٠ .

(٧) « دور » في انعاظ الحنفا .

الجماعة^(١) . ويعمل الشريف أيده الله ، على لقاء في يوم الأحد لأربع عشرة ليلة تخلو من شعبان^(٢) بجماعة الأشراف والعلماء والثناء ، وأهل البلدان إن شاء الله تعالى .

فقرأ الشريف الكتاب على الناس وسكّتهم وهدّاهم ، ففتحوا البلد ، وأخذ الناس في التجهّز إلى لقاء القائد جوهر ، وقتل نحرير وميسر وبلال وعين الطويل . وجمي برءوسهم إلى القائد .

قال : وخرج الناس إلى الجيزة والتّقوا القائد ، فتأدى مناو ينزل الناس كلّهم إلا الشريف والوزير ، ففعلوا ذلك ، وسلّموا عليه واحداً واحداً ، وأبو جعفر أحمد بن قصر يعرفه بالناس ، والشريف أبو جعفر مسلم عن يمينه ، وأبو الفضل الوزير عن يساره .

فلما فرغ السّلام انصرف الناس ، وابتدأ العسكر في الدّخول منذ زوال الشّمس . فعبّروا الجسر بالدُّرُوع والجواشن^(٣) ، ودخل القائد جوهر إلى المدينة بعد العصر من يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان ، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . والبنود والصُّبُول بين يديه ، ونزل الموضع الذي اختطّ فيه القاهرة واختط القصر .

(١) « إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ، ويدخلوا فيها دخلت فيه الجماعة » في اتعاظ المنفا .

(٢) « في يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان » في اتعاظ المنفا ج ١ ص ١١٠ .

والمرجح ما أورده التويري ، فقد اتفقت المصادر على أن دخول جوهر إلى المدينة بعد العصر من يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان « انظر ما يلي .

(٣) الجواشن — الجواشن : مثل الزرد يلبس على الظهر . ولكنه يتكون من حلقات تتداخل فيما صفائح رقيقة . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٤) البنود : جمع بند — فارسي معرب . وهو العلم الكبير ، ويذكر ابن خلكان أن هذا البند كان أبيض اللون — صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٩ .

وأصبح المصريون حضروا إليه للهناء ، فوجدوه قد حفر أساس القصر في تلك الليلة . قال : ولم يكن في المكان عمارة آليّة إلا بستان كافور . ولم يزل هذا البستان على حاله إلى سنة خمس وأربعين وستائة فعمر مكانه مساكن وهو الخط الذي يُعرف الآن بالكاهوري^(١) .

قال صاحب كتاب خطط^(٢) مصر : لما دخل جوهر القائد واختط القاهرة قرر كل جانب منها على أمير من أمراء عسكره وأرصدته لبناء تلك الحارة حسبا أمره المعز لدين الله فسميت كل حارة باسم مقدمها أو الطائفة التي نزلت بها . وابتدأ بالعمارة في شهر رمضان من السنة^(٣) .

قال المؤرخ : ودخل القائد جوهر مصر ، وبين يديه ألف ومائتا صندوق مالا^(٤) ، وأقام عسكره يدخل سبعة أيام . وبعث إلى مولا المعز لدين الله يشره بالفتح .

قال : ولما دخل القائد مصر كان الغلاء بها ، فنادى مناديه : مَنْ عِنْدَهُ قح فليُخرجه . وفرق الصدقات على الناس ، وأقرأ بالفضل على الوزارة ،

(١) بستان الكاهوري : أنشأ الأمير محمد بن طنج الإخشيد ، فلما جاء جوهر إلى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة ، وعرف ببستان كافور ، ثم اختط مساكن بعد ذلك — المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) هو أحمد علي بن عبد القادر ، تقي الدين المقرئ ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م — وصاحب كتاب : المواقظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

(٣) « ذلك » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٤) انظر ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية — المواقظ والاعتبار ج ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

(٥) « ويقال إن المال كان في ألف وخمسمائة صندوق » — انماط الحفنا ج ١ ص ١١١ .

وجهز جعفر^(١) بن فلاح إلى الشام .

ذكر إقامة الخطبة ، وضرب السكة بمصر ، [٤١]

للمعز لدين الله وما قيل في الدعاء له

على المنبر ، وما نقش على السكة

وفي يوم الجمعة لعشر بَقِينٍ من شعبان من السنة ركب القائد جوهر إلى المسجد الجامع العتيق^(٢) لصلاة الجمعة ، ولإقامة الدعوة . في عسكر كثير . وخطب هبة الله بن أحمد خليفة عبد السميع بن عمير العباسي ، لغية عبد السميع . فخطب وعليه الياض ، ودعا للمعز لدين الله . وقال في دُعائه في الخطبة الثانية :

اللهم صلِّ على عبدك وَلِيِّكَ ، ثمرة الثبوة ، وسلب العثرة الهاذية المهلدة ، عبد الله الإمام مَعْدُ أبي نعيم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، كما صَلَّيتَ على آبائِهِ الطاهرين وأَسْلَفِهِ الْمُتَّخِضِينَ^(٣) ، الأئمة الراشدين . اللهم أرفع دَرَجَتَهُ ، وأَعْلِ كَلِمَتَهُ ، وَأَوْضِحْ حُجَّتَهُ ، واجْمَعْ الأُمَّةَ على طَاعَتِهِ . وَالْقُلُوبَ على مُوَالَاتِهِ [وصحبته]^(٤) ، واجْعَلِ الرَّشَادَ في مُوَافَقَتِهِ ، وَوَرِثَتَهُ مُشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَأَحْمِدُهُ مَبَادِيَّ الأُمُورِ وَعَوَاقِبَهَا ، فَإِنَّكَ تَقُولُ وَقَوْلُكَ

(١) هو جعفر بن فلاح الكتاني ، أبو علي . أحد قواد المعز . قتل على يد الفرامطة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م - وفیات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ رقم ١٣٨ . الإشارة ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) هو جامع عمرو بن العاص بالقسطنطين - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) « المتخضين » ساقط من اتعاط الحنفا ج ١ ص ١١٤ .

(٤) [إضافة من اتعاط الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

الحق ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾ (١) فلقد امتنع (٢) لِدِينِكَ ، ولما انتَهَكَ من حرمَتِكَ (٣) ،
وَدَرَسَ من الجهاد في سبيلِكَ ، وانقطع من الحجِّ إلى بيتِكَ ، وزيارَةِ قَبْرِ
رَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وسلم] (٤) وَأَعَدَّ لِلْجِهَادِ (٥) عُدَّتَهُ ، وَأَخَذَ لِكُلِّ
خَطْبَةٍ أَهْبَتَهُ فِيسِرَ الْجِيُوشِ لِتَصْرِكَ (٦) ، وَأَنْفَقَ الْأُمُوالَ فِي طَاعَتِكَ ، وَبَدَّلَ
الْمَجْهُودَ فِي رِضَاكَ ، فَارْتَدَعَ الْجَاهِلُ ، وَقَصُرَ الْمُتَطَاوِلُ ، وَظَهَرَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ . فَانصُرُ اللَّهُمَّ جُيُوشَهُ الَّتِي سَبَّرَهَا ، وَسَرَابِيَاهَ الَّتِي انْتَدَبَهَا لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ
[وَجِهَادِ الْمُلْحَدِينَ ، وَالذَّبِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعِمَارَةِ الثُّغُورِ وَالْحَرَمِ] (٧) وَإِزَالَةَ
الظُّلُمِ وَالنُّهْمِ (٨) ، وَبَسْطِ الْعَدْلَ فِي الْأُمَمِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَأْيَايَةَ عَالِيَةِ
مَنْشُورَةٍ (٩) ، وَعَسَاكِرَهُ مُؤَيَّدَةً مَنْصُورَةً (١٠) ، وَأَصْلِحْ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْهُ
وَاقِيَةً عَلَيْهِ .

وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ عَلَى الدَّنَانِيرِ ، وَكَانَ عَلَى الْوَجْهِ الْوَاحِدِ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلَى خَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، وَوَزِيرُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ ، مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(١) سورة الأنبياء رقم ٢١ آية ١٠٥ .

(٢) « فقد امتنع » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

(٣) « حريمك » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا .

(٤) [إضافة من اتعاظ الحنفا .

(٥) « فأعد للجهاد » في اتعاظ الحنفا .

(٦) « لتصرتك » في اتعاظ الحنفا .

(٧) [إضافة من اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

(٨) « والنهم والنهم » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « مشهورة » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « وعساكره غالبة منصوره » في اتعاظ الحنفا .

المُشْرِكون^(١) . وعلى الوجه الآخر دعاء الإمام معدّ ، لتوحيد^(٢) الإله
الضمد ، المعزّ لدين الله ، أمير المؤمنين . ضرب بمصر في سنة ثمان وخمسين
[وثلاثمائة]^(٣) .

قال : وأشرَكَ القائدُ جوهر في الدّواوين المصريّين والمَعَارِيه ، فجعل في
كلِّ مكانٍ مصريّاً ومغربيّاً .

وفي ذى الحجة من السنة تكامل بمصر من الإخشيدية وقوادهم خمسة
آلاف فارس استأمنوا للقائد جوهر ، وفيهم أربعة عشر رئيساً فأمنهم ، ثم
قبض عليهم واعتقلهم ، ثم سبّهم إلى المعزّ بإفريقية .

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر
ربيع الآخر^(٤) ، صَلَّى القائدُ جوهر في جامع ابن طولون وأُذِّن « حَيَّ عَلَى
خَيْرِ الْعَمَلِ » . وهو أول ما أُذِّنَ به بمصر ، ثم أُذِّنَ بذلك بالجامع العتيق بمصر
في الجمعة الثانية .

(١) يوجد اختلاف في ترتيب العبارات السابقة في اتعاظ المنفا ج ١ ص ١٦٦

(٢) «بتوحيد» في اتعاظ المنفا .

(٣) [إضافة من اتعاظ المنفا .

(٤) « من جمادى الأولى » في اتعاظ المنفا ج ١ ص ١٢٠ . الكامل ج ٨ ص ٥٩٠ . كنز

الدرر ج ٦ ص ١٢٥ ، أخبار الدول ص ٢٣ — ٢٤ .

وعن ذكر الأذان بمصر انظر المراعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٦٩ .

ذكر خروج تير الإخشيدى والقبض عليه

وفي شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ثار تير الإخشيدى^(١) بناحية أسفل الأرض، ودعا للخليفة المطيع لله، وكتب اسمه على البنود، فراسلَهُ جوهر، فلم يَقْبَل؛ وكان معه أبو القاسم العلوى الأقطيى. فأنفذ القائد جوهرُ العساكر لقتاله برًا وبحرًا، وكان قد كَبَسَ صَهْرَجَتَ^(٢) ونهبها، فأمرَ القائدُ بنَهَبِ دُورِهِ بِمِصر. وقَبِضَ على صهره فأغار تير، ونهب ضياعًا. فوافتهُ العساكر بصَهْرَجَتِ، فانهزم إلى تَنَيس، وركب البحر الملح يُريد الشام، ثم إلى الروم، فأنقَذَ القائدُ جوهرُ أسطولا خلفه. فلما بلغ صُور^(٣) دخل بها الحمّام، فقبِضَ عليه وجماعةٌ من أتباعه وغلّمانه، وذلك في شهر رمضان منها، ومُجِلَ إلى مصر، فقيّدَها لأربع عشرة ليلةً خلت من شوال، فأُدْخِلَ على فيل وبين يديه رجلٌ وخلفه رجلٌ، وغلّامه عجيبٌ على جمل خلفه، ومعه قرد، وخلفه غلامٌ سرور على جمل، وجماعته على جمل منكسِي الرؤوس، ثم اعتَقَلُوا واستَصَفَى القائدُ أمواله وودائعهم، وطُوبِلَ بالأموال، فلما اشتد عليه الطلب جرح نفسه فمات بعد أيامٍ فسلخ جُلْدُهُ وَحْشَى تَبْنًا وَصَلَبَ جِلْدَهُ، وضرب شلوه^(٤).

(١) عن تير الإخشيدى انظر المراعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣.

(٢) صهرجت: من القرى القديمة التابعة لمحافظة الدقهلية، بالقرب من ميت غمر، فهناك صهرجت الصغرى تابعة لمركز أجا، وصهرجت الكبرى تابعة لمركز ميت غمر — القاموس الجغرافى ق ٢ ص ١٧٣، ص ٢٥٧.

(٣) صُور: بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره واء، مدينة مشهورة، على الساحل الشرقى للبحر المتوسط، تقع حاليًا جنوب لبنان — معجم البلدان.

(٤) شلو = أشلاء: عضو — أعضاء، شلو الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفريق — القاموس.

ذكر فتوح الشام

[٤٢] قد ذكرنا أن القائد جوهرًا جهّز جعفر بن فلاح إلى الشام بالعاكر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبد الله بن طُغج بالرّملة ، وهو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسرّه ، وبعث به إلى مصر ، ثم سار إلى دمشق فللكها في سنة تسع وخمسين بعد حربٍ شديدة . فكتب إلى القائد جوهر بالفتح ، واستأذنه في المسير إلى غزو أنطاكية ^(١) . فأذن له القائد فصار نحوها في نحو عشرين ألف فارس . فأقام مدة وكثرت جُموعُه وعساكره وانبسط يده ، ودانت له البلاد ، فحاصر أنطاكية مدة إلى أن اتّصل به مسير مدد الروم إليها ، فعاد عنها إلى دمشق (٢)

(١) استولى البيزنطيون على أنطاكية في ذي الحجة ٣٥٨ هـ / أكتوبر ٩٦٩ م ، وذكر ابن الأثير أن استيلاء البيزنطيين على أنطاكية كان في المحرم ٣٥٩ هـ — الكامل ج ٨ ص ٦٠٣ .
(٢) ورد في انعاط الحنفا « فلما كان في ربيع الأول سنة ستين أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر إلى أنطاكية وكان لما في أيدي الروم نحو من ثلاث سنين وبعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية ... وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره »

وهكذا يؤكد المقرئ أن جعفر بن فلاح لم يسر بنفسه إلى أنطاكية — انعاط الحنفا

ج ١ ص ١٢٦ ، انظر أيضًا كنز الدور ج ١ ص ١٣٣ .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح

واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة^(١) وصل الحسن الأعصم القرمطي إلى دمشق . وقيل إنه إنما قدم بأمر الخليفة المطيع فخرج إليه جعفر بن فلاح وقاتله ، وكان عليلاً فقتل وانهمز أصحابه ونُصب رأسه على دمشق .

وملك القرمطي دمشق والشام ، وسار إلى الرملة فانحاز عنه سعادة بن حيان^(٢) إلى يافا وتحصن بها ، فسار إليه وحاربه ، ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقاً^(٣) ، وبني عليه باباً كبيراً ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الإنشيدى ، وبني عليه بابين آخرين ، وبني القنطرة على الخليج ، وجعلها ممراً لمن يريد المقدس^(٤) .

(١) « في هذه السنة في ذي القعدة » الكامل ج ٨ ص ٦١٤ .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن بهرام القرمطي ، المعروف بالأعصم — الكامل ج ٨ ص ٦١٥ ، ورد ذكره في الأصل في عدة مواضع بصور مختلفة . مثل : الأعصم ، الأغصم — انظر أيضاً انماط المنفا ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) كان سعادة بن حيان والياً على الرملة من قبل جوهر الصقل منذ شوال ٣٦٠ هـ . انماط المنفا ج ١ ص ١٢٨ ، كنز الدرر ج ٦ ص ١٣٥ .

(٤) سماه المقرئ « خندق السرى بن الحكم » المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٥) المقدس : قرية قديمة على شاطئ النيل ، كانت تسمى أم دنين . وعندما أنشئت القاهرة كان المقدس خارج السور ، وعندما أدار صلاح الدين السور على مصر والقاهرة جعل نهاية السور التي تلي القاهرة عند المقدس — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٦ وما بعدها .

وكاد القرمطى يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب عليم^(١) ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مالو فحملوه إليه ، وأخذ عاملها عبد الله بن يوسف ، وقيل إنه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضة والسلاح ، سوى ما تحمل المضارب والخيام والأنقال^(٢) .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضاً بنى جوهر سوراً على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلداً وسماها المنصورية ، ولما استقر المعز سماًها القاهرة .

وفي سنة إحدى وستين وسبعمائة ، في المحرم ، كبس ياروق الفرما وأخرج منها ابن العمر القرمطى ، وأرسل إلى مصر رؤوساً وأعلاماً وغير ذلك . وفي هذا الشهر عصى أهل تيس وغبروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة ، وحاربوا ياروق . وفي صفر وصل ياروق منهزماً من القرامطة وهم في إثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس واستعد القائد [جوهري]^(٣) ليلقاتهم ، وأغلق الأبواب التي بناها .

وفي مُستهل ربيع الأول جاءت مقدمة القرامطة ووقفوا على الخلق ،

(١) يذكر المريزي أن القتال خارج الحندق استمر ثلاثة أيام من مُستهل ربيع الأول ٣٦١ هـ . وفي اليوم الثالث « انتصروا قتالاً شديداً قتل فيه خلق كثير . وانهمز الأعمس ونهب سواده » انماض الحفا ج ١ ص ١٣٠ .

أما ابن أبيك فيقول : « ودأب القتال والمعاصرة ثلاثة أشهر . ثم أن القرمطى رحل بغير سبب ، ولا علم له خبر » كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٣ . وانظر ما يلي :

(٢) ورد نفس المعنى في أخبار الدول المنقطة ص ٢٥ .

(٣) [إضافة للتوضيح .

فقاتلهم القائد ، واشتد القتال ، وقُتل من الفريقين قتلٌ كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال . وسار الأعصم القرمطى بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق والباب مُعلق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فأنهزم عن القرمطى ، ودام القتال إلى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانصب للقتال ، وخرجت العبيد والمغاربة إلى القرامطة . واشتد القتال واضطرب الناس في المدينة وكثر القتل من الفريقين . وانهزم الأعصم القرمطى ، وأراد المغاربة اتباعه فنعهم^(١) القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة أو كمين . ونهيت صناديق القرمطى ودفأه ، وفارق القرمطى من كان معه من الإخشيدية والعرب . قيل : وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة^(٢) .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بمكة معه من جهة المعز ، وهرب القرمطى الذى كان بتيس وعادت الدعوة المعزية بها . وفى شهر ربيع الآخر قبض القائد على أربعين رجلاً من الإخشيدية والكافورية وقبضهم وحبسهم . وفى شعبان منها ورد على القائد جوهر رسول من ملك الروم^(٣) برسالة وهديته .

(١) « فنعهم » فى الأصل ، والنصح يتفق والسياق .

(٢) هذا تفصيل لما سبق أن أوردته التويرى ملخصاً ، فقد استولى القرامطة على دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح فى ذى القعدة ٣٦٠ هـ ، ثم تقدموا فى اتجاه القاهرة فكانت هذه الوقعة فى ربيع الأول ٣٦٢ هـ — انظر ما سبق .

(٣) المقصود الامبراطور البيزنطى ، وهو فى ذلك الوقت الامبراطور حنا الشمشقيق (يوحنا تيمسكس) الذى ولى العرش البيزنطى فى الفترة من ٩٦٩ - ٩٧٦ م — انظر مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربى ، الإمبراطور يوحنا تيمسكس وسياسته الشرقية ص ٣٥ وما بعدها

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه كُمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة .

وفي شوال منها ابتداء القائد جوهر يحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن ابن جحدم^(١) ، خليفة عبد الله بن الزبير ، حفره قبل^(٢) مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الإمام الشافعي رحمه الله ، فعُدل به عنه ، ثم شقه مُشرقاً إلى الجبل على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الحج من ناحية القلزم .

وفي ذي القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار إلى تبّيس ، فسار إليه أسطول القرامطة فواقعه وأسّر منه سبع مراكب ، وسيّرهما إلى مصر ومعهما خمسمائة رجل منهم^(٣) .

ذكر خروج المعز لدين الله من بلاد الغرب

إلى الديار المصرية

[٤٣] وماربّه بلاد المغرب قبل مسيره

وفي يوم الاثنين لثمانين بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، رحل

(١) « بن محدر » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٤١ .

وهو عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم . ولى مصر من قبل عبد الله بن الزبير فدخلها في شعبان

٦٤ هـ / ٦٨٣ م . وذلك مدة تسعة أشهر — الولاية والقضاء ص ٤١ وما بعدها

(٢) كان الغرض من هذا الخندق أن يخندق به على الفسطاط في مواجهة الغزو الأموي — الولاية

والقضاء ص ٤٢ .

(٣) « فواقهم وأسّر منهم سبع مراكب وسيّرهم إلى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم » في

الأصل ، وتصحيح الضمائر يتفق والسياق .

المعز لدين الله من المنصورية إلى سِرْدَانِيَّة^(١) ومعه يوسُف بن زَيْرِي^(٢) بن مناد
فَسَلَّمَ إليه إفريقية وأعمالها وسائر أعمال المغرب ، وذلك في يوم الأربعاء
لسبعِ بَقِينَ من ذى الحجة منها ، وأمر الناس بالسَّمْع والطَّاعة له ، وفوض
إليه أمور البلاد كلها إلا بلاد جزيرة صِقِلِّيَّة وطرابلس . وأقام المعز بسردانية
أربعة أشهر ، ورحل منها لخمس خلُوكُن من صفر ستة اثنيتين وستين وثلاثمائة ،
وسار حتى أتى قابس ، ثم وصل إلى طرابلس فأقام بها أيامًا ، ورحل منها في
يوم السَّبْت لثلاث عشرة ليلة بَقِيَّت من شهر ربيع الآخر منها ، وسار فوصل
إلى الإسكندرية في يوم الجمعة لست خلُوكُن من^(٣) شعبان، ونزل تحت المنار ،
وأنزل النَّاسَ حولها ، وأناه أهلها فسلَّموا عليه ، ووافى يوم الأحد أبو طاهر^(٤)
قاضي مصر ، ومعه العُدُول وقدم أبو عبد الرحمن بن أبي الأعز في بني عمِّه
وغيرهم من العرب ، فركب لهم المعز فسلَّموا عليه وانصرفوا .

ثم رحل من الإسكندرية يوم الاثنين لثلاثِ بَقِينَ من شعبان . فلما

(١) سردانية : منتزه فيه نمار عظيمة بالقرب من مدينة جلولا التي تبعد نحو ٢٤ كم من
القيروان - المغرب ص ٣٢ .

(٢) هو يوسف بلكين بن زيري . رئيس بربر صنهاجة . والى الفاطميين على القيروان منذ سنة
٣٦١ هـ - ٩٧٢ م . والذي أعلن استقلاله عن الفاطميين . وأسس دولة بني زيري - توفى
سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٧ - ٤٨
وقد ترجم له ابن خلكان باسم « بلكين بن زيري » - وفيات الأعيان ج ١ ص
٢٨٦ رقم ١١٩ .

(٣) « لست بَقِينَ من شعبان » في انعاظ الحنفيا ج ١ ص ١٣٤ . ووفيات الأعيان ج ٥ ص
٢٢٧ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن نجير . أبو الطاهر الذهلي . ولي قضاء مصر منذ
عهد كافور سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م - وحتى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م . وتوفى في السنة
التالية - ذيل كتاب الولاة والقضاة ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٨١ وما بعدها .

كان يومُ السَّبْتِ لليلتين خلتا من شهر رمضان نزل المنية بساحل مصر ، وهي بُولاق ، فأقام بها إلى يوم الاثنين ؛ وخرج إليه الشريف أبو جعفر مُسلم الحسنى قبل وُصُوله في جَمَاعَةِ الْأَشْرَافِ وَوُجُوهِ الْبَلَدِ ، فرأى المعزَّ وهو سائرٌ والمظلة على رأسه ، فنَادَى منادٌ : يَتَقَدَّمُ الشَّرِيفُ أَوَّلُ النَّاسِ ، فتقدَّم وسلم على المعز . ثم تقدَّم النَّاسُ كُلُّهُمْ وسَلَّمُوا عليه واحداً بعد واحد حتى فرغوا ، وهو واقف على دَائِيَّتِهِ ؛ ثم سارَ الشريف بمحادثته .

قال : وأخذ الناس في التَّعْدِيَةِ بِعِيَالِهِمْ وَأَتَقَالَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى سَاحِلِ مِصْرَ ، وتفرَّق النَّاسُ فِي الدُّوَرِ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ، وَأَكْثَرَهُمْ فِي الْمَضَارِبِ فِيمَا ^(١) بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ .

ثم عبرَ المعزُّ لدين الله إلى القاهرة يوم الثلاثاء لخمسِ خَلَوْنَ ^(٢) من شهر رمضان ، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، ولم يدخل إلى مِصْرَ ودخل إلى قصره .

فلما انتهى إلى الإيوان الكبير خَرَّ سَاجِداً لِلَّهِ تَعَالَى ، وجلس على سرير الجَوْهَرِ الَّذِي صَنَعَهُ لَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ، وَقِيلَ الْهَنَاءُ ، ومدحه الشعراء .

قال : وكان تَلَقَّى الْقَائِدُ جَوْهَرُ لَهُ عِنْدَ جَوَّازِهِ مِنَ الْجِسْرِ الثَّانِي ، فكانت مُدَّةُ تَدْبِيرِ جَوْهَرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْمَعَزُ ، أربع سنين وعشرين يوماً .

(١) « فيمان » في الأصل .

(٢) « لسبع خلون » في انعاظ الحنفا جـ ١ ص ١٣٤ .
ويتفق ابن خلكان مع النويري في أن دخول المعز إلى القاهرة كان لخمس خلون من شهر رمضان - وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٢٢٧ .

(٣) « سرير الذهب » في انعاظ الحنفا جـ ١ ص ١٣٦ .
والمقصود العرش .

وحكى بعض المؤرخين أنه لما وصل المعز وخرج الأشراف للقاءه ، قال له أبو [محمد] ^(١) عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى ، من بينهم يامولانا ، إلى من تنتسب ؟ فقال المعز : مستفعد لكم ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما استقر في قصره جمع الناس في مجلس عام وقال : هل بقي من جماعتكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق منا معتبر فجرد عند ذلك سيفه إلى نصفه وقال هذا نسبي وقرق المال وقال : هذا حسبي . فقالوا : سمعنا وأطعنا . وكان الخليق بما قيل :

جَلَلُوا صَارِمًا وَتَلَّوْا بَاطِلًا وَقَالُوا : صَدَقْنَا ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ !

وقال ابن جلب راغب في تاريخه : إن المعز لما قديم صعيد المنبر وخطب خطبة بليغة ، وذكر نسيه إلى علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . فكتب إليه بعض المصريين ورقة ولصقها بالمنبر فيها :

إِنَّا سَمِعْنَا نَسِيًا مُنْكَرًا يُتْلَى عَلَى الْعِيسْرِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعَى ^(٢) صَادِقًا فَاذْكُرْ أَبَا بَعْدِ الْأَبِ الرَّابِعِ

(١) [إضافة للنصح .

فهو عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى . أبو محمد . وقد توفي سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م . وقد ناقش ابن خلكان تناقض تاريخه ومقابلته للمعز . ويقول : (إن صاحب هذه الرواية هو صاحب كتاب الدول المنقطعة ، ثم علل هذا التناقض بقوله : « ولعل صاحب الواقعة مع المعز ولده » والله أعلم أى ذلك كان) .

وفيات الأعيان ج ٣ ص ٨١ وما بعدها رقم ٣٤٢ ، الدول المنقطعة ص ٢٧ — ٢٨ . ويذكر ابن أبيك « أن الشريف الذى جرى للمعز معه هذا السؤال هو أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسنى ، والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسنى الزينى » . ثم يقول : « ولعل يكون صاحب هذه الواقعة بعض ولده » — كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٧ .

(٢) « فيما قلته » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ .

أَوْفَدَعَ^(١) الْأَنْسَابَ مَسْتُورَةً وَأَدْخَلَ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
أَوْ كُنْتُ فِيمَا تَدْعَى صَادِقًا فَأَنْسَبُ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ^(٢)

قال : وكان يتظاهر بذكر المآجريات قبل وقوعها لاطلاعه على علم
النَّجامة ولكن كاتب عنده يستدل ، فكتب إليه بعض المصريين ورقة
وطرحها في مجلسه ، فيها :

بِالظُّلُمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْعِمَاقَةِ
إِنْ كُنْتُ أَوْتَيْتَ^(٣) عِلْمَ غَيْبٍ فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ الْهَاطِقَةِ^(٤)

وقال بعض المؤرخين : لما قدم المماليك إلى مصر أحضر معه توابيت آباءه .
وكان معه خمسة عشر ألف رجل تحمل صناديق الأموال والسلاح وغير
ذلك ، وكان معه مائة جمل تحمل شبيه الطواحين من الذهب ، وثلاثة آلاف
جمل على كل جمل صندوقان وألف وثمانمائة بخفي محملة بثلاثمائة جمل تحمل
الحراكاهات وجلان يحملان^(٥) الإكسير الذي يصنع به الكيمياء [٤٤]

(١) « أولادع » في أخبار الدول المنتظمة ص ٢٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧٣ .

(٢) المقصود الخليفة العباسي الطائع لله ، أبو بكر عبد الكريم الذي ولي الخلافة العباسية في
الفترة من ٣٦٣ - ٣٨١ هـ / ٩٧٤ - ٩٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .
ويذكر ابن خلكان هذه الحادثة وهذه الأبيات في ترجمة العزيز بالله ، وكذلك ابن تقي
بردى - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) « إن كنت أعطيت » في أخبار الدول المنتظمة ص ٢٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧٤ .

(٤) يذكر ابن خلكان هذه الحادثة وهذه الأبيات في ترجمة العزيز بالله ، وكذلك ابن تقي
بردى - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

(٥) « يحمل » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

وثلاثة آلاف شفي وغراب^(١) في البحر تحمل الموجود . ومن الرجال
المقاتلة من قبيلة كتامة مائة ألف ، ومن البربر أربعمائة ألفاً ، ومن الروم
ستون ألفاً ، وغير هؤلاء من قبائل العرب والمغاربة ، وهو مع ذلك شديد
الخوف من القرمطي .

قال ابن زولاق^(٢) في تاريخ مصر : ولما انقضى شهر رمضان ركب المعز
لصلاة العيد وصلى بالناس ، وكان القاضي ابن النعمان يبلغ عنه في التكبير .
وقرأ في الأولى بعد الفاتحة « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ » ، وفي الثانية بعد
الفاتحة بسورة الضحى ، ثم صعد المنبر وخطب بعد أن سلم على الناس يمينا
وشمالاً ، وذلك بالمصل الذي بناه القائد جوهر^(٣)

قال : وأقام المعز بعد مقدمه أياماً وعزل القائد جوهرًا من جميع ما كان
إليه من النظر على الدواوين وجباية الأموال ، وتبدير الأمور ، وغير ذلك .
والله أعلم^(٤) .

(١) شفي ، أو شاني ، أو شنية ، أو شونة : والجمع : شولقي : سفينة حربية كبيرة ، ومن أسمائها
أيضاً غراب : وجمعها أغربة — معجم السفن الإسلامية ص ٨٣ . ص ١٠٤ .

(٢) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين المصري ، ابن زولاق ، المؤرخ . صنف كتاباً في خطط
مصر ، وكتاباً في أخبار قضاة مصر ، وتوفي سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م — وفيات الأعيان ج ٢
ص ٩١ رقم ١٦٧ .

(٣) هو علي بن النعمان بن محمد بن حيون ، أشركه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في قضاء
مصر مع أبي طاهر الفحل ، وتوفي القاضي علي بن النعمان سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م — وفيات
الأعيان ج ٥ ص ٤١٧ وما بعدها .

(٤) المقصود الجامع الأزهر ، والذي كان يسمى أيضاً جامع القاهرة — المواعظ والاعتبار ج ٢
ص ٢٧٣ .

(٥) وذلك في المحرم سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م — المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٣ .

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي له

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة أهله أمر الأعصم القرمطي
فراى أن يكتب إليه كتاباً يُعلمه فيه أن المذهب واحد . وأن الفريضة
[منهم] ^(١) استمدوا وهم سادتهم في هذا الأمر . وبهم وصلوا إلى هذه
الرتبة ، فكتب إليه المعز كتاباً مشحوناً بالمواظع وضمنه من أنواع الكفر ما
لا يصدُر إلا عن مارقٍ من الدين .

كان عنوان الكتاب :

« من عبد الله وولّيه ، وخبرته وصفيه . معذّ أبي تميم بن إسماعيل ، المعز
لدين الله أمير المؤمنين ، وسُلالة خير النبيين ، ونَجَل [على] ^(٢) أفضل
الوصيين إلى الحسن بن أحمد .

وأول الكتاب :

« رُسُومُ النطقاء ، ومذاهبُ الأئمة والأولياء ^(٣) ، ومسالكُ الرسل
والأنبياء ^(٤) ، السالف منهم والآنف ^(٥) ، صلى الله علينا وعلى آبائنا وأولى
الأئدي والأبصار في مقدّم الدهور والأكوار . وسالف الزمان والأعصار .

(١) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٨ .

(٢) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٩ . انطاخ الحنفا ج ١ ص ١٨٩ .

(٣) « والأنبياء » في كنز الدرر . وفي انطاخ الحنفا .

(٤) « والأوصياء » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ . انطاخ الحنفا . و « الأصفياء » في كنز
الدرر .

(٥) « السالف والآنف منا » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ . في كنز الدرر . وفي انطاخ الحنفا .

(٦) « صلوات الله » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ . وفي كنز الدرر . وفي انطاخ الحنفا .

عند قيامهم بأحكام الله وانتصايبهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار : والانتهاه إلى الإنذار^(١) ، قبل نفاذ الإنذار^(٢) في أهل الشقاق والإصرار^(٣) ، ولتكون الحجّة على مَنْ خالف وعصى والعقوبة على مَنْ باينَ وغوى ، حَسْبَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبَيِّتَ رَسُولًا ﴾^(٤) ، ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾^(٥) .

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جملة من مواعظ هذا الكتاب على ما نفق عليه هناك^(٦) . ومن جملة ما لم نذكره هناك .

أَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأُفُقَدَوِ ﴾^(٧) أَعْلَمُ ﴿ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾^(٨) .

وحشاه بأنواع من الكفر وحضه^(٩) على اقتفاء آثار آبائه وعمومته وموالاتهم ، فقال : إن آباءك كانوا أتباع آبائي . ثم قال فيه بعد الإطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت

(١) « بالإنذار » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٢) « قبل إنفاذ الأقدار » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٣) « والآصار » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٤) « قال الله عز وجل » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنف .

(٥) سورة الإسراء رقم ١٧ آية رقم ١٥ .

(٦) سورة فاطر رقم ٣٥ آية رقم ٢٤ .

(٧) انظر نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٨) « وإنا له ... » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٢ .

(٩) سورة الهزرة رقم ١٠٤ آية ٦ . ٧ .

(١٠) سورة غافر رقم ٤٠ جزء من الآية ١٩ .

(١١) « وحظه » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق . ومع ما جاء في أخبار الدول المنقطعة

مذكور ، لا نرفعُ قدماً ولا نضع قدماً إلا بعلم مصنوع ، وعلم مجموع ، وأجل معلوم . ثم قال فيه : « وأما أنت أيها الغادر [الخائن] ^(١) التاكث المبكين ^(٢) عن هدى ^(٣) آبائه وأجداده ، المنسلخ من دين أسلافه وأناده ، المؤقّد لنار الفتنة ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ، ولا خفي على خبرك ، وإنك متى بمنظر ويمسح ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ^(٤) ، ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيِّعًا ﴾ ^(٥) ففرقنا على أي رأي ضللت ^(٦) وأي طريق سلكت .

وقال في فصل منه : « إنا لسنأ مهمليلك ولا مُهمليلك إلا ريثما يردُ به كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ما يبق ليومك ومعاذك ، قبل انغلاق باب التوبة ، وطول وقت التوبة . حينئذ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ^(٧) . ثم ختمه بأن قال : « فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غم » . فأما ﴿ نُزِيلُكَ بِغُصَّ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوبُكَ ﴾ ^(٨) ، ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ ^(٩) . هكذا رأيت . والثلاوة في سورة يونس ^(١٠) ﴿ أَوْ نَتُوبُكَ ﴾ فإليتنا

(١) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٢ .

(٢) « البائن » في كنز الدرر ج ٦ .

(٣) « عن هوى » في الأصل . والتصحيح من كنز الدرر ج ٦ .

(٤) سورة طه رقم ٢٠ آية ٤٦ .

(٥) سورة مريم رقم ١٩ جزء من الآية رقم ٢٨ .

(٦) « على أي رأي أنت » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٣ .

(٧) سورة الأنعام رقم ٦ جزء من الآية رقم ١٥٨ .

(٨) سورة يونس رقم ١٠ جزء من الآية رقم ٤٦ .

(٩) سورة الزخرف رقم ٤٣ جزء من الآية رقم ٤٢ .

(١٠) « القصص » في الأصل ، وهو تحريف . والتصحيح من القرآن الكريم .

مَرْجِعُهُمْ ﴿١﴾ . فَعِنْدَهَا تَحْسَرُ ﴿٢﴾ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٣﴾ . وَاتَذَرْتَهُمْ ﴿٤﴾ نَارًا تَلْقَى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٥﴾ . ﴿٦﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾ . فليتدبر من كان ذا نذير . وليتفكر من كان ذا تفكير ، وليحذر يوم القيامة ، يوم الحسرة والتدامة ﴿٨﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴿٩﴾ . وَ﴿١٠﴾ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا ﴿١١﴾ . وَيَا لَيْتَنَّا ﴿١٢﴾ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿١٣﴾ . ﴿١٤﴾ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿١٥﴾ . وسلم من عواقب الردى . وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل

قال : فلما وقف الحسن (٩) بن أحمد الفرمطى [على] (١٠) هذا الكتاب المطول (١١) كتب جوابه بعد البسملة : « وصل كتابك الذي كثر تفصيله

(١) سورة يونس رقم ١٠ جزء من الآية رقم ٤٦ . وهو يكمل ما جاء في هامش (٥) .

(٢) سورة الحج رقم ٢٢ جزء من الآية رقم ١١ .

(٣) سورة الليل رقم ٩٢ جزء من الآيات ١٤ - ١٦ .

(٤) سورة الأحقاف رقم ٤٦ جزء من الآية ٣٥ .

(٥) سورة الزمر رقم ٣٩ جزء من الآية رقم ٥٦ .

(٦) سورة الأنعام رقم ٦ جزء من الآية رقم ٣٦ .

(٧) سورة الأعراف رقم ٧ جزء من الآية رقم ٥٣ .

(٨) سورة طه رقم ٢٠ جزء من الآية رقم ٤٧ .

(٩) « الحسين » في الأصل ، وهو محريف ، والتصحيح مما سبق .

(١٠) [] إضافة يقتضيها السياق .

(١١) انظر فقرات مطولة من هذا الخطاب في كل من : اتعاظ الخفا ج ١ ص ١٨٩ - ٢٠١ ، كنز

الدرر ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٦ .

وقالَ تحصيله ، ونحن سائرون على إثره . والسلام ^(١)

وقيل إنه كتب : « والجوابُ ما تراه دون ما تسمعه » ^(٢) .

وقيل [٤٥] إنه كتب إليه :

ظننت رجالَ الغرب أن سُهولتي بمحالها ، وأخو المِحال ذليل
إن لم أروُ النيلَ من ديمهم ، فلا نلت المُرَاد ، ولا سقاني النيل

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . في شعبان ، بلغت مقدمة القرامطة إلى
أرياف مصر وأطراف المحلة ^(٣) . فنهوا ، واستخرجوا الخراج ؛ واشتهر
الأعصم القرمطي ببليس فتأهب المعزُ لملقائه ، وعرض العساكر ، وفرق
فيهم الأموال والسلاح .

وسير جيشاً قدّم عليه ولده الأمير عبد الله ^(٤) ، فالتقى مع الأعصم ،
فانهزم القرمطي وأسر جماعة من رجله ، وجهز جيشاً آخر قدّم عليه ريان
الصلبلي في أربعة آلاف فارس . فأزال القرامطة عن المحلة ونواحها .

(١) انظر أيضاً نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣١١ . انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٠٢ ، كنز الدرر ج ٦
ص ١٥٦ ، الكامل ج ٨ ص ٦٣٨ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ .

(٣) المحلة : في محافظة الغربية . وقد ورد في انعاظ الحنفا « وانبطت سرية القرمطي في نواحي
أسفل الأرض » أي الوجه البحري - ج ١ ص ٢٠٢ . وانظر أيضاً المنتقى من أخبار مصر
ص ١٦٥ .

(٤) توفي الأمير عبد الله في شهر جمادى الأولى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م - في يوم ٢٣ من الشهر في
المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٦ . وفي انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢١٧ . وفي التاسع من جمادى
الأولى في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ .

وفي هذا الوقت ورد الخبر من الصعيد الأعلى أن عبيد الله (١) أخا الشريف مسلم أوغل في الصعيد واستخرج الأموال ، وقتل ألفاً من المغاربة . وفي هذه السنة ، في الحرم منها ، أنبسطت المغاربة في نواحي القرافة ، ونزلوا في الديور ، وأخرجوا الناس من أماكنهم ، وشرعوا في السكن في المدينة ، وكان المعز أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة ، فاستغاث الناس إلى المعز فأمر أن يسكنوا نواحي عين شمس ، وركب بنفسه وشاهد المكان ، وأخبرهم بالبناء فيه ، وهو الموضع المعروف الآن بالخنديق (٢) ، وجعل لهم والياً وقاضياً ، ثم سكن أكثرهم بالمدينة مخالطين للناس .

ذكر فتح طرابلس الشام

كان فتحها في سلخ شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة ، على يد ريان الخادم غلام المعز ، وهرب ابن الزنات بعد أن كان نصب عليها الصليان وجعلها للروم . وفي مجامد الأولى منها سار نصير الخادم غلام المعز في عسكر كثير ، ودخل إلى بيروت ، وتواقع مع الروم على طرابلس وهزمهم ، وكانت الوقعة في نصف شعبان .

(١) « عبد الله بن عبيد الله » في انعاظ الحفاظ ج ١ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) « وخنديق العبيد » في انعاظ الحفاظ ج ١ ص ١٤٥ .

والخنديق : خارج باب الفتح ، كانت تعرف بجنة الأصبع . واشتهرت باسم الخندق لمروء الخندق الذي حفره جوهر بها ، ومكانها حالياً المنطقة الواقعة حول دير الملاك البحري من منطقة حدائق القبة ضمن القاهرة .

المواعظ والاعتبار — ج ٢ ص ١٣٦ ، القاموس الجغرافي ق ١ ص ٥٦ .

وفي هذا الشهر وصل الخبر إلى المعز بوصول أفنكين التركي من بغداد إلى دمشق بقصد مصر. فشرع المعز في تجهيز العساكر.

وفي شهر رمضان منها كثرت الأراجيف بمسير الروم إلى الشام لأن أفنكين التركي كاتب ابن السهسكى (١) فسار بالروم إلى بيروت، فلقبهم نصير غلام المعز فهزموه وأسروه. وتوجهوا إلى صيدا فخرج إليهم أفنكين التركي وقبّل الأرض لابن السهسكى وهادته على دمشق، وسار ابن السهسكى إلى طرابلس، فخرج إليه ريان الخادم بعساكر المعز فقاتله وهزمه، وقتل مقتلة عظيمة من عامة عسكره. وانصرف ابن السهسكى مغلولاً؛ فسّر المعز بذلك. وهناك الناس بهذا الفتح، ومدحه الشعراء (٢).

ذكر وفاة المعز لدين الله وشيء من أخباره

كانت وفاته بالقاهرة لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة؛ وقبل في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من الشهر (٣). وكانت مدة حياته خمسا وأربعين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، ومدة مقامه بمصر ستين وسبعة أشهر وأياماً.

(١) هكذا بالأصل، والمقصود الأمير بطور البيزنطي ابن الشمشيق — انظر ما سبق، وورد اسم «ابن السبيق» في انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٠.

(٢) انظر انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢٦ — ٢٢٢.

(٣) هناك اختلاف في تحديد يوم وفاة المعز لدين الله. انظر مثلاً: انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢٩ حيث يعلل سبب الاختلاف بإخفاء خبر وفاة المعز «ولم يظهر ذلك ولا نطق به أحد مدة ثمانية أشهر» — وانظر أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٨، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٤ وما بعدها.

وكان نقش خاتمه : يَتَصَرَّ العَزِيزُ العَلِيمُ يَتَصَرَّ الإمام أبو نعيم . وقيل : كان لتوحيد الإله الصمد دعاء الإمام ^(١) معذ . وقيل : لتوحيد الإله العظيم دعاء الإمام ^(٢) أبو نعيم .

أولاده : أبو المنصور نزار نعيم الظاهر ^(٣) ، وبه كفى ، توفي بمصر في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، الأمير عقيل ، توفي في شعبان من السنة ، وسبع بنات .

قضاته : قضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعى ، مات بمصر في سبيل جهادى الآخرة سنة خمس وستين وثلاثمائة ، ولم يَلِ القضاء بها ، واستقضى بالمغرب أباطالب أحمد بن القائم ^(٤) بن محمد بن المنهال ، ولما وصل إلى مصر وجد القائد جوهرًا قد استخلف على القضاء أباطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلى البغدادي ، وهو القاضي على أيام كافر . فأقره ، وكان أبو سعيد عبد الله ^(٥) بن محمد بن أبي ثوبان حكم بمصر بين المغاربة الجند والتجار إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين ، فتولى القضاء أبو الحسن علي بن النعمان على قاعدته إلى أن مات [٤٦] أبوطاهر ، فقضى أبو الحسن على الجميع .

كتابه : كان جوهر قد فوض تدبير الأموال في أيامه إلى علي ابن العرمم

(١) ، ٢ : « الإله » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٣٠ .

(٣) « الشاعر » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٨ .

(٤) « بن القسم » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٨ . « بن أبي القاسم » في انعاظ الحنفاء ج ١ ص ٢٤٧ . ورد إلى مصر بأهله وأولاده في شوال ٣٦٨ هـ / مايو ٩٧٩ م - انعاظ الحنفاء ج ١ ص ٢٤٧ .

(٥) قدم صحبة المعز من بلاد المغرب ، فولاء نظر المظالم بمصر ... ذيل الولاة والفضاة ص

وأبي محمد الرودباري ، ورجاء بن صولات^(١) ، وعبدالله بن عطاء الله ،
وأبي الحسن الكرجي^(٢) ، وردّ تدبير هؤلاء الكتاب إلى الوزير أبي الفضل
جعفر بن الفضل بن القرات . واستقرّ الأمر بعد وصول المعزّ على عسلوج ،
وبعقوب بن يوسف .

وَمِمَّنْ وزر للمعزّ يعقوب بن كلّس ، وهو أول وزراء دَوْلَتِهِمْ بمصر ، وهو
من جملة كتاب الدولة الإخشيدية . وسنذكر خبره إن شاء الله مُستوفًى في
أخبار العزيز .

حاجبه : جعفر بن عليّ إلى أن تُوفّي ، فوَلَّى عَار بن جعفر ، والله أعلم
بالصواب .

ذكر بيعة العزيز بالله

وهو أبو المنصور^(٣) نزار^(٤) بن المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهديّ ،
وهو الخامس من ملوك الدولة العبّيدية ، والثاني من ملوك مصر والشام منهم .
كان قد وَلَّى العَهْد من أبيه في حياته ، ثم بايعه الناس في يوم وفاته أبيه ،
لِسَبْعٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الآخر سنة خمسٍ وستين وثلاثمائة .

(١) « ابن صولاب » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٢٩ .

(٢) « الكرجي » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٩ .

(٣) « وهو ابن المنصور » في الأصل . وهو تحريف .

(٤) انظر ترجمته وأخباره في : وقفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ . أخبار الدول المنقطعة

ص ٣١ وما بعدها ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ١٧٤

وما بعدها ، انماض الحفا ج ١ ص ٢٣٦ وما بعدها ، المرائع والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٤ وما

بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٢ وما بعدها ، الكامل ج ٨ ص ٦٦٥ وما بعدها .

حكى الرئيس ابن القلانسي في تاريخ الشام في سبب بيعة العزيز الأولى أن أباه المعز لدين الله كان مُعَرِّمًا يعلم الشُّجُوم والنَّظَرُ فيما تقتضيه أحكام مولده ، فحكم له بقطع ، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه ، فأشار عليه أن يعمل له سرداباً تحت الأرض ويتوارى فيه مدة إلى حين زوال ذلك القطع . فصنع ذلك وأحضر وجوه دولته ، وقال لهم : إنَّ بيني وبين الله عهداً وعُدَّتِيهِ قد قرب أوانه ، وقد جعلت عليكم ولدى تزاراً ، ولقَّيته بالعزيز بالله ، واستخلفته عليكم وعلى تدبير أحوالكم مدة غيبتي ؛ فالزموا الطَّاعة والمناصحة له . فقالوا : نحنُ عبيدُك وخدمُك . فأخذ البيعة له ووَصَّاه بما أراد ، وجعل القائد جوهرًا مديبرًا لأُمُوره ، ونزل السُّرداب الذي اتخذهُ ، وأقام به سنة . فكانت المغاربة إذا رأوا سحاباً ترجَّلوا على الأرض وأومؤا بالسلام عليه . ثمَّ خرج بعد ذلك ، وجلس النَّاس ، فدخلوا على طبقاتهم وسلَّموا عليه ؛ ولم يلبث بعد ذلك إلا مدةً يسيرة ، واعتلَّ بِمَات (١) .

ذكر الحرب بين أفتكين التركي وعساكر العزيز بالله

ولنذكر ابتداء أمر أفتكين (٢) لتأق أخباره بسياقه .

هو أبو المنصور أفتكين المعزى ، أحد ممالك معز الدولة بن بويه (٣) وكان سبب وصوله إلى الشام أنه لما وقعت الفتنة بين الترك والديلم ببغداد

(١) انظر الكامل ج ٨ ص ٦٦٤ .

(٢) « هفتكين » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٧٥ . أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ . « الفتيكين في ذيل تاريخ دمشق . والكامل ج ٨ ص ٦٥٦ و « أفتكين » في انماط الحنفا ج ١ ص ٢٣٨ .

(٣) هو معز الدولة أبو الحسين أحمد . حكم العراق في الفترة من ٣٢٠ - ٣٥٦ هـ / ٩٣٢ - ٩٦٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ .

وكتب أُنْكَين في أثناء هذه القضية إلى مولاه ببغداد يقول إنَّ الشام قد صفا في يدي ، فإن سَيرت إلى عسْكَراً ومالاً وسلاحاً ففتحْ ديار مِصر ، فبعث إليه الجواب : عرك عرك فصارَ فصار ذلك ذلك فأنْخَسَ فأنْخَسَ ففعلْكَ ، فعَلْكَ تَهْدأْ بهذا . فلما أُيسَ أُنْكَين من إنْفاذ العساكر إليه من بغداد اضْطُرَّ عند ذلك إلى مُكَاتَبَةِ القرامطة ، فقصده ووافوه في سنة خمسٍ وستين وثلاثمائة ، وكان الذي أنباه منهم إسحاق ، وكسرى ، وجعفر ، فترلوا بظاهر دمشق ، ووافاه معهم كثيرٌ من العجم . فأكرمهم أُنْكَين وحمل إليهم الميرة ، فأقاموا أياماً وتوجَّهوا إلى الرملة ، فخرجت إليهم عساكر السَّاحل ، واقتلوا ، فهزَمهم أُنْكَين ، وقتل منهم مقتلةً عظيمة .

(٢) انظر الكامل ج ٨ ص ٦٥٦ وما بعدها .

وكان على الساحل ظالم بن موهوب العقيلي ، فانهزم إلى صور . وأحصى القتلى فجاءوا أربعة آلاف فارس ، فكتب العزيز بن المعز أفتكين واستأله ووعدّه إن وطئ بساطه أن يرفع منزله . فأبى إلا مخالفته ، وأغلظ له في الجواب . فاستشار العزيز وزيره يعقوب بن كلّس فيما يفعله فأشار عليه بإخراج [٤٧] جوهر القائد إليه بالعساكر ، فشرع العزيز في ذلك وجّه جوهرًا فلما سمع أفتكين ذلك عاد إلى دمشق واستشار أهلها ، وقصد التوجّه لبلاد الروم ، وكان أهل دمشق يكرهون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ، فطمأنوه ، وثبّثوه ليلقاء عساكر مصر . وخرج جوهر في العساكر العظيمة بعد أن استصحب أمانًا من العزيز لأفتكين^(١)

فلما وصل جوهر إلى الرملة كاتب أفتكين ولأطفه ، وعرفه ما معه له من الأمان ، فلاطفه أيضًا أفتكين في الجواب واعتذر إليه بأهل دمشق ، فعلم جوهر أنه لا بدّ من الحرب . فسار إليه ونزل بالشامية^(٢) فبرز إليه أفتكين ، ونشبت الحرب بين الفريقين مدة شهرين ، وقتل من الطائفتين عدد كثير . وظهر من شجاعة أفتكين ما عظم به قدره في النفوس ، فأشار عليه أهل دمشق بمكاتبة أبي محمد الحسن بن محمد القرمطي واستدعائه لدفع عساكر مصر ، فكتبه فاتاه القرمطي ، فعلم جوهر أنه إن أقام استظهر أفتكين عليه ، فرجّع إلى طبرية وتبعه أفتكين والقرمطي فقاتلاه ؛ فانهزم إلى عسقلان فتبعه أفتكين وحصره بها حتى أشرف جوهر على الهلاك ، فصالحه ، ووقع الصلح

(١) انظر اتماظ الحنفا ج ١ ص ٢٢٨ ، الكامل ج ٨ ص ٦٥٨ ، وكنز الدرر ج ٦ ص ١٧٥ .

أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ .

(٢) الشامية : محلة بدمشق — معجم البلدان .

بينها على أن يخرج جوهر وأصحابه حفاة عراة لاشئ بستر عورتهم (١).

وكان العزيز قد خرج من الديار المصرية لإغاثة جوهر ، فلقبه في الطريق على تلك الحال ، فأنهيه جوهر أن كتابة خذلوه فقبض عليهم ، ثم أظهر الغضب على جوهر وعزله عن الوزارة .

ذكر حرب أفتكين وأسره

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، في المحرم منها ، وصل العزيز بالله إلى الرملة وأفتكين وعسكره بالطولحين ، ووقع المصاف بينهما ، ونشبت الحرب في يوم الخميس سابع الشهر . فانهزم أصحاب أفتكين وقتل عامتهم وشوهد العزيز في هذا اليوم وقد انفرد عن عسكره وصلى على الأرض وهو يقول : اللهم ارحمني وارحم من وراءى من هذه القبلة ، وانصرفى ، لما أستمذ النصر إلامنك ، وهو يعقر وجهه على التراب ويكي ، ثم ركب وقد انتصر عسكره ، وجرى إليه بأفتكين أسيرا ، أسره مفرج بن دغفل ابن الجراح الطائي (٢) أمير طيبي ، فجاء به وفي عنقه جبل ، فأحسن إليه العزيز لما رأى من شجاعته ، ومنّ عليه ، ورجع به إلى مصر ، فأقام بها إلى أن مات في سنة سبعين وثلاثمائة ، والحجّاب والأكابر يركبون إلى داره .

ولما رجع العزيز هناك الناس بهذا الفتح ، وملحه الشعرا . فنههم الحسين

(١) عن الصلح بين أفتكين وجوهر ، انظر ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ ، الكامل ج ٨ ص ٦٥٩ ، انماط الحنفا ج ١ ص ٢٤١ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٣٦ .

(٢) « وسار العزيز وعلى مقدمته حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي » في انماط الحنفا ج ١ ص ٢٤٢ .

ابن عبد الرحيم الزلالي بقصيدته التي أولها :

لَاحَ لِلْحَقِّ شَهَابٌ فَوْقَهُ فَرَأَى قَاصِدُهُ أَتَيْنَ قَصْدَ
بِالْعَزِيزِ بْنِ الْمُعَزِّ اعْتَصَدْتُ دَوْلَةَ الْحَقِّ ، وَبِاللَّهِ اعْتَصَدُ
بِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرتَضَى وَعِمَادَ الدِّينِ ، وَالرَّكْنَ الْأَسَدُ
بِزَنْزَارِ بْنِ مَعْدٍ ، وَهَمَّا خَيْرَ أَمْنَاءِ تَزَارٍ بْنِ مَعْدٍ (١)
ومنها :

أُضْلِحَ الشَّامَ بِمَا دُبِرَهُ وَتَلَافَاهُ ، وَقَدْ كَانَ فَسَدَ
أَطْفَاءَ الْفُشْنَةِ فِيهِ ، بَعَلِمَا أُسْرِقَ التَّرْكِيُّ فِيهَا وَرَعَدَ
وَكَانَ عَوْدُ الْعَزِيزِ إِلَى مِصْرَ وَوَضُولُهُ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لَسْتُ نَقِينِ مِنْ
شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة ، في ثامن عشر شهر ربيع الأول ، تزوج
العزیز بابنة (٢) عمه ، وأتمهرها مائتي ألف دينار عينا .

ذكر فتوح اللاذقية

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، في حادى عشر شهر ربيع الأول ، ورد
كتاب نزال (٣) يذكر فيه أنه واقع الروم بساحل الشام ، وكسرهم ، وأخذ

(١) المقصود في أول البيت هو العزیز بالله . وفي آخره الجدان الثامن عشر والتاسع عشر للرسول
عليه الصلاة والسلام .

(٢) « وعقد العزیز على امرأة » في انماط الحفاج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) نزال وإلى طرابلس من قبل الخليفة الفاطمي . تكملة تاريخ ابن البطريق ص ١٦٦ .

اللاذقية . ثم ورد نزال من الشام في العاشر من جُمادى الآخرة ، ومعه نحو خمسمائة نفر من الروم أسرى في السلاسل .

وفي هذه السنة وصل من تَبَسَّ رجل وامرأة بمولودة لها رأسان ووجهان وأربع أيدي كاملة الخلق في جسد واحد ، وسنها دون الشهرين .

وفيها كان الثورُوز يسيرُ خلَّون من شهر ربيع الأول وأكل الناس [٤٨] الرُّطب قبل الثورُوز على عادتهم ، وأصرمت النخل^(١) ، ولم يبقَ عليها شيء . ألبته ، ثم حمل النخل ثانياً ، فأكل الناس البلح والبُسْر مرةً ثانية ، ولم يتفق مثل ذلك في زمنٍ من الأزمنة .

ذكر فتح قنسرين وحمص

وفي سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاثمائة ، في شهر ربيع الأول منها ، دخلت عساكر العزيز إلى قنسرين وحمص ، وأقاموا الدعوة لهُ بها .

وفيها في ثامن شوال صرَّف العزيزُ وزيره يعقوبَ بن كلَّس واعتقله ، وحمل من ماله خمسمائة ألف دينار ، ثم أفرج عنه بعد ذلك ، وأعادته إلى الوزارة ، في سنة أربع وسبعين ، ووهب له العزيز مالاَ كثيراً وألفاً وخمسمائة غلام تكون في خدمته ، وإليهم تنسب حارة الوزيرية^(٢) بالقاهرة .

(١) أصرم النخل : حان له أن يعصر أى يقطع . القاموس .

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥

وفي هذه السنة اشتد الغلاء بمصر وبلغت حملة الدقيق الجُشكار^(١) أحد عشر دينارًا والعلامة اثني عشر دينارًا ، والحملة ثلاثمائة رطل بالمصرى .
وفيهما في العشرين من ذى القعدة ورد الخبر أن ابن حَمْدان^(٢) خطب للعزيز بحلب والجزيرة كُنه .

وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة خُطب للعزيز بمصر الثمان .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة استجدَّ العزيز في جامع مصر^(٣) العين الفؤارة ، ودامت إلى أيام العاضد ، فحرمت في الحريق في سنة أربع وستين وخمسمائة . ثم جددَها الملكُ العادلُ أبو بكر بن أيوب . وفيها لأَعَنَ القاضي محمد بن الثَّمان بين رجلٍ من لدن عقيل وامراته .

وفي سنة ثمانين وثلاثمائة اختطَّ العزيز الجامع بالقاهرة ، وهو الجامعُ المعروف بالحاكم^(٤) بباب الفتوح .

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة خرج منير والى دمشق على العزيز بالله^(٥) ، وقتل ابن أبي الغرّاد^(٦) الكاتب ولحقه بشارة الإخشيدى ، فسار

(١) الجشكار أردا انواع الدقيق ، والعلامة أجود أنواعه ، ومازال هذان الاصطلاحان يستعملان بهذا المعنى في الريف المصرى .

(٢) هو سعد الدولة أبو المال شريف بن سيف الدولة أبو الحسن على ، الذى ولي حكم حلب في الفترة من ٣٥٦ - ٣٨٩ هـ / ٩٦٧ - ٩٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٣) المقصود جامع عمرو بن العاص والإشارة فيها إلى الحريق الذى أشعله شاوور في القسطنطينية - المرواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥٩

(٤) جامع الحاكم بأمر الله ، نسب إلى الحاكم لأنه هو الذى أكمل بناءه - المرواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٥) « وبلغ العزيز أن منير بكاتب صاحب بغداد » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

(٦) كان على الحراج بدمشق - اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

نزال وإلى الرملة إلى دمشق ، فحاربه منير ، فهزمه نزال . وكانت الوقعة بمرج عذراء^(١) في تاسع شهر رمضان وهرب منير يريد حلب ، فأخذه العرب وأحضره إلى دمشق لنزال ، فوجدوا منجوتكين^(٢) قد وصل إليها فأخذ منيراً وحرسه على جمل وإلى جانبه قرد وعليه طرطور .

وأقام منجوتكين بدمشق بقية سنة إحدى وثمانين . وأمدّه العزيز في سنة الثنتين [وثمانين]^(٣) خمسمائة فارس وخزانة وسلاح صحبة صالح بن علي وجيلين التركي ، فاشتمل عسكر منجوتكين على ثلاثة عشر ألف فارس فطمع في ملك حلب بحكم وفاة صاحبها سعيد الدولة^(٤) بن حمدان فحشد وخرج إليها في ثلاثين ألف فارس ونازلها . وفتحها في شهر ربيع الآخر . وبقيت القلعة بيد أبي الفضل بن سعيد الدولة بن حمدان ولؤلؤ ، فكانتا بسيل^(٥) ملك الروم ، فكذب لصاحب أنطاكية ، وهو من قبيلة ، بأن يجمع العسكر ويتوجّه إلى حلب لنصرة صاحبها . ودفع المغاربة عنها ، فسار إليها في خمسين ألف راجل .

وقال المسبّحي : كان عسكر الروم سبعين ألفاً وعسكر منجوتكين خمسة وثلاثين ألفاً .

(١) مرج عذراء : نسبة إلى قرية عذراء بقرية دمشق — معجم البلدان .

(٢) منجوتكين : كان من أصلهم العزيز بالله من الأتراك ، اتعاط الحنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) [إضافة للتوضيح .

(٤) « سيف » في الأصل ، وهو تحريف .

وهو سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد ، الذي حكم حلب في الفترة من ٣٨١ - ٣٩٢ هـ /

٩٩١ - ١٠٠٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٥) هو الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذي ولي عرش الامبراطورية البيزنطية في الفترة من

٩٧٦ - ١٠٢٥ م — أوروبا في العصور الوسطى .

فنزّل الروم على جسر الحديد بين أنطاكية وحلب ، فأشار أصحاب منجوتكين عليه بقصد الروم ، فتوجه نحوهم ^(١) وانضم إليه جماعة من بني كلاب ، فالتقوا فانكسرت عساكر الروم ، وغنم منجوتكين ومن معه الغنائم الجزيلة . وجمع من رؤوس الرؤوم مقدار عشرة آلاف رأس ، فسيّرها إلى مصر .

ونبع منجوتكين الروم إلى أنطاكية ، وأحرق ضياعاً ، ونهب رساتيقها ^(٢) ، ورجع إلى حلب . فعزل لؤلؤ مقدم حلب على رجوع منجوتكين عن بلده ، فكاتب أبا الحسن بن المغربي وزير منجوتكين وخوَّاه أن يحسُّوا له الرجوع إلى دمشق والعود إلى حلب في العام المقبل ، ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة . فذكروا ذلك لمنجوتكين فصادف هذا الرأي منه موقعاً لسوقه إلى دمشق ، فرجع عن حلب .

ولما بلغ العزيز رجوعه عنها اتزعج لذلك وعلم أنه بتدبير وزيره ابن المغربي ، فعزله عن وزارة منجوتكين ، وولى صالح بن علي الروذباري .

وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ظهر من الجراد والكأة ^(٤) على جبل المقطم بمصر ما لم يعهده مثله ، فخرج الناس إليه وجعلوا يدخلون القاهرة

(١) « نحوهم إليهم » في الأصل .

(٢) رستاق ، رستاق — رساتيق ، ومنها رزداق ، ورزداقات : القرى وما يحيط بها من الأراضي .
فارسي معرب — القاموس .

(٣) « أن يحسُّوا له » في الأصل . والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) الكأة — أكمؤ : نبات يسمى شحم الأرض . مثل القلقاس — لا ساق له ولا عرق ، عديم الطعم ، يؤكل نباتاً ومطبوخاً — القاموس

ومصر في كلِّ يوم . فبيع الجراد أربعة أرتال بدرهم ، والكأفة سبعة أرتال بدرهم .

وفيها في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة احترقت صناعة الإنشاء^(١) بمصر بما فيها من المراكب الخربية وآلات السلاح وغير ذلك ، فأنهزم الأمراء بذلك . فقتل منهم مائة وسبعة نفر . ثم أحضر عيسى ابن نسطورس من بقي من الروم فاعترفوا بذلك . فأمر العزيز بالله أن تُنهب كنيسة الروم ، فنهبت وأخذ منها ما ينيف عن تسعين ألف درهم .

[٤٩] ذكر وفاة العزيز بالله وشيء من أخباره

وأخبار وزيره يعقوب بن كلس
ومن ولى بعده

كانت وفاة العزيز بالله بعد الظهر من يوم الثلاثاء لِلَّيْلَتَيْنِ بقيتا من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بليس في مسلخ الحمام بعلق القونج والحصاة^(٢) .

وكان مولده بالمهدبة في يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

(١) المقصود دار صناعة السفن . وقد ورد الخبر في أحداث شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٦ هـ في

تماظ الحنفا ج ١ ص ٢٩٠

(٢) « الحص » في الأصل

وكانت مدة حياته اثنتين وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ،
ومدة ولايته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً^(١) .

وكان أسمر ، طويلاً ، بدينًا ، أشهلاً ، أعين ، أصهب الشعر ، عريض
المنكبين . وكان لا يُؤثر سفك الدماء .

قال المؤرخ : وجُدّد في أيام العزيز من الأبنية قصر الذهب^(٢) ، وجامع
القرافة^(٣) والفوّارة وبستان السردوس^(٤) . وقصور عين شمس ، والمصلّى
الجديد بالقاهرة . وهو أول من بنى دار الفطرة^(٥) ، وقرر الرواتب ، وسنّ
إعطاء الضّحايا للأولياء . وكان قريباً من الناس ، بصيراً بالخیل والجوارح
والصيد .

ولده : أبوعلی المنصور ، وهو الحاكم بأمر الله .

(١) « عشرة » في الأصل ، والتصحيح من المتنق من أخبار مصر ص ١٧٥ ، اتماط الحنفا ج ١
ص ٢٩٢ .

وفي كنز الدرر « عشرة أيام » ج ٦ ص ٢٣٨ .

(٢) قصر الذهب : قاعة الذهب ، وكان يقال لها قصر الذهب ، أحد قاعات القصر الكبير الذي
هو قصر المعز لدين الله - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٨٥ .

(٣) جامع القرافة : كان موضعه يعرف عند فتح مصر بخطّة المغافر . أنشأته السيدة تغريد والدة
العزيز بالله ، على نحو بناء الجامع الأزهر . وذلك في شهر رمضان سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م -
المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٨ .

(٤) السردوس : قرية قديمة ، تعرف اليوم باسم باسوس ، إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة
القليوبية - القاموس الجغرافي ق ١ ص ٦٩ .

(٥) دار الفطرة : أنشأها العزيز بالله خارج القصر ، وهي عبارة عن حائل أو مخزن لجميع أنواع
الحلوى التي تفرق ، في النصف الثاني من شهر رمضان . المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٥ .

ذكر أخبار الوزير يعقوب بن كلس

وكنيته أبو الفرج ؛ وهو أول من خوطب بالوزارة في دولتهم . وكان يهودياً من أهل بغداد ، فهاجر منها إلى الشام وتزل الرملة ، فجلس وكيلاً للتجار بها . فاجتمع عنده مالٌ فاكْتُتِرَه ، وسافر إلى مصر . واتصل بخدمة كافور ، فتاجر في متاع كان يُجلبه بِكَمَتِهِ على الضياع ، فكان إذا احتيل على عمله بالمو لا يُخرج منه حتى يعلم مستخرجه ونفقته وارتفاعه ؛ فعلم أحوال ديار مصر ، فأخبر كافور به ، فقال : لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً . فبلغه ذلك ، فأسلم على يدى كافور ، في يوم الجمعة في الجامع العتيق ، في سنة خمسين وثلاثمائة .

ثم تعلقت به مطالبات ديوانية في الدولة الإنشيدية فهرب بسببها من مصر ، فلقى العسكر المغربي قاصداً مصر فعاد في صحبته ، فلما ملك القائد جوهر مصر تصرف ابن كلس في الأمور الديوانية مدة أيام المعز ، ثم انتقل إلى خدمة ولده العزيز ، فاخص به وتمكّن منه . واقتنى الأموال ، فاستوزره في يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان سنة ثمان وستين^(١) وثلاثمائة ، وأقطعه بمصر والشام في كل سنة ثمانية آلاف دينار . ووسط يده في الأموال ، وكتب اسمه على الطرز^(٢) ، وابتدأ بنفسه في اللكائنات والعنوانات . من يعقوب بن يوسف وزير أمير المؤمنين :

(١) « سنة خمس وستين » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨ . وذيل تاريخ دمشق ص ٣٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٢٢٧ .

(٢) طراز - طرز : محملة فارسية تعنى الرداء المحلى . وكانت الحلية أشرطة من الكتانة ، ثم صارت الكلمة تطلق على الدار التي تصنع بها هذه الأشرطة - عن دار الطراز في العصر الفاطمي انظر خزائن الكسوات ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٩ .

وتمكن من الدولة حتى أَسْقَطَ المغاربة ، واستخدم المشاركة ، في سنة سبعين وثلاثمائة ، من التُّرك والإعشيديّة . وأذلَّ جوهرًا الرُّومى غلامًا للمعز وجعله على الرِّمّة . وكان [جوهر] ^(١) يقول : قبح الله طول هذا العمر الذى أخرج لمثل هذا .

ثم نكبه العزيز النكبة التى ذكرناها في سنة ثلاث وسبعين ، ثم أطلقه وأعادته إلى الوزارة ، وقال له : عَزَلْتُ بالإغراء ، ورُوِّدْتُ بصمم الآراء . وروى له ألفًا وخمسمائة غلام كما ذكرنا ^(٢) .

ولم يزل ابن كلس على ذلك إلى أن توفى لَيْسَتْ خُلُوكٌ من دى الحجة ، سنة ثمانين وثلاثمائة .

ولمّا مرض مَرَضَتُهُ التى مات فيها ركب العزيز إليه ، وعَادَهُ ، وقال له : وَدَدْتُ أَنَّكَ تَبَاعُ فَأَبْتَاعَكَ بِمَلِكِي ، وولدى .

ولمّا مات أمر العزيز أن يُدْفَنَ في داره في قُبّة كان بناها لنفسه ، وحضر جنازته وصلى عليه ، وألحده في قبره .

وبلغ قيمة الكفن الذى أنْفَذَهُ العزيزُ له ، وهو خمسون ثوبًا مثقلة سبعة آلاف دينار . وأنصَرَفَ من دفنه ، وأظهر الحُزْنَ وأغلق الدّواوين ثمانية عشر يومًا ، وعطل الأعمال أيامًا ، واشتملت تركته على مال عظيم .

ولم يستوزر [العزيز] ^(٣) بعده أحدًا بل ضمن أموال الدولة بجماعة من المستخدمين وجعل الغالبَ عليهم عيسى بن نسطورس التصرانى ، فقال إلى

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) انظر ما سبق .

(٣) [إضافة للتوضيح .

التنصاري وقلدهم الأعمال . واستتاب بالشام منشأ بن إبراهيم اليهودي فقدّم اليهود ومال إليهم ، وأطرح المسلمين ، فوقّعت للعزیز امرأة يدها قصّة مكتوبة فيها : يا أمير المؤمنين بالذي أعزّ التنصاري بابن نسطورس وأعزّ اليهود بمنشأ بن إبراهيم وأذلّ المسلمين بك إلا ما نظرت في أمرى وكشفت ظلامي^(١) ! فقبض العزيز على عيسى ، وكتب بالقبض على منشأ بالشام ، ثم شفعت ستّ الملوك ابنة العزيز في عيسى فردّه إلى ما كان عليه ، وحمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار ، وشرط عليه استخدام المسلمين في دولته وأعماله .

قضاته : أبو طالب محمد بن أحمد البغدادى إلى أن استعفى ، ثم على بن النعمان إلى أن توفى في شهر رجب سنة أربع وسبعين ، فردّ القضاء إلى أخيه أبى عبد الله محمد بن النعمان .

حُجّابه : الأمير منجوتكين [٥٠] ، القائد باروخ .

ولمّا مات العزيز قام بالأمر بعده ولده أبو على المنصور .

ذكر بيعة الحاكم بأمر الله

وهو أبو على المنصور بن العزيز بالله نزار ، بن المعز لدين الله أبى تميم معدّ ، بن المنصور بن نصر الله أبى طاهر إسماعيل ، بن القائم بأمر الله أبى القاسم محمد ، بن المهدي عبيد الله . وهو السادس من ملوك الدولة العبيدية ، والثالث من ملوك مصر والشام منهم .

باجع له أبوه العزيز قبل وفاته ببليس ، وكان ولّى قبله ابنه محمدًا فهلك في حاة أبيه العزيز ، ثم جُدّدت البيعة للحاكم بأمر الله صبيحة وفاة أبيه في

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٤١ . الكامل ج ٩ ص ٧٧ . ص ١١٦ .

يوم الأربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، ولبس أثواب الخلافة ، وتعمم بعمامة عليها الجواهر ، وعمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر^(١) . وتولى كفالته برجوان^(٢) الخادم ، وقام بأمر الجيوش وتبدير الدولة أبو محمد حسن بن عمار ابن أبي الحسين ، وتلقب بأمين الدولة ، وهو أول من لقب في دولتهم بمصر ، وكان ذلك بوصية من العزيز . قال : وكان الكتاميون قد أضعفهم الوزير ابن كلّس ، فأظهرهم ابن عمار وردّهم إلى ما كانوا عليه .

ذكر القبض على الوزير عيسى بن نسطورس النصراني وقتله

كان القبض عليه في تاسع شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة : وذلك أن ابن عمار أتهمه بالإغراء عليه ومباينة منجوتكين ، فبسط عليه العذاب ، واستخرج منه سبعمائة ألف دينار ، ثم أخرجه لثلاث بقين من المحرم سنة سبع وثمانين على حمار ، إلى المقس ، وضرب عنقه هناك . رحم الله ابن عمار الأمر بقتله ، فلقد حُكي عنه من جوره على المسلمين وأطراحه لهم ما لا مزيد عليه . حكى الأثير بن بيان المصري أن بعض رؤساء المصريين كتب ورقة يعاتب فيها عيسى على قُبْح فعله مع المسلمين وبالغ فيها فأجابه عيسى عنها يقول :

(١) ولد بالقاهرة في ٢٣ ربيع أول ٣٧٥ هـ - انماط الحنفا ج ٢ ص ٣ . المتقى من أخبار مصر ص ١٧٦ . وورد أنه ولد في ربيع الآخر في أخبار الدول المنقطعة ص ٦٠ .

(٢) هو الأستاذ أبو الفتح برجوان ، من خدام العزيز بالله ، قتل سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م - وفيها الأعيان ج ١ ص ٢٧٠ رقم ١١٢

«إن شريعتنا متقدمة ، والدولة كانت لنا ثم صارت إليكم ، فجزئتم علينا بالجزية والدلة ، فحق كان منكم إلينا إحسانٌ حتى نطالبونا بمثله! إن مانعناكم فانتقمونا ، وإن سألناكم أهتمونا ، فإذا وجدنا لكم فرصة فإذا تتوقعون أن نصنع بكم » . ثم تمثل في آخرها بيتين :

بنتُ كرمٍ غصبوها أمها ثم داسوها ، هواناً ، بالقدم
ثم عادوا حَكَّموها فيهمُ وأناهيك يَخْضِرُ قد حكم !

ذكر مخالفة منجوتكين بدمشق وحره وأسره

وسبب ذلك

كان سبب ذلك أن ابن عمار أظهر الكتامين وبالغ في الإحسان إليهم ، وحوَّطهم في الأموال وسط أيديهم ، وفرَّق فيهم ما خلفه العزيز .

قال بعض المؤرخين : إن العزيز كان عنده عشرون ألف عليقة ما بين فرسٍ ويغل ، وجمل وحرار ، ومن الأموال ما لا يدخل تحت الإحصاء ، وفرَّق ابن عمار ذلك فيمن أراد اصطناعه . فلما كان في سنة سبع وثمانين ومائتين انبسطت يد كُتامة وجاروا على الناس بديار مصر ، وامتدُّوا لِأَخْذِ أموالهم ، ثم اجتمع مشايخهم وحسَّوا للحسن بن عمار قتل الحاكم . فلم يرجوان بذلك ، فبالغ في حفظ الحاكم وضم إليه شكر العضدى من غلمان عضد الدولة بن بويه . وكاتبنا منجوتكين أمير دمشق يُعرفانه ما عزم عليه ابن عمار ، وأنه بسط يد كُتامة في الأموال ومكنهم من الجور وأنهم حصَّروا الحاكم بقصره ، وأشارا عليه أن يقصد مصر ليكون عوضاً عن الحسن بن عمار .

فلما قرأ منجوتكين الكتاب جمع القواد والأجناد وغيرهم بجامع دمشق ، وعرفهم ما جرى من كرامة ، وبكى ، وخرق ثيابه ، فأطاعه الناس وحلفوا له على طاعة الحاكم وقتال ابن عمار . فأنفق فيهم الأموال ووثق منهم ، وبرز من دمشق في ستة آلاف فارس .

فلما اتصل ذلك بابن عمار عظم عليه وجمع وجوه كرامة وعرفهم الحال ، فقالوا : [٥١] نعرف الناس أن منجوتكين قد عصى على الحاكم وخالف عليه ، وخرج عنه ، ليبلغوا في قتاله ، فنعل ذلك وأظهره ، وفرق الأموال في وجوه الدولة . ثم أحضر يرجوان وشكر العضدى وقال لهما : أنا شيخ كبير وقد كثر الكلام عليّ والقول فيّ ، وليس لي غرض إلا في حفظ الإمام الحاكم . وسألها أن يحلفا له على المساعدة فما وسعها إلا أن حلفا (١) له . وندب من وقته أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح وقدمه على العسكر ، وأمره بالمسير إلى الشام ، فخرج في ستة عشر ألف فارس وراجل . فسار سليمان في ثاني صفر ، ورحل منجوتكين إلى الرملة فملكها ومعه مفرج بن دغفل بن جراح ، وسار سليمان حتى نزل بظاهر عسقلان .

وتقابل الجيشان بعد ثلاثة أيام ، وكان المصاف في يوم الجمعة لأربع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، فاستأمنت العرب من أصحاب دغفل وغيرهم إلى سليمان ، فاستظهر ، وقتل من أصحاب منجوتكين أربعة قواد . وانهمز منجوتكين وأحصيت القتلى من أصحابه فجماعت ألفي فارس ، وامتلأت أيدي أصحاب سليمان . وبذل سليمان لمن

(١) « حلفوا » في الأصل . والتصحيح يتفق مع السياق .

يُحضر منجوتكين عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب ، فأُسره على بن الجراح وحمله إلى سليمان ، فسَيَّرَه إلى مصر . فاصطنع الحسنُ بنُ عَمَّارٍ منجوتكين ، وسار سليمان ونزل طبرية .

فلما بلغ أهل دمشق ما اتفق لمنجوتكين نهبوا داره . وبعث سليمان أخاه إلى دمشق في خمسة آلاف فارس ، فلما وصلها أغلقوا دونه الأبواب ، فكتب إلى أخيه بذلك ، فسار إلى دمشق وتلطف بأهلها ، وطيب قلوبهم ، ففتحوا له الأبواب . ودخل البلد واستقر أمره ، وثبت قدمه ، واستتب له الأمر ، فنظر في أمر الساحل واستبدل بولاية الجابرين ، وعزل [الأمير] (١) جيش بن الصمصامة من طرابلس الشام واستعمل عليها أخاه ، فحضر جيش إلى مصر ولم يجتمع به .

ذكر الفتنة بين المشاركة والمغاربة وهرب ابن عمار وما كان من أمره

كان سبب ذلك أن سليمان بن جعفر لما عزل جيش بن الصمصامة عن طرابلس حضر [جيش] (٢) إلى مصر واجتمع بشكر الخادم وبرجوان سرا وعرفهما بغض أهل الشام في المغاربة ، وكان جيش أيضا من كتامة وبنه وبين سليمان عداوة متمكنة ، فحسن لما الفتك بالحسن بن عمار ، فوقع هذا الكلام من برجوان بالتوقيع العظيم مع ما تقدم بينها من الوحشة . وعلم برجوان أن القاهرة ومصر قد تخلتا من المغاربة ولم يبق فيها إلا العدد القليل ،

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) إضافة للتوضيح .

وأمكنه الفرصة فأنهزها ، ورأسل الأتراك والمشاركة في القبض على الحسن ابن عمار .

وأحسن ابن عمار بذلك فقصده المبادرة بالإيقاع ببرجوان وشكر ، ورثب جماعة في دهليز داره ، وقرر معهم الفتك بها إذا دخلاً إليه . وكان لبرجوان عيون كثيرة فاطَّلَعُوا على ما دبره ابن عمار عليه . واتفق أنَّ الحسن استدعاه [ومعه شكر]^(١) فركبا إلى داره ، وكانت في آخر القاهرة مما يلي الجبل ، ومعها جماعة من الغلمان . فلما وصلا إلى باب الدار ظهرت لهما عين القضية فعادَ إلى القصر بسرعة ، وجردَ الغلمان سيوفهم ، فدخلوا قصر الحاكم . فنارت الفتنة ، واجتمع الأتراك والذيلم والمشاركة وغيرهم على باب القصر ، وبرجوان يكي ، وهم يكون لبكائه ، وهو يخرضهم على القيام بواجب خدمة الحاكم .

وركب الحسن بن عمار في كتامة إلى الجبل ، وتبعه وجوه الدولة ، فصار في عددٍ كثير . وفتح برجوان خزائن السلاح وفرَّقها على الغلمان وغيرهم ، وأحدقوا بالقصر ، فبرز منجوتكين وفارحتكين وبنال الطويل في خمسمائة فارسٍ من الأتراك . ووقعت الحربُ بينهم وبين الحسن بن عمار إلى وقت الظهر من يوم الخميس سلخ شعبان سنة سبعٍ وثمانين وثلاثمائة ، فانهزم ابن عمار ، ورجعت العامة إلى داره فنهبوا ونهبوا خزائنه ، واستتر عند بعض العوام وتفرقت عنه جموعه^(٢) .

وفتح برجوان باب القصر ، وأجلس الحاكم ، وأوصل إليه الناس ،

[إضافة للتوضيح .

(٢) عن الآراء المختلفة في أسباب هذه الفتنة وأحداثها ، انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٤٨ - ٤٩ ، اتعاظ المنفا ج ٢ ص ١٢ .

وجدد له البيعة على الجند ، فلم يختلف عليه أحد ، وكتب الأمانات لوجوه
 كتامة وقواد الديلم ورأسلهم بما يطيب قلوبهم فأتوه . واستقام أمر برجوان
 وكتب إلى أهل دمشق يطيب قلوبهم ويأمرهم بالقيام على سليمان والإيقاع
 به ، فثار أحداث^(١) دمشق وقصدوا دار أميرها سليمان ، فوجدوه وقد انتهى
 بالشرب وانهمك على لذاته ، فهرب على ظهر فرسه ونهبت خزائنه [٥٢]
 وأمواله . وجعل برجوان الحسين بن القائد جوهر قائد القواد ، وبعث جيش
 ابن محمد بن الصمصامة إلى دمشق ، وتلطف في إخراج الحسن بن عمار من
 استارته ، فخرج ، فأعاد برجوان عليه ما كان بيده من الإقطاعات وحلقه ألا
 يخرج من داره .

وفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة عصى أهل صور على الحاكم بسبب فتنة
 برجوان وابن عمار وقتلوا جماعة من جند المصريين ، وثار بعض الملاحين من
 أهلها . ويعرف بالعلاقة ، فملك البلد .

وثار مفرج بن دغفل الجراحي بالرملة ونهبها .

فندب برجوان إلى الشام أبا الحسن عبد الصمد ابن أبي يعلى ، وضم إليه
 عسكر^(٢) . فسار من القاهرة لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . سنة ثمان
 وثمانين^(٣) . فلما وصل إلى الرملة حضر إليه من جند الساحل خمسة آلاف

(١) أحداث : جمع حدث . ومناها الشبان الصغار . وكان الأحداث يكونون نوعاً من رجال
 الشرطة أو الحرس . وقاموا بدور هام في مدن سوريا . خاصة في حلب ودمشق ، والفارق بين
 الأحداث والشرطة في طريقة تجنيدهم المحلية غير الرسمية . فهم رجال مسلحون من أهل
 البلد — انظر هامش ٣ في اتعاظ المنفا جـ ١ ص ٢٣٩ . ومادة حدث في دائرة المعارف
 الإسلامية .

(٢) « وثلاثين » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث ، وانظر اتعاظ المنفا
 جـ ٢ ص ١٨ - ١٩ .

فارس ، ووجد سليمان بن جعفر [بن] ^(١) فلاح بها فقبض عليه وسيره إلى مصر . وسير إلى صور أبا عبد الله الحسن بن ناصر الدولة وياقوتا الخادم ومن معه من عبيد الشراء ، فوقع الحرب بينهم وبين أهل صور ، ثم طلبوا الأمان فأمنوا . وأسر العلاقة الثائر ، وكان قد استنصر بالروم ، فسلخ وهو حي ، وحشى جلده تبتاً وصلب . وكان قد ضرب على الدينار بـ « صور » عز بعد فاقة ، وشطارة بلباقة : للأمير العلاقة .

وفيها في شعبان ورد الخبر بفتح أنطاكية على يد [الأمير] ^(٢) جيش بن محمد ابن الصمصامة .

ذكر قتل برجوان الخصي

كان مقتله في ثالث عشر ^(٣) شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة . وسبب ذلك أنه كان لـ فيرط إشفافه على الحاكم منعه من الركوب خوفاً عليه ، ومنعه من العطاء لغير مستحق ، فنقل على الحاكم ، ولم يبق للحاكم في الأمر غير الاسم ، واستبدَّ برجوان بالأمر . وكان عند الحاكم خادماً اسمه ريدان الصقلبي قد اختصَّ به وأنس إليه ، فشرع في إغراء الحاكم على برجوان . وكان من جملة ما قال له : إن هذا يقصد أن يفعل بك كما فعل كافور الإخشيدي مع أولاد سيده ، فباطن الحاكم الحسين بن جوهر قائلاً

(١) [إضافة للتوضيح .

(٣) « في سادس عشر » في انعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٢٥ . « سادس عشرى » في المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣ .

القواد على قتل برجوان ، ووعده أن يقوّض إليه تدبير الأمر بعده . ثم ركب الحاكم وبرجوان في بعض الأيام إلى بستان اللؤلؤة^(١) على عادته ، فقال عليه ريدان بسكين فضربه بها في ظهره وأخرجها من صدره . فقال برجوان للحاكم : غدرت . فزق على الخدم فاحتزّوا رأسه ، فارتعج الناس لذلك ولبسوا السلاح ، فسبق الحاكم ودخل القصر . وحضر شكر الخادم والجند وأحاطوا بالقصر ظناً منهم أن الحسن بن عمار تمّم على الحاكم حيلة . فلما رأى الحاكم ذلك تراءى للناس فترجلوا وقبّلوا الأرض ، وسكنت الفتنة . ثم فتح الحاكم القصر واستدعى أكابر الناس وقال لهم : أنكرت على برجوان حاله وقتلته ، واستدعى الحسين بن جوهر وأمره بصرف الناس إلى منازلهم ، فصرفهم .

وركب مسعود الحاكمي إلى دار برجوان فأحاط على ما فيها ، وكان من جملة ما وجد له ألف سروال^(٢) ديني بألف نكّة حرير ، وناهيك بموجود يكون هذا من جملة .

وإلى برجوان هذا تنسب حارة برجوان^(٣) التي بالقاهرة .

واستقرّ الحسين بن جوهر في تدبير الدولة في ثالث جمادى الأولى من السنة .

وقتل في أثناء هذه الفتنة الحسن بن عمار الكتامي . وتوفّي جيش ابن محمد بن الصمصامة أمير الشام بدمشق في ثالث عشر ربيع الأول منها ،

(١) « كان الحاكم في بستان يعرف بدورة التين والعناب » بالقصر — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤ ، انماظ المنفا ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) « سرويل » في الأصل .

(٣) انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣ .

ونذب الحاكم لولايتها القائد تميم بن اسماعيل المعزى الملقب بفحل .

ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله وأمر به
من الأمور الدالة على اضطراب عقله
بعد أن استقل بالأمر بمفرده

كان أول ذلك أنه نهى في سادس شهر رجب سنة تسعين وثلاثمائة أن
يخاطب الناس بعضهم بعضاً بسيدنا أو مولانا ، وألا يخاطب بذلك غيره ^(١) .
وفي سنة إحدى وتسعين ، في شهر المحرم ، أمر أن تُزَيَّن مصر ويفتح الناس
دكاكينهم ليلاً ، ولازم الركوب بالليل ، وكثر ازدحام الناس ، وصار البيع
بالليل أكثر من النهار ، وأكثر الناس الوفود . وغلب النساء على أزواجهن على
الخروج ، فأمر في رابع عشر الشهر ألا تخرج امرأة من العشاء لهذا السبب ،
فلم يخرجن بعد أمره ^(٢) .

وفي سنة ثلاث وتسعين حصل للحاكم مرض الماخوليا ، فأخذ في قتل
أرباب الدولة وذوى المناصب وغيرهم ، وصدر عنه من الأفعال [٥٣]
ما نذكره إن شاء الله تعالى بتواريخه على حكم السنين .

ذكر بناء الجامع المعروف بجامع راشده

كان ابتداء عمارته في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين
وثلاثمائة . وكان سبب إنشائه أن أبا المنصور الزيات الكاتب زرع هذا الموضع

(١) قرئ بذلك سجل في القصر — انعاظ المنفا جـ ٢ ص ٣٥ .

(٢) انظر انعاظ المنفا جـ ٢ ص ٣٨ .

وبنى للتصاري فيه كنيسة فرقع أمره للحاكم ، فأمر بهدم الكنيسة وأن يجعل موضعها مسجداً ، ثم أمر بالتوسعة فيه ، فخرت مقابر اليهود والتصاري ، وجمع فيه الجمعة لليلتين بقيتا من الشهر ، وبني فيه منبر من الطين ، وصلى فيه ابن عصفورة القاري. ثم ظهر بعد ذلك أن الحراب وضع على غير صحة فهلّهم ما كان ارتفع من البناء ، ثم بنى عليه ما هو عليه الآن ^(١) .

ذكر بناء الجامع المعروف بالحاكم الذي هو بين باب النصر و [باب] ^(٢) الفتح بالقاهرة

قد ذكرنا أن العزيز بالله كان قد اختطه في سنة ثمانين وثلاثمائة ، ومات العزيز بالله ولم تكمل عمارته ^(٣) .

فلما كان في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، أمر الحاكم بالله بإتمامه . وقيل إن الوزير يعقوب بن كلس ، وزير العزيز ، هو الذي كان بدأ بعماره وقدّر له أربعين ألف دينار ، فأخرج له خمسة آلاف دينار ومات ولم يكمل ، فابتدئ بعماره في هذا التاريخ .

وفي هذه السنة قتل الحاكم مقداد ابن حسن كاتب جوهر ، ضرب عنقه وأحرق بالنار ، وفيها لليلتين خلتا من ذي الحجة قتل ريدان الصقلي

(١) المقصود بالآن عصر المؤلف ، فليس لهذا الجامع وجود في العصر الحالي — وعن جامع راشده انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح تنفق وسياق الكلام .

(٣) « صلى العزيز بالله في جامع صلاة الجمعة وخطب » وذلك في ٤ رمضان ٢٨١ هـ قبل أن يكمل بنائه — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٧ .

الخادم ، وكان خصيصاً به مكينا عنده ، وإليه ينسب الربدانية التي هي بظاهر القاهرة خارج باب النصر . وفيها قتل منجمه المكبري صاحب الرصد الحاكمي وكان شديد الاختصاص به . ونادى مُتأديه بإباحة دم المتجّمين وأنهم كفار ، فهربوا ولم يبق بالديار المصرية منجم .

وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة اشتدت السّوداء على الحاكم ، فصار يركب في الهاجرة حمارة بلقاء والسياف بين يديه ، فيقتل من يخطر بخاطره قتله . فقتل خلقاً كثيراً وغرق وأحرق . حتى قتل الركابية^(١) وأصحاب السّتر والوزراء والقضاة ؛ واستمرّ به هذا الحال .

وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، في رابع عشرين المحرم قُرى سجل من الحاكم بمنع الملوخيا^(٢) والمتوكلية^(٣) والترمس المعفن والدّليّيس^(٤) وعمل الفقاع^(٥) ، وعن ذبح البقر^(٦) ، وألا يدخل أحد الحمام إلّا ببشر ، ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ، وألا يباع من السمك ما ليس له قشر .

(١) الركابية : هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة عند ركوبه في المواكب ، ولهم زى خاص بهم . وكانوا يسمون أيضاً صبيان الركاب الخاص . وهم الذين عرفوا في عصر المماليك باسم السلاحدارية والطردارية — صحح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠ .
وهم غير الركبادارية الذين يحملون الفاشية بين يدي السلطان في الصّور التالية — صحح الأعشى ج ٤ ص ١٢٠ ٧ .

(٢) « وعلى تحريم الملوخية بجل معاوية إليها » أخبار الدول المنقطعة ص ٤٤ .

(٣) « لنسبتها للمتوكل » الخليفة العباسي ، نفس المصدر ص ٤٤ .

(٤) نوع من السك الصغير لا قشر له — انظر ما يلي .

(٥) شراب كالرمان يصنع من الشعير — القاموس .

(٦) « إلا ما يصلح للحرث » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٣ .

وفي رابع صفر منها كتب على المساجد بسب الصحابة رضى الله عنهم ، وعلى جيطان الشوارع والقياسر^(١) ، ثم نهى عن ذلك في سنة سبع وتسعين . وأمر اليهود والنصارى الا الحبايرة بلبس السواد^(٢) ، وأن يحمل النصارى الصليبان على أعناقهم ، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنته عشرة^(٣) أرتال ، وعلى أعناق اليهود قوامى الخشب والجلجل ، وألا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة ، وأن يكون ركبهم من الخشب وألا يستخدموا أحداً من المسلمين ولا يركبوا حماراً لمكار مسلم .

وفي سابع عشرين صفر منها نودى بالقاهرة ألا يخرج أحد بعد عشاء المغرب إلى الطريق ولا يظهر بها .

وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر منها أمر بقتل الكلاب فقتلت عن آخرها^(٤) .

وفي تاسع عشر جادى الآخرة فتحت دار بالقاهرة وسميت دار الحكمة^(٥) ، وجلس فيها الفقهاء وحملت إليها الكتب من خزائن القصور ، ونسخ الناس من الكتب ما اختاروه ؛ وجلس فيها القراء والفقهاء والنحاة واللغويون ، والأطباء والمنجمون ، بعد أن قرئت وزُخرفت ، وعُلقت الستور على جميع أبوابها وممراتها ، وجعل لها قوام وخُدّام . وحصل في هذه الدار من الكتب والخطوط المنسوبة ما لم يُر مثله ، وأجريت بها الأرزاق .

(١) القياسير « في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) « وشعارهم بالسواد شعار الفاضلين العباسيين » - انماط المنفا جـ ٢ ص ٥٣ .

(٣) حدد فيها بعد خمسة أرتال - انظر ما يلى في أحداث سنة ٤٠٣ هـ .

(٤) « فقتلوا عن آخرهم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٥) دار الحكمة ، وتعرف أيضاً بدار العلم - المراعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٥٨ .

وفي هذا الشهر مُنِعَ الناس من العبور إلى القاهرة ركباً مع المكارية ،
ومُنِعَ من الجلوس على باب الزهومة^(١) إلى أقصى [٥٤] الباب
[المعروف]^(٢) بباب الزمرد .

وفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة ركب الحاكم في سوكه ومعه أرباب
دولته فمرَّ على الموضع الذي يُباع فيه الحطبُ وقد تراكت الأحطابُ فيه
بعضها على بعض ، فوقف وأمر أن تُوجَّع النار في بعضها ، ثم أمر بقاضي
القضاة بمصر ، وهو الحسين بن علي بن النعمان ، فأنزل عن دابته ورُمِيَ به في
تلك النار حتى هلك^(٣) ، ولم يتقدَّم له مقدِّمة توجب ذلك^(٤) . ثم مرَّ كان
لم يصنع شيئاً .

ذكر أبي ركة وظهوره وما كان من أمره إلى أن قتل

كان ظهوره في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وأدَّعى أنه الوليد بن
هشام^(٥) بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي ، وتلقَّب بالناثر بأمر الله

(١) باب الزهومة : من أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي ، في آخر ركن القصر ، وكانت
حوائج الطعام تدخل من هذا الباب ، ولذلك عرف باسم باب الزهومة ، أي باب الزفر -
المواظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٢) إضافة تنفق وسباق الكلام - انظر أيضًا اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) باب الزمرد : من أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي ، وكان يتوصل منه إلى قصر الزمرد
فعرف به - المواظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٤) « ضربت رقبته ثم أحرق بالناثر » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٩ .

عن سبب قتل القاضي انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٩ .

(٥) « من ولد هشام بن عبد الملك » في الكامل ج ٩ ص ١٩٧ .

والمنتقم من أعداء الله . ونحن الآن نذكر أخباره وابتداء أمره ، وكيف تنقلت به الحال إلى أن كان منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

كان مولده بالأندلس ونشأ بها ثم خرج منها بحال سيئة محبوب البلاد إلى أن وصل إلى القيروان ، ففتح بها مكتباً يعلم الصبيان فيه القرآن ، ثم توجه منها إلى الإسكندرية ومنها إلى مصر فأقام بها وبأريافها يعلم الصبيان ، ثم توجه إلى الفيوم وعلم بها الصبيان أيضاً ، وعاد إلى مصر ، وخرج إلى سبك الضحاك^(١) فنزل به على رجل يعرف بأبي اليمس ، ثم نزل بقرنفيل^(٢) وسار منها إلى البحيرة فنزل على بفي قرة . وكان الحاكم قبل ذلك في سنة خمس وتسعين قد بعث إليهم جيشاً مقدّمه أبو الفتيان التركي وقتل الحاكم بعضهم وحرّقهم بالنار ، فرجدهم قد أجمعوا على أن يلتقوه بجمعهم ومحاربه ، ولم يعلموا من يُقدّمونه عليهم ، فعرفهم أبو ركة^(٣) أنه من بيت الخلافة ، فانقادوا إليه وبايعوه بالخلافة ، ونُعت^(٤) بأمر المؤمنين ، وانضاف إليهم من لوانة ومزاة وزنانة جمع كثير ، وجاءوا إلى مكانه بالقرب من برقة .

فلما بلغ الحاكم أمره جهز العساكر لقصده ؛ فأول من خرج بها ينال الطويل التركي في منتصف شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فالتقوا

(١) سبك الضحاك : من القرى القديمة من أعمال المنوفية ، ويسمى العامة سبك التلات ، لأن سوقها الأسبوعي يتعقد يوم الثلاثاء — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) قرنفيل = قرانفيل : من القرى القديمة — تابعة لمركز قلوب من أعمال القليوبية — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٧ .

(٣) « وإنما كنى أبا ركة لركوة كان يحملها في أسفاره ، سنة الصوفية » — الكامل ج ٩ ص ١٩٧ .

(٤) « وبعت » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما جاء في انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٦٠ ، وورد « وخاطبوا أبا ركة بالإمامة » في أخبار الدول المتقطعة ص ٤٥ .

واقْتتلوا ، فقتل نبال وعامة مَنْ معه من العساكر ، وغنموا مامعهم .

وسار أبوركوّة إلى برقة وأخذها بعد حصارٍ ، فاستفحل أمره .

وشرع الحاكم في تجريد العساكر إليه ، فجهّزها في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وعليها ابن الأرمنية ، فسار إلى المكان المعروف بالحمام ^(١) ، فلقبه بنو قرة في جماعتهم فهزموه وقتلوه وانتهبوا ما كان معه .

فندب الحاكم عسكرياً وقدم عليه أبا الحسن ابن فلاح وجلين وإبراهيم بن الأفرنجية ؛ ثم ندب القائد أبا الفتوح فضل بن صالح لقتاله ، فخرج إلى أرض الجيزة في رابع شوال وأنفق في العساكر ، وكتب على بن الجراح بالوصول إلى الحضرة ، فورد من الشام في سابع عشر شوال . وورد الخبر بنهب الفيوم ، فبعث الحاكم سرية لحفظه ، وسار الفضل بن صالح عن مكانه إلى ذات الكوم ^(٢) في رابع ذي القعدة ، وكسر أبوركوّة عسكر ابن فلاح ونهب سواده والخزائن التي معه ، وقتل من أصحابه جماعة ؛ فاضطرب الناس واشتد خوفهم ، وباتوا في الدكاكين والشوارع . وتوجّه القائد فضل للقاء أبي ركوّة ، فالتصيا بموضع يُعرف برأس البركة ، على نصف مرحلة من مدينة الفيوم ، لثلاث خلون من ذي الحجة . واقتتل العسكران قتالاً شديداً وانجلت الحرب عن قتل عامة عسكر أبي ركوّة . وانهمز أبوركوّة إلى بلاد النوبة وتبعه الفضل إلى الأعمال القوصية .

(١) الحمام : من القرى القديمة ، غربى الاسكندرية بنحو ٧٤ كم على السكة الموصلة بين الإسكندرية ومرسى مطروح — القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) ذات الكوم : من القرى القديمة بمركز إسماعية ، من أعمال الجيزة — القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٦٦ .

وذكر بعض المؤرخين أن الحاكم لما أعباه أمره دس إليه جماعة من أولياء دولته وأمرهم بطاعته ، وأن يذكروا انحرافهم عن الحاكم بسبب قتله لهم ، ففعلوا ذلك ، فاغتر به ^(١) ، ووصل معهم إلى أوسيم على ثلاثة فراسخ من القاهرة ، فالتقى هو والفضل كما ذكرنا ، واثبته ، فبلغه أنه وصل إلى بلاد النوبة فكتب إلى متملكها يقول إن عدوّ أمير المؤمنين الحاكم في بلادك ، وكتب إلى صاحب الجبل وهو نائب صاحب دنقلة ومقره ببلد الدو ^(٢) فيما بين دنقلة وأسوان ، وندب الفضل من العسكر من توجه لقبضه ، وكان المساعد على مسكه الشيخ أبوالمكارم هبة الله ، شيخ بني ربيعة وقيل إنه وجد في دير يعرف بدير أبي شنودة في أطراف النوبة ، فمسك . وكان الطعن به في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

وعاد القائد فضل إلى القاهرة فوصل إلى بركة الحبش في يوم الجمعة ، التصف من جنادي الآخرة منها ، وثلقاه أكابر الدولة الحاكمة ؛ وركب في سابع عشر الشهر وأبوركوته على جمل وعلى رأسه طرطور ، وطيف به على هذه الصفة وخلفه قرد يصفعه ^(٣) ، ثم صلب [٥٥] وضربت عنقه وجُهِزَت

(١) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٦٢ .

(٢) الدو ، وتسمى أيضا الدر ، بلدة قديمة من بلاد النوبة ، وإليها ينسب مركز الدر بمحافظة أسوان — القاموس الجغرافي ق ١ ص ٥٨ .

(٣) « وكان بمصر رجل شيخ يعرف بالإيزاري . ومن عادته إذا خرج خارجي أن يصيح طرطوراً كبيراً بالأوان الصنيخ ، ويلحق عليه من أصناف الحرق الملوثة ، ويتنازع قرّداً ويعلمه أن يصفع الطرطور بكرة يتخذها له ، فإذا ظفر بالخارجي وأريد إشهاره لركب جلاً وأحضر الإيزاري ، ورسم له أن يلبس الطرطور ، ويقم القرد من خلفه يصفعه بالدرّة ، ويركب معه على الجمل ، وينادي عليه يميناً وشمالاً حتى يشاهده الناس إلى الموضع الذي يقتل فيه ، فإذا فرغ من ذلك أطلق له مائة دينار وخمس قطع ثياب على رسم ثابت في الديوان » — أخبار الدول المنقطعة ص ٤٧ ، وانظر أيضاً النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٦ .

رأسه إلى البلاد .

ونقل بعض المؤرخين أنه اعتُبرت الأكياس التي خرجت مع القائد فضل
لما خرج للقاء أبي زكوة ، وكان زنتها فوارغ خمسة وعشرين قنطاراً . وقيل
إن جملة ما أنفق ألف ألف دينار والله أعلم .

وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة أمر الحاكم بقتل أصحاب الأخبار حينما
وجدوا ، وذلك أن كان قد قتل خلقاً كثيراً لسمايتهم ، ثم اطلع على خيانتهم
وأتهم ضيروا ذلك معيشة ، فقتلهم عن آخرهم .

وفيها أمر بهدم كنيسة قامة بالبيت المقدس ، فكذب ابن خيران صاحب
ديوان الإنشاء في ذلك منخرج أمر الإمامة بهدم كنيسة قامة ^(١) ، فليُصير طولها
عرضاً . وسقفها أرضاً .

وفي سنة ثمان وتسعين أيضاً ، في سابع عشرين ^(٢) شعبان ، عزل القائد
حسين بن جوهر عن جميع ما كان يتولاه ، وكتب سجل بتوليته صالح بن
علي بن صالح الروزباري فانصرف الحسين إلى داره وأمر بلزومها ، ثم خلع
عليه وركب في رابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ^(٣) .

وفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، في يوم الجمعة التاسع من شهر
رمضان ، حضر الناس إلى القصر وقرئ سجل لصالح بن علي لقب فيه بثقة
الثقات لل سيف والقلم ، وخلع عليه ، وقيد بين يديه بغلات ونخيل .

(١) كنيسة قمامة = كنيسة القمامة : وأصل تسميتها بالقمامة يرجع إلى أن القبر المقدس بنى على
الموضع الذي كانت توضع به القمامة خارج سور بيت المقدس . وهو الموضع الذي يقال أن
المسيح صلب فيه — معجم البلدان .

(٢) « في يوم الجمعة سابع شعبان » في اتعاط المنفا ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) في ناسع عشر ذي القعدة سنة ٣٩٨ هـ . في اتعاط المنفا ج ٢ ص ٧٤ .

وفيهما مرض الحاكم قداواه بن معشر ، فأعطاه عشرة آلاف دينار .
 وفيها سخط الحاكم على وزيره ابن المغرني وقتله ، وقتل أخاه وابنه ،
 وهرب ابنه الآخر إلى الشام .
 وفيها في تاسع عشر ذى الحجة أمر الحاكم بهدم كنائس القنطرة التي في
 طريق المقدس وكنائس حارة الروم ، فهُدم جميع ذلك .

وفي سنة أربع مائة ، في يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان ، جمع
 الأولياء . وأصحاب الدواوين في صحن الإيوان بالقصر ، وخلع على أبي
 نصر بن عبدون ، وقرئ سجله . ولقب بالكافي ، وولى مكان صالح بن
 علي بن صالح الروزباري . وكانت مدة ولاية صالح سنتين وأربعة عشر
 يوماً .

ذكر خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعتهم لأبي الفتح الحسن بن جعفر الحسني وما كان من أمرهم

كان سبب ذلك أن نصر بن عبدون كان بينه وبين بني المغرني عداوة
 متمكنة ، فسعى بهم عند الحاكم وأغراه ، إلى أن أمر بضرب أعناقهم ،
 وذلك في ثالث ذى القعدة سنة أربع مائة ، فقتل أخو الوزير وولده وثلاثة
 من أهل بيته ، واستتر الوزير أبو القاسم بن المغرني وهرب إلى الشام ، في تاسع
 ذى القعدة منها ، والتجأ إلى حسان بن المقرج بن دغفل بن الجراح ،
 واستجار به فأجاره ، وأنشده عند دخوله عليه .

أَمَّا وَقَدْ خِيَمْتُ وَسَطَ الْغَابِ فَلْيَقْسُوْنِ عَلَى الزَّمَانِ عَتَابِي
يَتَرَنَّمُ الْفُؤَادُ دُونَ مُحِبِّي وَتَزَعْرَعُ الْخُرْصَانُ دُونَ قِيَابِي
وَإِذَا بَنَيْتُ عَلَى الثَّنِيَّةِ خِيْمَةً شُدَّتْ إِلَى كَسْرِ الْقَنَا أَطْنَابِي

وهي قصيدة مطولة مدح بها آل الجراح . فلما سمعها حسان هش لها
وجدد من القول ما طاب به قلب الوزير وسكن جأشه .

ثم حسن ابن المغربي لبني الجراح أن يخرجوا عن طاعة الحاكم ، فوافقوه
على ذلك ، وقتلوا نازك بن أحمد الأمراء الحاكمة المقيم بالرملة ، ثم حسن لهم
أن يقيموا أبا الفتح الحسن بن جعفر الحنفى خليفة ، وهو أمير الحرمين
يومئذ^(١) ، وأن يحضره من مكة ، فأجابوه إلى ذلك ، وأسلوا إلى مكة
وأحضره إليهم . فلما قرب أبو الفتح من ديار بني الجراح خرجوا إليه
وتلقوه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وبايعوه بالخلافة ولقبوه الراشد بالله .
فحينئذ صعد أبو القاسم بن المغربي المنبر وخطب خطبة يحرض الناس فيها على
الخروج على الحاكم ، فأشار إلى مصر وقرأ : ﴿ طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ
عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْعَى ابْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٤٩ . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٧ .

الْأَرْضِ وَزَيَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا [مِنْهُمْ] ^(١) مَا كَانُوا
يَخْذَرُونَ ﴿٢﴾.

فلما سمع الحاكم ذلك أزعجه ، فندب الجيوش لقتالهم ، مع ياروخ
تكنن العزيزي ، فاعترضه حسان بين رفح والداروم ^(٣) ، وألقوا واقتتلوا ،
فانهزمت أصحاب ياروخ تكنن ، وأسر هو ونقل إلى الرملة ، وسمع غناء
جواريه وحظاياه بحضوره وهو مقيّد معه في المجلس ، وارتكب معه الفواحش
العظيمة ، ثم قتله صبراً بين يديه .

وبقي الشام لبني الجراح . فشرع الحاكم [٥٦] يأخذهم بالملاطفة ،
ورأسلهم ، وبذل لهم الرغائب والأموال ، والألقشة والجواري ، وقرّر لكل
واحد منهم خمسين ألف دينار عيّنًا ، واستألمهم عن أبي الفتوح . فأنصل ذلك
بأبي الفتوح ، فقال لهم : إن أخى قد خرج بمكة ، وأخاف أن يستأصل
ملكى بها . فأعادوه إلى مكة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة . وكان
الحاكم قد أرسل إلى الوزير أبي القاسم بن المغربي وكتب له أمانًا واستأله ،
وبقي على أهله قريبًا في القرافة وهي ^(٤) ستّ ثرب ، وتعرف بالسبع قباب إلى
هذا الوقت .

ولما ورد أمان الحاكم على أبي القاسم وهو مقيم عند بني الجراح أجابه
برسالة وضمن أولها بيتين :

(١) إضافة لاستكمال الآية .

(٢) سورة القصص رقم ٢٨ الآيات ١-٦ .

(٣) الداروم = الدارون : قلعة بين غزة والعريش ، على ساحل البحر — معجم البلدان .

(٤) « وهم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

وأنت ، وحَسْبِي أنت ، تعلم أن لي لسانًا أمام المجد يَتَنى وَيَهْلُمُ^(١)
وليس كريمًا^(٢) من تُبَاسُ يَمِينُهُ فيرضى ، ولكن من يُعَضُّ فَيَحْلُمُ

وسأل آل الجراح أن يجهزوه إلى العراق فجهزوا معه من أخرجه من بلاد
المغاربة ؛ وعاد بنو الجراح إلى طاعة الحاكم . وأقام ابن المغربي بالعراق إلى
أن توفي بمِيقَاتِ رَقِيقِين^(٣) في سنة ثمان عشرة وأربعمائة ؛ وحمل إلى الكوفة فدفن
بها . ولَمَّا فارق آل الجراح قدم بغداد وتقلد الوزارة لمشرف الدولة بن بويه كما
ذكرنا ذلك في أخبار الدولة البويهية^(٤) .

ذكر تفرُّض السَّفارة والوساطة

لأحمد بن محمد القشورى وقته

وفي سنة إحدى وأربعمائة في يرم الخميس رابع المحرم استدعى الحاكم
التاس على طبقاتهم إلى القصر فركبوا^(٥) معه إلى خارج باب الفتوح ، ثم عاد
إلى قصره وأمر من مكان بالموكب بالثُرول إلى القصر ، فترَّلوا وحضروا في
الايوان . فخرج من عند الحاكم خادمٌ فأخذ بيد أحمد بن محمد المعروف
بالقشورى^(٦) الكاتب وأخرجه من بين القوم ، ثم عاد القشورى وقد خُلِعَ

(١) « نَبِي وَنَهْلُم » في الأصل .

(٢) « وليس كريم » في الأصل .

(٣) مِيقَاتِ رَقِيقِين : مدينة بديار بكر في إقليم الجزيرة شمال العراق — معجم البلدان .

(٤) انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٢٤٦ وما بعدها .

(٥) « فركب » في الأصل .

(٦) انظر اتعاظ الخفا ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها .

عليه ويده سجلّ ، فأخذه أبو على العباسي الخطيب وقرأه على الناس ، فإذا هو يتضمن تقليده السفارة والوساطة بين الناس وبين الحاكم ، وتفويض الأمور إليه . وصرف ابن عبدون . وأقام [القشوري] ^(١) إلى الثالث عشر من الشهر ، فقبض عليه وقت الظهر وهو في مجلس ولايته ، وضربت رقبته ، وُلّف في حصير ورُمى . فكانت ولايته عشرة أيام . وكان سبب ذلك إكرامه للقائد حسين بن جوهر وتعظيمه له وكثرة سؤاله الحاكم في معناه .

وفوضت هذه الوظيفة في يوم الأحد رابع عشر الشهر لأبي الخضر زُرعة ^(٢) ابن عيسى بن نسطورس النصراني الكاتب ، على عادة من تقدّمه ، ولم يخلع عليه إذ ذاك ، ثم خلع عليه في سابع عشر شهر ربيع الآخر منها .

وفي السادس والعشرين منه قرئ بجامع مصر سجلّ يتضمن التّهي عن معارضة الحاكم فيما يفعله ، وترك التّخوض فيما لا يعنى ، وإعادة حتّى على خير العمل في الأذان ، وإسقاط الصلاة خير من التّرم ، والتّهي عن صلاة التّراويح والضّحى .

وفي ثاني عشر شهر جمادى الآخرة دخل قائد القواد الحسين بن جوهر ، والقاضي العزيز بن النّمان إلى القصر ، وكان قد خلع عليها في ثاني صفر ، فلما أراد الانصراف بعث إليها زُرعة بن نسطورس يقول إن الخليفة يريدكما لأمر يختاره . فجلسا حتّى انصرف الناس ، فقتلا وقيل معها أبو على أخو الفضل بن صالح ، ووقعت الحوطة على دارهم .

(١) [إضافة للنّوضيح .

(٢) « ولقب الشّاق » . وتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م - الإشارة ص ٢٨ .

وفي سنة إحدى وأربعمئة قامت دعوة الحاكم بالمداين ، وهي على نصف
مرحلة من بغداد ، وخطب له بمدينة الأنبار وقصر ابن هبيرة^(١) من العراق
بدخل مالك بن عقيل بن قراوش بن المقلد^(٢) في طاعته وإظهار تشييعه ،
وذلك في أيام الخليفة القادر العباسي^(٣) . ثم بلغ قراوش بن المقلد اختلال
أمر الحاكم وقتله أرباب دولته وأن المانغوليا غلبت عليه ، فأعاد الخطبة
القباسية

وفيه قام بدعوة الحاكم بمدينة الجامعين وهي الحلة^(٤) وماجاورها من
العراق الأمير على^(٥) بن مزيد الأسدي ، وكان قد هزم خفاجه واستولى على
بلادهم ونجذب فيها للحاكم .

وفي سنة اثنين وأربعمئة تاب الحاكم ونهى عن شرب الخمر وعن كل
ما يُعمل منه ، كالزبيب والعسل ، ونفى المغاني ، وحرم الملوخيا . ومنع أن
تُقبل الأرض بين يديه ، وأن تُقبل يده ، وأن يُخاطب بمولانا ، واقتصر على
قولهم السلام على أمير المؤمنين .

(١) قصر ابن هبيرة = الهاشمية : بالكوفة - معجم البلدان .

(٢) من الأسرة العقيلية التي حكمت الموصل وغيرها ، وهو عقيل قبيلة عربية كهبية ، فهي
إحدى القبائل الخمس التي يتكون منها بنو كعب . وكان حاكم الموصل في ذلك الوقت معتد
الدولة أبو المنهج قراوش بن المقلد ، والذي ولي أسر الموصل في الفترة ٣٩١ -
٤٤٢ هـ / ١٠٠١ - ١٠٥٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) هو أبو العباس أحمد القادر بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة ٣٨١ -
٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٤) الحلة : تقع في مواجهة مدينة « الجامعان » أو الجامعين . على نهر الفرات بالعراق . وكانت
تعرف بحلة بني مزيد أو الحلة السفينة - معجم البلدان .

(٥) هو على بن مزيد الأسدي . سند الدولة . الذي ولي حكم الحلة في الفترة من ٤٠٣ -
٤٠٨ هـ / ١٠١٢ - ١٠١٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وفي سنة ثلاث وأربعمائة قطعت كروم العنب بأسرها ورُميت إلى الأرض ودُرست بالبقر ، وُجِّعَ ما كان من الخضر بالخازن وأهريق في البحر . وفيها كسرت جرار العسل ، وأمر اليهود والنصارى بلبس العمام السَّودَ إلا الجبارة ، ومنعوا أن يستخدموا [٥٧] المسلمين ، وأن يركبوا مع المكارية ؛ وإذا دخل النصارى الحمام يكون الصليب في عنقه ، واليهودى الجلجل ؛ ثم أفرَدَ بعد ذلك حمامات النصارى وحمامات لليهود ، وأسلم جماعة من النصارى في شهر ربيع الأول .

وفيها في شهر ربيع الآخر شدد الحاكم على النصارى واليهود في حمل الصُّلبان ، وأن يكون الصليب في طول ذراع وزنته خمسة أرتال^(١) ؛ فلما أضرَّ ذلك بهم دخلوا في دين الإسلام .

وفيها في شهر رمضان أمر الحاكم ببناء مُصلًى العيد^(٢) بسفح المُقَطَّم وأحسن بناءه ، وكان قبل ذلك ضيقًا صغيرًا ، فهدمه الحاكم وبناه على ما هو عليه الآن .

ذكر هدم كنائس الديار المصرية

وفي العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بهدم جميع الكنائس بالديار المصرية فسأل جماعة من النصارى أن يتولَّوا هدم كنائسهم بأيديهم وأن يبنوها مساجد ؛ فوهب الحاكم جميع الكنائس بجميع

(١) سبق أن حدد بعشرة أرتال - انظر ما سبق في أحداث سنة ٣٩٤ هـ .

(٢) مصلى العيد : شرقي القصر الكبير ، من خارج باب النصر - المواقظ والاعتبار ج ١ ص

ما فيها من أواني الذهب والفضة وغيرها من الحواصل والمأكول ومآلها من رِبَاعٍ وأُملاك الجماعة من الصَّقالبة والفرَّاشين والسعدية ، ولم يَرُدَّ من سألَه شيئاً منها ، وكُتِبَ كُلُّ متصرفٍ في عملٍ من الأعمال بهُدْم ما في عمله من الكُنائس . فهُدِمَت من جميع أعمال الديار المصرية .

وفي ثالث شهر رجب منها قرئ سجل بتخيس ضياع ومواضع عن الفقراء والفُقهاء والمؤذنين بالجوامع .

وفي رابع عشر جمادى الآخرة منها أمر الحاكم بعمل رصد^(١) بالقرافة ، فنزل القاضي مالك بن سعد وأشرف على الرصد وابتدأ بعمله ولم يتم .

ذكر البيعة بولاية العهد لأبي القاسم عبد الرحيم

وفي ثالث شهر ربيع الأول . سنة أربع وأربعائة^(٢) عهد الحاكم بولاية العهد بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدي . فبُيِعَ بولاية العهد ، وكُتِبَ اسمه على السكة ، ودُعِيَ له على المنابر .

وفيهما منع الحاكم نساء من الخروج مطلقاً ليلاً أو نهاراً ، ومن دُخُول الحَمَّامات . وطلوع الأسطحة ، ومنع الأساكفة من عمل الخِفاف لهن ، وشَدَّدَ في ذلك . فشكى إليه التجار من ذلك ، فأمرهم أن يحملوا ما يبيعونه

(١) الرصد : مكان مرتفع لرصد الكواكب ، أنه الأفضل بن بدر الجمالي - المواعظ والاعتبار

ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢) « وسبعائة » في الأصل . وهو تحريف .

في الأسواق ويطوفوا به في الدروب ويبيعوا النساء ، وأن يكون للمرأة شيء مثل المعترقة بساعد طويل تتناول به ما يتبعه من الرجل . ثم أمر بإطلاق العجائز والإماء في يوم الخميس تاسع شهر رمضان منها ، فخرج بعض النساء إلى القصر داعيات للحاكم . فعلم بهن فأعاد المنع والتشديد في يومه ، ولم يسمح إلا للنساء المتطلات للشرع ، والخارجات للحج ، والإماء للبيع ، والأرامل ، وغواسل الأموات ، والأرامل اللواتي يعين الغزل .

ذكر إحراق مصر وقتل أهلها .

كان سبب ذلك أن الحاكم ركب في ذى القعدة سنة عشر وأربعمائة . فوجد صورة امرأة مرتدية غسست من قراطيس ، وفي يدها جريدة عليها ورقة فيها سبب للحاكم وأسلافه وذكره بقبائح الفعال . فلما وقف عليها أمر بنهب مصر وحرق بغض ذويهم . وفرق السلاح على السودان والعبيد ، فتبادروا إليها وفعلوا ما أمرهم به . فقام أهلها وقتلوا قتلاً شديداً ثلاثة أيام ، ثم أرسلوا إلى الحاكم يستقبلون فم يقبلهم ، فعادوا القتال ، وأحرق من مصر جانب جيد . فلما رأى الحاكم أن الأمر يؤول إلى التلايف كف عنهم بعد أن تلف من العقار ما لا تحصى قيمته ، وسير عياداً الصقلي إليها في جماعة من الجند لنسكين الفتنة ، فشهد مرّاً عظيماً ، فعاد إلى الحاكم وذكر له قبح النازلة وعظم الفادحة وقال : لو أن بسيل ملك الروم دخل مصر لما استحسن أن يفعل فيها هذا الفعل . فغضب الحاكم من كلامه وأمر بقتله . فقتل .

وفي سنة عشر وأربعمائة أمر الحاكم وولّى العهد ، عبد الرحيم بن إليس . بالخروج إلى دمشق والباق عليها ، ثم عزله في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وفي شهر رجب [٥٨] منها اشتد غضب الحاكم على أهل مصر فأحرق الساحل ، ووقع التهب في الأسواق والقياسر ^(١) .
وسندكر إن شاء الله السبب الذي أوجب خروج الحاكم على أهل مصر إلى أن فعل بهم ما فعل .

ذكر غيبة الحاكم بأمر الله وعلمه
والسبب الذي نقل في إعدامه ، وشيء من أخباره وسيرته
لخير ما تقدم

قال المؤرخ : لما كان في آخر ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ركب الحاكم حماره وخرج على جاري عادته ، فأصبح عند قبر الفقاعي ^(٢) بقرافة مصر وردَّ من كان معه ، فقُفِد من ذلك الوقت . ولم يزل الناس يخرجون ويلتمسون رجوعه إلى يوم الخميس سلخ الشهر ، ثم خرج مظفر حامل المظلة في يوم الأحد الثالث من ذى القعدة ومعه جماعة الأمراء والكتامين إلى حلوان . وأمعنوا في الكشف . فبينما هم كذلك إذ بصروا بالحمار الذي كان الحاكم قد خرج عليه وهو على قرنة الجبل ، وقد ضربت يده بالسيف فأثر فيها ، فتبع الأثر فإذا أثر الحاكم وأثر آخر خلفه وآخر أمامه ، فقصَّوه حتى انتهوا إلى بركة القصب شرق حلوان ، فأنزلوا

(١) « الفياسير » في الأصل .

(٢) « القضاعي » في الأصل . والنصح من كثر الدرر جـ ٦ ص ٢٩٩ ، النجوم الزاهرة : ج ٤ ص ١٨٥ ، ووفيات الأعيان جـ ٥ ص ٢٩٧ .
وعن نربة الفقاعي انظر الكواكب السليمة .

رجلاً من الرجال فوجد ثياب الحاكم في البركة ، وهى سبع جباب ^(١) مزررة لم تحل أزوارها ، وفيها آثار السكاكين ، فعادوا إلى القصر ولم يشكوا في قتله .
وأما السبب الذى نُقِلَ في إعدامه فقالوا : كان السبب في ذلك أن ميت الملك أخت الحاكم وقع بينها وبينه ، فتشكر لها وهم بقتلها . وكرهت أموراً صدرت منه منها أنه رأى بعض قهارميتها داخله إلى القصر ، فقال لها : قد سمعت أنكم تجمعون الجموع وتدخل إليكم الرجال ، والله لأقتلنكم أجمعين . ^(٢) وتكرر هذا القول منه ، فأعملت ست الملك الحيلة في إعدامه ، وخرجت ليلاً إلى دار الأمير سيف الدين حسين ابن دواس ^(٣) ، فدخلت عليه واختلت به وعرفته بنفسها أنها ابنة العزيز بالله أخت الحاكم ، فعظمها ، وبالح في إكرامها . فقالت له : إنك قد علمت ما فعل أخى وما صدر منه من سفك الدماء وقتل الأولياء ووجوه الدولة بغير سبب ، وقد عزم على قتلك وقتلى . فقال لها : فكيف الحيلة في أمره ، فأشارت : أن تجهز إليه رجالاً يقتلونه إذا خرج إلى حلوان فإنه ينفرد بنفسه هناك ، ووعدته أن يكون هو المدبر للدولة ولده والوزير لها . فاتفقا على ذلك وتحالفا عليه ، ورجعت هى إلى قصرها .

فلما ركب الحاكم وانفرد عند وصوله إلى المقطم على عادته ، كان ابن واس قد أحضر عشرة من العبيد ، وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار ، وحلفهم ، وعرفهم كيف يقتلونه . فسبقوه إلى الجبل في تلك الليلة ، فلما

(١) « أربع جباب » في كنز الدرر جـ ٦ ص ٣٠٠ .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٧ - ٥٨ . النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٨٥ .

(٣) كان رئيس الكتامين ، وكان قد حلف ألا يدخل القصر خيفة من الحاكم - أخبار الدول المنقطعة ص ٥٧ . النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٨٥ .

انفرد خرجوا عليه وقتلوه بالمكان الذي ذكرناه ، وخرج الموكب لتلقيه على العادة ، فطال انتظارهم له فلم يرجع ، فعادوا ، ثم خرجوا ثانياً وقصوا الأثر ، فوجدوا حمازه وثيابه ، كما ذكرناه ، فعادوا إلى القصر وطلبوه من أخته ست الملك وقالوا : إن مولانا ما جرت عادته بهذا . فقالت لهم : إن رُفعت قد وصلت إلينا أنه يأتي بكرة الغد . ففترقوا . فبعثت الأموال إلى وجوه الدولة والقواد على يد ابن دواس ، وبقى الأمر مستمراً والحال متمسكاً إلى عاشر ذي الحجة من السنة ، فجرى بين العساكر وبين ست الملك كلام كثير أوجب أنها أخرجت إليهم ولده أبا الحسن علياً في يوم الأضحى فباعه الناس ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخباره . هذا ما حكى في سبب إعدامه .

وأما سيرته وأفعاله وأخباره ، فقد قدمنا منها على حكم السنين ما قدمنا ، فلنذكر خلاف ذلك .

قال المؤرخ : كان الحاكم سبب الاعتقاد ، كثير التنقل من حال إلى حال . كان في ابتداء أمره يلبس الثياب الفاخرة والمذهبة ، والعنم المنظومة بالجوهر النفيس ، ويركب في السروج المخللة ، ثم ترك ذلك على تدريج أن ينتقل منه إلى لباس المعلم غير المذهب ، ثم لباس الساذج ، ثم زاد به الأمر حتى لبس الصوف والشواشي وركب الحمير ، وأظهر الزهد ، وكثر استطلاعاه على أخبار الناس ، فلم يخف عليه خبر رجل ولا امرأة من حواشيه ورعيته وكان يأخذ بيسير الذنوب ، ولا يملك نفسه عند غضبه ؛ أفتى خلقاً كثيراً ، وأقام هبة عظيمة . وكان مع طبعانه المستمر وقتكه ، وسفكه للدماء ، وظلمه ، يركب وحده تارة وفي الموكب أخرى ، وفي المدينة طوراً وفي البرية آونة ، والناس كافة على غاية الهيبة له والخوف منه ، وهو بينهم كالأسد

(١) الضارى

ثم عَنَّ له أن يدعى الإلهية ، ويصرَّح بالحلول والتناسخ : ويحمل الناس عليه . وألزم الناس أن يسجدوا له مدة إذا ذُكر ؛ فلم يُذكر في محفل أو غيره إلا سجد من سمع بذكره ، وقيل الأرض إجلالاً له [٥٩] . ثم لم يُرضه ذلك (٢)

فلما كان في شهر رجب سنة تسع وأربعمئة ظهر رجل يقال له حسن ابن حيدرة القرغاني الأخرم يرى حلول الإله في الحاكم ويدعو إلى ذلك ، ويتكلم في إبطال النبوة (٣) ويتأول جميع ما وردت به الشريعة (٤) . فاستدعاه الحاكم [وقد كثر تبعه] (٥) وشكَّع عليه خلعا سنَّية ، وحمله على فرس بسرجه ولجامه ، وركبه في موكبه [وذلك] (٦) في ثاني شهر رمضان منها .

فبينما هو يسير في الموكب في بعض الأيام تقدَّم إليه رجلٌ من الكرخ [وهو على جسر طريق المقدس] (٧) فألقاه عن فرسه ، ووالى الضرب عليه حتى قتله [وارتج الموكب] (٨) ، وأمسك الكرخى فأمر الحاكم بقتله ، فقتل لوقته ونهب الناس دار الأخرم في القاهرة . وكان بين الخلع عليه وقتله ثمانية أيام (٩) .

ثم ظهر رجل من دعائه في سنة عشر وأربعمئة يقال له حمزة اللباد ، أعجمي من الزوزن ، ولازم الجلوس في المسجد الذي عند سقاية ريدان خارج باب

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١ .

(٣) « النبوات » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٤) « ما ورد في الشريعة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٩) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ - ٥٢ .

النصر ، وأظهر الدعاء إلى عبادة الحاكم وأن الإله حلّ فيه . واجتمع إليه جماعة من غلاة الإسماعيلية ، وتلقّب بهادى المُستجيين . وكان الحاكم إذا ركب إلى تلك الجهة خرج إليه من المسجد وانفرد به وحادثه ، وتمادى على ذلك وارتفع شأنه ؛ واتخذ لنفسه خواصّ لقّهم بالقاب ، منهم رجل لقّبه بسفير القدرة وجعله رسولاً له ، وكان يُرسله لأخذ البيعة على الرؤساء على اعتقاده في الحاكم ، فلم يمكنهم مخالفتُه خوفاً على نفوسهم من بطشه ^(١) .

ثم نبغ شابٌ من مولدى الأتراك اسمه أنوشتكين النجارى ^(٢) ، ويعرف بالدرزى ، فسلك طريق الزوّنى وكثرت أتباعه . وكان الحاكم أيضاً يقفُ معه ويخلو به ؛ وسَمّى نفسه سنّة الهادى وحياة المستجيين . واستمر الأمر على ذلك إلى الثانى عشر من صفر ، سنة إحدى عشرة وأربعمائة ^(٣) ، فاجتمع جماعة من أصحاب حمزة الزوّنى على خيول وبغال ، ودخلوا الجامع العتيق رُكباً وهم يعلنون بمذهبهم ، وجاء ثلاثة منهم إلى الموضع الذى يجلس فيه قاضى القضاة ، والمنحاكمون جلّوس ، ينتظرونه ، فتكلّموا بكلامٍ أنكره الناس وضجّوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله عزّ وجلّ ، واجتمع أهل مِصرَ بالجامع من كلّ جهة ، ومضى بعضُ الناس للقاء القاضى فلقوه وعرفوه ماجرى ، فجاء إلى المجلس ، فتقدّم إليه أحد الثلاثة فناوله رُقعةً من الزوزنى ^(٤) فى أولها : « بسم الحاكم الله الرحمن الرحيم » يأمره فيها بالاعتراف

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٢ .

(٢) « البخارى » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٣) « الهادين » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٤) « أربع عشرة » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ . وهو تحريف .

(٥) « الروزة » فى الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

بإلهية الحاكم . فلم يُجبه القاضي بشيء سوى أن قال حق أدخل إلى حضرة مولانا فطاوله الكلام ، فقتله العوام وقتلوا رفيقيه والجماعة الذين بالجامع أبرح قتل . ووثب العوام على قوم كانوا يعرفونهم بهذا المعتقد فقتلوا من وجدوه منهم وحرقوهم (١) .

فلما اتصل ذلك بالحاكم أمر بعزل أصحاب الشرط وولى غيرهم ، وأمرهم بطلب من اعتدى على أصحاب الزوزنى ، فقبضوا على جماعة منهم يناهزون الأرمين ، فقتلوا في أوقات متعددة . واجتمع الأتراك وقصدوا دار الزوزنى فغلقتها عليه وعلى من عنده ، وقتلهم من أغلاها ، فهتفوها ونهبوا ما فيها ، وقتلوا نحوًا من الأرمين رجالاً يمين كان معه فيها . وفر الزوزنى فلم يُقدَّر عليه ، ودخل إلى القصر ، فأخفاه الحاكم فيه . فاجتمع الأتراك ولبسوا سلاحهم وطلبوه من الحاكم ، فوعدهم بتسليمه لهم ، فانصرفوا . ثم ركبوا في اليوم الثانى وطلبوه منه ، فخرج جوابه لهم أنه قتل ، فرجعوا إلى ريدان في طلب الزوزنى فلم يجدوه . وأظهر الحاكم القصب على كافة الجند طول شهر ربيع الأول ، ثم رضى عنهم في الرابع من شهر ربيع الآخر .

وتحقق [الحاكم] (٢) أن أول من جرأ عليه العسكر وحملهم على قتل دُعاته أهل مصر ، فأمهلتهم حتى دخل جادى الآخر ، ثم ابتدأ في التدبير عليهم .

فأول ما عمل أن سلط عليهم الرجالة ومقدمى السودان وغيرهم ، وقرر

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٢) [إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٤ للتوضيح .

معهم أن يتزلوا إلى مصر على هيئة الناس^(١)، فيكبسون الحمامات ومنازل أهل مصر؛ فكانوا يفعلون ذلك نهاراً. وتكرر ذلك منهم، فاجتمع الناس ووقفوا للحاكم وسألوه أن يكف عنهم أيديهم، فما أجابهم بحواب فترايد بهم الضرر إلى أن بقيت الرجالة تكبس مساكنهم ويأخذون ما فيها، ويعرّونهم في الطرقات، ويفتحون دكاكين البزازين وغيرهم، وينهبون ما فيها ويحرقون أبوابها بعد ذلك، والناس يستغيثون فلا يعاؤون. ثم نزل بعد ذلك جمع كثير بعد أن غلقت الدروب، وكانت بقيت تغلق قبل الغروب، وتختلوا البلدان، وفتحوا ما وراء الجامع من التحاسين والآبارين^(٢) والسكرين ودار السمع، وغير ذلك مما يقرب من هذه الأسواق، وأخذوا ما أرادوا منها، وأفسدوا بقية ما فيها؛ فكانوا يخلطون العقاقير والأصناف بعضها ببعض، والياه المخلفة بالزيت؛ ويفسدون ما لا يمكنهم حمله. وضرخوا النار في أبواب القياس^(٣) المجاورة للجامع بعد ذلك، فأخذ الناس في الانتقال إلى القاهرة، وضجوا بالابتهال إلى الله تعالى في كشف ما بهم من^(٤) اليلاء.

قال: وكان الحاكم قبل ذلك قد ضيق على النصارى واليهود كما [٦٠] قدمناه، وأمرهم بالتظاهر بالإسلام؛ فأسلم بعضهم وهرب بعضهم إلى بلاد الروم؛ وهدم جميع الكنائس. فلما كان في شهر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وأربعائة، أذن لهم بالرجوع إلى دينهم، فارتدوا، وأذن لهم

(١) المنسر — الناس: الجماعة من الخيل. أو قطعة من الجيش بين المائة والمائتين. لا تمر بشيء إلا اقتلته — القاموس.

(٢) « البزازين » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥٦.

(٣) « القياسير » في الأصل.

(٤) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٥ - ٥٦.

ببناء الكنائس فأعادوها . فاشتد غضبُ العسكر وحنقهم ، فاجتمع الأتراك والكناميون وتحالفوا على قتل الرُجالة الذين فعلوا بالمصريين ما فعلوا ، فوقع القتال بينهم ، فقتل الرُجالة أُنبرج قتل ، ورأى أهلُ مصر فيهم وفي حرمهم ومنازلهم ما أسلاهم^(١) عما جرى عليهم .

وتمادى الحال على ذلك والحرب قائمةً بينهما ، والحاكم على حاله في ركوبه وهيبته ، فإذا بلغه ركوبهم للحرب تركهم تارة وجاء أخرى ، فإذا رآوه نفرقوا لهيبته . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن فقد الحاكم في التاريخ الذي ذكرناه .

ذكر مولد الحاكم ومدة عمره وملكه وأولاده وكتابه ووسائله وقضاته ونقش خاتمه

كان مولده بالقاهرة في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر^(٢) ، سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . فكانت مدة عمره ستاً وثلاثين سنة وستة أشهر ويومين ، ومدة ولايته خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً إلا ثلاثة أيام إلى يوم ركوبه الذي عدم فيه .

أولاده : أبو الحسن على ، وهو الظاهر أبو الأشبال الحارث ، مات في حياته لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربعمائة .
كتابه ووسائله : أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار^(٣) ، ثم الأستاذ

(١) « باسلامهم » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٦ .

(٢) انظر ما سبق عن الاختلاف في يوم ميلاده .

(٣) انظر الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٦ - ٢٧ .

برجوان^(١) الخصى إلى أن قُتل ، ثم استقل الحاكم بالأمر وولّى من ذكرناهم وغيرهم . وكسب له أبو العلاء فهد بن إبراهيم التصراني .

قضاة : أبو عبد الله محمد^(٢) بن التّيمان إلى أن توفي في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ؛ وأقام الناس بغير قاض تسعة عشر يوماً ؛ ثم وليّ أبا عبد الله الحسن^(٣) ابن عليّ بن التّيمان إلى أن صرفه في شهر رمضان سنة أربع وتسعين ؛ وولّى أبا القاسم عبد العزيز^(٤) بن محمد بن التّيمان ثم صرفه في شهر رجب سنة ثمان وتسعين ؛ وولّى مالك^(٥) بن سعيد إلى أن قتله في سنة خمس وأربعائة ، لأربع بقين من شهر ربيع الآخر . وأقام الناس بغير قاض إلى أن وليّ أبا العباس أحمد^(٦) بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة منها إلى آخر وقت .
نقش حاتم : بنصر العليّ الوليّ يتصر الإمام أبو عليّ^(٧) .

ذكر بيعة الظاهر لإعزاز دين الله

هو أبو هاشم ، وقيل أبو الحسن ، عليّ بن الحاكم ؛ وهو السابع من ملوك الدولة العبّديّة . بويغ له بعد أن نحقق الناس عدم الحاكم بأمر الله في

(١) انظر الإشارة ص ٢٧ .

(٢) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٢ وما بعدها .

(٣) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٦ وما بعدها .

(٤) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٩ وما بعدها .

(٥) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٦٠٣ وما بعدها .

(٦) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٦١٠ وما بعدها .

(٧) « بنصر الإله المل بنصر الإمام أبو علي » في ذيل تاريخ دمشق ص ٨٠ .

يوم الأضحى من سنة إحدى عشرة وأربعائة . وأقام الناس منذ فقد الحاكم في سابع عشر شوال منها إلى هذا التاريخ بغير خليفة ، وست الملك ، ابنة العزيز وأخت الحاكم ، تدبر أحوال الدولة ، وتسكن الجيوش ، وتفرق الأموال على يد الأمير سيف الدين الحسين بن دؤاس . ثم جرى بينها وبين العساكر كلام كبير أوجب أنها أخرجت إليهم أباهاشم هذا وقت الظهور من يوم الأضحى ، فبايعه الناس وازدحموا عليه ، فركب تحت الأرض في السرداب إلى قصر الذهب ، وخرج من بابه إلى باب العيد ، فأجلسته وقالت : هذا خليفتكم . فلما رآه ابن دؤاس قبل الأرض ، وسلم عليه بالخلافة ، فبايعه الأمراء والأجناد ، ولقب الظاهر لإعزاز دين الله (١)

وكتب الكتب لسائر الأعمال بأخذ البيعة ، وجمعت ست الملك الأجناد وأحسن إليهم ، ورقت الأمور أحسن ترتيب ، وعدلت عن ولي العهد إلياس (٢) بن داوود بن المهدي وحي به فبايع والسيف على رأسه ، وحبس ، وكان آخر العهد به . وكان يشار بالخلافة إلى عبد الرحيم بن إلياس ابن أحمد بن المهدي ، فأدخل عليه الشهود وهو يتشخط (٣) في دمه فأشهدهم أنه فعل ذلك بنفسه ، ثم قضى نحب . وقام ابن دؤاس بتدبير الدولة هو والعزيز عمار بن محمد ، وكانا لا يُصدران إلا عن رأي ست الملك عمة الظاهر .

معين التاريخ لأهل التاريخ

(١) انظر اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) « إلياس » في الأصل والتصحيح من النجوم الزاهرة . فقد ورد « وأما ولي العهد ... فاسمه إلياس . وقبل عبد الرحيم . وقبل عبد الرحمن بن أحمد . وكنيته أبو القاسم . ولقب بالمهدي » - ج ٤ ص ١٩٣ .

(٣) شخط - يتشخط - تضرع بالندم - القاموس .

ذكر مقتل الحسين بن دؤاس

قال : لبّا استقرّ أمر الظاهر لإعزاز دين الله وسكنت الأحوال خرج من القصر خصيٌّ وبيده سيف مجرّد ، واستدعى وجوه الدولة ، والوزير في دسته والحسين بن دؤاس قائد القوادم إلى جانبه . فقال الخصيُّ أمر مولانا أن يقتل بهذا السيف [٦١] مقاتلُ مولانا الحاكم ، فنادوا السمع والطاعة فصبّه على ابن دؤاس فقتله ، ولم يختلف اثنان (١) .

وقيل إنه إنما قُتل في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . والله أعلم .
وباشرت السيدة ست الملك للأمور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس .
وفي ثالث عشر ذي الحجة من السنة ، في اليوم الرابع من بيعة الظاهر ، قرئ سجلُّ لأصحاب الأخبار أنهم لا يرفعون ما لافائدة فيه ممّا كان يُنهي إلى الحاكم .

وفي يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة منها ركب القاضي عبد العزيز بن الثمان ومعه جماعة وتوجّهوا نحو الجبل لأتيناؤ الحاكم وعادوا .

وفي يوم الخميس لعشرين منه أقيمت المآتم في القصر وسمع الصّراخ واتصل ، وارتجّ البلد في تلك الليلة بالصّراخ إلى أن مضى وقت كثير من الليل ، وأصبح الناس على وجل ، وأغلقت أبواب القاهرة .

وفي المحرم سنة ثنتي عشرة وأربعمائة سومع بمكس الفقاع . وكان مبلغه في الشهر سبعمائة دينار .

(١) انظر تفصيل ذلك في اتعاظ المنفاج ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها .

وفي حادى عشر ذى القعدة ، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، تُوفيت ست الملك ابنة العزيز ، وكان مولدها فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببلاد المغرب ، وكانت من النُّهاة .

وفى سنة أربع عشرة وأربعمائة ظهر ببلاد الفيوم بركة ينهَّب إليها الماء ، فاستخرج منها سمك بلطى . ومقدارها أربعة آلاف فدان .

وفى شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر بإقامة الدَّعوة الظاهرية بالموصل والبصرة والكوفة وأعمال الشرق .

وفىها وردت الأخبار أن سنان بن صمصام الدولة وصالح^(١) بن مرداس جمعا العساكر وحشدوا^(٢) العربان لحصار دمشق ، وأنهم حاصروها وقطعوا أشجارها ، وقتلوا فلاحي انضياح . وتقرَّر الحال أن يقاتل العوام يوماً وعسكر السلطان يوماً ، واتصلت الحرب بينهم وقُتل جمع عظيم . وحاصر صالح بن مرداس حلب ، واضطربت أحوال الشام بأسره ، وتغلَّبت الحرب عليه . وطلب سنان من أهل دمشق ثلاثين ألف دينار ويرتحلُّ عنهم ، فأجاباه أهل البلد لذلك ، فمنعهم الشريف ابن الحسن وأشار بنفقتها فى عيَّارى البلد ، فأنفقوها^(٣) وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من العرب جمع كثير . وطلب العرب الصُّلح فأجيبوا إليه ، ثم عدوا إليها فى الوقت برأى ابن الجراح...

ووصل الخبر من جهة بنى قرة ، عرب البحيرة ، أنهم أقاموا عليهم إنساناً

(١) انظر ترجمته فى زبدة الحلب ج ١ ص ٢٧٧ وما بعدها . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٨٧ رقم

٣٠٠ .

(٢) « جمعا العساكر وحشدوا » فى الأصل ، والتصحيح يتفق وسباق الكلام .

(٣) « فنفقوها » فى الأصل فى هذا الموضع ومواضع تالية . وسيجربى تصحيحها .

ببرقة ولقبوه بأمر المؤمنين .

وفي الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة اجتمع من العبيد ألف عبد عند سفح المقطم وقصدوا نهب مصر ، فأركب الظاهر لإعزاز دين الله من حفظها ، وأمر أهل مصر بقتل من ظفروا به منهم ، ونهبوا في اليوم الثانى أطراف مصر ، فقاتلهم الناس فانهمزوا .

وفي سنة سبع عشرة وأربعمائة جرد الظاهر أمير الجيوش أنوشتكين الذيرى^(١) من مصر بعساكر كثيرة للدفع العرب^(٢) عن الشام ، وخرج الظاهر لتوديعه . وسار في سبعة آلاف فارس غير العرب ، وعيد عيد الأضحى في الرملة ، وجمع العساكر . فلما بلغ حسان بن مفرج^(٣) خروجه بعث إلى صالح بن مرداس^(٤) فأتاه من حلب في بنى كلاب . ووقعت الحرب بينهم بالأقحوانة^(٥) من عمل طبرية يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة . فطعن صالح بن مرداس ، فسقط عن فرسه ، فقتل ، وحمل رأسه إلى أمير الجيوش . فعندها انهزم حسان . وقتل من أصحابهم مقتلة عظيمة ، وهرب أصحاب صالح إلى بعلبك وحمص وصيدا وحصن عكار^(٦) . واستولى نصر بن صالح وأخوه ثمال على حلب وأعمالها

(١) « الزيرى » في الأصل ، والنصح من المصادر المتداولة ، وانظر ترجمة مفصلة له في ذيل تاريخ دمشق ص ٧٦ وما بعدها .

(٢) المقصود جيوش صالح بن مرداس .

(٣) حاكم الرملة في ذلك الوقت .

(٤) « بن مرداس » في الأصل ، في هذا الموضع ومواضع تالية ، وهو تحريف سيجرى تصحيحه .

(٥) الأقحوانة : على شاطئ بحيرة طبرية — معجم البلدان .

(٦) حصن عكار : على جبل عكار شمالى طرابلس — بلدان الخلافة .

وبالس^(١) ، ومنبج^(٢) . وسار الذيرى حتى أتى دمشق ، ثم إلى حلب ، فظفر بشبل الدولة^(٣) نصر بن صالح فقتله . ثم عاد إلى دمشق فأقام بها وعَلَّتْ منزلته .

ذكر وفاة الظاهر لإعزاز دين الله على ابن الحاكم بأمر الله وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الأحد النصف من شعبان المكرّم من شهور سنة سبع وعشرين وأربعمائة ببستان الدكة بالمقس^(٤) ، فركب الوزير صفى الدين أبو القاسم على الجرجري^(٥) إلى البستان ، وحمل الظاهر منه إلى القصر . وكان مولدُ الظاهر في يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وكانت مدّة عمره إحدى وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام ، ومدة ملكه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وستة

-
- (١) « وبالس » في الأصل ، والنصح من انعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٧٦ .
وبالس : بين حلب والرقّة ، كانت تقع على شاطئ النهر ثم انحسر النهر عنها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت على مسافة أربعة أميال من النهر في زمن ياقوت — معجم البلدان .
- (٢) منبج : من إقليم الحواصم . بينها وبين حلب حوالي ٣٠ ميلاً ، وبينها وبين القرات حوالي ٩ أميال — معجم البلدان .
- (٣) « سند الدولة » في الأصل ، والمقصود نصر بن صالح ولقبه شبل الدولة — انعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٧٦ .
- وأخبار الدول المنقطعة ص ٦٤ ، وفيها « وذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة » .
- (٤) ببستان الدكة بالمقس = منطرة الدكة ، وهي من مناظر الخلفاء الفاطميين ، ولها ببستان عظيم بجوار المقس ، فيها بيته وبين أراضى اللوق — المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٧٩ .
- (٥) انظر الإشارة ص ٣٥ — ٣٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٧٣ وما بعدها . أخبار مصر للمسبحي ص ٣٢ هـ ٢ ، وانظر ما يلي .

أيام . وكان أجمل الناس صورةً . وتولَّى غسله قاضى القضاة عبد الحاكم ،
ومعه ظاهر بن عبد الخالق بن أحمد ابن المهدي شيخ القرافة ؛ وصلى عليه
قاضى القضاة وأخذ سلبه . قال واستمرت التوائج تُنَحَّنْ عليه مدة شهر .
وكان كريماً مشغلاً [٦٢] بلذاته معولاً على وزيره .

ولده أبو نعيم معدّ المستنصر بالله ، وهو الذى ولي الأمر من بعده على
مانذكره .

وزراؤه ووسائطه : أبو الحسين عمار^(١) بن محمد ، أحد وسائط أبيه
الحاكم بأمر الله ، إلى أن زال أمره فى ذى القعدة سنة ثنى عشرة وأربعمائة ،
ثم قتل ؛ وتولَّى الوساطة أبو الفتح موسى^(٢) بن الحسن ، وذلك فى المحرم
سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، إلى أن قبض عليه فى العشرين من شوال وقيل
صبيحته ؛ وتولى الوساطة أبو الفتح مسعود^(٣) بن ظاهر الوزان إلى أن عزل ؛
وتولَّى الوزارة عميد الدولة أبو محمد^(٤) الحسن ابن صالح الروذبارى ، أحد
وسائط الحاكم بأمر الله ؛ ثم عزل فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة بالوزير أبى
القاسم على^(٥) بن أحمد الجرجرائى إلى آخر المدة ، ولقب بالوزير الأجل
الأوحد صفى الدين ؛ وكان أقطع اليمين ؛ وتمكَّن من الظاهر تمكُّناً عظيماً .
حكى من تمكُّنه أنه كان بينه وبين خليل الدولة بن العدَّاس عداوة ، فاتفق

(١) الإشارة ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الإشارة ص ٣٤ .

(٣) الإشارة ص ٣٤ .

« ابن محمد » فى الأصل . وهو تحريف . والتصحيح من الإشارة ص ٣٤ .

(٥) الإشارة ص ٣٥ - ٣٦ .

أن خليل الدولة سأل الظاهر لإعزاز دين الله أن يشرفه بزيارته ببركة الحبش فأجابه الظاهر إلى ذلك وحضر عنده ، فاشتتم ابنُ العداس الفرصة وجعل يذكر للظاهر مثالب الوزير . فسدَّ الظاهر مسامعه وقال لابن العداس : إني وإن رعت حقَّ تشرifi إياك بزيارتي لما أترك حقَّ من أرئضيه لوزارتي ، ولا بدَّ أذكرُ له طرفاً من ذلك ، فاذكرُ خيراً لأحكيه له . فرجع عن ذكر مثالبه وأثنى عليه ، فذكر الظاهر للوزير عنه خيراً ، فكان ذلك سببَ الصلح بينهما . وسنذكر إن شاء الله تعالى أخبارَ الوزير الجرجاني مستوفاةً عند ذكر وفاته في سنة ست وثلاثين في أخبار المستنصر .

ذكر بيعة المستنصر بالله

هو أبو تميم معد^(١) ، بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي . بن الحَكَم بأمر الله أبي علي المنصور ، بن العزيز بالله أبي المنصور نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور بصر الله أبي طاهر إسماعيل . بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهدي عبيد الله . وهو القائم من ملوك الدولة العبيدية وهو الخامس من ملوك مصر والشام منهم .

(١) انظر أخبار الدول المتقطعة ص ٦٧ وما بعدها ، ذيل تاريخ دمشق ص ٨٣ وما بعدها ، انطاخ الحنفيا ج ٢ ص ١٨٤ وما بعدها ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٩ رقم ٧٢٨ المتن من أخبار مصر ص ٣ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١ وما بعدها ، كثر الدرر ج ٦ ص ٣٤٢ وما بعدها .

بُوع له صبيحة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان^(١) سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وذلك أن الوزير الجرجاني أحضر وجوه القبائل من الكتامين ، وغيرهم من الأتراك ، فلما اجتمعوا قال لهم : مولانا ضعيف والآجال بيد الله سبحانه ، فإن قضى الله بانتقاله ماتقولون في ولده الأمير معد ؟ قالوا : الذي يقوله الوزير نحن به راضون ، وله سامعون . فلما رتب هذا الأمر استدعى الوزير ، فنهض قائماً ودخل إلى قاعة من قاعات القصر ، ثم أحضر الجماعة ، فوجدوا الأمير معداً على سرير الملك وعليه التاج ، فقال : هذا مولاكم ، سلموا عليه بالخلافة . فسلموا عليه وانصرفوا ، ولُقب المستنصر بالله ، وكان عمره إذ ذاك سبع سنين .

فلما كان في صبيحة يوم مباحته ، وهو يوم الخميس ، وقف الكتاميون وعبيد الشراء^(٢) وغيرهم بباب القصر ، وأغلظوا في الكلام وطلبوا أرزاقهم واستحقاقاتهم من الوزير ، فقال : أنا كنت وزير الظاهر لإعزاز دين الله وقد توفى ، وأنا أحمل إليكم جميع ما في داري . وأصبح حمل جميع ما في داره إلى القصر ، فغضب له الأتراك ، وأعادوا ما أحضره إلى مكانه . وتقرر اجتماعه يوم السبت ، فاجتمع الأتراك والدبلم وعليهم السلاح ، وجاء الكتاميون ، فلما اجتمعوا بباب القصر خرج إليهم [أحد]^(٣) الحدم وقال : ليدخل من كل طائفة عشرة أنفس ، فدخل جماعة ، فقال لهم الوزير :

(١) « بوع بالخلافة يوم الأحد للنصف من شعبان » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٨٤ . وفي النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١ ، ونلاحظ أن يوم الأحد هو يوم وفاة أبيه . ومن المستبعد أن تتم البيعة له بالخلافة في نفس اليوم - انظر ما يلي .

(٢) « الشرى » في الأصل .

(٣) [] إضافة تنفق والسياق .

مولانا يُقرئكم السَّلام ويقول لكم : إذا كان مُسْتَهْلَ شهر رَمَضَانَ أمر بالثَّفَقَةِ فيكم . فانصرفوا ، وجلس قاضى القضاة عَبْدُ الحَاكِمِ يَحْلِفُ النَّاسَ للمستنصر بالله . فلَمَّا اسْتَهْلَ شهر رَمَضَانَ أنفق في الأشراف والكتاميين والعرب والقيلم وغيرهم لكلِّ واحدٍ منهم ثُلثَ رِزْقِهِ ، فلم يَرْضَوْا بذلك .

ودامت الثَّفَقَةُ إلى العشر الأوسط من شَوَّال فتحالف الكتاميون والأتراك أن يكونوا عَصْبَةً واحدة في طلب واجباتهم . واجتمعوا بباب القصر ، فخرج إليهم الأمير أن احضروا بكرة الغد ، فحضرُوا ، وركب المستنصر إلى أن بلغ بَابَ البحر^(١) ، فرمَوْهُ بالحجارة وصاحُوا عليه ، ورمَاهُ أَحَدُ العبيد بحربة فلم يُصِبْهُ ، فرمى نفسه عن دابته ودخل من باب البحر إلى القصر . وانصرف النَّاسُ ، وعادُوا بِبُكَرَةِ نَهَارِ الغد ، فدخل مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ مائة نفر ، ووقع كلامٌ كثير ، وتقرَّرَ في آخر الأمر أن يحضروا [٦٣] البغاة منهم ، وخرجوا على مثل ذلك ؛ ثُمَّ عَادُوا بعد ذلك وتنصَّلُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ . وسكَّنَ الوزير جميع الطوائف ، واختلف بنو قُرَّةَ مع كتامة بالحليزة ، فأخرج الوزير عسكراً فأصلح بينهم ، واستقرَّتْ الأمور .

وركب المستنصر في مُسْتَهْلَ المحَرَّمِ سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة من باب العيد^(٢) إلى باب الذهب^(٣) ، ومشى النَّاسُ كَافَّةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، والوزير رَاكِبٌ

(١) باب البحر : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، يخرج منه الخليفة إذا أراد الذهاب إلى شاطئ النيل ، وهو من إنشاء الحاكم بأمر الله ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٣ .

(٢) باب العيد : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، كان يخرج منه الخليفة في يوم العيد إلى المصلى بظاهر باب النصر — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٣) باب الذهب : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، كانت تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يومى الاثنين والخميس ، وهو يؤدى إلى قاعة الذهب — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٢ .

خلفه . وتفرق الناس ، ودخل الوزير إلى مكانه ، فدخل عليه جماعة من الأتراك الصغار وطلبوا أرزاقهم وأغلظوا له في القول ، وقصدوا قتله ، فدخل بعضُ الأمراء الكبار فخلّصه منهم .

ذكر عود حلب إلى ملك ملك الديار المصرية

وفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة ملكت حلب على يد أمير الجيوش أنوشكين الدزبري أمير الشام ، وذلك بعد أن التقى هو ونصر بن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، يوم الجمعة لسبع بقين من مجدي الآخرة فانهزم عسكر ابن صالح . ثم كانت وقعة ثانية ، فانهزم شمال بن صالح وأخوه نصر ، فبادر شمال بدخول البلد ، وأخذ من قلعة حلب أموالاً وثخفاً ، واستخلف بها عمه مقلد بن كامل بن مرداس ، وسار يستنجد بأخواله بني خفاجة^(١) ، فثار العوام ونهبوا حلب . ووافى طغان ، أحد الأمراء الذين مع أمير الجيوش ، فدخل حلب بموافقة من أهلها . ثم وصل أنوشكين الدزبري إليها في يوم الثلاثاء لثاني خلون من شهر رمضان ، وأقام بها إلى آخر السنة ، ورجع إلى دمشق في تاسع عشر^(٢) الحجة منها .

ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبي القاسم الجرجاني وأمر الجيوش أنوشكين الدزبري

قال المؤرخ : كان ابتداء الوحشة بينها في سنة ثلاثين وأربعمائة . وسبب ذلك أن شيب بن وثاب التميمي صاحب الجزيرة توفي ، فقصد أمير

(١) « بأخواله من صاحبه » في الأصل ، والتصحيح من انماط الحنفا جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٢) « تاسع عشر » في انماط الحنفا جـ ٢ ص ١٨٧ .

الجيش [أنوشكين] أن يزوج ابنته لولد أبي نصر أحمد بن مروان ليكون له عوناً على بني نُمير أصحاب الجزيرة ، وكتب أمير الجيش إلى مصر يستدعي ابنته ، فلم يُطلقها الوزير ولا رأى إتمام الزواج لانضمام ابن مروان إلى الدولة العباسية وتظاهره بموالاة . وكتب لولاء الشام ألا يمتثلوا أمر أمير الجيش . ف وقعت الوحشة بينهما ، وأطلق أمير الجيش لسانه في الوزير ، وسبه .

ودامت الوحشة إلى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، فصرفه الوزير عن دمشق ، واستعمل عليها ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان . فلما علم بذلك أهل دمشق تنكروا على أميرهم ، وحاصروه بقصره ظاهر دمشق ، في سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ، فهرب إلى حلب ، وقاسى مشقة عظيمة في طريقه ، ونُهبت أمواله . فلما دخل حلب أقام بها ثلاثة أيام ومرض ، فترقى يوم الأحد التاسع من جمادى الأولى ، ووصل سجل إلى شمال بن صالح بن مرداس بولاية حلب ، وذلك قبل وفاة أنوشكين أمير الجيش .

ذكر ظهور سكين المشبه بالحاكم وقتله

وفي شهر رجب سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقاهرة رجل يسمى سكين^(١) يشبه الحاكم وكان بمصر أقوام يعتقدون أن الحاكم حي وأنه غاب لرأى رآه . وهذه الطائفة باقية إلى وقتنا هذا ، ويحلفون فيما بينهم فيقولون : وحق غيبة الحاكم . إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لكل أحد . قال : فلما كان في هذه السنة ظهر هذا الرجل ، فاجتمع عليه القائلون بغيبة الحاكم

(١) هكذا بالأصل : وفي الكامل جـ ٩ ص ٥١٣ . و« اسمه سليمان » في انعاظ المنفا جـ ٢ ص

وزفوه إلى القصر ، وأدخلوه إيَّاهُ ، وقد دُهِشَ النَّاسُ ، فَأَدَّى الْأَمْرُ إِلَى أَنْ
حَاكَمَهُمْ أَوْلِيَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَرَكِبَ الْوَزِيرُ ، فَأُخِذُوا جَمِيعًا وَصُلِبُوا أَجْبَاءً ،
وَرُشِقُوا بِالسَّهَامِ حَتَّى هَلَكُوا .

ذكر وفاة الوزير صفى الدين أبى القاسم أحمد بن على الجرجاني وشيء من أخباره

كانت وفاته ثلاثين بقين من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة ،
[٦٤] وأوصى أن يُدْفَنَ في داره في المكان الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ ؛ فَأُخْرِجَ
وَصُلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْتَنْصَرِفُ الْإِيوَانُ ، وَأُعِيدَ إِلَى دَارِهِ فَدُفِنَ بِهَا ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى
تُرْتِهِ بِالْقِرَاقَةِ .

وكانت وزارته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً .

وهذه النسبة إلى جرجابا ، قرية من قرى العراق .

قدم إلى مصر هو وأخوه أبو عبد الله محمد ، فتنقلت به الحال إلى أن خدم
في الصعيد ، فكثرت فيه المرافعات في أيام الحاكم ، فاعتقله في شهر ربيع
الآخر سنة أربع وأربعمائة ، ثُمَّ أُمِرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ ، فَأُخْرِجَ الْيَسَارَ عِوَضًا عَنْ
الْيَمِينِ فَقُطِعَتْ ؛ فَقِيلَ ذَلِكَ لِلْحَاكِمِ فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا أُمِرْتُ بِقَطْعِ يَمِينِهِ ؛
وَأُمِرَ بِقَطْعِ الْيَمِينِ ، فَقُطِعَتْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْبَحْرِ ، وَهُوَ
الْبَابُ الَّذِي مُقَابِلُ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ ^(١) فِي وَقْتِنَا هَذَا . وَكَانَ قَطْعُهُمَا فِي
ثَامَنَ عَشَرَ شَهْرَ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا .

(١) دار الحديث الكاملية = المدرسة الكاملية : بالقاهرة . مخطوطة بين القصرين ، أنشأها السلطان
الملك الكامل الأيوبي ، سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م . المراعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٥ .

قال : ولما قطع الحاكم يديه مَقَى مِنْ وقته وجَلَسَ في ديوانه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إِنْ أُمِرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْبَى وما صرفني . فبلغ الحاكم ذلك ، فأمر باستمراره . ثُمَّ صَرَفَهُ وولاه ديوان الخفقات ^(١) في سنة ست وأربعمائة ، ثُمَّ رَتَّبَ أَنْ يَكُونَ واسطةً في نظر التواوين مع أبي عبيد الله محمد بن المدَّاس ، في سنة ثني عشرة وأربعمائة . ثُمَّ وَزَرَ للظاهر لإعزاز دين الله في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، فاستكتب أبا الفرج البجلي وأبا عليّ الرئيس . وكان القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب الشَّهاب يكتبُ عنه العلامة ^(٢) وهى : « الحمد لله شكرًا لنعمه » . وكانت أيامه تُسمى الأعراس لطيبها . وَضَبَطَ الأمور أحسن ضبط واستعمل الأمانة التامة ، وتمكن في الدَّولة الظَّاهرية ، على ما قدَّمناه .

قال : وهجاء جماعة من الشعراء . فمن ذلك قولُ أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز الجلبى المعروف بالفكيك ويعرف بمجاسوس الفلك :

يا جرجرائي اتشد وارفق ، ودعْ عنك التَّحَامُقُ
أزعمتَ أنك في التُّقَاة ، فهَبْكَ فيما قُلْتَ صادق
أَعلى الأمانة والتُّقى قُطِيعَت يَدَاكَ من المَرَّاقِ !

قال : ولمَّا مات أوصى أَنْ تُقْرَضَ الوزارةُ بعده لأبي نصر صدقة ^(٣) بن

(١) انظر ديوان الرواتب : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٨٩ - ٤٩٦ . المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٠٦ .

(٢) المقصود العبارة التي يختارها القاضي لتدوين في بداية الوثائق التي تصدر عنه . صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣١٤ . المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢١١ .

(٣) « أبو منصور » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤ ، الإشارة ص ٣٧ . وعن ترجمته انظر : الإشارة ص ٣٧ - ٣٨ .

أبي الفضل يوسف ابن علي الفلاحى ، فخلع عليه خلع الوزارة . وكان يهوديًا ، ولُقِّبَ بالوزير الأجل . تاج الرئاسة فخر الملك مُصطَفَى أمير المؤمنين ، ثم أسلم بعد الوزارة .

ذكر مقتل أبى سعيد التستري وعزل الوزير وقتله ووزارة ابن الجرجاني

وفي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة قتل أبوسعيد (١) التستري اليهودى . وكان يتولى ديوان والدة المستنصر . وذلك أنها كانت جاريته ، فأخذها منه الظاهر واستولدها فولدت المستنصر بالله . فلما أفضت الخلافة إلى ولدها فُرِضت إليه أمر ديوانها : فعظم أمره وانبسطت كلمته بعد وفاة الجرجاني الوزير حتى لم يبق للوزير الفلاحى معه إلا اسم الوزارة ، فدبر الفلاحى فى قتله فقتل .

وقيل بل كان السبب فى قتله أن عزيز الدولة ربحان الخادم كان قد خرج فى هذه السنة إلى بنى قرة ، عرب البحيرة ، لِمَا أفسدوا فى البلاد ، فظفر بهم وقتل منهم . وعاد بنى القاهرة وقد عظم قدره وزاد إدلاله ، فقتل أمره على أبى سعيد .

واستمال المغاربة وزاد فى أرزاقهم ونقص من أرزاق الأتراك ومن ينضاف إليهم . فجرى بين الطائفتين حربٌ بباب زويلة .

(١) « أبو سعيد » فى المتن من أخبار مصر ص ٤ .

وهو إبراهيم بن سهل بن هارون التستري ، أبوسعد ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٥٥ . ص ٤٢٤ .

ومرض إثر ذلك عزيز الدولة ومات فأنهم أبوسعيد أنه سمّه . فلما كان في يوم الأحد لثلاث خلّون من جمادى الأولى ركب أبوسعيد من داره في موكب عظيم وتوجّه إلى القصر على عادته ، فاعترضه ثلاثة من الغلمان الأتراك واختلطوا في الموكب وقتلوه . فاجتمعت الطوائف إلى المستنصر بالله وقالوا : نحن قتلناه . وقُطِع لحمه ، فاشترى أهله ما وصلوا إليه من أعضائه . وأحرق ما بقى . وضَمَّ أهله ما اشترَوْه منه في تابيت وغطّوه بستر ، وأوقدوا أمام التابوت الشموع ووضعوه في بيت مفرد . ورزّوا البيت بالسُتور ، فوصل خب النَّار إلى بعض السُتور فاحترق . وقُرببت نثار فأحرق التابوت بما فيه . قال : وكان الشُّترى قد زاد أذاه في حقّ المسلمين حتى كانوا يحلفون : وحقّ النّعمة على بنى إسرائيل .

ولما قُتل ولى مكانه في نظَر ديوان والدة المستنصر بالله أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى .

وحققت والدة المستنصر بالله [٦٥] على الوزير الفلاحى وتحقّقت أنه تسبّب في قتله ، فقبضت عليه وصرفته عن الوزارة في هذه السّنة ، واعتقلته بخزانة البنود ^(١) ؛ ثم قتل بعد ذلك « أبومنصور صدقة » ^(٢) ودُفن بخزانة البنود ، وذلك في سنة أربعين وأربعمائة .

(١) خزانة البنود : ملاصقة للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العبد ، وكان يعمل فيها السلاح وآلات الحرب والبنود أى الأعلام . ثم استخدمت كسجن . كما يتضح من النص بالمتن — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٣ وما بعدها .

(٢) « بيبس » في الأصل وهو تحريف ، والتصحيح من المتفق من أخبار مصر ص ٨ . اتعاط الحنفا ج ٢ ص ١٩٦ .

والدُّ هذا الوزير هو أبو الفضل يوسف بن علي الذي هجاء الواساني^(١) بقصيدته المشهورة التي أولها :

يا أهل جبون هل لِسَامِرْكُمْ إذا استَقَلَّتْ كَوَاكِبُ الحَمَلِ

وقد أوردنا أكثر هذه القصيدة في الباب الثاني من القسم الثالث من الفن^(٢) الثاني .

ولمَّا قبض عليه وَلَّى الوزارة أبو البركات الحسين^(٣) بن محمد بن أحمد الجرجاني ، ابن أخى الوزير صفى الدين .

وفي سنة أربعين وأربعمائة صرف ناصر الدولة الحسن^(٤) بن حمدان عن ولاية دمشق ، وأُخْضِرَ تحت الحُوطة وَلِىَ مكانه القائد طارق ، ثم أُطلق ابن حمدان في سنة إحدى وأربعين .

وفي سنة إحدى وأربعين صرف أبو البركات الحسين بن الجرجاني عن الوزارة ونُقِيَ إلى صور واعتقل بها ، ثم أُطلق ، فسار إلى دمشق . ونظر في الدواوين بعده عميد الدولة أبو الفضل^(٥) صاعد بن مسعود . ثم فُوضت

(١) هو الحسين بن الحسن بن واسانة بن محمد ، أبو القاسم ، المتوفى سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م .

وانظر بقية القصيدة في نعر ١٤٠ بيت في بتيمة الدهر جـ ١ ص ٣١٠ وما بعدها .

(٢) هذا الباب في الهجاء . ولكن لم ترد القصيدة فيه في المطبوع من نهاية الأرب انظر جـ ٣ ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٣) الإشارة ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) « الحسين » في الأصل .

وهو الحسن بن الحسين بن حمدان التتلي . ناصر الدولة . قتل سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م - انظر ما يلي عن قتله .

(٥) الإشارة ص ٣٩ .

الوزارة لأبي محمد الحسين^(١) بن علي بن عبد الرحمن اليازوري .

وفي سنة ثلاث وأربعين أظهر المعز^(٢) بن باديس الصنهاجي ، صاحب إفريقية ، الخلاف على المستنصر بالله ؛ وقد ذكرنا سبب ذلك في أخبار ملوك إفريقية^(٣) . وكتب المعز إلى بغداد ، فأجيب عن رسالته على لسان رسول من بغداد ، يُعرف بأبي غالب الشيرازي ، وسير إليه صحبته عهداً بالولاية ولواء أسود وخلعة فاجتاز أبو غالب ببلاد الروم فقبض عليه صاحب القسطنطينية^(٤) وبعثه إلى المستنصر بالله ؛ فقدم الرسول إلى مصر وهو مُجَرَّس^(٥) على جمل ، وحفر بين القصرين حفرة ، وحرق فيها العهد والخلع واللواء .

وفيا في ذى القعدة عصى بنو قرة ، عرب البحيرة ، على المستنصر بالله . وكان سبب ذلك أن الوزير اليازوري قدّم عليهم رجلاً يُقال له المقرب ، فتقروا منه واستغفروا منه ، فلم يُجب الوزير سؤالهم ؛ ثم دخلوا على الوزير وطالبوه بواجباتهم ، وأغلظوا له في القول ، فتوعدّهم باستئصال شأفتهم . فقارقوه وأظهروا العصيان ، واجتمعوا بالجيزة في جمع كثير ؛ فندب الوزير

(١) الإشارة ص ٤٠ وما بعدها .

هو المعز بن باديس بن منصور بن ملكين الصنهاجي . راجع أمراء بني زيري في إفريقية . ولها سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م إلى أن توفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م . وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٣ رقم ٧٣٠ . تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٨ . وانظر اتعاظ الحنفيا ج ٢ ص ٢١٢ هامش ٣ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٤) المقصود هو الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع الذي ولي عرش الإمبراطورية البيزنطية في الفترة ١٠٤٢ - ١٠٥٥ م / ٤٣٤ - ٤٤٧ هـ .

(٥) التجريس : التشهير ، القاموس .

عسكراً لقتالهم فكسروهُ ، فندب عسكراً ثانياً فهزمهم وقتل منهم قَتْلَى كثيرة .
وحَمَلَ إلى الخِزَانَةِ المُسْتَنْصِرِيَّةِ من أموالهم جُمْلَةً عظيمة ، فهِرَبُوا إلى بَرَقَةِ .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين بعث المُسْتَنْصِرُ بالله ووزيرهُ اليَازُورِي خِزائنَ
الأموالِ إلى أبي الحارث^(١) أُرسلانَ البِساسِيرِي لِيَقُيْمَ الدَّعْوَةَ المُسْتَنْصِرِيَّةَ بِبَغْدَادَ
واستفد ما كان بالقصر من الأموال . وكان مِنْ أَمْرِ البِساسِيرِي وقِيَامِهِ ،
والخُطْبَةِ لِلْمُسْتَنْصِرِ هَذَا بِبَغْدَادَ ، ما قَدَّمَناهُ في أخبارِ الدَّولَةِ العباسِيَّةِ^(٢)
ولمَّا خُطِبَ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِبَغْدَادَ في سنة خمسَين وأربعائة ، وَرَدَ الخَبَرُ إلى مصر
بذلك فَرُيِّنَتِ القَاهِرَةُ .

وكان عند المُسْتَنْصِرِ مُعْتَبَةٌ تَغْنِي بِالطَّبْلِ^(٣) ، فدخلت عليه وغتته في ذلك
اليوم :

يا بني العَبَّاسِ رُدُّوا^(٤) مَلِكَ الأُمُوسَ مَعْدُ
مَلِكُكُمْ مَلِكُ مَعَارُ^(٥) والعَوَارِي تُسَنَرُ

(١) « أبي الحارث » في الأصل .

وهو أبو الحارث أُرسلان بن عبد الله البساسيري التركي — انظر اتعاظ الخفا ج ٢ ص
٢٢٢ . ذيل تاريخ دمشق ص ٨٥ . الكامل ج ٩ ص ٦٠٥ . ص ٦٤٠ وما بعدها . النجوم
الزاهرة ج ٥ ص ٦٤ . المنتقى من أخبار مصر ص ١٤ . ص ٢٠ . وفيات الأعيان ج ١
ص ١٩٢ رقم ٨١ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٣) « فوَقَّتْ نَسَبَ طِبَالَةِ المُسْتَنْصِرِ » في المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٥ . المنتقى من أخبار
مصر ص ١٩ .

(٤) « صدوا » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ .

(٥) « ملككم كان معاراً » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ .

فقال لها : تمنى . فقالت : أتمنى الأرض المجاورة للمقسم . فقال : هى للسو . ففُتت الأرض بأرض الطبالة^(١) إلى وقتنا هذا .

ذكر القبض على الوزير أبى محمد الحسن^(٢) بن على ابن عبد الرحمن اليازورى وقتله وشىء من أخباره

وفى المحرم سنة خمسين وأربعمئة سُمى بالوزير المذكور عند المستنصر بالله أنه كاتب السلطان طغرل بك السلجوق وحسن له قسُد الديار المصرية ، فقبض عليه وجهزه إلى تيس ، ثم أمر بقتله ، فقتل فى الثانى والعشرين من صفر^(٣) منها . وكان من أكابر وزراء ملوك هذه الدولة .

قال المؤرخ : كان والد اليازورى قاضى يازور ، وهى قرية من أعمال الرملة ، فلما توفى خلفه ولده الحسين المذكور ، ثم عزل عنها ، فقدم مصر وسعى فى إعادته لحكم يازور ، فرأى من قاضى مصر أطراحا لجانبه ، فصحبه رفق المستنصرى - وكان خصيصا بوالدة المستنصر ، فكلم القاضى فى أن يسمع قوله بمصر ففعل . فلما قتل أبوسعيد التسترى أشار رفق على [٦٦] والد المستنصر أن يكون اليازورى وزيرها ، فرتبته فى وزارتها ، فخافه الوزير أبو البركات الجرجاوى أن بلى الوزارة ، فسعى له فى الحكم

(١) أرض الطبالة : كانت على جانب الخليج الغربى بجوار خط المقس . ويذكر المقرئى أنها

كانت من أحسن متنزهاة مصر - المواقظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٢) « الحسين فى الأصل » والنصح من الإشارة ص ٤٠ .

(٣) انظر اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٢٣٦ . المتن من أخبار مصر ص ١٦ .

ليشغله عن الوزارة ، فامتنع اليازورى من ذلك ، فأشارت عليه والده المستنصر بقبول الولاية فقبل . ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى صُرف ابن الجرجاني عن الوزارة وقُوضت الوزارة إلى اليازورى^(١) مُصَافَةً لما بيده من قضاء القضاة وديوان والده المستنصر بالله .

قال القاضي أبو الحسين أحمد الأسواني في تاريخه : حدثني القاضي إبراهيم ابن مسلم الفتوى قال : شهدت خطير الملك ، ولد^(٢) اليازورى الوزير ، وكان قد ناب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك ، وسار إلى الشام بعساكر عظيمة فأصلح أمره . ورأيتُه بعد ذلك بمسجد قوة^(٣) وهو يخيطن للناس بالأجرة وهو في حال شديدة من الفقر والحاجة ، فرأيتُه ذات يوم وهو يطالب رجلاً بأجرة خياطة خاطها له ، والرجل يدافعهُ ويُماطله ، وهو يلحُّ في الطلب . فلما ألح عليه قال له الرجل : يا سيدنا ، اجعلْ هذا القدر البسر من جُملة ما ذهب منك في السُفرة الشامية . فقال : دَعْ ذِكْرَ ما مضى . فسألتُه عن ذلك فلم يحدثني بشيء ، وسألتُ غيره فقال : الذى ذهب منه في سَفَرته في نفقات سَمَاطه ستّة عشر ألف دينار .

قال المؤرخ : وكان اليازورى سببُ التدبير ، أوجب سوء تدبيره خُرُوجَ إفريقية وحلب عن المستنصر بالله .

(١) يذكر ابن ميسر « واجتمع ناصر الدولة بن حمدان باليازورى ، وأشار عليه بالوزارة مضافاً لأشغاله ، وتحدث له مع المستنصر فأجاب وولاه » - المنتقى من أخبار مصر ص ١٦ .

(٢) « غيظ الملك والد اليازورى » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح ينفق مع ما يأتي ، وما ورد في المنتقى من تاريخ مصر ص ١٧ .

(٣) قوة : من القرى القديمة . وهى حالياً قاعدة مركز قوة بمحافظة الغربية - القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها .

قال : ولما قبض على اليازورى وَلِيَّ الوزارة بعده صاحبه أبو الفرج
عبد الله^(١) بن محمد البابلي ، وكان خصيصاً به ، فلما ولي الوزارة بعده سعى
في قتله كلُّ السَّعي ، ويقال إنه جهَّز إليه من قتله بغير أمر المستنصر ، فلما
اطَّلَعَ على ذلك عظم عليه . وعُزِّل البابلي في شهر ربيع الأول منها . واستوزر
أبا الفرج محمد^(٢) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي ، ثم صرفه في
شهر رمضان سنة اثنين وخمسين وأعيد البابلي .

وفي سنة خمسين وأربعمائة استعمل ناصر الدولة بن حمدان على ولاية
دمشق .

وفي سنة ثلاث وخمسين ، في المحرم ، صُرف البابلي عن الوزارة وولَّيها
عبد الله^(٣) بن يحيى بن المدبر ، ثم صُرف في بقية السنة وولى أبو محمد
عبد الكرم^(٤) بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في شهر رمضان من السنة ؛
فقال أبو الحسن علي بن بسر الرحمن بن بشر الصقلي مخاطب ابن المدبر :

لا تجزَعَنَّ عن الأمور إذا التوت وأبشر بلطف مسبب الأسباب
ما كنتَ إلا السيف ، جرداً ماضياً . وأقرّ مذخوراً ليوم ضراب
لله سيرتك التي ما سيرتها إلا بأقوم سنة وكتاب
شيئتَ للوزراء يا ابن مدبر شرقاً لهم يَبقى على الأعقاب
وجمعتَ بين طهارة الأعراق ، وأد أخلاق ، والأفعال ، والأثواب

(١) الإشارة ص ٤٦ .

(٢) الإشارة ص ٤٧ .

(٣) الإشارة ص ٤٨ .

(٤) الإشارة ص ٤٨ - ٤٩ .

جعل الإله لكل قوم سادةً ويسو المدبر سادةً الكتاب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمئة في المحرم توفى الوزير أبو محمد عبد الكريم ، فرُدَّت الوزارة إلى أخيه أبي على أحمد^(١) بن عبد الحاكم ، وكان يلي قضاء القضاة ؛ وصُرف عن الحكم في صفر ، ثم صُرف عن الوزارة ، وقيل إنه صُرف عنها بعد سبعة عشر يوماً من ولايته . وأعيد البابلي مرة ثالثة في شهر ربيع الأول من السنة ، واستغفى بعد خمسة أشهر ، فاستوزر المستنصر سديد الدولة أبا عبد الله الحسين^(٢) بن علي الماسكي ، وكان يلي نظر الدواوين بدمشق ، ثم صُرف في شوال وأعيد البابلي .

ذكر الفتنة الواقعة التي أوجبت خراب الدبار المصرية

كان ابتداء هذه الفتنة في سنة أربع وخمسين وأربعمئة . وسببها أن المستنصر بالله كان في كل سنة يركب على الثُجُب ومعه النساء والخمر^(٣) إلى المكان المعروف بـثُجْبٍ حميرة^(٤) ، وهو موضع نزهة . ويذكر أنه خرج يريد

الإشارة ص ٤٩ .

(٢) الإشارة ص ٤٩ .

(٣) « والحشم » في أتعاط الحفا ج ٢ ص ٢٦٥ . المتن من أخبار مصر ص ٢٤ .

(٤) « يوسف » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من أتعاط الحفا ، والنتقى من أخبار مصر .

جب حميرة : موضعه حالياً المنطقة المعروفة باسم البركة شمال شرق القاهرة . وكان هذا

الموضع ينزل به حجاج البر عند سيرهم من القاهرة إلى مكة — المواعظ والاعتبار ج ٢

ص ١٦٣ .

الحجج ، على سبيل الاستهزاء والتهكم ، ومعه الخمر في الرّوايا بدلاً عن الماء .
 يسبقه للنّاس كما يسقى الماء في طريق مكّة [٦٧] ، شرفها الله تعالى . فلمّا
 كان في هذه السّنة خرج على عادته في جُمادى الآخرة ؛ فاتفق أن بعض
 الأتراك جرّد سيفاً على سكرانه على بغض عبيد الشّراء ، فاجتمع عليه طائفة
 من العبيد وقتلوه ، فجاء الأتراك إلى المستنصر وقالوا : إنّ كان هذا عن
 رضاك فالسمع والطاعة ، وإن كان عن غير رضاك فلا نصيرُ عليه . فأنكر
 المستنصر ذلك ؛ فاجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد بعد قتال
 شديد على كوم شريك ^(١) . وكانت والدّة المستنصر تُعين العبيد بالأموال
 والسّلاح ، فاطّلع بعض الأتراك على ذلك ، فجمع طائفة كثيرة من الأتراك
 ودخل على المستنصر بهم ، وأغلظوا له في الكلام ؛ فحلف أنّه لم يكن عنده
 علّم من ذلك . ودخل على والدته وأنكر عليها ؛ وصار السيف بين
 الطّائفتين . ثم سعى أبو الفرج بن المغربي ، الذي كان يلى الوزارة ، وجماعة
 معه ، في الصّلح بين الطّائفتين ، فاصطلحوا ؛ ولم نصف طائفة منهم للأخرى .
 ثم اجتمع العبيد وخرجوا إلى شبرا دمنهور ^(٢) في جمع كثير .

وكان سبب كسرهم أنّ والدّة المستنصر لما قُتل سيدها ووزيرها أبو سعيد
 الثّغرى اليهودى غضبت لقتله ، وشرعت في شراء العبيد السّودان واستكثرت
 منهم ، وجعلتهم طائفة لها ؛ فاشتدّ أمرهم إلى أن صار العبد منهم يحكم

(١) كوم شريك : من القرى القديمة ، إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، وتنسب إلى
 الصحابي شريك بن سمي ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٨٣ ، القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢
 ص ٣٣٩ .

(٢) شبرا دمنهور : من القرى القديمة ، وهى الآن شبرا الخيمة ، بمحافظة القليوبية ، وتعتبر حالياً
 ضمن القاهرة الكبرى — القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ١٢ وما بعدها .

حكمَ الولاة . فلَمَّا وَلِيَ أبو البركات بن الجرجاني أَمْرَهُ أن يُغْرِى العبيدَ بالأتراك ، فخاف العاقبة فلم يفعل ؛ فصَرَفَهُ ووَلَّى وزيرها اليَازورى وأمرته بذلك ، فلم يقبلَ منها ، ودَبَرَ الأَمْرَ وساسه إلى أن قُتِلَ . ووَزِدَ البابلى فأمرته بذلك ، ففعل ، ووَقَعَ بين الطائفتين .

قال : فلَمَّا خرج العبيد إلى شَبَرَا دمنهور قَوِيَتْ شوكة الأتراك وطلبوا الرِّياداتِ في أرزاقهم إلى أن خَلَتْ الخِزائن من الأموال وضعُفَت الدولة ، والعبيد على حالٍ من الضرورة وهُم يتزايدون عِدَّة ، فتكامل منهم ما بين فارس وراجل خمسون ألفاً .

فبعثت والدَةُ المُستنصر لِقُود العبيد ، في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وأغرتهم بالأتراك ؛ فاجتمعوا ووَصَلُوا إلى الجيزة ، فخرج الأتراك لقتالهم ، والمقدّم عليهم ناصرُ الدولة الحسن^(١) بن حمدان ، فَلَقِيَهُمْ فكسَرَهُ العبيد ونهبوا عسكره ، واشتغلوا بالثَّهب ، فحطَفَ عليهم ابنُ حمدان وهزَمَهُم إلى الصَّعيد ، وعادَ إلى القاهرة وقد قَوِيَتْ شوكتُهُ .

ثمَّ تجمَّع العبيدُ في الصَّعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل ، فقلِقَ الأتراك لذلك قلقاً شديداً ، وحضُرَ المقدّمون إلى المستنصر ليُسْكُوا ذلك إليه ، فأمرت والدته مَنْ عِنْدَهَا من العبيد والخدم بالهجوم عليهم^(٢) وقَتَلَ الأتراك ، ففعلوا ذلك . وسَمِعَ ناصرُ الدولة ابنُ حمدان بالخبر ، فركب إلى ظَاهر القاهرة واجتمع إليه مَنْ بَقِيَ من الأتراك ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد المقيمين بمصر والقاهرة ، ودامَتْ بين الفريقين أَيَّاماً . فانتصر ناصر

(١) « الحسين » في الأصل . والتصحيح مما سبق : ومن اتعاط الحنفا جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) « عليه » في الأصل . والتصحيح يتفق والسابق .

الدولة والأتراك على العبيد ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يبقَ منهم بالقاهرة ويضر إلا القليل .

وبقي العبيد المقيمون بالصعيد على حالهم . وكان بالإسكندرية منهم جماعة . مسار ناصر الدولة إليهم ، فسألوا الأمان ، فأمنهم ، ورتب بالإسكندرية من يثق به . وانقضت سنة تسع وخمسين في حربهم .

وقويت شوكة الأتراك في سنة ستين وأربعمائة ، وطمعوا في المستنصر بالله ، وقلّ ناموسه عندهم . وكان مقرّهم في كلّ شهر ثمانية وعشرين ألف دينار ، فصار في كلّ شهر أربعمائة ألف دينار . وطالبوا المستنصر بالأموال ، فاعتذر أنه لم يبقَ عنده شيء منها ؛ فطالبوه بنخائره فأخرجها إليهم ، وقُومَت بأجنس الأثمان .

وخرج ناصر الدولة بن حمدان في جماعة من الأتراك إلى الصعيد لقتال مَنْ فيه من العبيد ، وكان قد كثر فسادهم ، فالتقوا واقتلوا ، فكانت الهزيمة على ناصر الدولة والأتراك ، فعادوا إلى الجزيرة . فاجتمع على ناصر الدولة مَنْ سلك من عسكره ، وشغبوا على المستنصر بالله ، واتهموه أنه يُعبد العبيد بالثغقات سرّاً ، فحلف لهم على ذلك .

ثم خرج الأتراك إلى العبيد وقتلواهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ولم ينج منهم إلا القليل . وزالت دولة العبيد ، وعظم أمر ناصر الدولة بن حمدان .

ذكر الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأتراك

وفي سنة إحدى وستين وأربعمائة ابتدأت الوحشة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين الأتراك . وسبب ذلك أن ناصر الدولة قوى واشتدّت شوكته ، وانفرد بالأمر دون قواد الأتراك ، فعظم ذلك عليهم وفسدت نيّاتهم

[٦٨] ، وشكوا ذلك إلى الوزير الخطير^(١) ، وقالوا : كلّمنا خرج من الحزنة ما لم أخذ ناصر الدولة أكثره وفرقه في حاشيته ، ولا يصل إلينا منه إلّا القليل . فقال : ما^(٢) وصل إلى هذا الأمر وغيره إلا بهم ، ولو فارقتموه لم يتمّ له أمر . فاتفق أمرهم على غاربه وإخراجه من ديار مصر ، فاجتمعوا وذكرُوا ذلك للمستنصر ، وسألوه أن يُخْرِجَهُ عنهم ؛ فأرسل إليه بأمره بالخروج ويتهدّدُه إن لم يفعل . ففارق ناصر الدولة القاهرة وغدا إلى الجيزة ، ونهبت دُورُه ودور حواشيه وأصحابه .

فلما جاء الليل دخل ناصر الدولة . واجتمع بالقائد تاج الملوك شادى ، وقيل رجله . وسأله أن يُعيّنه على الدِّكر^(٣) والوزير الخطير . قال : وكيف الحيلة في ذلك ؟ قال : تركبُ أنت وأصحابك ونسيرُ بين القصرين ، فإذا أمكنك القُرصة فاقتلها . فأجاباه إلى ذلك .

وركب شادى من بُكرة الغد للتسيير فعلم الدِّكر بمراده ؛ فهرب إلى القصر واستجار بالمستنصر فسليم . وأقبل الوزير في موكبه فقتله شادى ، وسير إلى ناصر الدولة بأمره بالحضور ؛ فعُدّي من الجيزة إلى القاهرة . فأشار الدِّكر على المستنصر بالركوب ، وقال : متى لم تركب هلكت^(٤) وهلكنا معك . فلبس

(١) « خطير الملك » في المتن من أخبار مصر ص ٣٤ .

وهو محمد بن الحسن بن علي البازورى ، استقر في القضاء والوزارة في ١٣ صفر ٤٦١ هـ ، وصرف عنها في شوال من نفس السنة — المتن من أخبار مصر ٣٥ .

(٢) « إنما » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٣) شيخ الأتراك والمقدم عليهم ، ولقبه أسد الدولة . وكان زوج ابنة ناصر الدولة بن حمدان ، ولم يمنه ذلك من التأمر عليه — انما الحنفا ص ٢٧٩ هامش^(١) .

(٤) « وإلا هلكت » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

سلاحه وركب ، وتبعه خلقٌ من عامة الناس والجند ، واصطفوا للقتال . فحملت الأتراك على ناصر الدولة فانهمز ، وقُتل من أصحابه جماعةٌ كثيرة ، ومضى لا يُلوى على شيء وتبعه بعضُ أصحابه فالتحق بيني وبينهم بالبحيرة فأقام عندهم وصاهرهم ، وتقوى بهم .

ولما تحقق ناصر الدولة ميلَ المستنصر عنه قصد إبطال دعوته ، وكتب إلى السلطان ألب^(١) أرسلان السلجوقي^(٢) ملك خراسان والعراق يسأله أن يسير إليه عسكرياً يفتح له مصر ويقيم الدعوة العباسية بها . فتجهز ألب^(١) أرسلان من خراسان بمساركه ، وكتب إلى صاحب حلب^(٣) يأمره بقطع دعوة المستنصر وإقامة الدعوة العباسية ، ففعل ذلك ، وانقطعت دعوة المستنصر^(٤) من حلب ؛ ثم ملكها ألب^(١) أرسلان ؛ كما ذكرناه في أخبار الدولة السلجوقية^(٥) ؛ ثم ملكت عساكره دمشق^(٥) .

(١) بدلاً من كلمة « ألب » في المواضع الثلاثة في هذه الفقرة ، وكلمة « المستنصر » بياض في الأصل ، والتكملة من المتن من أخبار مصر ص ٣٥ .

(٢) « السلجوقي » في الأصل .

وهو ألب أرسلان محمد بن داود بن جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق ، الكامل جـ ١٠ ص ٧٤ وما بعدها ، وانظر نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٣) هو محمود بن ثمال بن صالح بن برداس . رشيد الدولة ، الذي ولي حكم حلب مرتين في الفترة من ٤٥٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٦١ م . والفترة من ٤٥٤ - ٤٦٨ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٧٥ م - انعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٣٠٢ . تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٦ .

(٤) « السلجوقية » في الأصل . وانظر نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٣١٢ .

(٥) كان ذلك سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م على يد القائد التركي . أحد أمراء السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان - المتن من أخبار مصر ص ٤٢ .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة والأتراك

قال : ولما اتّصل بالمستنصر ما فعله ناصر الدولة من مكاتبة ألب^(١) أرسلان جرد عسكرياً لقتاله من الأتراك ، فساروا ثلاث فِرَق . فأراد أحدُ المقدّمين أن يلقاهُ ليكونَ الظفرُ له دُون رقيقه . فتقدّم والتقى بناصر الدولة ، فهزمه ناصر الدولة وقتل جماعةً من أصحابه وأسره . ثمّ اتّقى العسكرُ الثاني ولم يعلموا بما جرى على الأول ، فهزمهم أقبح هزيمة ؛ وهرب العسكرُ الثالث . وقوى ناصر الدولة بهذا الظفر ، وقطع الميرة عن القاهرة ومصر ، ونهب أكثر الوجه البحرى ، وقطع خطبة المستنصر من الإسكندرية ودمياط والوجه البحرى ، وخطب للقائم بأمر الله^(٢) العباسى . وعُدّت الأقوات بالقاهرة ومصر ، واشتدّ الغلاء ، وكثر الوباء ، وامتدّت أيدى الجند إلى نهب العوام .

ذكر الصلح بين ناصر الدولة والأتراك

وفى المحرم سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة وقع الصلح بين ناصر الدولة بن حمدان والأتراك . وسببُ ذلك أن المستنصر بالله والأتراك اشتدّت بهم الضائقة لقطع الميرة ، فاضطّروا إلى مُصالحته ، فصالحوه على أن يكونَ مقيماً بمكانه ويُحمّل إليه مال قرره المستنصر ، ويكون تاجُ الملوك شادى نائباً عنه . فرضى بذلك وسير الغلال إلى مصر . ثمّ وقع الخلافُ بينهم بعدَ شهور ، فجاء

(١) بدلاً من كلمة « ألب » يهاض في الأصل .

(٢) هو الخليفة العباسى أبو جعفر عيّد الله القائم بأمر الله ، الذى ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٤٢٢ - ٤٧٦ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ - ١٣ .

ناصر الدولة من البحيرة ، وعساكر كثيرة ، وحاصر مصر في ذى القعدة من السنة ، ودخل أصحابه فنهوا شطراً منها ، وأحرقوا دور الساحل ؛ ثم عادوا إلى البحيرة . والله أعلم ^(١) .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة جمع ناصر الدولة جموعه من العربان وجاء إلى الجزيرة ، واستدعى إليه تاج الملوك شادى وبعض المقدسين ، فخرجوا للقائه ، فقبض عليهم ونهب مصر [٦٩] وأحرقها .

وكان سبب ذلك أن شادى كان قد قطع عن ناصر الدولة ما كان قد تقرر حملته إليه من المال ، ولم يوصل إليه إلا اليسير منه . فلما قبض عليهم سراً المستنصر إليه عسكرياً كثيفاً ، فهزمه ، فهرب إلى البحيرة وجمع جموعه من العربان وغيرهم ، وقطع خطبة المستنصر وأبطل ذكره . ثم قدم ناصر الدولة في شعبان من السنة ودخل إلى مصر وحكم بها ، وأرسل إلى المستنصر يطلب منه المال ؛ فراه الرسول وهو جالس على حصير وحوله ثلاث خدم ، ولم ير شيئاً آخر من آثار المملكة . فلما ذكر الرسول رسالته للمستنصر قال : ما يكنى ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على هذه الحال ! فبكى الرسول ، وعاد إلى ناصر الدولة وذكر له الحال ، فأطلق ناصر الدولة للمستنصر بالله في كل شهر مائة دينار ، وحكم في القاهرة ، وبالغ في إهانة المستنصر ، وقبض

(١) انظر اتعاظ الحنفية ج ٢ ص ٣٠٥ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٣٧ .

على والدته وعاقبها ، وأخذ منها الأموال . وتفرَّق عن المستنصر جميع أقاربه وأولاده ، ومضوا إلى بلاد المغرب والعراق^(١) .

وعمل ناصر الدولة على إقامة الدولة العباسية . فهض إليكر أحد الأمراء ، وبلدكوز ، واجتمعا يمين يمين الأتراك ، وأتفقوا كلهم على قتل ناصر الدولة ، وكان قد أمين وترك الاحتراس لقوته وسطوته ، وظن أن الدنيا صفت له . فتواعد الأتراك وركبوا إلى داره ، في شهر رجب سنة خمس وستين وأربعمائة ، وهو إذ ذاك بمصر بمنازل العز^(٢) ، فدخلوا عليه من غير استئذان إلى أن بلغوا صحن الدار ، فخرج إليهم في ردا ، فقتلوه وأخذوا رأسه . وكان الذي تولى قتله إليكر ، وقتل أخوه فخر العرب وأخوها تاج المعالي وجباعة من أهل بيته . وانقطع ذكر آل حمدان ، ولم يبق بمصر لهم ذكر^(٣) .

واناصر الدولة هذا هو الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن أبي الهيثماء حمدان بن حمدون .
نرجع إلى حوادث الدولة المستنصرية .

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة نذب أمير الجيوش بدر الجمالي لولاية دمشق على حربها^(٤) ، وفوض إليه في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولاية

(١) انظر انعاظ الحفا ج ٢ ص ٣٠٦-٣٠٧ . المتقى من أخبار مصر ص ٢٨ .

(٢) منازل العز : دار أنشأتها السيدة فريد أم العزيز بالله ، تشرف على النيل ، اتخذها الخلفاء الفاطميون منزلاً ، وسكنها ناصر الدولة بن حمدان إلى أن قتل - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٤ وما بعدها ، وج ٢ ص ٣٦٤ .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢١-٢٣ .

(٤) انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٩١ وما بعدها ، الكامل ج ١٠ ص ٣٠ . المتقى من أخبار مصر ص ٢٨ .

الشام بأسرها (١)

ذكر الغلاء الكائن بالديار المصرية

كان ابتدأوه في سنة سبع وخمسين وأربعمائة واشتد من سنة إحدى وستين ، وقلت الأقوات في الأعمال حتى أكل الناس الميتة ، وتزايدت في سنة اثنتين وستين : وكثر الوباء بالقاهرة ومصر حتى إن الواحد كان يموت في البيت فيموت في بقية اليوم أو الليلة كل من بقي فيه . وخرج من القاهرة ومصر جماعة كثيرة إلى الشام والعراق ، وأكل بعض الناس بعضا . ودام ذلك إلى سنة أربع وستين . وشبهت هذه السنين بسني يوسف عليه السلام . قال ابن الهيثمي في تاريخه (٢) : وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة ورد إلى بغداد من مصر الرجال والنساء هربا من الجوع والفنة ، وأخبروا أن بعضهم أكل بعضا . وورد التجار معهم ثياب صاحب مصر وآلاته وذخائره ، وكان معهم أشياء كثيرة نُهبت عند القبض على الطائع ، في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وما نُهبت في وقعة الباسيري (٣) .

قال : وخرج من خزانة المستنصر بالله أشياء عظيمة ، من جعلتها ثلاثون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج خسرواني (٤) ،

(١) المتفق من أخبار مصر ص ٣٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الملك الهيثمي ، صاحب تكملة تاريخ الطبري .

(٣) انظر انعاظ الحنفية ج ٢ ص ٣٠٣ . المتفق من أخبار مصر ص ٣٦ . أخبار الدول المنقطة ص ٧٥ .

(٤) نسبة إلى خسرو شاه من أكاسرة الفرس . وهو نوع من الحرير رقيق .

وأحد عشر ألف^(١) درع ، وعشرون ألف سيف محلاة ، وغير ذلك .

قال المؤرخ : ومن جملة ما بلغ من أمر الغلاء أن امرأة كان لها حلى باعت ما يساوي ألف دينار بثلاثمائة دينار واشترت به حنطة ، فنهبت منها في الطريق ، فنهبت مع من نهبت ، فحصل لها ما جاء رغبياً واحداً^(٢) .

وحكى أن بعض أهل البسار وقف بباب القصر وصاح واستصرخ إلى أن أحضر بين يدي المستنصر ، فقال له : يا مولانا ، هذه سبعون قمحة وقفت على سبعين ديناراً ، كل قمحة بدينار ، في أيامك ؛ وهو أنى اشتريت أردب قمح سبعين دينار ، فنهبت مني فنهبت مع من مهبت ، فوقع في يدي هذه ؛ فكل قمحة بدينار . فقال المستنصر الآن فرج الله عن الناس فإن أيامي حكم لها أن القمحة ثبات بدينار^(٣) .

قالوا : ولم يكن هذا الغلاء عن نقص التيل ، وإنسا كان لاختلاف الكلمة وحروب الأجناد ، وتغلب المتغلبين على الأعمال . وكان اتيل يزيد ويهبط في كل سنة ، ولم يجذ من يزرع الأراضي ؛ وانقطعت الصرقات براً وبحراً إلا بالخيافة الكثيرة ، وأبيع الرغيف الخبز بأربعة عشر ديناراً أو درهماً . قال الحوائى : وأبيع الأردب القمح بمائتي دينار .

[٧٠] ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر واستيلائه على الدولة

كان تقدمه في سنة ست وستين وأربعمائة . وسبب ذلك أن المستنصر

(١) « منها واحد وعشرون ألف درع » في المتن من أخبار مصر .

(٢) انظر انعاظ المنفا ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٣) انظر انعاظ المنفا ج ٢ ص ٢٩٩ .

تواترت ^(١) عليه الرزانيا وحصره ابن حمدان كما ذكرنا فلما قتل ابن حمدان استطال إليذكر والأترك والوزير ابن أبي كدينة ^(٢) ، فضاقت المستنصر ذرعاً ، وكاتب أمير الحيوش بدر الجمالي ^(٣) وحسن له أن يكون المتولي لأمر دولته ، فأعاد الجواب واشترط أن يستخدم معه عسكرياً ، وآلا يبقى على أحد من عسكر مصر . فأجابه إلى ذلك . فاستخدم العساكر وركب في البحر الملح ، وكان إذ ذاك بمعكا . وسار في مائة مركب في أول كانون ، وهو وقت لم تجر العادة بركوب البحر في مثله ، فوصل دمياط ، وركب منها . وسار إلى أن نزل بظاهر قلوب . وأرسل إلى المستنصر بالله أن يقبض على إليذكر ^(٤) ، فقبض عليه ، ودخل أمير الحيوش إلى القاهرة في شهر ربيع الآخر منها ، وقيل في جادى الأولى . فابث أن بعث كل أمير من أمرائه إلى قائده من قواد الدولة ليلاً وأمره أن يأتيه برأسه ، فأصبح وقد أخضر إليه من رهوس قواد الدولة شىء كثير . وقبض على الأتراك وقويت شوكة ، وقمع كل مفسد ، حتى لم يبق أحد منهم بمصر والقاهرة . وخلع المستنصر ^(٥) بالله على بدر الجمالي بالطليسان ، وصار أمر المستخدمين في حكمه ، والدعاة والقضاة نوابه . قال : ولما قدم مصر حضر إليه المتصدرون بالجامع ، فقرا ابن

(١) « لما تواترت » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٢) هو الحسن بن مجمل بن أسد بن أبي كدينة - المتنفذ من أخبار مصر ص ٤٠ .

(٣) انظر ترجمته في : الإشارة ص ٥٥ - ٥٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٨ ، الرواق ج ١٠ ص ٩٥ رقم ٤٥٤٥ .

« بلدكوز » في المتنفذ من أخبار مصر ص ٤٠ ، و « بلدكوش » في انماط الحنفا ج ٢ ص ٣١٢ ، الرواق بالرويات ج ١٠ ص ٩٥ . كنز الدرر ج ٦ ص ٤٣٩ .

(٥) « على المستنصر باقة » ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق والسياق . وانظر المتنفذ من أخبار مصر ص ٤٠ .

العجمي : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ » ^(١) وسكت عن تمام الآية . فقال له بدر : والله لقد جاءت في مكانها ، وسكوتك عن تمام الآية أحسن ^(٢) ، وأحسن إليه . وقيل : بل قال له : لِمَ لا قرأت « إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ » ^(٣) .

وقُتِلَ أمير الجيوش من أمائل المصريين ووزرائهم وحكامهم جماعة ، وشرع في إصلاح الأعمال وقُتِلَ المفسدين .

وفي سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة خطب للمستنصر بمكة والمدينة ، وكانت الخطبة بهما قد انقطعت منذ خمس ^(٤) سنين .

وفيها حاصر أنسيز ^(٥) دمشق وملكها ، على ما ذكرناه في الباب العاشر من القسم الخامس من هذا الفن في أخبار الدولة السلجوقية . وانقطعت خطبة المستنصر من الشام .

ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كثر الدولة

وفي سنة تسعٍ وستين وأربعمائة اجتمع جماعة كثيرة من عرب جهينة

(١) سورة آل عمران رقم ٢ جزء من الآية رقم ١٢٣ .

(٢) بقية الآية « فَأَنْقَا اِهْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . وورد في كنز الدرر « لو أتم الآية أمرت بضرب عنقه » ج ٦ ص ٣٩٩ .

(٣) سورة الزخرف رقم ٤٣ ، جزء من الآية ٥٩ .

(٤) ورد هذا الخبر في أحداث سنة ٤٦٧ هـ في اتعاظ المتفا ج ٢ ص ٣١٤ ، وانظر أيضًا الكامل ج ١٠ ص ٩٨ .

(٥) أنسيز أو أنسر أو أطسر ، ويكتب أحيانًا أنسيس . أحد أمراء السلطان السلجوقي ملك شاه . انظر الكامل ج ١٠ ص ٩٩ وما بعدها ، والمنتهى من أخبار مصر ص ٢٤٢ . وانظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(١)

والجعافرة والثعالبة وغيرهم بمدينة طوخ العليا من صعيد مصر ، وانفقوا على قتال أمير الجيوش ، فخرج إليهم . فلما قاربهم هجم عليهم في نصف الليل ، فهزمهم وأبادهم بالقتل ، وغرق خلق كثير منهم ، وغنم أموالهم وحملت إلى المستنصر .

وكان كثر الدولة ^(٢) محمد قد تغلب على ثغر أسوان ونواحيها وعظم شأنه وكثرت أتباعه ؛ فقاتله أمير الجيوش وقتله ، وبني في المكان مسجداً سماه مسجد النصر . وكانت هذه الوقعة آخر إصلاح حال مصر وعربانها . وقبل كان قتل كثر الدولة في سنة خمس وسبعين والله أعلم .

(٣)

وفي غيبة أمير الجيوش [هجم] ^(٣) أنسى على الديار المصرية ، وكان ابن بلدكوز قد التحق به وأهدى له ثحفاً جليلة المقدار ، منها ستون حبة لأولو مدحرج ^(٤) تزيد كل حبة على مثقال ، وحجر ياقوت زنته سبعة عشر مثقالاً ، وغير ذلك ، وأطعمه في ملك الديار المصرية ، وملك ما وصل إليه . فجمع أمير الجيوش عساكره وخرج إليه . وقاتله وهزمه ، وقتل خلقاً كثيراً من أصحابه بعد أن أقام بأرياف مصر جُماديتين وبعض شهر رجب ^(٥)

(١) طوخ : يوجد بصعيد مصر ٢١ موضع كل منها يحمل اسم طوخ مضافاً إلى اسم آخر .

ورود في معجم البلدان طوخ : قرية بصعيد مصر غربي النيل . وورد في القاموس الجغرافي طوخ : قرية في صعيد مصر الأعلى على غربي النيل ، ومن المرجح أن تكون هذه القرية هي المقصودة ، وهي التي تعرف باسم طوخ دمنو من أعمال قوص - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢) عن بني كثر انظر تاريخ دولة الكتوز الإسلامية - القاهرة ١٩٧٦ .

(٣) [] إضافة للتوضيح تنفق والسياق . وانظر أيضاً المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ ، انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٧ . الكامل ج ١٠ ص ١٠٣ .

(٤) « مرجح » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ .

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ ، وانعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٧ وما بعدها .

وفيهما خرج على أمير الجيوش عرب قيس وسليم وفزارة ، فخرج إليهم وقتلهم ، وهزمهم ، وطردهم إلى برقة ^(١) .

وفي سنة سبعين وأربعمائة قوّض لأمير الجيوش بدر الجمالي قضاء القضاة ، ونُعت بكافل قضاة المسلمين ، وهادى دُعاة المؤمنين .

وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة خالف الأرواح بن أمير الجيوش على والده ، واجتمع معه جماعة من العربان وغيرهم ، واستولى على الإسكندرية . فسار إليه والدّه وحاصره بها ، وفتحها ، وقبض على ولده ، وبني أمير الجيوش الجامع المعروف بجامع العطارين بالإسكندرية ^(٢) من أمواله أخذها من أهل البلد ، وكانت عمارته في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين . وقامت الخطبة بهذا الجامع إلى آخر أيام العاضد ^(٣) .

وفي سنة اثنتين وثمانين [٧١] وأربعمائة ندب أمير الجيوش بدر الجمالي عسكرًا إلى الساحل ففتح صور وصيدا ، وصارًا بيد نوابه . ثم سار بعد ذلك وفتح جبيل وعكا . وكان ذلك في يد تاج الدولة تُتَش صاحب دمشق ^(٤) .

ذكر بناء باب زويلة بالقاهرة

وفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة أمر أمير الجيوش بدر الجمالي ببناء باب

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٧٦ . المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ .

(٢) كان هذا الجامع خراباً وجدده بدر الجمالي — انظر تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٦٧ . ج ٢ لوحة ٣٦ ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٦ هامش ١٨٩ .

(٣) « ولم تزل الخطبة فيه حق ملك صلاح الدين يوسف فنقل الخطبة منه إلى جامع بناء » المنتقى من أخبار مصر ص ٤٧ ، وانظر انماط الحنفا ج ٢ ص ٣٢١ .

(٤) في الأصل . وهو تحريف . والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٥٠ . الكامل ج ١٠ ص ١٧٦ ، انماط الحنفا ج ٢ ص ٢٢٦ . التاج الزاهرة ج ٥ ص ١٢٨ .

زويلة الكبير ، الذى هو الآن باقى ، وعلى أرضه ^(١) ، وأراد أن يجعل له عطفة على عادة أبواب الحصون حتى لا تهجم عليه العساكر فى أوقات الحصار ، ويتعذر دخولها جملة ، فأشار عليه بعض المهندسين أن يعمل فى بابه زلاقة من حجارة الصوان ، فعمله على هذا الحكم . ولم يزل كذلك إلى أن دخل منه السلطان الملك الكامل ^(٢) بن الملك العادل ، فزلق فرسه ، فرسم أن يخفف من حجارته ، فخفف منها ، ولم يبق إلا القليل على ما هو عليه الآن ^(٣) .

وفى سنة ست وثمانين وأربعمائة ملك تاج الدولة تثنى ثغر صور بمواطاة من نائب بدير بها .

ذكر وفاة أمير الجيوش بلس الجالى وولاية ولده الأفضل

كانت وفاته فى شهر ربيع الأول ^(٤) ، وقيل فى جمادى الأول ، سنة سبع وثمانين ^(٥) وأربعمائة . وكان حكمه بديار مصر حكم الملوك ولم يبق للمستنصر بالله أمر ، بل سلم الأمور إليه فضبطها أحسن ضبط . وكان شديدة الهيبة ،

(١) « وعلى أبراجه » فى المتن من أخبار مصر ص ٥١ . اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب . الملك الكامل . ولى حكم الدولة الأيوبية فى الفترة من ٦١٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٤٢ .

(٣) انظر المتن من أخبار مصر ص ٥١ . اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٤) « ربيع الآخر » فى المراعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٨١ ، و « فى ذى القعدة » فى الكامل ج ١٠ ص ٢٣٥ .

(٥) « سنة ست وثمانين » فى كنز الدور ج ٦ ص ٤٣٩ ، و « سنة ثمان وثمانين » فى كل من : المعبر ج ٣ ص ٣٢٠ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٣ .

سريع البطش ؛ قتلَ خلقًا كثيرًا من أكابر المصريين وقوادهم وكُتّابهم ،
وعلى يديه صلحت الديار المصرية بعد أن خربت . وكان له نحو الثمانين سنة .
وكان أرمى الجنس مملوكًا لجلالى الدولة بن عمار وإليه يُنسب وتولى إمرة
الشام والساحل .

ولما كان بلى دمشق جرت فتنة من عسكره وأحداث البلد خرب بسببها
قصر الإمارة والجامع الأموى .

ذكر وفاة المستنصر بالله وشيء من أخباره

قال المؤرخ : ولما ولى مصر أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين إلى أن
نمت أحوالهم واتسعت أموالهم . وكانت إمارته بمصر إحدى وعشرين سنة .
ولما توفى ولى بعده الوزارة ولده الأفضل ، ونعت بنعت أبيه ، وقبض
على جماعة من الأمراء كانوا قد ناروا عليه .

كانت وفاته فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين
وأربعمائة ، ومولده فى يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة سنة عشرين
وأربعمائة ، فكانت مدة حياته سبعًا وستين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، ومدة
ولايته ستين سنة وأربعة أشهر .

ولقى فى ولايته أهوالاً عظيمة وشدائد كثيرة وفاقة متمكنة حتى جلس على
نخ^(١) وكانت أيامه ما بين غلاء ووباء وفتن ، على ما نذكره . وكان قد عتق
وتجبر واشتهر ، وذلك أنه اشتهر عنه أنه نصب خركاه فى القصور التى بعين

(١) نخ : نوع من الحصر — أو بساط طويل — القاموس .

شمس وبني فسقية عظيمة وحمل إليها الخمر في الرّوايا وأخرج جميع من في قصره من الملاحى والقيان إلى الحركة وهم يغنون بأصوات مرتفعة ويستقون من فسقية الخمر ، ويطوفون بالحركة ، يُصاهون بذلك البيت العظيم وزمزم ، ويقول : هذا أطيب من زيارة حجارة ، وسماع صوت كربه ، وشرب ماء آسن . فأخذه الله تعالى وعجل العقوبة ، وأراه الدّل مع قيام سُلطانهِ ، وسلط عليه أنصار دولته حتّى نهوا أمواله واستولوا على قصره ، ولم يبقَ له إلا ساطُ فجذبوه من تحته . وصار إذا ركب لا يجد ما يركبه حاملُ مظلته إلا أن يُستعار له بغلة ابن هبة ، صاحب ديوان الإنشاء ، وكلُّ خواصّه مشاة ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا إذا مشوا يساقطون في الطرقات من الجوع . وكانت ابنة بابشاذ تبعثُ إليه برغيفين في كلّ يوم^(١) . وهذه عاقبة الطغيان والاستهتار .

وكان له أولاد منهم : أبو القاسم أحمد ، وأبو المنصور نزار ، وأبو القاسم محمد ، وأبو الحسين جعفر^(٢) ، وغيرهم .

ووزر له جماعة^(٣) وهم : أبو القاسم الجرجرائي الأقطع ، وزير والده ، إلى أن توفي ، فاستوزر من ذكرناهم [٧٢] إلى آخر سنة أربع وخمسين . وتكرّر بعضهم في الوزارة مراراً واستوزر أبا غالب عبد الظاهر بن فضل العجمي غير مرة ، دفعة في جُمادى الأولى سنة خمس وخمسين وصُرف بعد

(١) « لا يجد من القوت إلا ما تصدق به عليه الشريفة ابنة صاحب السبيل في كل يوم » اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٧٧ .

(٣) « ووزر له أربعة وعشرون وزيراً » في المتقى من أخبار مصر ص ٥٥ . وفي اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٢ .

ثلاثة أشهر ، ودفعه في شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وصُرف بعد ثلاثة وأربعين يومًا ، ثم وليها ثالثة في أيام الفتنة ولُقّب تاج الملوك شادي ، وقتل في سنة خمس وستين . وولّني له الحسن بن ثقة الدولة بن أبي كدينة القضاء والوزارة ، كلّ منصبٍ منها خمس دفعات ، ويقال إنه من ولد عبد الرحمن ابن ملجم قاتل على بن أبي طالب رضى الله عنه . ولما وصل أمير الجيوش بدر الجمالي أرسله إلى دمياط وأمر بضرب عنقه ، فدخل عليه السيّاف بسيفه كليل^(١) فضره عدّة ضربات حتى أبان رأسه ، وكان عدّة ماضيه عدّة ولاياته الحُكم والوزارة . وولى أبوالمكارم أسعد ثم قتله أمير الجيوش ، ووَزَرَ بعده أبوعلی الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري عشرة أيام ثم استعفى ، وكان يهوديا فأسلم ، وولّى أبو القاسم هبة الله محمد الرعباني دفتين كلّ دفعة عشرة أيام . ووَزَرَ الأثير أبو الحسن بن الأنباري أياما وصُرف ، ووَزَرَ أبوعلی الحسين بن شديد الدولة الماسكي مرة ثانية أيامًا . ثم صرف . ووَزَرَ أبو شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملك ، وفخر الملك هو الذى وزر لبهاء الدولة ابن بويه ، فصُرف وسار إلى الشّام فقتله أمير الجيوش في مسيره . واستوزر أبا الحسن طاهر ابن الوزير الطرابلسي ، من طرابلس الشّام ، ثم صرّفه ، وكان أحد الكتاب بديوان الإنشاء ، واستوزر أبا عبد الله محمد بن أبي حامد السيسى يومًا واحدًا ثم قُتل . فاستوزر أبا سعد منصور بن أبي اليعمن سورس بن مكرواه بن زنبور . وكان نصرانيًا ثم أسلم ، والنصارى يُنكرون إسلامه . واستوزر أبا العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد وصُرف وبقي أيامًا وقتله أمير الجيوش . ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ووَزَرَ

(١) كليل : ضعيف ، وسيف كليل : أى لا يقطع — القاموس .

للسيف والقلم والحكم إلى أن مات ، ثم ولدّه الأفضل بعده^(١).

قضاته : كان منهم جماعة من الوزراء قد ذكرناهم ، ومن لم يَلِ الوزارة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في أول خلافته ، ثم القاسم بن عبد العزيز بن النعمان . وفي ولاية أمير الجيوش أبي يعلى المرقى إلى أن مات ، فولى أبو الفضل القضاعي . ثم جلال الدولة أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار ، ثم صرفه وولّى أبا الفضل بن عتيق ، ثم أبا الحسن علي بن يوسف الكحال النابلسي ، ثم فخر الأحكام محمد بن عبد الحاكم^(٢) .

وكان نقش خاتم المستنصر بالله « بنصر السميع العليم يتصر الإمام أبو تميم »^(٣)

ذكر بيعة المستنصر بالله

هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد ، وهو التاسع من ملوك الدولة العبّيدية ، والسادس من ملوك مصر منهم . بُيع له في بكرة نهار الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وذلك أن المستنصر بالله لما توفى بادر الأفضل أمير الجيوش بدخول القصر وأجلسه على تخت المملكة ، وسير إلى إخوته نزار وعبد الله وإسماعيل ،

(١) انظر انماط الحفا ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٧٨ - ٨١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٥ - ٥٦ ، الإشارة ص ٣٦ - ٥٩ .

(٢) انظر انماط الحفا ج ٢ ص ٣٣٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٧ .

(٣) « يتنصر المستنصر أبو تميم » في انماط الحفا ج ٢ ص ٣٣٤ .

وَأَعْلَمَهُمْ بِوفاة أبيهم ، وأمرهم بِسرعة الحضور . فلَمَّا حضروا شاهدُوا أخاهم الصَّغِيرَ وقد جلس على سرير الخلافة ، فامتعضوا من ذلك ، فقال لهم الأفضل : تقدّموا وقبلوا الأرض لله تعالى ولمولانا المستعلي بالله وبإيعوه ، فهو الذي نصَّ عليه الإمام المستنصر بالله قبل وفاته بالخلافة من بعده . فقال نزار : لو قُطعت ما بايعتُ مَنْ هو أصغر مِنِّي سنًا ، وخطُّ والدي عندي بولاية العهد ، وأنا أحضره . وخرج مُسرعًا ليُحضِر الخطَّ فُضِيَ إلى الإسكندرية ، فسير الأفضل خَلْفَه من يُحضِرُه ، فلم يعلم أحدٌ أين توجه ولا كيف سلك ، فانزعج الأفضل (١) لذلك .

وقيل إنّه لما توفى المستنصر بالله جلس بعده ولده أبو منصور نزار ، وهو وليُّ العهد وأراد أخذ البيعة لنفسه فامتنع الأفضل أمير الجيوش من ذلك لكرامته فيه (٢) واجتمع بجماعة الأمراء والخواص وقال لهم : إن هذا كبير السن ولا نأمنه على نفوسنا ، والمصلحة أن نبايع لأخيه الصغير أبي القاسم أحمد . فوافقوه على ذلك إلا محمود بن مصال اللكي (٣) ، فإن نزارًا كان قد وعده بالوزارة والتقديم على الجيوش مكان الأفضل . فلَمَّا علم ابن مصال الحال أطلع نزارًا عليه .

وبادر الأفضل وبايع أحمد الخلافة ، ونعته بالمستعلي بالله وأجلسه على

(١) انظر انعاظ الحنفيا جـ ٣ ص ١١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) عن سبب هذه الكراهية - انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٦٠ . التجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤٢ ، انعاظ الحنفيا جـ ٣ ص ١٢ .

(٣) « المالكي » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٦٠ ، انعاظ الحنفيا جـ ٣ ص ١٢ .

« من قرية يقال لها لك بركة » - انعاظ الحنفيا جـ ٣ ص ١٢ . وانظر ما يلى عن قرية لك .

سرير الملك ، [٧٣] وجلس الأفضل على دكة الوزارة . وحضر قاضي القضاة نصر الإمام على بن الكحال ومعه الشهود ، وأخذ البيعة على مقتضى الدولة ورؤسائها وأعيانها ، ثم مضى إلى إسماعيل وعبد الله ، وهما بالقصر في المسجد وعليهما التوكيل ، فقال لهما : إن البيعة قد تمت لمولانا المستطى بالله ، وهو يُقرُّكُمَا السلام ويقول لكما : تبايعاني أم لا ؟ فقالا : السمع والطاعة ، إن الله اختاره علينا . وبإيعاه ، وكتب بذلك سجلَ قرأه على الأمراء الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحنفى الكاتب بديوان الإنشاء . وبادر نزار وأخوه عبد الله ومحمود بن مصال إلى الإسكندرية ، وعليها ناصر الدولة ^(١) أفتكين التركى ، أحد ممالك أمير الجيوش بدر الجمالى ، فعرفوه الحال ووعدهوه بالوزارة ، فبايعه ، وبإيعاه أهل الثغر ، ولُقّب بالمصطفى لدين الله .

ذكر ما اتفق لنزار ومن معه

قال : وفى المحرم سنة ثمان وثمانين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى الإسكندرية لقتال نزار وأفتكين وابن مصال . فلما قُرب منها خرجوا إليه ، والتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الهزيمة على الأفضل ومن معه ، فرجع إلى مصر ونهب نزار ومن معه من العرب أكثر بلاد الوجه البحرى .

ثم خرج الأفضل ثانياً وحاصر الإسكندرية ، واشتد الحصار إلى ذى القعدة . فلما اشتد الحال رأى ابن مصال مناماً ، فلما أصبح أحضر رجلاً أعجمياً وقال له : رأيت كأنى راكب فرساً وكان الأفضل يمشى فى ركابى .

(١) « نصر الدولة » فى انعاظ الحنفاء ج ٣ ص ١٣ .

فقال له العجمي : الماشي على الأرض أَمَلَّكَ لها . فلَمَّا سمع منه ذلك جمع أمواله وهرب إلى لُكَّ قرية من قرى بركة . فعند ذلك ضَعُفَتْ قُوَّة نزار وأفتكبن ، فاضطَّرَّ إلى مسألة الأفضل [وبعثا] ^(١) يطلبان الأمان ، فأَمَنَها وفتحت البلد .

ودخل الأفضل الإسكندرية وقبض على نزار وأفتكبن ، وسيرهما إلى مصر ، وكان آخر العهد بنزار . قبل إنه جعله بين حائطين إلى أن مات . وكان مولده في عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . وأما أفتكبن فإنه أظهر قتله بعد ذلك للناس . وأما محمود بن مصال فكاتبه الأفضل ورغبه في العُود، فعاد إلى مصر ، فأكرمه الأفضل .

وفي سنة تسعين وأربعمائة خطب الملك رضوان ^(٢) صاحب حلب للمستعلي بالله أربع جُمُوع ^(٣) ، ثم قطع خطبته ، على ما ذكرناه في أخبار الدولة السلجقية والله أعلم .

ذكر استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس

وفي شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى الشام ونزل على البيت المقدس ، وهو في يد الأمير سُقْمَانَ

(١) [وبعثا] إضافة يقتضيها السياق من اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٤ .

(٢) هو رضوان بن تنش صاحب حلب وأنطاكية - انظر اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٩ ، الكامل جـ ١٠ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٦٤ .

(٣) « أربعة أشهر » في اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٩ .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٧٢ - ٧٣ .

وإيلقازى ، ابنى أرثق^(١) ، وجاعة من أقاربها وخلق كثير من الأتراك . فراسلها يلتمس منها تسليم البيت المقدس من غير حرب ولا سفك ، فلم يجيبه لذلك . فنصب المجانيق وهدم منه قطعة ، وقاتل ، فاضطراً لتسليمه فسلماه له ، فخلع عليهما وأطلقهما . وعاد الأفضل إلى مصر^(٢) .

ونقل محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب فى تاريخ مصر أن الأفضل لما رجع من بيت المقدس مر بعسقلان ، وكان فى مكان دارس بها رأس الحسين بن على ، رضى الله عنها ، فأخرجه وعطره وطيبه ، وحمل فى سبط إلى أجل داربها ، وعمر المشهد ، ولما تكامل حمل الأفضل الرأس على صدره وسعى ماشياً إلى أن رده إلى مقره : ثم نقل إلى مصر على ما ذكره إن شاء الله . وقبل إن المشهد [بعسقلان]^(٣) ابتداء بعمارة بدر الجمالى وكمله الأفضل^(٤) .

ذكر استيلاء الفرنج على ما ذكره من البلاد الإسلامية بالساحل والشام والبيت المقدس

لم يكن جميع ما استولوا عليه مما ذكره داخلاً فى ملك الدولة العبيدية ، بل كان منه ما هو فى أيدي نواب المستعلى وما هو بيد الملوك الذين تغلبوا على الأطراف ، ولم يكن أيضاً فى أيام المستعلى خاصة . وإنما وردناه بجملته فى

(١) وليا القدس بعد وفاة والده سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٥٠ .

(٢) انظر انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ . المنتقى من أخبار مصر ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) [] إضافة للنوضح من الواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٧ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ .

(٤) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٦٦ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ .

هذا الوضع لتكون الأخبار متتابعةً ولا تنقطعُ بالسنين والدول . وقد نبهنا عليه فيما تقدم من أخبار الدولة العباسية ^(١) .

والذي نذكره الآن في هذا الموضع هو ما استولوا عليه [٧٤] من سواحل الشام سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وما بعدها .

وكان ابتداء ظهورهم وامتدادهم وتطرقهم إلى البلاد الإسلامية في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وذلك أن بلاد الأندلس ^(٢) لما تقسّم ملوكها بعد بنى أمية وصارت كلُّ جهةٍ بيد ملك . وأُنِفَت نفسُ كل واحدٍ أن ينقاد إلى الآخر . ويدخل تحت طاعته ، فكانوا كملوك الطوائف في زمن الفُرس . وعجز كلُّ واحدٍ عن مقاومة مَنْ يليه أو يقصده من الفرنج ، أدى ذلك إلى اختلال الأحوال ، وتغلب الأعداء على البلاد الإسلامية . فأول ما استولوا عليه مدينة طليطلة من الأندلس . على ما ذكرناه ^(٣) في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . ثم ملكوا جزيرة صقلية في سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وتطرقوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئاً ثم استرجع منهم . على ما قدّمناه ^(٤)

ذكر ملكهم مدينة أنطاكية

كان استيلاء الفرنج خَدَخَم الله تعالى ، على مدينة أنطاكية في جُادى الأولى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . وكانت بيد مُلوك الرُوم من سنة ثمان

(١) انظر نهاية الأرب جـ ٢٣ ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٢) يلاحظ أن النويرى . مثله في ذلك مثل ابن الأثير — يبدأ كلامه عن الحروب الصليبية بغزو الفرنج للأندلس . فيربط بذلك بين الحركة الصليبية في بلاد الأندلس . والحركة الصليبية في المشرق الإسلامي — الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٢ .

(٣) انظر نهاية الأرب جـ ٢٣ ص ٤٤٢ .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٤ صفحات متفرقة . جـ ٢٧ ص ٩٠ وما بعدها .

وخمسين وثلاثمائة إلى أن افتتحها الملكُ سُلَيْمَانُ بْنُ شَهَابِ الدِّين ولد قُتْلُش السلجوقي ، صاحب أقصرا وقونية وغير ذلك من بلاد الروم في سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، على ما ذكرناه في أخبار الدولة السلجوقية (١) ، وبقيت في يده إلى أن قتل . وتداولتها أيدي المتغلبين من ملوك الإسلام وأمرائهم إلى أن استقرت بيد يَاقِي سَيَّان وهو يحظب فيها للملك رضوان ابن تَشَّص صاحب حلب ، ولأخيه الملك دُقَاق صاحب دمشق .

فلما كان في سنة تسعين وأربعمائة جمع بغدوين (٢) ملك الفرنج جمعاً كثيراً من الفرنج ، وكان نسيب رُجَارَ (٣) الفرنجي صاحب صِقْلِيَّة ، فأرسل إليه بغدوين يقول : قد جمعت جمعاً كثيراً وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية افتحها وأكون مجاوراً لك .

فجمع رُجَارُ أصحابه واستشارهم فقالوا كلهم : هذا جيد لنا وهم ، وتصبح البلاد كلها للنصرانية . فلما سمع رُجَارُ كلامهم وما اجتمعوا عليه ، رفع رجله وحبَّ حبَّةً قوية ، وقال : وحقَّ ديني هذه خيرٌ من كلامكم . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال إذا وصلوا إليَّ احتجَّتْ إليَّ كلفٌ كثيرة ، ومراكب تحملهم إلى إفريقية . وعساكر من جهنم معهم . فإن فتحوا البلاد وكانت

(١) هو سليمان بن قتلش بن أرسلان بن بيغو بن سلجوق . مؤسس دولة سلاجقة الروم أو سلاجقة الأناضول . وحكم في الفترة من ٤٧٠ - ٤٧٩ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣٠٥ وما بعدها .

(٣) « بردويل » في الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ .

والمقصود ببلدوين من أمراء الحملة الصليبية الأولى . والذي عرف فيما بعد باسم الملك بلدوين الأول Baldwin I . وهو أول ملك يتوج على مملكة بيت المقدس الصليبية .

(٤) هو روجر الأول Roger I .

لهم وصارت مؤونتهم من صقلية وينقطع عنى ما يصل إلى من المال من ثمن الغلات في كل سنة ، وإن لم يفتحوها رجعوا إلى بلادى وتأذيت بهم ، ويقول تميم^(١) ، صاحب إفريقية غدرت بى ونقضت عهدى ، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا وبين بلاد إفريقية ، وإفريقية باقية متى وجدنا قوة أخذناها بها .

ثم أحضر رسوله وقال له إذا عزمتم على جهاد المسلمين فاقصدوا بذلك فتح بيت المقدس وخلصوه من أيديهم ، ويكون لكم الفخر ، وأما إفريقية فبئى وبين أهلها أمان وعهود ، فاخرجوا إلى الشام^(٢) .

وقيل إن المستنصر ، أو المستعلى ، لما رأى قوة الدولة السلجقية وتمكنها ، وأنهم استولوا على ملك بلاد الشام [إلى] غرة^(٣) ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، راسل الفرنج يدعهم إلى الخروج إلى الشام ، ليملكوه ، ويكونوا بينه وبين المسلمين . والله تعالى أعلم^(٤) .

قال فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا إلى قسطنطينية ليعبروا الحجاز إلى بلاد الإسلام ويسيروا في البر فيكون أسهل عليهم . فمنعهم ملك الروم^(٥) من ذلك ، ولم يمكنهم أن يمرؤا ببلاده ، وقال : لا أمكنكم من العبور إلا أن تحلفوا أنكم تسلمون إلى أنطاكية . وكان قصده أن يحلهم على

(١) هو تميم بن المعز بن باديس . من بني زيزى في أفريقية ، والذي ولي الحكم في الفترة ٤٥٣ - ٥٠١ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٨ .

(٢) انظر الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) [إضافة تتفق وسياق الكلام من الكامل ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٥) هو الامبراطور الكيسوس كومنين الذى ولي عرش الامبراطورية البيزنطية في الفترة من ١٠٨١ - ١١١٨ م / ٤٧٤ - ٥١٢ هـ .

الخروج إلى بلاد الإسلام ظناً منه أن الترك لا يثقون منهم أحداً لما أرى من صرامتهم وملكتهم^(١) البلاد .

فأجابوه إلى ذلك وعبروا الخليج في سنة تسعين وأربعمائة . ووصلوا إلى بلاد قلع أرسلان^(٢) بن سليمان بن قتلش ، فلقبهم في جموعه ومنعهم ، فقاتلوه وهزموه ، وذلك في شهر رجب منها . ومروا في بلاده إلى بلاد ابن ليون الأرمني ، فسلكوها وخرجوا منها إلى أنطاكية ، فحاصروها^(٣) .

قال المؤرخ^(٤) : فلما سمع صاحبها ياغي سيان بتوجههم إليها خاف من النصارى الذين بها ، فأخرج من بها من المسلمين بمفردهم في أول يوم وأمرهم أن يحفروا الخندق ، ثم أخرج النصارى من الغد لذلك . فعملوا فيه إلى العصر ، فلما أرادوا دخول البلد منعهم ، وقال لهم : أنطاكية لكم فهيها لى حتى أنظر ما يكون بيننا وبين الفرنج . فقالوا : من يحفظ أولادنا ونساءنا ؟ فقال : أنا أخلفكم فيهم^(٥) فأمسكوا ثم صاروا في عسكر الفرنج . وحصرت أنطاكية تسعة أشهر ، وظهر من حزم ياغي سيان واحتياطه وجودة رأيه ما لم يشاهد مثله ، وهلك [٧٥] أكثر الفرنج موتاً وقتلاً ، وحفظ ياغي سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم ، وكف الأيدي عنهم .

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٣ .

(٢) ولى الحكيم في سلطنة سلاجقة الروم في الفترة من ٤٨٥ - ٥٠٠ هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٢١ .

(٣) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

(٤) ينقل التويرى عن ابن الأثير ابتداء من ذكر استيلاء الفرنج .

(٥) « أخلفكم فيه » في الأصل ، والنصح يتفق مع السياق من الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

فلما طال مُقام الفرنج عليها رَأَسُوا أحدَ المستَحْفَظِينَ للأبراج ، وهو ذراد ، ويعرف بـروزبة^(١) ، وبذلوا له مالاً وإقطاعاً ، وكان يتولى حِفْظ بُرج يلي الوادى ، وهو مبنى على شباك فى الوادى .

فلما تَقَرَّرَ الأمرُ بينهم وبينه ، جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه ، وصعد جماعة كثيرة منهم بالحبال ، فلما زادت عدتهم على خمسمائة ، ضربوا البوق وذلك عند السَّحَرِ وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة ، فاستيقظ يَاغى سِيَّان وسأل عن الحال فقبل له : هذا البوق من القلعة ، ولا شك أنها قد أُخِلَّت . ولم يكن من القلعة وإنما من ذلك البرج . فدَاخَلَهُ الرُّعْبُ ؛ ففتح باب البلد وهَرَبَ فى ثلاثين غلاماً ، وجاء نائبه ليحفظ البلد ، فقبل له : إنه قد هرب ، فخرج من الباب الآخر هارباً . وكان ذلك إعياناً للفرنج ، ولو ثبت ساعة لهلكوا .

ثم إن الفرنج دخلوا البلد من بابه ، ونهبوا وقتلوا مَنْ فيه من المسلمين . وأما ياغى سِيَّان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إلى عقله وكان كالْوَلْهُانِ . فرأى نفسه وقد قطع عِدَّةَ فراسخ ؛ فقال لمن معه : أين أنا ؟ فقالوا : على أربعة فراسخ من أنطاكية . فندم كيف خلص سالماً ولم يقاتل حتى يُزِيلَهُم عن البلد أو يُقْتَلَ .

وجعل بثُلْهَفٍ على ترك أهله وأولاده والمسلمين ، ويسترجع ؛ فسَقَطَ عن فرسه لشدة ما ناله ، وغَشِيَ عليه . فأراد أصحابه أن يُرْكَبُوهُ فلم يكن فيه

(١) « فيروز » فى زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٢٢ ، ويعرف فى المراجع الحديثة باسم « فيروز الأرمنى » - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٢٤٥ . تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٣٢٨ .

مُسَكَّة ، وكان قد قارب الموت ، فتركوه وساروا عنه ، فاجتاز به إنسان أرمي
كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله ، وحمل رأسه إلى الفرنج
بأنفاسكيتة^(١)

ذكر مسير المسلمين لحرب الفرنج وما كان من أمرهم

قال^(٢) : ولما اتصل خبر أنطاكية بالأمير قوام الدين كربوقا صاحب
الموصل^(٣) جَمَعَ العساكر وسار لحربهم واجتمع معه الملك دقاق صاحب
دمشق وصاحب حمص وصاحب سنجار^(٤) . فلَمَّا بلغ الفرنج اجتماعهم
عظُمَت عليهم المصيبة وداخلهم الخوف ؛ لِمَا هُم فيه من الوهن وقلة
الأقوات . وسار المسلمون حتى نَازَلُوا أنطاكية ، فأساء كربوقا السيرة فيمن
معه من المسلمين ، فأغضب الأمراء وتكبر عليهم ، ظَنًّا منه أَنَّهُمْ يقيمون معه
على هذه الحال . فأغضبهم ذلك وأضمرُوا في أنفسهم العُدْرَ به إذا كانَ
قتالٌ ، وعزمُوا على إسلاميه عند الصَّدمة^(٥) .

(١) الكامل ج ١٠ ص ٢٧٥ .

(٢) مازال التويرى ينقل عن ابن الأثير .

(٣) أنابك الموصل من قبل سلطان السلاجقة بركياروق ، الذى ولى سلطة السلاجقة بخراسان
فى الفترة من ٤٨٧ - ٤٩٨ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣١٩ .

(٤) « فاجتمع معه دقاق بن نئش وطفكتكين أنابك ، وجناح الدولة صاحب حمص . وأرسلان تاش
صاحب سنجار ، ووليحان بن أرتق وغيرهم » - الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦ .

(٥) « المصدوفة » فى الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦ ، أى التخلّى عنه عند احتدام القتال .

قال : وأقام الفرنج بأنطاكية بعد أن ملكوها ثلاثة^(١) عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه ، فتصوّت الأقوياء بدوائهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر . فلما انتهت حائلهم إلى ذلك أرسلوا إلى كريتوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يُعطهم ، وقال : لا تخرجون منه إلا بالسيف .

وكان معهم من الملوك بغدوين وصتجيل وكندفري والقمص صاحب الرها ويمند صاحب أنطاكية^(٢) وهو مقدّم العسكر . وكان معهم راهبٌ مطاعٌ فيهم^(٣) فقال لهم : إن المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقيسان الذي بأنطاكية ، وهو بناء عظيم ، فإن وجدتموها فإنكم تظفرون ، وإن لم تجدوها فالحلاك متحقق .

وكان هو قد دفنها قبل ذلك وعفى أثرها . وأمرهم بالصوم ثلاثة أيام والثبوت ، ففعلوا ذلك . فلما كان في اليوم الرابع أدخلهم جميعهم وجميع عائيتهم والصنّاع ، وحفروا عليها في ذلك المكان فوجدوها كما ذكر ، فقال لهم : أنبشروا بالظفر . فخرجوا في اليوم الخامس من الباب من خمسة وستة ونحو ذلك ؛ فقال المسلمون لكريتوقا : ينبغي أن نقف على الباب فقتل كل من يخرج فإن أمرهم الآن سهل . فقال . أمهلوهم حتى يتكاملوا ، ولم

(١) « إثنى عشر » — الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٦ .

(٢) هذه الأسماء — بالترتيب هي :

Baldwin-Raymond of St Gilles- Godefroy-Baldwin de Burgh-Bohemand .

(٣) هو بطرس بارتلميو Peter Bartholomew — انظر تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص

٣٤٣ وما بعدها ، ص ٣٨٥ وما بعدها .

(٤) القيسان : الاسم العربي لكنيسة القديس بطرس بأنطاكية . وتنسب إلى الرجل الذي

يقولون أن بطرس أحيا ولده بعد موته .

يُمْكِنُ من مُعَاجَلَتِهِمْ ؛ فقتل قومٌ من المسلمين جاعة من الخارجين ، فجاء إليهم بنفسه ومنعهم .

فلما تكامل خروج الفرنج ولم يَبْقَ منهم أَحَدٌ بأنطاكية ضربوا مصافاً عظيماً ، فانهمز العسكر الإسلامي لِمَا عَمِلَهُمْ به كربوقا من الاستهانة بهم والإعراض عنهم ، قَتَمَتِ الهزيمة عليهم ، ولم يَضْرِبْ أَحَدٌ منهم بسيف ولا طَعَنَ بِرُمَح ، ولا رَمَى بِسَهْم . وآخر مَنْ انهزم سُقْمَانُ بن أَرْشِق وجناح الدولة ، لأنهما كانا في الكمين ؛ وانهمز كربوقا معهم . فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدةً ، فخافوا أن يتبعوهم ؛ وثبت جاعةٌ من المجاهدين وقاتلوا حِسْبَةً ورغبة في الشهادة فقتل الفرنج منهم أُلُوفاً ، وغنموا ما في العسكر من الأقوات والأموال والآلات والدواب ، وغير ذلك ؛ فصلحت حُلَّتُهُمْ وعادت إليهم قُوتُهُمْ .

ذكر ملكهم معرة النعمان

[٧٦] قال المؤرخ . ثم سار الفرنج إلى معرة النعمان ^(١) ، فنازحوها وحاصروها ، وقاتلهم أهلها قتالاً شديداً ، فرأى الفرنج منهم شدةً ونكايةً عظيمة . فعمل الفرنج عند ذلك بُرْجاً من خشب يوازي سور المدينة ، ووقع القتال عليه ، فصبر المسلمون على القتال إلى الليل . ثم خاف قوم منهم وفشلوا ، وظنوا أنهم إذا تحصَّنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها . فتركوا عن السور وأخلوا مكانهم الذي كانوا يحفظونه ، وفعلت طائفة أخرى مثلاً ذلك .

(١) معرة النعمان : بين حاة وحلب ، وكانت تعد من أعمال حمص — معجم البلدان .

ولم تزل كلُّ صائفة منهم تتبع الأخرى حتَّى خلا السُّور ، فصعد الفرنج إليه على السِّلالم . فلَمَّا علَّوه تحيّر المسلمون ودخلوا دُورهم ، ووضع الفرنج فيهم السَّيف ثلاثة أيام ، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السَّبى الكثير . وأقاموا بها أربعين يومًا وساروا إلى عَرَقة ^(١) ، فحاصروها أربعة أشهر ، ونَبَّهوا سُورَهَا عدَّة نقوب ولم يقدروا عليها . وراسلهم ابنُ منذر صاحب ^(٢) شَيْزَر ، وصالحهم عليها . ثم ساروا إلى حمص وحَصَرُوهَا ، فصالحهم صاحبُها جناح الدولة . وخرجوا على طريق التَّوْاقِير ^(٣) إلى عكا فلم يقدروا عليها ^(٤) ؛ فساروا إلى البيت المقدس .

ذكر استيلائهم خذلهم الله تعالى على البيت المقدس

كان استيلاء الفرنج . خذلهم الله تعالى ، على البيت المقدس في يوم الجمعة ، صَحَّى . لسبع بَيعَين من شعبان سنة اثنيتين وتسعين وأربعمائة ، وكان إذْ ذاك بيد افتخار الدولة نيابة عن المستعلي بالله . فإنه كان بيد تاج الدولة تُنش السَلجُقي صاحب الشَّام ، وأقطعه للأمير سُفْهان بن أرثُق التُّركاني ؛ فعاهه الأفضل أمير الجيوش واستولى عليه ^(٥) ، وبقي يَد نَوَّابه إلى الآن .

(١) عَرَقة : بكسر العين . وسكون الراء . تقع على بعد ١٢ ميلًا من طرابلس من الشمال الشرقي

في سفح جبل ، وبينها وبين البحر نحو ميل — معجم البلدان .

(٢) « وراسلهم متقدِّم صاحب شير » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٨ .

(٣) التَّوْاقِير : فرحة في الجبل بين عكا وصور — معجم البلدان .

(٤) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٨ .

(٥) وذلك في رجب سنة ٤٩١ هـ / أغسطس ١٠٩٨ م — انظر ماسبق .

فقصده الفرنج عند عجزهم عن فتح عكا ، وحصروه ثبثاً وأربعين يوماً ،
ونصبوا عليه برجين ، أحدهما من ناحية صهيون^(١) ، فأحرقه المسلمون وقتلوا
جميع من فيه من الفرنج .

فلما فرغوا من ذلك أتاهم الصّارخ أن المدينة قد ملكت من الجانب
الآخر ، وهو الجانب الشّالي ، وركب الناس السيوف ولبث الفرنج أسبوعاً
يقتلون فيهم .

واحتجى جماعة من المسلمين بمحارب داود وقتلوا فيه ثلاثة أمم ، فبذل
لهم الفرنج الأمان ، فسلموه إليهم ، فوفوا لهم ؛ وخرجوا ليلاً إلى عسقلان
وأقاموا بها .

وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة
من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وعبّادهم وزهادهم ، ومن فارق أهله ، ووطئه
وجاور بذلك الموضع الشريف . وأخذوا من عند الصخرة ثبثاً وأربعين قنديلاً
من الفضة ، زنة كل قنديل [ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنورا من
فضة وزنه]^(٢) أربعون رطلاً بالرطل الشامي^(٣) ؛ وأخذوا من القناديل
الصغار مائة وخمسين قنديلاً من الفضة ؛ ومن الذهب ثبثاً وعشرين
قنديلاً . وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء .

(١) « وعملوا برجين مطلقين على السور ، أحدهما بباب جهنم ، والآخر بباب العمود وباب
الأساط ، وهو برج الزاوية » - التاج الزاهرة ج ٥ ص ١٤٨ .

(٢) [إضافة من الكامل ج ١٠ ص ٢٨٤ .

(٣) الرطل الشامي يساوي ١٢ أوقية ، والأوقية تساوي ٦٠ درهماً ، أي أن الرطل الشامي
يساوي ٧٢٠ درهماً بالصنعة الشامية - صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٨ .

وورد إلى بغداد القاضي سعيد القروى^(١) في شهر رمضان ، ومعه جماعة ، يَسْتَتَفِرُونَ النَّاسَ ، وأوردوا في الدِّيوان كلاماً أبكى العيون ، وصَدَعَ القلوب واستغاثوا بالجامع يوم الجمعة ، وبكوا ، وذكروا ما نَزَلَ بالمسلمين من البلاء ، وما حَلَّ بهم من المصيبة . فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدَّامغاني ، وأبوي بكر الشاشي ، وغيرهما^(٢) ، إلى السلطان^(٣) بسبب ذلك ، فاتفق ما ذكرناه من الاختلاف الذي وقع بين الملوك السلجقية^(٤) ، فتمكن الفرنج من البلاد .

قال : ولَمَّا اتَّصَلَ خبر هذه الحادثة العظيمة بالأفضل أمير الجيوش جَمَعَ العساكر وخرَّج إليهم ، فقاتلهم في شهر رمضان من السنة . ثم كَبَسَهُ الفرنج هو ومن معه ، وهم على غير تَعَيُّنٍ ، فهزموهم وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة . وحاصر الفرنج عسقلان ، فصالحهم أهلها على عشرة آلاف دينار ، وقيل عشرين ألف دينار ، فعادوا إلى القدس .

قال : وكان الذي ملك البيت المقدس من الفرنج كندفري^(٥) .

(١) « أبي سعيد الهروي » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٨٤ .

(٢) « وأبو بكر الشاشي ، وأبو القاسم الزنجاني ، وأبو الوفا بن عقيل ، وأبو مسعد الحلواني ، وأبو الحسين ابن سماك » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٨٤ .

(٣) المقصود السلطان بركياروق .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٩٠ وما بعدها .

(٥) هو جودفري بوايون Godfrey of Bouillon .

ذكر ظفر المسلمين بالفرنجة

قال المؤرخ ^(١) : وفي ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لقي كُشْتَكِين بن الدانِشْمَنْد طابِلو ، وهو صاحب ملطية وسيواس ، يميند الفرنجى بالقرب من ملطية ، وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه عليه ، فوردَ عليه [٧٧] في خمسة آلاف ، فلقبهم ابن الدانِشْمَنْد ، وقاتلهم ، فهزِمَ يميند وأسير .

ثم وصل من البحر سبعة قنصة من الفرنج ، فأرادوا خلاصَ يميند ، فأتوا إلى قلعة أنكوربة ^(٢) فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين ، وساروا إلى قلعة أخرى فحصروها فيها إسماعيل بن الدانِشْمَنْد ، فجمع الدانِشْمَنْد جمعا كثيرا ، ولقى الفرنج ، وجعل له كمينًا ، فقاتلهم وخرج عليهم الكمين فقتلهم . وكانوا ثلاثمائة ألف لم يفلت منهم غير ثلاثة آلاف ^(٣) هربوا .

وسار ابن الدانِشْمَنْد إلى ملطية فملكها وأسر صاحبها .

قال ابن الأثير الجزرى : وكانت هذه الوقائع في شهور ^(٤) قرية .

قال : ولم يزل يميند في أسره إلى سنة خمس وتسعين ، فأخذ منه مائة

(١) مازالت الإشارة هنا إلى ابن الأثير .

(٢) أنكوربة : في وسط شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وهي مدينة أنقرة الحالية — معجم البلدان

(٣) الإشارة هنا إلى المجموع الصليبية من اللباردين الذين تمركزوا في أواخر سبتمبر ١١٠٠ نحو

القسطنطينية ، ثم انضمت إليهم جموع أخرى من الفرنسيين والألمان . والذين أسروا على

محاولة تخليص يوهند من الأسر قبل الانجلاء إلى الشام — انظر تفصيل ذلك في الحركة

الصليبية ج ١ ص ٣٣٥ وما بعدها .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٣٠٠ .

ألف دينارٍ وأطلقه^(١) .

ذكر قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين وما استولى عليه الفرنج من البلاد وهى : حيفا . وأرسوف . وقيسارية . والرها . وسروج

وفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة سار كندفرى صاحب البيت المقدس إلى عكا ، فحاصرها ، فأصابه سهمٌ فقتله^(٢) . وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها إلى قص من الفرنج اسمه طنكبرى^(٣) . فلما قُتل كندفرى سار أخوه بغدوين إلى البيت المقدس فى خمسمائة فارس ورجالٍ . فبلغ ذلك الملك شمس الملوك دُفاق صاحب دمشق ، فنهى إليه فى عسكره ومعه الأمير جناح الدولة فى جموعه فقاتله ، فنصر على^(٤) الفرنج .

وفى هذه السنة ملك الفرنج مدينة حيفا عنوةً وهى على ساحل البحر بالقرب من عكا ، وملكوا أرسوف وأمانٍ وأخرجوا أهلها منها ، وملكوا قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها . وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من ديار الجزيرة ، وكانوا قبل ذلك قد ملكوا الرها بمكانة من أهلها لأن أكثر أهلها

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٥ .

(٢) تجمع المصادر العربية على أن جود فرى مات مقتولاً بسهم أصابه أثناء حصار عكا ، بينما تجمع المصادر والمراجع الصليبية على أن جودفرى توفى بالحمى - الكامل جـ ١٠ ص ٣٢٤ . تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٤٤٠ . الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٣) طنكبرى أو تنكرى ، هو المعروف فى المراجع العربية الحديثة باسم نانكرد .

(٤) هو بلدوين صاحب الرها ، والذي توج ملكاً باسم « بلدوين الأول » .

(٥) تنبر المصادر الغربية إلى أن المعركة انتهت بهزيمة المعاشقة ونجاة بلدوين ... الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٧٥ . الشرق الأوسط جـ ١ ص ٢٩٢ .

أرمن . فلما كان الآن جَمَعَ الأمير سُفْهان بن أرتق جمعًا عظيمًا من التتركان وزحف بهم إليهم ، فلقَّوه وقتلوه ؛ فهزموه في شهر ربيع الأول . فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سُرُوج ، فتسلَّموها ، وقتلوا كثيرًا من أهلها وسبوا حريمهم ، ونهبوا أموالهم ، ولم يَسْلَمْ منهم إلَّا من انهزم ^(١) .

ذكر أخبار صنجيل الفرنجي وما كان منه في حروبه وحصار طرابلس والطوبان وملك أنطرسوس

وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة لقي صنجيل ^(٢) الملك قَلِج أرسلان صاحب قونية ، وصنجيل في مائة ألف مقاتل وقلج في عددٍ يسير ، واقتتلوا ؛ فانهزم الفرنج وأسير كثير منهم ، وفاز قَلِج بالظفر والغنيمة ^(٣) . ومضى صنجيل مهزومًا في ثلاثمائة ، فوصل إلى الشام ، فأرسل فخر الملك بن عمار ^(٤) صاحب طرابلس إلى الأمير جناح الدولة ^(٥) بمحمص وإلى الملك دقاق بدمشق يقول : من الصَّواب معاجلة صنجيل إذ هو في العدد اليسير .

(١) الكامل ج ١٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) المقصود هو ريموند كونت تولوز ، والمعروف في المراجع الأوربية باسم

'Raymond of st. Gilles'

(٣) الإشارة هنا إلى المجموع الصليبية اللمباردية التي هزمت في ذي القعدة ٤٩٥ هـ / أغسطس

١١٠٦ م - الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٢٨ .

(٤) هو القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار ، الذي ولي حكم طرابلس في الفترة من ٤٩٣ -

٥٠٢ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٨ م - معجم الأسر الحاكمة .

(٥) « إلى الأمير ياخذ خليفة جناح الدولة على حمص » في الكامل ج ١٠ ص ٣٤٤ .

وجناح الدولة هو حسين بن ملاعب - صاحب حمص . قتل سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م -

النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

فخرج إليه جناح الدولة بنفسه ^(١) وسير دُفاق ألقى مقاتل ؛ وأنتهم الأمداد من طرابلس . وصافوا صنجيل فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس ومائة إلى عسكر دمشق وخمسين إلى عسكر حمص وبقي هو [في] ^(٢) خمسين .

فأما عسكر حمص فأنهزموا عند المشاهدة وتبعهم عسكر دمشق .
وأما عسكر طرابلس فإنهم قتلوا المائة الذين قاتلوهم ، فحمل صنجيل في المائتين الباقيتين ، فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل . ونازل طرابلس وحصرها . -

وأثناء أهل الجبل فأعانوه على حصرها ، هم وأهل السواد ، لأن أكثرهم نصارى . فقاتل من بها أشد قتال ، فقتل من الفرنج ثلاثمائة ؛ ثم هادتهم ابن عمار على مال وخيل ، فرحل صنجيل عنهم إلى مدينة أنطرسوس ^(٣) ، وهى من أعمال طرابلس ، فحصرها وفتحها ^(٤) ، وقتل من بها من المسلمين .

ورحل إلى حصن الطوبان ^(٥) ، ومقدمه ابن العريض ، فقاتلهم فنصر

(١) « فخرج الأمير ياخر بنفسه » في الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤ .

(٢) [١] إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤ .

(٣) أنطرسوس = أنطرسوس : تقع شرقى عرقة بنحو ٢٤ ميلاً ، وتطل على البحر - معجم البلدان .

(٤) تشير المصادر الصليبية إلى أن فتح أنطرسوس كان سابقاً على هذه الفترة ، فقد استولى ريموند على أنطرسوس مرتين في سنة ١٠٩٩ ، ١١٠٠ م ، واستولى عليها نهائياً في فبراير ١١٠٢ م (جادى الأول ٤٩٥ هـ) - انظر الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٤٣ وما بعدها .

(٥) الطوبان : حصن من أعمال حمص أو حماة ، إلى الشمال الشرقى من حصن الأكراد - معجم البلدان .

عليهم وأسّر فارسًا من أكابر فرسانهم ، فبذل فيه صنجيل عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك .

ثم سار صنجيل إلى حصن الأكراد^(١) فحصره . فجمع الأمير جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه ، فقتله باطنى بالمسجد الجامع . فلما قُتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها ومَلَكَ أَعْمَالَهَا .

[٧٨] ذكر ملك الفرنج جيل وعكا .

وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة لاذقية ، فيها التجار والمقاتلة والحجاج وغيرهم ، فاستعان بهم صنجيل الفرنجي على حصار طرابلس فحاصروها معه وضائقوها ، فلم يروا فيها مطعمًا ، فرحلوا عنها إلى مدينة جيل^(٢) فحاصروها وقتلوا عليها قتالًا شديدًا . فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج طلبوا الأمان على تسليمها : فبذل لهم صنجيل الأمان ، وتسلم البلد منهم فلم يبق لهم . وأخذ الأفرنج أموالهم وعاقبهم عليها بأنواع العذاب . ثم ساروا إلى عكا نجدة لبغدوين . صاحب القدس ، على حصارها ، فنازلوها وحاصروها في البر والبحر ، وعليها زهر الدولة^(٣) الجبوشي ، فقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ . فلما عجز عن حفظ البلد فارقه ، وملك الفرنج عكا بالسيف ، وفعلوا بآهلها الأفعال الشنيعة . وساروا منها إلى دمشق ثم إلى مصر .

(١) حصن الأكراد : على جبل الجليل في مواجهة حمص ، بينها وبين بعلبك — معجم البلدان .

(٢) جيل . شمال شرقي بيروت بنحو ٢٤ ميلًا — معجم البلدان .

(٣) « وكان الوالي بها اسمه بنا ، وعرف بهزمو الدولة الجبوشي نسبة إلى ملك الجبوش الأفضل » — الكامل ج ١٠ ص ٣٧٣ .

وفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج حصن أفامية وسُرمين من أعمال حلب .

وفي سنة اثنتين وخمسمائة فتح السرداني^(١) عرقة ، وذلك أنها كانت بيد غلام فخر الملك بن عمار وقد عَصَى على مولاه ، فضاقت به القوت وانقطعت عنه الميرة ، فكاتب طُغْزُتَكِين^(٢) صاحب دمشق أن يُرسل إليه مَنْ يتسلّم الحصن لعجزه عن حفظه . فبعث إليه طغز تكين صاحباً له اسمه إسرائيل في ثلاثمائة ، فتسلّم الحصن . فلما نزل غلام ابن عمار رماه إسرائيل بسهم فقتله في الاختلاط^(٣) طمعاً في المال الذي بعرقة لنلا يطلع طغز تكين عليه .

قال وأراد طُغْزُتَكِين أن يشحن الحصن بالعساكر والأقوات ، فتوالت الأمطار [والتلج]^(٤) مدة شهرين ، فعجز عن ذلك . فلما انقطع المطر ركب أربعة آلاف فارس وجاءوا إلى عرقة ، فتوجه إليه السرداني وهو يحاصر طرابلس ومعه ثلاثمائة فارس ، فانهمز عسكر طُغْزُتَكِين عندما أشرقت الخيل من غير قتال ، فأخذ السرداني أثقالهم وتسلّم الحصن بأمان ، وقبض على إسرائيل ، وقال لا أطلقه إلا بقلان وهو من أكابر الفرنج كان أسيراً ، فقُودى به .

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت

كان صنجيل لماً ملك مدينة جبيل ، كما ذكرنا ، حصر طرابلس ، فلماً

(١) هو المعروف باسم « وليم جوردان » .

(٢) « فأرسل إلى أتابك طفتكين » - الكامل جـ ١٠ ص ٤٦٨ .

(٣) « في الأخلاط » في الكامل جـ ١٠ ص ٤٦٨ ، والمقصود في ازدحام الناس .

(٤) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١٠ ص ٤٦٨ .

لم يتمكن منها وعجز عن الاستلاء عليها بنى بالقرب منها حصناً وجعل تحته رِصْصاً ، وأقام يرصدها ينتظر فرصة ، فخرج فخر الملك أبو علي بن عمار ، صاحب طرابلس ، فأحرق رِصْصه ، فوقف صنجيل على سقوفه المحترقة ، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان ، فانحسف بهم . فرض صنجيل عشرة أنام ، ومات ، وحُمل إلى القُدس فدفن هناك . وذلك في سنة تسع وتسعين وأربعمائة (١) .

ودامت الحرب على طرابلس خمس سنين . فسار فخر الملك ابن عمار إلى بغداد يستنجد بالخليفة والسلطان على الفرنج ، على ما ذكرناه ، وعاد من بغداد في منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وتوجه إلى جبيلة (٢) فدخلها وأطاعه أهلها .

وأما طرابلس فإن ابن عمار لما فارقها راسل أهلها الأفضل أمير الجيوش يلتبسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة في البحر ، فسير إليهم الأفضل شرف الدولة بن أبي الطيب واليا ، ومعه الغلال وغيرها . فلما صار إليها قبض على جماعة من أهل ابن عمار واستولى على ما وجدته من أمواله وذخائره (٣) .

فلما كان في شعبان سنة ثلاث وخمسمائة وصل أسطول كبير من بلد

(١) ٢٨ فبراير ١١٠٥ م — الشرق الأوسط ج ١ ص ٤٢٦ ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢) جبيلة = جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية — معجم البلدان ، وانظر ما يلي عن فتح جبلة .

(٣) انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٦٦١ ، انماط المنفا ج ٣ ص ٤٢ .

الفرنج ، مقدّمه قص كبير اسمه ريمند بن صنجيل (١) ، ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وليس ريمند هذا ابن صنجيل صاحب الحصن (٢) المقدم ذكره . فتزل على طرابلس وكان السرداني وهو ابن اخت صنجيل محاصرًا لها قبله ، فجرت بينها فتنة أدّت إلى الشر والقتال فوصل تنكري صاحب أنطاكية إليها إعانةً للسرداني ، ووصل بغدوين صاحب البيت

المقدس في عسكره ، فأصلح بينهم (٣) . ونزل الفرنج بأجمعهم على طرابلس وضايقوها ، وذلك [٧٩] في شعبان ، وألصقوا أبراجهم بسورها . فلما شاهد الجند وأهل البلد ذلك سقّط في أيديهم ، وذلت نفوسهم ، وزادهم ضعفًا . فتأخر الأسطول المصري عنهم بالميرة والتجدة ؛ ودأوم الفرنج القتال والزحف إلى أن ملكوا البلد عتوة ؛ وذلك في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، سنة ثلاث وخمسمائة (٤) . ونهبوا ما فيها ، وأسرّوا الرجال ، وسبّوا النساء والذرية ، وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة

(١) « ريمند بن صنجيل » هكذا في الأصل ، والكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ ، واناظ الحنفا جـ ٣ ص ٤٣ ، وغيرهم .

والقصود برترام (برتراند) الابن الأكبر لريمند كونت تولوز الصنجيل .
"Bertram, a son of Raymond of Toulouse"

(٢) هكذا في الأصل ، وهو تحريف — انظر الهامش السابق .

وانظر الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ حيث يوجد خلط مماثل .

(٣) تم الاتفاق على تقسيم إرث ريموند كونت تولوز بينها . فيحفظ وليم جوردان بأنظر طوس وما فتحه من البلاد مثل عرقة ، وأن يكون نصيب برترام جبيل وطرابلس عقب الاستيلاء عليها ، وعلى أن يتوارث كل منها إذا مات دون وارث — تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١١٢ .

(٤) دخل الصليبيون طرابلس في ١٢ يولية ١١٠٩ م — تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١١٣ .

وَكُتِبَ العلم الموقوفة ما لا يُحد ولا يُوصف .

وكانت طرابلس من أعظم البلاد وأهلها من أكثر الناس أموالاً .
وسليم الوالى الذى كان بها وجاعة من جندھا كانوا التمسوا الأمان قبل
فتحها ، فوصلوا إلى دمشق ، وعاقب الفرنج أهل طرابلس بأنواع
العقوبات ، وأخذت دَفَائِشَهُمْ وذخائِرَهُمْ ^(١) .
ووصل الأسطول المصرى بالرجال والغلال وغيرها ، ما يكتفيهم سنة ،
وكان وصول الأسطول إليها بعد أن ملكت بثمانية أيام ، ففرق ما فى الأسطول
على الجهات المجاورة لها : صُور وصَيْداً وبيروت .

ذكر ملك الفرنج جبلة وبلنيس

قال : ولما فرغ الفرنج من طرابلس سار تنكرى صاحب أنطاكية إلى
بلنيس ^(٢) فافتتحها وأمن أهلها ، ونزل على مدينة جبلة ^(٣) وبها فخر الملك
ابن عمّار ، وكان القوتُ قد قلَّ بها ، فقاتل منْ بها إلى أن ملكها فى الثانى
والعشرين من ذى الحجة بالأمان .

وخرج فخر الملك ابن عمّار وقصد شَيْزَرَ ، فأكرمه صاحبها الأمير
سلطان ابن على بن مُنقذ الكنانى . ثم سار إلى دمشق فأكرمه طُغْرَتَكِين

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) بلنيس : بضمين وسكون النون ، وياء وألف وسين مهملة : كورة ومدينة صغيرة وحصن
بساحل حص على البحر - معجم البلدان .

وردت « بانيس » فى الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٦ .

(٣) انظر ما سبق عن جبيلة وجبلة .

صاحبها ، وأجزل له في العطية وأقطعه أعمال الرُّبَدَانِي ، وذلك في المحرم سنة أربع وخمسمائة ^(١) .

ذكر ملكهم مدينة صيدا

وفي جُمَادَى الْأُولَى ^(٢) سنة أربع وخمسمائة ملك الفرنج مدينة صَيْدَا ، وكانت من جُمْلَةِ مَا هُوَ يَدُ طُغْرَتَكِينَ صَاحِبِ دِمَشْق . وذلك أَنَّهُ وَصَلَ فِي الْبَحْرِ سِتُونَ مَرَكَبًا لِلْفَرَنْجِ مَشْحُونَةً بِالرِّجَالِ وَالذُّخَائِرِ مَعَ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ ^(٣) ، لِيُجِئَ إِلَى الْقُدْسِ وَيَغْزُوا الْمُسْلِمِينَ بِزَعْمِهِ ؛ فَاجْتَمَعَ بِهِ بَغْدَوِيْنَ صَاحِبِ الْقُدْسِ وَقَرَّرَ مَعَهُ الْغَزْوَ فَتَرَلُّوا ^(٤) عَلَى مَدِينَةِ صَيْدَا فِي ثَالِثِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ، وَضَاقُوا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَتَعُوا الْأُسْطُولَ الْمِصْرِيَّ مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْهَا ، وَكَانَ بِسَاحِلِ مَدِينَةِ صُورَ . فَعَمِلَ الْفَرَنْجُ بُرْجًا مِنَ الْخَشَبِ وَأَحْكَمُوهُ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ مَا يَمْنَعُ النَّارَ وَالْحِجَارَةَ عَنْهُ ، وَزَحَفُوا بِهِ . فَلَمَّا عَآيَنَ أَهْلُ صَيْدَا ذَلِكَ ضَعُفَتْ نَفْسُهُمْ وَأَشْفَقُوا أَنْ يَصِيَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ أَهْلَ بَيْرُوتَ ؛ فَأَرْسَلُوا قَاضِيَهَا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهَا إِلَى الْفَرَنْجِ وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَّهُمْ عَلَى نَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَالْعَسْكَرَ الَّذِي عِنْدَهُمْ ، وَمَنْ أَرَادَ الْمَقَامَ بِهَا ^(٥) عِنْدَهُمْ أَمَّنُوهُ ،

(١) سنة اثنتين وخمسمائة « في الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٧ ، وهو تحريف لا يتفق وسير الأحداث .

(٢) « في ربيع الآخر » في الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٣) هو سيجورد ملك النرويج ، الذي اشتبك في حصار صيدا في أكتوبر ١١١٠ م - تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١٥٠ .

(٤) « ويقرو » في الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٥) « فنزلا » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق من الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٦) [بها] إضافة من الكامل جـ ١٠ ص ٤٨٠ .

وَمَنْ أَرَادَ الْمَسِيرَ عَنْهُمْ لَا يَمْنَعُونَهُ ، وَحَلَقُوا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَخَرَجَ الْوَالِي وَجَاعَةً كَثِيرَةً مَعَهُ تَحْتَ الْأَمَانِ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ الْحَصَارِ سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا .

ورحل بغدوين عنها إلى القدس ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَدَّةٍ سِيرَةٍ يُقَرَّرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَقَامُوا بِهَا عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَاسْتَعْرِقَ أَمْوَالَهُمْ وَأَفْقَرَهُمْ .

ذِكْرُ اسْتِيلَاتِهِمْ عَلَى حِصْنِ ^(١) الْأَثَارِبِ وَحِصْنِ زَرْدَنَّا

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ جَمَعَ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةِ الْفَارَسِ وَالرَّاجِلِ ، وَسَارَ إِلَى حِصْنِ الْأَثَارِبِ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ فَرَاسِخٍ مِنْ حَلَبَ ، فَحَصَرَهُ وَتَبِعَ الْمِرَّةَ عَمَّنْ فِيهِ ؛ فَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ . فَتَنَّبَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْقَلْعَةِ نَقْبًا وَقَصَدُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ إِلَى خِيَمَةِ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَّةٍ فَيَقْتُلُوهُ . فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ صَبِيٌّ أَرْمَنِيٌّ فَعَرَفَهُ الْحَالُ ، فَحَنَاطَ لِنَفْسِهِ وَاحْتَرَزَ ؛ وَجَدَّ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى مَلَكَ الْحِصْنَ عَتَبَةً ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهِ أَلْفِي رَجُلًا ^(٢) وَسَبِي .

ثُمَّ سَارَ إِلَى حِصْنِ زَرْدَنَّا ^(٣) ، فَحَصَرَهُ وَفَتَحَهُ ، وَفَعَلَ بِأَهْلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ مَشِيجَ قَارَقُوهَا خَوْفًا مِنَ الْفَرَنْجِ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَالِسَ ^(٤) ، فَطَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ الْمُدَّةَ ، فَامْتَنَعَ الْفَرَنْجُ ثُمَّ أَجَابُوا . فَصَالَحَهُمُ الْمَلِكُ رِضْوَانُ صَاحِبِ حَلَبَ عَلَى اثْنَتَيْنِ [٨٠] وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخِيُولًا وَثِيَابًا ، وَصَالَحَهُمُ ابْنُ مَنَقْذَ صَاحِبُ شَيْزُرَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ،

(١) « حصين » في الأصل ، وهو تحريف .

(٢) الكامل ج ١٠ ص ٤٨١ .

(٣) زردنا : بليدة صغيرة غربي حلب - معجم البلدان .

(٤) باليس : بين حلب والرقّة - معجم البلدان .

وصالحهم على الكردى صاحب حماة على ألقى دينار . وكانت عِدَّةُ الْهُدنة إلى إدراك الْمُعَلِّ وَحَصاده ^(١) . ثُمَّ جَاءَتِ الْعساكر من العراق ولم يَلْعُوا غَرْصًا .

ذكر حصر مدينة صور وفتحها

كان استيلاءُ الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، على مدينة صور في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة . وكان ابتداءُ الحصار في سنة خمس وخمسين ؛ وذلك أن الفرنج في هذه السَّنة اجتمعوا مع بغدوين صاحب القُدْس على حصارها ، وكانت إذ ذاك بيد نُوَّابِ الْأمر بِأحكام الله ^(٢) وبها مِنْ قِبَلِهِ عَزَّ الْمَلِكُ الْأَعزَّ ، فحَصَرُوهَا في الخامس والعشرين من جمادى الأولى من السَّنة ، وعَمِلُوا ثَلَاثَةَ أَبراج من الخشب عُلُوَّ الْبُرْجِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا في كُلِّ بُرْجٍ أَلْفَ رَجُلٍ ؛ وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمجانيق . وَأَلْصَقُوا أَحَدَ الْأَبراج بِسُورِ صور ، فجمعَ عَزَّ الْمَلِكُ أَهْلَ الْبلدِ واستشارهم في حيلة يدفعون بها شرَّ الْأَبراج . فقام شيخٌ من أَهْلِ طرابلس وضمين إحراقها ، وأخذ أَلْفَ رَجُلٍ بِالسَّلاحِ التام ، ومع كلِّ رَجُلٍ حُرْمة حطَب ؛ فقاتلوا الفرنج حتى وصلوا إلى الْبُرْجِ الْمُلتصِقِ بِالسُّورِ وألقوا الحطَبَ من جِهاته ، وأشعلوا فيه النَّارَ . ثم خاف أن يشتغل الْفَرَنْجُ الَّذِينَ فِي الْأَبراج بِإطفاء النَّارِ ، فرماهم بِجَرَارٍ مملوءة بِالْعُدَّةِ كان قد أعدها لهم فَلَمَّا سَقَطَتْ عَلَيْهِمُ اسْتَغْلَوْا بِمَا نَالَهُمْ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرْهِةِ ،

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٤٨٢ .

(٢) الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور الذي ولي الخلافة الفاطمية بالقاهرة في الفترة من ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٣ ، وانظر ما يلي .

فتمكّنت النار من البرج . وأحرق المسلمون البرجين [الآخرين] (١) أيضا .

وكتب عز الملك طغرتكين ، صاحب دمشق ، فأنجده بالرجال ، وأرسل أصحابه للإغارة على بلاد الفرنج ، فرجعوا من حصار مدينة صور في سؤال من السنة .

ثم عادوا في سنة ست وخمسة إلى الحصار ، وضايقوا البلد ، فأرسل أهل صور إلى طغرتكين صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم من جهته من يتولى أمرهم ويحميهم ، وتكون البلد له . فسير إليهم عسكريا ، وجعل عندهم واليا اسمه مسعود ، وكان شهيدا شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها ، وأمدّه بالعاكر والميرة ، فطابت قلوب أهل البلد . ولم يقطع خطبة الأمر بأحكام الله ولا شير سيكته ، وكتب إلى الأفضل أمير الجيوش يعرفه ما عمل ويقول : متى وصل من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها إليه ، وطلب منهم ألا ينقطع الأسطول عنها بالرجال والميرة . فأجابه الأفضل إلى ذلك ، وشكره على ما فعل ، وجهاز أسطولا إليها ، فاستقامت أحوال أهلها .

ولم يزل كذلك إلى سنة ست عشرة وخمسة ، بعد قتل الأفضل أمير الجيوش . وذلك أن المأمون بن البطاحي لما ولي إمرة الجيوش بعد قتل الأفضل سير إلى مدينة صور أسطولا على العادة ، وأمر المقدم عليه أن يعجل الخيلة على الأمير مسعود ، والى من قبل طغرتكين ، ويقبض عليه ، ويتسلم البلد منه . وكان سبب ذلك أن أهل صور شكوا منه إلى الأمر بأحكام الله . فلما وصل الأسطول وجاء الأمير مسعود ليسلم على المقدم قبض المقدم عليه

واعتقله ، وحمله إلى الأمر ، فأكرمه وأعادته إلى صاحبه بدمشق . واستولى
مقدم الأسطول على مدينة صور ، وراسل الأمير طغرتكين بالخدمة ، واعتذر
إليه ، فقبل عذره ^(١) ، ووعدته المساعدة .

فلما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوَى طمعهم فيها ، وشرعوا
في الجمع ، واتصل خبرهم بوالها ، فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة بهم ، فعلق
من بها من الجند والميرة ، وأرسل إلى الأمر بذلك ، فرأى أن يرُدّ ولاية صور
إلى طغرتكين ، فأرسل إليه بذلك ، فلكها ورثب بها الجند وغيرهم .

وسار الفرنج إلى صور ، ونازلوها في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ،
وضيقوا عليها ولازموا القتال ، فقلت الأقوات ، وسيم من بها القتال ،
وضعت نفوسهم . وسار طغرتكين إلى بانياس ليقرب منهم وينب عن
البلد ، وأرسل إلى الأمر يستجده ، فلم ينجده ، وأشرف أهلها على الهلاك .
فحينئذ راسل طغرتكين الفرنج على أن يسلم إليهم البلد ويمكنوا من بها من
الجند والرعية من الخروج بما قدرُوا عليه من أموالهم وغيرها فاستقرت القاعدة
على ذلك ، وفتحت أبواب البلد ، وفارقه أهله ، وحملوا ما أطاقوا وتفرقوا
في البلاد ، ولم يتعرض الفرنج إليهم . وملك الفرنج البلد في التاريخ [٨١]
الذي قدمناه ، ولم يبقَ بصور إلا ضعيف عاجز عن الحركة ^(٢) .

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وخمسمائة ملك الفرنج حصن القدموس ^(٣)
من المسلمين ، وملكوا بانياس بمراسلة إسماعيل الإسماعيلي ورغبيته في ذلك ،

(١) « فاعتذر إليه وقبل عذره » في الأصل . والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) انظر الكامل جـ ١٠ ص ٦٢٠ - ٦٢٢ .

(٣) القدموس : من حصون الاسماعيلية - انظر ما يلي ، الكامل جـ ١٠ ص ٦٥٩ ، نهاية

الأرب جـ ٢٧ ص ٧٩ .

وانضمامه إلى الفرنج ، على ما قلّمنا ذكره^(١) في أنخبار تاج الملوك طغرّتكين صاحب دمشق .

هذا ما استولى عليه الفرنج من البلاد الإسلامية . فلنرجع إلى أنخبار الدولة العبيدية .

ذكر وفاة المستمل بالله

كانت وفاته في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر^(٢) سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ومولده لعشر بقيت من المحرم سنة سبع وستين^(٣) وأربعمائة ، وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة^(٤) وثمانية وعشرين يوما .

ومدة ولايته سبع سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما .

ولم تكن له سيرة تُذكر ، فإن الأمر كان للأفضل أمير الجيوش ، لم يكن للمستمل معه من الأمر إلا الاسم ، والرسم للأفضل .

(١) انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٨٠ .

(٢) يوجد اختلاف في تاريخ وفاته ، فهو ٢٧ صفر في كثر الدرر ج ٦ ص ٤٥٣ ، ٩ صفر في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٣ ، ١٣ صفر في أخبار الدول المنقطعة ص ٨٥ .

(٣) يوجد اختلاف أيضا في تاريخ ميلاده ، فهو ١٨ محرم ٤٦٨ هـ في انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٧ ، ١٠ محرم ٤٦٨ هـ في المنتقى من أخبار مصر ص ٦٩ ، وفي وفيات الأعيان سنة ٤٦٩ هـ ، ج ١ ص ١٨٠ .

ولا يتفق مع التويري إلا ابن ظافر - انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٨٥ .

(٤) يوجد اختلاف في عمره تبعاً للاختلاف في تاريخ ميلاده ، وتاريخ وفاته انظر الحوامش السابقة .

وكان للمستعل من الأولاد أبوعلی المنصور ، وجعفر ، وعبد الصمد .
وزیره الأفضل أمير الجيوش .

قضائه : أبو الحسن بن الكحال النابلسي ، ثم أعاد بن عبد الحاكم ، ثم
أبو طاهر محمد بن رجاء ، ثم أبو الفرج محمد بن جوهر بن ذكا النابلسي .

ذكر يعة الأمر بأحكام الله

هو أبوعلی المنصور بن المستعل بالله ، وهو العاشر من ملوك الدولة
العبيدية والسابع من ملوك الديار المصرية منهم .

قال المؤرخ : لما مات المستعل بالله أجلس الأفضل أمير الجيوش ولده أبا
على هذا على سرير الخلافة ، وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت
من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وبايع له الناس ولقبه بالأمر بأحكام
الله وله من العمر خمس سنين وشهر واحد وأيام .

قال : ودبر الأفضل الأمر على ما كان عليه في أيام أبيه المستعل^(١) .

وفي سنة خمس مائة بنى الأفضل أمير الجيوش الدار المعروفة بدار الملك^(٢)
على شاطئ النيل بمصر ، وكملت عمارتها في سنة إحدى وخمسمائة ،
وسكنها .

(١) ينقل التويري عن ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٧ .

(٢) دار الملك : يقول المقرئ : هي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش . ابتدأ في بنائها
 وإنشائها في سنة إحدى وخمسمائة . فلما كملت تحول إليها من دار القباب بالقاهرة .
 وسكنها . وحول إليها الدواوين من القصر فصارت بها . وجعل فيها الأسطة وانفذ بها
 مجلساً سماه مجلس العظاما . فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة متزهات
 الخلفاء « المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٣ .

ومدحه الشعراء . فمن مدحه أبو الفضل بن أمية المغربي من قصيدة جاء منها :

دارُ هي الفلك الأعلى، وأنت بها شمس الضحى، وبتوك الأنجم الزهر

ودار الملك هذه هي دار الوكالة الآن^(١) ، وكان موضعها أنخصاص موقوفة على الأشراف ، فأمر أن يؤخذ ما كان لهم من الحكر على الأنخصاص من مال الرباع السلطانية .

ذكر إنشاء ديوان التحقيق

وفي سنة إحدى وخمسة جدد الأفضل ديواناً وسمّاه ديوان التحقيق^(٢) ، واستخدم فيه أبا البركات يوحنا بن أبي الليث النصراني ، وبقى فيه إلى أن قُتل في سنة ثمان وعشرين^(٣) . واستمر هذا الديوان إلى أن انقرضت الدولة العبيدية وانقطع ، ثم أعاده السلطان الملك الكامل بن الملك العادل في سنة أربع وعشرين ، واستخدم فيه أبو كوجك^(٤) اليهودي . ثم أبطل في سنة ست وعشرين وستائة فلم يعد . واستخدم في أيام السلطان

(١) « ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين بيرس الهندقاري دار وكالة » - المواقظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٣ .

(٢) كانت وظيفة هذا الديوان هي المراقبة على سائر الدواوين - صحيح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٩ ، المواقظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠١ .

(٣) « ثمان عشرة » في أملاط المنفا ج ٣ ص ٣٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٠

(٤) « ابن كوجك » في المنتقى من أخبار مصر ص ٧٧ .

الملك المعز أيك صفى الدين عبد الله بن علي المغربي في استيفاء مقابلة الدواوين ، وهو نوع منه (١) .

ذكر حل الإقطاعات وتحويل السنة

وفي سنة إحدى وخمسمائة كثرت شكاوى الأجناد وطوائف العساكر المصرية بسبب إقطاعاتهم ، وأنها خربت وقل ارتفاعها ، وأنها لا تقوم ببعض كلفهم ، وأن الإقطاعات التي بيد الأمراء زائدة عن الارتفاع . فأحضر الأفضل محمد [٨٢] بن فاتك البطايعي (٢) ، وهو وزيره وأستاذ داره ، واستشاره فما يفعل في ذلك ؛ فأشار عليه بحل جميع الإقطاعات التي بيد الأمراء وغيرهم ، وأن يجمع الأمراء والطوائف للمزايدة فيها . فاتفق الرأي على ذلك .

وأحضر الأمراء والأجناد في دار الوزارة ، وتحدث معهم في ذلك ؛ فقال الأمراء : لنا في إقطاعاتنا أملاك وبساتين ومعاصر وغيرها . فقال الأفضل : الأملاك لملاكها على حالها يتصرفون فيها بالبيع والإيجار . ثم حل الإقطاعات ووقعت الزيادة فيها ، وتميز لكل منهم إقطاع ، وكتب المناشير بذلك . ثم شكى إليه كثرة عبء البلاد (٣) وأن متحصليها لا يقبى بالعبء .

(١) المتنى من أخبار مصر ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) انظر الإشارة ص ٦٢ - ٦٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ ، الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٣١٣ وما بعدها ، وانظر أيضًا نصوص من أخبار مصر ص ٣ هامس ٢ .

(٣) العبء : يقصد بها مقدار الضرائب (الحراج والأموال) المقررة على كل إقطاع - المراعظ والاعتبار ج ١ ص ٨١ وما بعدها .

وحَصَلَ للديوان ضياعٌ مفردة ^(١) عَربُها خمسون ألف دينار في كل سنة .
وُنُقِلَت السَّنة الشمسية الخِراجِيَّة إلى الهلالية ، وكانت سنة إحدى
وخمسمائة الهلالية وسنة سبع وتسعين وأربعمائة الخِراجِيَّة فنُقِلَت إلى سنة
إحدى وخمسمائة ^(٢) .

ذكر أخذ الفَرما وهلاك بغدوين الفرنجي صاحب القلنس

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة ^(٣) أغار بغدوين ملك الفرنج على
الفرما ^(٤) وقتل جميع مَنْ بها ، وأحرق جامعها ومساجدها ، وذلك بعد أن
حاصرها أيامًا والفرما كانت بلدة بين القصير والفراي من منازل الرَّمْل ، وهي
الآن خراب . وقصد بغدوين مِصرَ فرحل عن الفرما . ورجع إلى البيت

(١) « وحصل لديوان السلطان ضياع مفردة » في الأصل ، والتصحيح من انتعاط المنفا جـ ٣ ص ٤٠ ، وانظر أيضًا نصوص من أخبار مصر ص ٩ - ١٠ .

(٢) عن تحويل السنة الخِراجِيَّة الشمسية إلى الهلالية انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٤ - ٦٠ ،
المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٢٧٣ - ٢٨٥ .

(٣) « وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وقيل في سنة أربع عشرة » في الأصل ، والتصحيح من
انتعاط المنفا جـ ٣ ص ٥٦ ، والكامل جـ ١٠ ص ٥٤٣ ، وكناز الدرر جـ ٦ ص ٤٨٠ .

وهو ما يتفق مع المصادر والمراجع الصليبية التي تذكر وفاته في ٢ إبريل ١١١٨ م . وهو يوافق
٨ ذو الحجة ٥١١ هـ . فقد ذكر ابن الأثير « في ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة
توفي بغدوين ملك القدس » - الكامل جـ ١٠ ص ٥٤٣ . تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص
١٧٢ .

(٤) الفرما : مدينة على الساحل شرقي تيس ، على بعد ٢٣ كم شرقي محطة الطينة الواقعة على
السكة الحديد بين بور سعيد والاسماعيلية - معجم البلدان ، القاموس الجغرافي ق ١ جـ ١
ص ٩٢ .

المقدس ، وهو مثقل بالمرض ، فهلك بموضع يقال له جور قبل وصوله إلى العرش . فشقَّ الفرنج بطنه وألقوا مصارنه هناك ، فهي تُرجم إلى وقتنا هذا ، ودخلوا بجثته ، فدفنوها بقامة بالبيت المقدس .

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة رُتِبَ ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة ، ونظر الحسبة وظلم وعسف ؛ وهو الذي بنى المسجد بسوق الخيل المعروف : بالذخيرة ، ومسجد « لا إله إلا الله »^(١) ، وسببُ تسميته بذلك أنه كان يَبْضُ النَّاسَ من الطَّرِيق وَيُعْصِفُهُمْ ، فيقولون له : لا إله إلا الله ، فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة . ولم يعمل فيه صانعٌ إلا وهو مكره مقيد . فابتنى الله ذخيرة الملك بأمراضٍ شديدة ، ولما مات تجبَّ الناس الصلاة عليه وتشيعه .

ذكر نهب ثغر عيذاب

وفي سنة ثنى عشرة وخمسمائة عمَّر الشريف أبو محمد قاسم بن أبي هاشم^(٢) ، أمير مكة ، مراكز حربية وشحنها بالمقاتلة وسبَّحهم إلى عيذاب^(٣) ، فنهبوا مراكز التجار وقتلوا جماعة منهم . فحضر من سلكهم من

(١) كان بخارج القاهرة في موضع الميدان أسفل القلعة . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) هو قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م أو سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م — العقد الثمين ج ٧ ص ٢٨ رقم ٢٣٢٤ ، الكامل ج ١٠ ص ٢٦٣ .

(٣) عيذاب : ميناء صغير على البحر الأحمر ، تصل إليه المراكب القادمة من عدن والحبشة والهند إلى صعيد مصر . كما كانت على طريق الحج المصري ، يسير إليها الحجاج من مدينة قوص بصعيد مصر — معجم البلدان .

الجار إلى باب الأفضل وشكّوا ما حلّ بهم فأمر بعمارة حرّاريق^(١) لجهّزها ، ومنع الناس أن يجمعوا في سنة أربع عشرة ، وقطع الميرة عن الحجّاز ، فقلت الأسرار . وكان الأفضل قد كتب إلى الأشراف بمكة يلومهم على فعل صاحبهم ، فكتب الشريف إلى الأفضل يعتذر ، والترم برؤ المال إلى أربابه ، ومن قُتل من التجار فهاله لورثته . وأعاد الأموال في سنة خمس عشرة^(٢) .

ذكر مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ابن أمير الجيوش بلر الجمالي وشيء من أخباره

كان مقتله في يوم الأحد سلخ شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وقد ركب من دار الملك بمصر فقتل عند كرسى الجسر^(٣) ، تلة الباطنية . قيل بمواطاة من الأمر لأنه كان قد ضاق منه لتحكّمه عليه ومنعه من شهواته ، فقصده اغتياله إذا دخل عليه للسلام ، ففنع أبو الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم ، ابن عمه ، وقال : إنّ هذا الأمر فيه من قُبْح الأحدثنة وسوء الشناعة ما لا تحمد عاقبته ، لأنّ هذا الرجل ما عُرف له ولا لأبيه إلا المودة في خدمة هذا البيت والذب عنه ، وإن قتلناه غيلة لا غُنية أن

(١) حراقة — حراقات ، وحراريق : نوع من السفن الحربية التي تروى بالنيران — معجم السفن

الإسلامية ص ٣٢ .

(٢) العقد الثمين ج ٧ ص ٢٩ .

(٣) كرسى الجسر : بالفسطاط ، في الطريق إلى رحبة الملاحين التي تقع أمام فندق تقى الدين المعروف بسكن الكارم — الانتصار ق ٤ ص ٣٥ .

نوّلى منصبه لغيره ، فيكون المتولّى بعده على وجل واحتراس . وإنّما الرأى أنّ ندبّر عليه . فدبّر عليه حتى قتل . هذا أحد الأقوال فى قتله .

قال : ولما وثب الباطنية عليه ضرب ثمانى ضربات ، فمات لوقته ، وحُيّل على أيدى مقدّمى ركابه ، والقائد الميمون محمد وأخوته لا يميكنون أحدًا من الدنوّ منه ، وهم [٨٣] يبشرون الناس بسلامته ، حتى وضعوه على سريره وغطّى . ونقذ المأمون أخاه حيّدة إلى الأمر يقول له : أذكرنى وتسلم ملكك لئلا أغلب عليه أنا وأنت ؛ وأوصاه أن يهنئ من وجّده بسلامة الأفضل . ففعل حيّدة ذلك ، وهنأ حرّم الأفضل وغيرهم . فعزم أولاده على إثارة فتنة وأنهم يطلبون الأمر لأخيه تاج المعالى ؛ فأمر الأمر بحمل أولاد الأفضل إلى الإعتقال بخزانة البُند ، فحملوا إليها ، وبات الأمر بدار الملك .

قال : وكان الأفضل حسن الاعتقاد فى مذهب السنّة ، جميل السيرة ، مؤثّرًا للعدل ، صائب الرأى والتدبير ، حسن الهمة ، كريم النفس ، صادق الحديث .

ونال الناس بعد قتل الأفضل من الظلم والجور والعسف ما لا يُعبر عنه . فجاء الناس إلى باب الأمر واستغاثوا ، ولعنوا الأفضل وسيّوه أقيح سب ؛ فخرج إليهم الخدم وقالوا : مولانا يُسلم عليكم ويقول لكم : ما السب فى سبّ الأفضل وقد كان قد أحسن إليكم وعدل فيكم ؟ فقالوا : إنّ عدل وتصدّق وحسنت آثاره ، ففارقنا بلادنا حبًّا لأيامه ، وأقمنا فى بلده ، فحصل بعده هذا الجور ؛ فهو السبب فى خروجنا عن أوطاننا واستقرارنا ببلده .

قال المؤرخ : لما قُتل الأفضل أحضر الأمر وزيره الشيخ أبا الحسن على الحلبي والقائد أبا عبد الله محمدًا وسألها عن الأموال ، فقال القائد : أمّا السرّ فأعلمه وأمّا الظاهر فالوزير يعلمه ؛ وأتخبراه بذخائره وأمواله . وأقام الأمر في دور الأفضل ، وهي دار الملك بمصر ودار الوزارة بالقاهرة ، وغيرهما ، أربعين يومًا ، والكتّاب بين يديه يكتبون ما ينقلونه إلى القصور ؛ فوجد له من النّخائر النفيسة ما لا يحصى ^(١) .

وذكر أن الذي وجد له من الأموال ستة آلاف ألف دينار عبثًا ؛ وفي بيت الخاصّة ثلاثة آلاف ألف دينار ، وفي البيت البراني ثلاثة آلاف [ألف] ^(٢) ومائتان وخمسون دينارًا ، وخمسون أردبًا دراهم [ورق] ^(٣) وثلاثون راحلة من الذهب العراقة ، المغزول برسم الرقم ؛ وعشرة بيوت في كلّ بيت منها عشرة مسامير من الذهب ^(٤) ، زنة كلّ مسمار مائتا مثقال ، عليها العمامم المختلفة الألوان مغطاة بالناديل المزركشة ، وتسمانة ثوب من الديباج الملون ، وخمسمائة صندوق من دقّ دمياط وتيس برسم كسوة جسده ، ولعبة من العنبر على قدر جسده برسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب رائحتها . وترك من الطيب والآلات والنحاس ما لا يحصى . وترك من الأبقار والجواميس والأغنام ما بلغ ضمان ألبانها وتناجها أربعين ألف دينار في السنة . وكانت الدّواة التي يكتب منها مرصعة بالجواهر ، فقوم ما عليها من الجواهر بانتي عشر ألف دينار . وخلف من الكتب

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ٧٩ .

(٢) [إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، واتصاف الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٣) [إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، واتصاف الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) كانت هذه المسامير تستخدم كمشاجب تعلق عليها العمامم — انظر ما يلي .

خمسمائة ألف مجلد^(١)

وحكى القاضي زكى الدين أبو زكريا يحيى بن على الدمشقي في تاريخه عما خلفه الأفضل فقال : خلف . جملة لم يسمع أن أحدا من الملوك والخلفاء في هذا الزمان جمع مثله ولا ادخر مثل بعضه : وأن الأمر بأحكام الله شرع في حمل ما في دُورِهِ إلى القصر ، فحُمل على عدو كثيرة من الجبال والبال ، ونُقل في شهرين وأيام .

قال : وحكى الدينيل التاجر الآمدي أن متولى الخزانة بالقصور ذكر له جُمْلَةً مِمَّا حُمِلَ من موجوده في الدار ، منها ستة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار ، ومن الورق ما قيمته مائتا ألف وعشرون ألف دينار ، ومن أطباق الذهب والفضة سبعمائة طبق^(٢) ، ومن الآلات مثل أوتار واصطال وصحاف وشربات وأباريق وزبادي وقدر وقطع من الفضة والذهب مختلفة الأجناس ما لا يحصى كثيرة ، وبراقي^(٣) صيني كبار ، وعبيات مملوءة جواهر ، ومن أصناف الديباج والعتاني وغيره تسعون ألف ثوب ، وثلاث خزائن مملوءة صناديق كلها من اللبني والشرب استعمال تنيس ودمياط ، وخزانة الطيب مملوءة أسفاطا ، وعود ، وبراقي مسك ونوافج ، وبراقي زجاج مملوءة من

(١) عن تركة الأفضل انظر اتعاظ الحنفيا ج ٣ ص ٧٠ وما بعدها ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ . أخبار الدول المنقطعة ص ٩١ - ٩٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥١ . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٢ ، وانظر هامش ٢٨٩ من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ .

(٢) « طرق » في اتعاظ الحنفيا ج ٣ ص ٧٠ .

(٣) براقي - برنية : إناء من الخزف اللامع أو من الصفي .

الكافور القنصوري ، غير مصاعد ، ومن العنبر ما لا يحصى كثرة (١).

وكان له مجلس يجلس فيه للشراب فيه صورٌ ثمانى جوارى متقابلات ، أربع منهنَّ بيض من كافور ، وأربع سود من عنبر ، قيام في المجلس ، عليهن أفخر الثياب وأتمن الحللى وأحسن الجواهر ، فكان إذا دخل باب المجلس نكسنَ رؤوسهنَّ خدمة له ، فإذا جلس في صدر المجلس استوين قائماتٍ . ووجد له من المقاطع والستور ، والديباغ والديبقي الحريري ، والذهب ، والفرش ، والمخاد والمساند على اختلاف أجناسها ، كلُّ حجرة مملوءة من ذلك ، وعدة صناديق مملوءة حقائق ذهبٍ عراقي يرسم الاستعمال . ووجد له ثمانمائة جارية [٨٤] منهن حطائما خمسن وستون ، لكل جارية حجرة ونخزانة مملوءة من الكساوى والآلات الديباغ والذهب والفضة . ومن كل صنف .

قال الخازن : هذا ما حضرني حفظه مما في داره . وأما ما كان في مخازنه وتحت يده عُماله وجبائنه وضُمائر التراسى فما لا يحصى كثرة ، من الأموال والغلال والحبوب والقطن والكتان والشمع والحديد والأنشاب وغير ذلك . وكل نوع منه ما يجاوز الحد والإحصاء ، ولا يمكن تحرير حسابه إلا في المدة الطويلة (٢).

وأما العدد والخيول والسلاح والبقر والغنم والخيام ، فقال الخازن لم تتحرر

(١) انماط الحنفا جـ ٣ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) انماط الحنفا جـ ٣ ص ٧١ ، المتقى من أخبار مصر ص ٨٢ .

(٣) انماط الحنفا جـ ٣ ص ٢٧١ ، المتقى من أخبار مصر ص ٨٣ .

لكثرتها . وقال حُميل من داره أربعة آلاف بساط ، وستون حمل^(١) ،
طنافس ، وخمسمائة قطعة بلور كبار وصغار ، وخمسمائة قطعة مُحكم ،
وَألف عِذْل من متاع اليمن والإسكندرية والغرب ، وسبعة آلاف مركب^(٢)
من أصنافها .

وأما ما عمّره من المساجد فنها : جامع الفيلة^(٣) ، وقيل إنه لم يكمله .
وحكى الشريف محمد بن أسعد الجوافي في كتابه المترجم بالنقط في ذكر
الخطط أن جامع الفيلة بناه الأفضل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، وأنَّ
الأفضل مات ولم يكمله فكملهُ المأمون في وزارته ، ووَلَّى خطايته الشريف
أمين الدولة أبا جعفر ، محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الطرابلسي
البُشَايَ ، وأمر أنْ يَحضُر جميع وجوه الدولة والرؤساء في أول جمعة ،
فحضروا . فلما رقى الشريف المنبر قال : « الحمد لله » ، وأرتج عليه
ودهش ، فلم يَزَل يكررها إلى أن أضجَرَ الناس ، ونزل وقد هُمٌّ ، ومضى إلى
داره ، فاعتلَّ ومات في سنة سبع عشرة وخمسمائة . ومنها المسجد الذي على
جبل المقطم . وبني في جامع عمرو بن العاص المئذنة الكبيرة والمئذنة
السعيدية^(٤) ، والمئذنة المستجدة [به أيضاً]^(٥) ، وجامع الجيزة . وغير ذلك .
وهو الذي أنشأ التاج والخمسة وجوه .

(١) هكذا في الأصل ، وفي انماط الحنفا ، « وسور حمل » في المتن من أخبار مصر ص ٨٣ .

(٢) « وتسعة آلاف سرج » في انماط الحنفا ج ٣ ص ٧١ ، و « سبعة آلاف مركب يعني سرج » في
المتن من أخبار مصر ص ٨٣ .

(٣) « مسجد الفيلة » كان يطل على بركة الحيش - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) « السعيدة » في الأصل ، والتصحيح من المتن من أخبار مصر ص ٨٥ .

(٥) [إضافة للتوضيح من المتن من أخبار مصر ص ٨٥ ، وعن مآذن جامع عمرو بن
العاص انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، الانتصار في ٤ ص ٦١ .

قال ناظم سيرة المأمون : وعمل الأفضل خيمة سماها خيمة الفرج ، ثم سُميت بالقائول لأنها كانت إذا نُصبت يموتُ تحتها من الفَرَاشين رجلاً أو رجلاًن (١) . اشتملت على ألف ألف ذراع [وأربعمائة ألف ذراع] (٢) وكان ارتفاعها خمسين ذراعاً بذراع العمل (٣) ، أنفق عليها عشرة آلاف ألف دينار .

وملحه جماعة من الشعراء وذكرُوا هذه الخيمة ، منهم أبو جعفر محمد بن هبة الله الطرابلسي بقصيدته التي يقول فيها :

صَرَبْتُ خِيْمَةً عَزُوفِي مَقْرَعُلَا أَوْفَتِ عَلَى عَذَابَاتِ الطُّورِ ذِي الْقَنْ (٤)
جَاءَتْ مَدَى الطَّرْفِ ، حَتَّى خَلَّتْ ذُرُوتَهَا تَأْوِي مِنْ (٥) الْفَلَكَ الْأَعْلَى إِلَى سَكَنِ
أَقْطَارُهَا مِلَّتْ مِنْ مَنْظَرِ عَجَبٍ يُهْدِي (٦) إِلَيْكَ ذِكَاةَ الصَّانِعِ الْفُطُنِ
فَمِنْ رِيَاضٍ سَقَاها الْقَطْرُ صَبِيحَهُ فَمَا بِهَا ظِلْمًا يَوْمًا إِلَى الْمُسَرَّنِ
وَجَامِعٍ فِي عَنَانٍ لَا يُجَاذِبُهُ وَطَائِرٍ غَيْرِ صَدَاحٍ عَلَى فَنَنِ
وَأَرْقَمٍ لَا يَمِجُّ السَّمُّ رِيْقَتَهُ وَضَيْغَمٍ لَيْسَ بِالْعَادِي وَلَا الْوَهِنِ
وَمَائِلِينَ صُفُوفًا فِي جَوَانِبِهَا لَوْ يَسْتَطِيعُونَ خَرَّ الْجَمْعُ لِلذَّقَنِ

(١) عن هذه الخيمة وسبب تسميتها انظر : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٨ ، ج ٣ ص ٤٧١ .

المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

إضافة من المتن من أخبار مصر ص ٨٦ ، اتعاظ الخفا ج ٣ ص ٧٢ .

(٣) ذراع العمل : طوله ثلاثة أشبار بشر رجل معتدل ، ويستخدم في العمارات والمباني - صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٤) « أَوْفَتِ عَلَى عَذَابَاتِ الطُّورِ ذِي الْقَنْ » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٢ .

(٥) « مِنْ » ساطع من نصوص من أخبار مصر .

(٦) « يُهْدِي » في نصوص من أخبار مصر .

زَيْنَتْ بِأَرْوَاحٍ ، لَا تُحْصَى فَضَائِلُهُ ماضٍ مِنَ الْمَجِيدِ وَالْعَلِيَاءِ فِي سَنَنِ
وَأُظْلِعَ الدُّسْتُ فِيهَا شَمْسَ مَمْلَكَةٍ يَرَى^(١) التَّائُمْلَ فَضْلَ الْعَيْنِ وَالْأَذُنِ
وَعَدَّ عَلَى السَّعْدِ أَنْ النَّصْرَ يَضْرِبُهَا بِالصِّينِ ، بَعْدَ فُتُوحِ الْهِنْدِ وَالْيَمَنِ

وقال أبو علي حسن بن زيد الأنصارى ، الكاتب بديوان
المكاتبات ، يصفها ويمدح الأفضل :

مهلاً ، فَقَدْ قَصَرْتُ عَنْ شَاوِكِ الْأَمِّ وَأَبَدْتُ الْعَجَزَ مِنْهَا هَذِهِ الْهَمِّ
أَخِيْمَةً مَا نَصَبْتُ الْيَوْمَ ، أَمْ فَلَكَ : وَيَقْظَةً مَا نَرَاهُ مِنْكَ ، أَمْ حُلْمٌ ؟
مَا كَانَ يَخْطُرُ فِي الْأَفْكَارِ قَبْلَكَ أَنْ تَسْمُوْا عَلَوْاً عَلَى أَقْفِ الْنَهْيِ الْخِيَمِ
حَتَّى أَتَيْتُ بِهَا شِمَاءَ شَاهِقَةٍ فِي مَارِنِ الدَّهْرِ مِنْ يَدِهَا شَمَمٌ
إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى تَكْوِينِهَا فَلَكَا أَنْ اخْتَوَتْكَ ، وَأَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

ومنها :

[٨٥] لَدَيْكَ جَيْشٌ ، وَجَيْشٌ فِي جَوَائِبِهَا مُصَوِّرٌ ، وَكَلَا الْجَيْشَيْنِ مَرْزُومٌ
إِذَا الصَّبَا حَرَكْتَهَا مَا جَ مَوْكِبُهَا فَمُقَدِّمٌ مِنْهُمْ فِيهَا وَمُنْهَزِمٌ
أَخِيلُهَا خَيْلُكَ اللَّاتِي تُغَيِّرُ بِهَا فَلَيْسَ تُنَزِعُ^(٢) عَنْهَا الْحَزْمَ وَاللُّجْمَ
عَلِمْتُ أَبْطَالَهَا أَنْ يُقَدِّمُوا أَبْداً فَكُلُّهُمْ لِفُبَارِ الْحَرْبِ مُقْتَنِمٌ
أَمْنَتُهُمْ أَنْ يَخَافُوا سَطْوَةَ لِرْدَى فَقَدْ تَسَالَمَتْ الْأَسْيَافُ وَالْقِمَمُ^(٣)
كَأَنَّهُا جُنَّةٌ ، وَالْقَاطِنُونَ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُ عَلَى أَعْمَارِهِمْ هَرَمٌ

(١) « ترى » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٣ .

(٢) « ينزع » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٣ .

(٣) « اللمم » في نصوص من أخبار مصر .

عَلَّتْ ، فِجَلْنَا لَهَا سِرًّا تَحْدُثُهُ لِلْفَرْقَدَيْنِ وَفِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمَ
 إِنَّ أَنْبَتَ أَرْضُهَا زَهْرًا ، فَلَا عَجَبُ وَقَدْ هَمَّتْ فَوْقَهَا مِنْ كَفِّكَ الدِّيمَ

قَالَ المؤرخ : وكان للأفضل شعر حسن ، فمن قوله فى غلامه

المعالى :

أَقْضِيْبُ يَمِيْسُ ، أُمُّ هُوَ قَدْ أُمُّ شَقِيْقُ يُلُوْح ، أُمُّ هُوَ خَدَّ
 أَنَا مِثْلُ الْهَلَالِ سُقْمًا عَلَيْهِ^(١) وَهُوَ كَالْبَيْتْرِ حِينَ وَاقَاهُ سَعْدُ^(٢)

وكانت ولاية لأفضل سبعة وعشرين سنة وخمسة أشهر .

(١) « خرقاً عليه » فى انماط الحنفا ج ٣ ص ٧٣

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٦ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ٧٣ .

ذكر تفويض أمور الدولة وإمرة الجيوش للمأمون البطائحي

قال المؤرخ : وفي الخامس من ذى الحجة من سنة خمس عشرة وخمسمائة فوّض الأمر بأحكام الله أمورَ الدولة وإمرة الجيوش للقائد أبي عبد الله محمد بن الأمير ثقة الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى المعروف بابن البطائحي^(١) ، وكان قبل ذلك عند الأفضل أستاذ داره^(٢) . واستقرّت نُعوته في سجلّه المقروء على كافة الأمراء والأجناد بالأجل المأمون ، تاج الخلافة ، وجيه الملك ، فخر الصنائع ، ذخّر أمير المؤمنين . ثُمَّ نَعِيَ بعد ذلك بالأجل المأمون ، تاج الخلافة ، عزّ الإسلام . فخر الأنام ، نظام الدّين والدعاة . ثُمَّ نَعِيَ بعد ذلك بنعوت الأفضل وهى : السّيد الأجل المأمون ، أمير الجيوش . سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين^(٣) .

قال ناظم سيرة المأمون : ولما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذى الحجة من السّنة . وهو يومُ الهناء بعيد النّحر ، جلس المأمونُ في داره وقتَ أذان

(١) الإشارة ص ٦٢ — ٦٤ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ وما بعدها ، الرواق ج ٤ ص ٣١٣ وما بعدها . وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٧ هامش ٣١٣ .

(٢) « أستاذ دولته » في المنتقى من أخبار مصر ص ٨٨ . وهى نفس الوظيفة . أستاذدار : كلمة فارسية مركبة ، وتطلق على متولى الوظيفة الأستاذارية ، ويقوم صاحبها بالإشراف على شئون مسكن السلطان أو الأمير — صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ ، الفنون الإسلامية والوظائف ج ١ ص ٦٥ .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٨ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٧٥ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٨٨ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ .

الفجر ، وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم في أرباب البيوت والأقلام ، ثم الشعراء ، وركب إلى القصور ، فأقى باب الذهب ، فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجارى به العادة ، وأُغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزير السيف والقلم ، وهذا الباب يُعرف بباب السرداب. فلما شاهد المرتبة توقفت عن الجلوس عليها لأنه لم يُذكر له ذلك قبل حضوره ، ثم أُلجأت الضرورة ، لأجل حضور الأمراء ، إلى الجلوس عليها فجلس وأولاده الثلاثة عن يمينه ، وأخوؤه عن يساره ، والأمراء المطوقون^(١) خاصة قائمون بين يديه ، ومن عداهم لا يصل إلى هذا الموضع . فما كان بأسرع من أن فُتح الباب وخرج عبدة من الأستاذين المحنكين^(٢) وخرج إليه الأمير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور^(٣) ، فوقف أمام المرتبة وقال : أمير المؤمنين يرُد على السيد الأجل المأمون السلام . فوقف المأمون عند ذلك وقبل الأرض ، وجلس في موضعه ، وتأخر الأمير الثقة حتى نزل من على المصطبة التى عليها المرتبة وقبل الأرض ويد المأمون ، ودخل من فوه من الباب ، وأُغلق الباب ، على [حاله على] ما كان عليه الأفضل .

(١) الأمراء المطوقون : من أرباب السيوف ، ومن الذين يغلق عليهم بأطواق الذهب في اعتاقهم — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٦ .

(٢) « مطوقين » في الأصل ، والتصحيح من المتن من أخبار مصر ص ٨٩ .
الأستاذون : الخدام والطواشي . ومنهم أرباب وظائف القصر وأعلام رتبة المحنكون : الذين بدورهم عثمانهم على أحتاكتهم كما يفعل المغاربة ، ومنهم أقرب أرباب الوظائف الخاصة إلى الخليفة — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٧ ، ٤٨٠ .

(٣) زمام القصر : وهو الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير — صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٤) [إضافة من المتن من أخبار مصر ص ٩٠ .

قال : وكان الأفضل يقول : ما أزال أعد نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة ويعلق الباب في وجهي والدخان في أنفي ؛ لأن الحمام كانت خلف الباب في السرداب .

قال : ثم فُتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول إلى القصر ؛ فدخل المأمون إلى المكان الذي هبَّ كِه ، ودعى لمجلس الوزارة . وبقي الأمراء بالدهاليز إلى أن جلس الخليفة واستفتح المقرئون . واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده وإخوته ^(١) ؛ ثم دخل الأمراء وسلموا على طبقاتهم ، ثم الأشراف وديوان المكاتبات والإنشاء ، ثم قاضى القضاة [٨٦] ، والشهود ، والداعى ، ثم مقدموا الركاب ومتولى ديوان المملكة . ثم دخل الأجناد من باب البحر ، وهو الباب الذى يقابل المدرسة الكاملية الآن ، ثم دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلما ببياض أهل البلدين ، ثم البطررك والنصارى والكتّاب منهم ، وكذلك رئيس اليهود . ودخل الشعراء على طبقاتهم ، وأنشد كل منهم ما سمحت به قريحته . وكانت هذه عادة السلام على ملوك هذه الدولة ، وإنما أوردنا ذلك ليُعلم منه كيف كانت عاداتهم ^(٢) .

وفى سنة سبع عشرة وخمسمائة ورد إلى الديار المصرية طائفة كثيرة من عرب لواته من جهة المغرب ، وانتهوا إلى الإسكندرية وأعمالها ، وأفسدوا فسادا متحكما . فندب المأمون إليهم أخاه نظام الملك ^(٣) حيدرة ، الملقب بالمؤمن ، فقاتلهم وهزمهم ، وغنم أموالهم . وتوجه إلى الإسكندرية

(١) « وأخواه » فى المتن من أخبار مصر ص ٩٠ .

(٢) انظر المتن من أخبار مصر ص ٨٩ - ٩١ حيث توجد تفصيلات أكثر .

(٣) « نظام الدين أبى تراب » فى المتن من أخبار مصر ص ٩٣ . انما الحفا جـ ٣ ص ٩٥ .

ودخلها ، فصادف مراكب البنادقة قد هجموا على ساحل النفر وأسروا ،
فخرج إليهم ، وحاربهم وهزمهم ، فعادوا^(١) .

ذكر القبض على المأمون

قال : وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة في يوم السبت لأربع خلون من
شهر رمضان قبض الأمر بأحكام الله على وزيره المأمون أبي عبد الله محمد
وعلى أخوته [الخمسة]^(٢) وثلاثين نفراً من خواصه وأهله ، واعتقله ، ولم
يزل في اعتقاله إلى سنة اثنتين وعشرين ، فصلبه مع أخوته .

وقيل في سبب ذلك إن المأمون رآسل الأمير جعفرًا ، أخا الأمر ،
وأغراه بقتل أخيه وأنه يقيمه مكانه في الخلافة ، واستقرت القاعدة بينها
على ذلك ، وأتصل ذلك بالشيخ أبي الحسن على بن أبي أسامة ، متولى
ديوان المكاتبات ، وكان خصيصاً بالأمر قريباً منه ، وناله من المأمون أذى
كثير ، فأعلم الأمر بالحال . وكان المأمون كثير التطلع لأخبار الناس
والبحث عن أحوالهم ، وكثر: الوشاة في أيامه .

قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل : كان ابتداء حال المأمون
أن والده كان من جواسيس الأفضل بالعراق ، فمات ولم يخلف شيئاً ،
فتزوجت أمه وتركته فقيراً فاتصل ببعض البهائين بمصر ، ثم صار يحمل
الامتعة بالسوق الكبير . فدخل مع الحماليين إلى دار الأفضل مرة بعد
أخرى فرآه الأفضل خفيئاً رشيئاً ، حسن الحركة ، حلو الكلام والحجة :

(١) انظر انماط الحفا ج ٣ ص ٩٨ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٩٣ ، الكامل ج ١٠ ص

(٢) ١ | إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٣ .

فسأل عنه ؛ فقيل هو ابن فلان ؛ فاستخدمه مع الفُراشين . ثم تقدّم عنده وكبرت منزلته وعلت درجته ، إلى أن انتهى إلى ما ذكرنا^(١) . قال محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب^(٢) في تاريخ مصر : إن ابن الأثير وِهم في وفاة والد المأمون ، وأن والدَه مات في سنة ثنتي عشرة وخمسمائة ، والمأمون إذ ذاك مديّر دولة الأفضل^(٣) . وأكثر الناس يذكرون ما ذكره ابن الأثير .

وقال صاحب كتاب البُستان في حوادث الرّمان : إن المأمون كان يرش بين القصرين ، وجده من غلمان المستنصر بالله . واه أعلم^(٤) .

ذكر أخبار أبي نجاح بن فنا النصراني الراهب وقتله

كان هذا الراهب من أهل أشموم طُناح^(٥) . وكان قد خدّم وليّ الدولة يُحمّا بن أبي الليث ، ثم اتّصل بالخليفة الأمر بعد القبض على المأمون . وبذل في مُصادرة قومٍ من النصارى مائة ألف دينار ، فأطلق يده فيهم . وتسلسل الأمر إلى أن عمّ البلاء منه جميع رؤساء الديار المصريّة وقضاتها وكتّابها وغيرهم . ولم يبق أحدٌ إلا ناله منه مكروه من الضرب والنهب وأخذ المال ، وارتفع شأنه عند الأمر حتى كان يعمل له^(٦) ملابس

(١) « حتى صار وزيراً » في الكامل جـ ١٠ ص ٦٢٩ ، وانظر المتنقي من أخبار مصر ص ١٠٤ .

(٢) المعروف بابن مهسر .

(٣) المتنقي من أخبار مصر ص ١٠٤ .

(٤) انظر كنز الدرر جـ ٦ ص ٤٩٣ .

(٥) أشموم طُناح = أشمون الرمان : من المدن القديمة ، قرب دمياط — القاموس الجغرافي ق ٢

جـ ١ ص ٢٢٩ .

(٦) « إلى أن كان يستعمل له » في الأصل ، والتصحيح من المتنقي من أخبار مصر ص ١٠٨ .

مخصوصة به بدمياط وتُنس من الصُوف الأبيض المنسوج بالذهب ، فكان يلبسها ويلبس من فوقها الغفافير الدِّيَاج^(١) . وكان يتطيب في كل يوم بعدة مناقيل من السُّسك . وكان يركب الحمير بالسُّروج المحلاة بالذهب والفضة ، ويجلس في قاعة الخطابة بالجامع العتيق بمصر ويستدعى الناس للمصادرة . فاستدعى في بعض الأيام رجلاً يعرف بابن الفرس ، وكان من أكابر العدول ذوى الهيئات والدِّيانة ، والناس يعظمونه ويبجلونه — وأوقع به الإهانة والإخفاق ؛ فخرج من عنده ووقف في الجامع يوم الجمعة وقال : يا أهل مصر ، انظروا عدلَ مولانا الأمر في تمكينه هذا النصراني من المسلمين ؛ فارتجّ الناس لكلامه وكادت تكون فتنة ؛ فدخل جماعة على الأمر وخوفوه العاقبة ، وعرفوه ما حلّ بالمسلمين منه [٨٧] فاستدعاه ، وكان في المجلس رجلاً من الأشراف^(٢) ، فأنشد الأمر أبياتاً منها :

إن الذي شُرِّفت من أجله يزعمُ هذا أنه كاذب

فقال له الأمر : ما تقول ياراهب ؟ فمسكت . فأمر به فقتل . وكان الذي تولّى قتله الأمير مقدار والى^(٣) مصر ، وصَلَّبه على الجسر . ثم أنزل وربط على خشبة ورُمي في بحر النيل وخرجت الكتب إلى الأعمال البحرية أنه إذا ألقاه الماء إلى جهة أخرجه عنها حتى ينتهى إلى البحر المالح .

(١) « غفارة ديباج » في المتنق من أخبار مصر .

(٢) يذكر ابن خلكان أنه الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشى المالكي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م — وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ رقم ٦٠٥ .

(٣) « ولى » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٦ .

ولما قُتِلَ هذا الرَّاهِبُ وجدوا له مقطعا فيه ثلاثمائة طُرَاحَة ^(١) سامان محشوة ، جُددًا ، لم تُستعمل . هذا من هذا النوع ، خلا ما وجد من الذهب والفضة والأقمشة والديبايح ^(٢) .

ذكر مقتل الأمر بأحكام الله وشىء من أخباره

كان مقتله في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا ^(٣) من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة ، بهجزيرة مصر ^(٤) بالقرب من المقياس . وثب عليه عشرة نفر من النزارية وقتلوه ، فحمل في جل ^(٥) إلى الجامع ، ونقل في مركب عشاري ^(٦) ، وأُخِيرَ إلى اللؤلؤة في الخليج ، ثم حُمِلَ إلى القصر ؛ فتوفي ببقية يومه . وقُتِلَ القوم الذين قتلوه .

(١) طُرَاحَة : المرتبة ، أو الفراش الذي يجلس عليه — القاموس .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ - ٨٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٧ - ١٠٩ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٣) « الرابع من ذى القعدة » في انماط الحنفا ج ٣ ص ١٣٠ .

(٤) « جزيرة مصر » في الأصل ، والتصحيح من انماط الحنفا ج ٣ ص ١٣٠ ، والمنتقى من أخبار مصر ص ١١٠ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٠٤ ، وأخبار الدول المنقطعة ص ٩١ .

(٥) الجل للداية : كساء يقيها من قسوة البرد — القاموس .

وفي أخبار الدول المنقطعة « في شليل من أشلة الخيل » .

(٦) عشاري : عشاريات : مركب صغير نسيبًا يستخدم عشرين مجدافًا . ويكثر استعماله في نهر النيل — معجم السفن الإسلامية ص ٩٥ وما بعدها .

وكان مولده في يوم الثلاثاء لليلة خلت من المحرم^(١) سنة تسعين وأربعمائة وقتل في يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم^(٢) منها، فكان عمره أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وولايته تسعة وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصف شهر. وكان محكوماً عليه إلى أن قُتل الأفضل وتولى المأمون فظهر أمره، وصار يتصرف [ويركب]^(٣) في يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الثلاثاء وإذا لم يركب في يوم منها ركب في غيره. ولم يستوزر بعد المأمون وزيراً للسيف والقلم، بل استبدَّ بأمواره وبأشرفها بنفسه.

وكان قبيح السيرة في رعيته، يظلمهم ويأخذ أموالهم ويقتصب أملاكهم؛ وسفك دماهم، وارتكب المحذورات، واستحسن القبائح. ويكفى من سوء سيرته تمكينه الرَّاهب من المسلمين، وقد تقدم خبره^(٤) وولد للأمر في هذه السنة ولدٌ سمي أبا القاسم الطَّيِّب وجعله وليُّ عهده^(٥)، فأخفاه الحافظ.

وزراؤه: الأفضل؛ ثم المأمون.

قضاته: ابن ذكا النابلسي إلى أن رَفَعَ إبراهيم حمزة الشاهد إلى الأفضل أمير الجيوش أنه أحدث في مجلس الحكم فعزله؛ وولَّى أبا الفضل نعمة بن بشير الجليس النابلسي إلى أن استقال؛ فولَّى الرشيد أبا عبد

« ولد يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم » في أخبار الدول المتقطعة ص ٩١.

والمتنقى من أخبار مصر ص ١١٠. انماظ الحنفا ج ٣ ص ٢١.

ولم يتفق مع النويري في تاريخ ميلاد الأمر سوى ابن تفرى بردى — النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧١.

(٢) هذا يتناقض مع ما جاء في أول الفقرة.

(٣) [] إضافة من المتنقى من أخبار مصر ص ١١١.

(٤) انظر المتنقى من أخبار مصر ص ١١١.

(٥) انظر انماظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٨.

الله محمد بن قاسم الصقلى إلى أن توفى ؛ فأعاد المجلس ثم صرفه ؛ وولى أبا الفتح مسلم ، فبقى إلى أن تولى المأمون فعزله ونفاه لما أخطأ فى قراءته ؛ وولى أبا الحجاج يوسف بن أيوب الأندلسى إلى أن توفى فى سنة إحدى وعشرين وخمسائة ؛ فولى الأمر أبا عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر القيسرانى ، فاستمر إلى أن قُتل الأمر بأحكام الله ^(١) .

ذكر بيعة الحافظ لدين الله

هو أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله ، وهو الحادى عشر من ملوك الدولة العبيدية والثامن من ملوك الديار المصرية منهم . بُوع له بعد مقتل ابن عمه الأمر ، فى يوم الثلاثاء ليلتين خلتا من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة ، بولاية العهد إلى أن يستبرئ نساء الأمر وهل فيهن من هى مشتملة على حمل أم لا .

ذكر قيام أحمد بن الأفضل الحافظ

وما كان من أمر أحمد إلى أن قُتل

قال المؤرخ : لما بُوع الحافظ لدين الله ثار الجند الأفضلية وأخرجوا ابن مولاهم ، أبا على أحمد بن الأفضل ، الملقب بكتيفات ، وولوه إمرة الجيوش ؛ وذلك فى يوم الخميس السادس ^(٢) من ذى القعدة منها ، فحكم ، واعتقل الحافظ صبيحة يوم بيعته ، ودعا للإمام المنتظر ؛ وقوى أمر ابن الأفضل .

(١) انظر أخبار الدول النقططة ص ٩٢ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١١٢ . انماط الحفا ج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) « سادس عشر » فى المنتقى من أخبار مصر ص ١١٣ .

وفي سنة خمس وعشرين رتب أحمد بن الأفضل في الأحكام أربعة
قضاة : الشافعية والمالكية والإسماعيلية [٨٨] والإمامية ، يحكم كل
قاض بمقتضى مذهبه ويورث بمقتضاه . فكان قاضى الشافعية الفقيه
سلطان^(١) ، وقاضى المالكية اللبني^(٢) ، وقاضى الإسماعيلية أبو الفضل^(٣)
ابن الأزرق ، وقاضى الإمامية ابن أبي كامل^(٤) .

وسار أحمد بن الأفضل سيرة جميلة بالنسبة إلى أيام الأمر ، ورد على
الناس بعض مضاداتهم ، وأظهر مذهب الإمامية الاثنى عشرية ، وأسقط
من الأذان قولهم « حى على خير العمل » ، وأمر بالدعاء لنفسه على
المنابر بدعاء اخترعه لنفسه وهو : « السيد الأجل الأفضل ، مالك
أصحاب الدول ، والمحامى عن حوزة الدين ، وناشر جناح العدل على
المسلمين ، الأقرب بين والأبعدين ، ناصر إمام الحق في حالتي غيبته
وحضوره ، والقائم بنصرته بماضى سيفه ، وصائب رأيه وتدبيره ، أمين الله
على عباده ، وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة
المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده ، مولى النعم ، ورافع الجور عن الأمم ،
ما لك فضيلتي السيف والقلم : أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفضل
شاهنشاه أمير الجيوش^(٥) » .

(١) هو سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسى ، المعروف بابن رشا ، والمتوفى سنة
٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م — انما الحنفا ج ٣ ص ١٧٥ . العر ج ٤ ص ٤٢ . المتقى من أخبار
مصر ص ١٣٣ .

(٢) هو محمد بن عبد المولى بن محمد بن عبد الله اللبني المغربي — انما الحنفا ج ٣ ص ١٤٢ .

(٣) هو هبة الله بن عبد الله بن حسن بن محمد ، أبو الفضائل ، المعروف بابن الأزرق — انما
الحنفا ج ٣ ص ١٤٢ .

(٤) هو المفضل بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبي كامل — انما الحنفا ج ٣
ص ١٤٢ .

(٥) انظر المتقى من أخبار مصر ص ١١٦ ، انما الحنفا ج ٣ ص ١٤٣ - ١٤٤ .

واستمر أمره إلى يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة . فاتفق رُكُوبه في هذا اليوم إلى الميدان بالبستان الكبير^(١) ظاهر القاهرة ، للعب بالأكرة^(٢) على جارى عادته ، فوثب عليه مملوك رومى ، وقيل بل من صبيان الخاصة^(٣) ، فطعن طعنة ألقاه بها عن فرسه ، ونزل واحتز رأسه ، ومضى به إلى القصر ؛ وذلك بموافقة من الأجناد . فكانت مدة تغليه على الأمر سنة واحدة وشهرين وثلاثة عشر يوماً ؛ ودُفن بتربة أبيه خارج باب النصر^(٤) .

ذكر بيعة الحافظ لدين الله الثانية

قال : ولما قتل أحمد بن الأفضل ببيع الحافظ بالخلافة بيعة عامة ، وظهر الحمل المنتظر بنتاً ، فانتقلت الخلافة إليه . وأمر أن يُدعى له على المنابر : اللهم صل على الذى شئت به الدين بعد أن رام الأعداء دُثوره ، وأقررت الإسلام بأن جعلت طُلوغه على الآمة وظهوره ، وجعلته آية لمن يدبر الحقائق بباطن البصيرة ، مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا ، عبد المجيد أبى الميمون ، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، صلاة دائمة

(١) البستان الكبير خارج باب الفتوح من القاهرة . في اتعاظ المنفا جـ ٢ ص ١٤٣ .
وكان يمتد من زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية . المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٨٧ .

٢ الأكرة لغة في الكرة . وانظر اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٤٣ ، والنقنى من أخبار مصر ص ١١٥ .

(٣) صبيان الخاص = صبيان الحجر : وهم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة ، يقيمون في حجر منفردة بالقرب من باب النصر — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٧٧ . وانظر ما يلى في أحداث سنة ٥٤٤ هـ .

(٤) تربة أمير الجيوش بدر الجمال ، وهى أول تربة أنشئت بمقابر باب النصر — خارج الباب — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٤٦٣ .

إلى يوم الدين^(١) .

قال : ولما تم أمر الحافظ استوزر أبا الفتح يانس ، وهو رومي من ممالك الأفضل ، ولقبه بأمر الجيوش : فقتل الطائفة المعروفة بصبيان الخاص ، ومن جملتهم قاتل أحمد بن الأفضل . وكان عظيم الهيبة ، بعيد القوَر ، فخافه الحافظ وتخيل منه ، وتخيل يانس أيضا من الحافظ ، فدبر كل واحد منها على صاحبه ، فسبق تدبير الحافظ فيه فسسه في إبريق استعمل الماء منه عند الطهارة فعولج وكاذ أن يبرأ . فكلم الحافظ بعض الأطباء ، فقال له الطبيب : إن رأى مولانا أمير المؤمنين أن يمضى إليه ويزوره ويهتبه بالعافية فإنه لأبد أن ينهض إليك وعشى ، فإذا مشى لا يكاد يعيش أبدا . فمضى إليه الحافظ فقام إليه وتلقاه ، فمات في ليلته ؛ وذلك في السادس والعشرين من ذى الحجة^(٢) فكانت مدة وزارته تسعة أشهر .

ذكر الخلف بين ابني الحافظ لدين الله

قال المؤرخ ، وفي شعبان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة جرى بين أبي تراب حيدرة وحسن ، ولدى الحافظ ، حرب شديدة ، واقرقت العساكر على فرقتين ، وهما الرميحية والجيوشية ، وكان بينهما وقعة في خامس شهر رمضان ووقع الحرب بينهما بين القصرين ؛ وقتل من الطائفتين تقدير عشرة آلاف إنسان . وكان سبب ذلك أن الحافظ جعل ولده حيدرة ولي عهده من بعده ، فلم يرض حسن بذلك ، فوقع الاختلاف والحرب بينهما . واستظهر حسن على أخيه حيدرة ، فهرب حيدرة إلى أبيه ، فأرسل الحافظ إلى ابنه حسن ليدخل إليه ، فامتنع وضايق القصر ، وطالبه بأخيه

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١١٧ ، وانظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٥ ، والنجوم الزاهرة

ج ٥ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) « لليلتين خلتا من ذى القعدة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨ ، كنز الدرر ج ٦ ص

حيدرة ، فتلافاه الحافظ وجعله وليّ عهده من بعده . وتمكّن حسن من الدولة والتصرّف فيها بحسب رأيه ، ولم يبق للحافظ معه حكم ^(١) .

[٨٩] ذكر مقتل حسن بن الحافظ

كان مقتله في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وذلك أنه لما استقرّ في ولاية العهد والوزارة والتدبير واستبدّ بالأمر ، قبض على جماعة من الأمراء وقتلهم ، بسبب قيامهم مع أحمد بن الأفضل ، وأقام غيرهم ؛ فخافه من بقي من الأمراء العتق ، وأجمعوا على خلْع أبيه من الخلافة وولّيه حسن من الوزارة فاجتمعوا بين القصرين ، ورأسلوا الحافظ ، وأحلموه بما أجمعوا عليه ، فاستعطفهم الحافظ واعتذر إليهم ؛ وهرب حسن إلى أبيه ، فقبض عليه وقبّده ، وذكر ذلك للأمراء ، فقالوا : لا بدّ من قتله ، فسفاه أبوه سماً فمات ، وجعله على سرير ، وأمر الأمراء بمشاهدته ، فدخلوا عليه وورأوه فسكتوا . وقيل إن قيام الأمراء ^(٢) كان بتدبير الحافظ .

ذكر وزارة بهرام الأرمني

وفي يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة ، وقبل لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، استوزر الحافظ بهرام الأرمني النصرائي ، ونعته بسيف الإسلام تاج الملوك ^(٣) . وكان بهرام المذكور قد وصل إلى الديار المصرية

(١) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١٩ - ١٢٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٩ .

(٢) « الأمر » في الأصل ، والتصحيح من سياق الكلام .

وانظر تفصيل ذلك في المنتقى من أخبار مصر ص ١٢١ - ١٢٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص

١٥٣ - ١٥٥ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) « تاج الخلافة » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٥٦ .

واجتمع بالحافظ ، فرأى منه عقلاً وافرًا وإقدامًا في الحرب وحُسن تدبير^(١).

وكان سببُ وصوله من بلاده أن القائم بأمر الأرمن مات ، وكان بهرام أحقَّ بمكانه من غيره فعَدَلَ الأرمنُ عنه وولَّوْا غيره ، فغضب لذلك وخرج من تَلْ بِاشِر^(٢) وقدم مصر ؛ فعينه الحافظ للوزارة . واستشار بعضَ أهله وأكابر دَوْلته فيه ، فكلَّهم كره ذلك وأشار عليه ألا يفعل ، وقالوا : إنه نصراني لا يَرْضاه المسلمون ، وإن من شروط الوزارة أن الوزير يَرْقى المنبر مع الإمام في الأعياد ليزرَّ عليه المزة الحاجزة بينه وبين الناس ؛ وأن القضاة هم نواب الوزراء ، من زمن أمير الجيوش . بدر الجمالي ، ويذكرون في النِّبَاة عنهم في الكتب الحكيمية النافذة عنهم إلى الآفاق وكتبُ الأنكحة . فقال الحافظ : إذا رَضِينَاهُ نحن فَمَنْ يَخَالِفُنَا ، وهو وزير السيف ؟ وأما صُعود المنبر فيُسْتَنْبِ عنه فيه قاضى القضاة ، وأما ذكره في الكتب الحكيمية فلا حاجة إلى ذلك . واستوزر والناس يُنكرون ذلك عليه^(٣).

وقال بعض المؤرخين : إن بهرام كان والى الغربية يومئذٍ وأنه سار منها مجدًا إلى أن وصل إلى القاهرة وحاصرها يومًا واحدًا ودخلها . فلما ولى الوزارة وثبتت بها قدمه سأل الحافظ أن يَسْمَح له بإحضار إخوته وأهله ، فأذن له في ذلك . فأرسل إليهم وأحضرهم من تَلْ بِاشِر ، فتواصلوا حتى كَمُلَ منهم ومن غيرهم من الأرمن تقدير ثلاثين ألف إنسان ؛ فاستطالوا على المسلمين . وبنيت في أيامه كنائس كثيرة وديرة

(١) المنتقى من أخبار مصر ١٢٢ .

(٢) تل بِاشِر : حصن وكورة شمالى حلب . وأهلها من النصارى الأرمن — معجم البلدان .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٢٢ . انماط الحفاج ج ٣ ص ١٥٦ .

حتى إن كل رئيس من أهله بنى له كنيسة ؛ وخاف أهل مصر منهم أن يغيروا الملة الإسلامية . وكثرت الشكايات فيه . وكان أخوه المعروف بالباساك ، وإليه تُنسب المنية ^(١) التي بالقرب من إطفيح ^(٢) ، قد ولى الأعمال القوصية فجار فيها جوراً عظيماً واستباح الأموال ، فعظم ذلك على الناس .

ذكر خروج بهرام ^(٣) من الوزارة

ووزارة رضوان ابن الوحشى

قال : ولما ثقلت وطأة بهرام على الناس اجتمع الأمراء وكاتبوا رضوان بن الوحشى ، وذلك في صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وكان يومئذ متولى الغربية ولاء بهرام إياها إبعاداً له ، فلما أنه كتب الأمراء نهض في طلب الوزارة ، ورعى المنبر ، وخطب خطبةً بليغةً حرض الناس فيها على الجهاد . فأجابوه . وحشد العربان وقدم إلى القاهرة . وكان الأمراء قد كاتبوه وقالوا : إذا وقع الوجه في الوجه ارفع المصاحف على الرماح فإننا ننحاز إليك ؛ ففعل ذلك . وخرج بهرام إليه لما قرب من القاهرة ؛ فلما عين الأمراء [٩٠] والجند المصاحف التحقوا جميعهم برضوان ، وبقي بهرام في الأزمن خاصة . فراسل الحافظ وقال : أنا ألقاهم بمن معى . فخاف الحافظ عاقبة ذلك ، فأمره أن يتوجه إلى قوص ويقيم عند أخيه الباساك إلى حين يذبر أمراً . فعاد بهرام إلى القاهرة .

(١) منية الباساك : من القرى القديمة . وتعرف حالياً باسم المنيا . وهي تابعة لمركز الصف بمحافظة الجيزة — القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٣١ .

(٢) إطفيح : من المدن المصرية القديمة ، من أعمال الجيزة ، وإليها تنسب الأعمال الأطفيفية . وهي حالياً بلدة تابعة لمركز الصف بمحافظة الجيزة . القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٢٦ .

(٣) «رضوان» في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح بما يلى .

وأخذ ماخضاً حمله ، وخرج من باب البرقية في حادي عشر جمادى الأولى ؛ وتوجه إلى الأعمال القوصية .

قال : ولما انفصل عن القاهرة أتت العوام منازل الأرمن ، وكانوا قد نزلوا الحسينية^(١) وعمروها دوراً . ولما اتصل بأهل قوص انهزم بهمram نأروا بأخيه الياساك وقتلوه ومثلوا به ، وربطوا في رجله كلباً ميتاً ، وزموا على مزبلة . فقدم بهرام بعد ذلك بيومين ، ومعه طائفة من أقاربه ، فرأى الياساك على هذه الحال ، فقتل جماعة من أهل قوص بالسيف ونهبها وسار إلى أسوان . ثم رجع ونزل بالديرة البيض^(٢) ، وهي من أعمال أخميم بالجانب الغربي .

قال : ولما فارق بهرام القاهرة دخلها رضوان ووقف بين القصرين ، واستأذن الحافظ فيما يفعله ؛ فأمره بالنزول بدار الوزارة ، فنزلها ، وخلع عليه خلع الوزارة ، ونعته بالأفضل . وتذب رضوان جماعة من العسكر مع أخيه ناصر الدين ، فتوجهوا إلى بهرام ، فاستقر الأمر بينهم أن يقيم بالديرة البيض ؛ وعاد الجند الذين مع بهرام إلى مصر . ودبر رضوان الأمر أحسن تدبير ، وصادر جماعة من أصحاب بهرام وشدد عليهم الطلب ، وقتلهم بالسيف .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسائة أحضرت^(٣) من تيس امرأة بغير يدين ، وموضع يديها مثل الحلمتين ، فجيء بها إلى مجلس الوزارة بين يدي رضوان ، فعرفته أنها تعمل برجليها ما يعمل الناس باليدين من خط ورقم وغير ذلك . فأحضر لها دواة ، فتناولت الأقلام

(١) الحسينية : خارج باب الفتوح — المواقظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٠ .

(٢) « فنزل بالأديرة البيض ، وهي أماكن حصينة في غربي إخميم » — المنتقى من أخبار مصر ص

(٣)

١٢٩ ، انظر تحت جـ .

برجلها اليسرى وتأمّلتها قلماً قلماً فلم تره شيئا منها ؛ فأخذت
السكين وبرّت لنفسها قلماً وشقته ، قطّته ، واستدعت ورقة فأمسكتها
برجلها اليمنى ، وكتبت باليسرى بأحسن خط ما تكتب النساء بأيديهن
مثله ، وحمدت الله في آخر الرقعة ، وناولتها للوزير . فتناولها فوجدها
قد سألته الرّياة في رأيها ؛ فزاعها ، وأعادها إلى بلدّها (١) .

وفيها بنى رضوان المدرسة المعروفة به بالإسكندرية (٢) ،
واستدعى الفقيه أبا طاهر بن عوف (٣) إلى حضرته وأسند إليه
تدريسها .

معين التارخ
لأهل التارخ

ذكر خروج رضوان من الوزارة

وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة أحضر الحافظ
بهرام الأرمي من الصعيد ، وأسكنه في القصور وأكرمه ، فعظم ذلك على
الأفضل رضوان ، فشغب الحافظ عليه الجند ، فقام بعضهم عليه ،
وجرت بينهم حرب بالقاهرة . وطلب رضوان أن يسكن مع الحافظ في
القصور ، فلم يمكنه . فتزايد الحال على الأفضل وضعفت قدرته عن لقاء
العساكر ، فهرب إلى الشام ، وذلك في منتصف شوال منها ، وقصد

(١) المتنى من أخبار مصر ص ١٢٩ - ١٣٠ ، اتعاط الحنفا ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) هي المدرسة الحافظية التي أنشأها رضوان بن ولحي للقبه المالكي أبي الطاهر بن عوض -
تاريخ مدينة الإسكندرية ص ٤٨ .

(٣) هو إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري ، أبو الطاهر ، توفى سنة
٥٨١ هـ / ١١٨٥ م - المعبر ج ٤ ص ٢٤٢ ، أعلام الإسكندرية ص ١٠٥ - ١٢٧ .

كُشِّتَ كَيْنِ وَالْي صَرَخَدُ^(١) فَأَقَامَ عِنْدَهُ فَأَكْرَمَهُ^(٢) . ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ فِي سَلْخِ الْمَحْرُومِ سَنَةً أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَقَدْ جَمَعَ جَمْعًا صَالِحًا مِنَ الْجُنْدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَسْكَرَ وَحَارِبُوهُ عِنْدَ بَابِ الْفَتْوحِ ، فَمَضَى وَنَزَلَ عِنْدَ الرُّصْدِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الصَّعِيدِ . فَغَدِبَ إِلَيْهِ الْحَافِظُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَضْلِ^(٣) بَنَ مَصَالٍ بِأَمَانٍ ؛ فَسَارَ إِلَيْهِ وَتَلَطَّفَ بِهِ ، إِلَى أَنْ أَحْضَرَهُ إِلَى الْقَصْرِ ، فِي رَابِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ ، فَاعْتَقَلَهُ فِي بَعْضِ قَاعَاتِ الْقُصُورِ . فَأَقَامَ فِي الْإِعْتِقَالِ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، فَخَرَجَ مِنْ نَقَبِ نَقْبِهِ فِي الْقَصْرِ ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ بَقِيَّةٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا . وَرَكِبَ وَحَوَّلَهُ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ يَكَاتِبُهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجِزْيَةِ ، وَلَقِيَ عَسْكَرَ الْحَافِظِ وَقَاتَلَهُمْ عِنْدَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ ، فَهَزَمَهُمْ . وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ ، وَنَزَلَ بِالْجَامِعِ الْأَقْمَرِ^(٤) ، وَأَغْلَقَ الْحَافِظُ بَابَ الْقَصْرِ فِي وَجْهِهِ ؛ فَاسْتَحْضَرَ رِضْوَانَ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ وَالِدَوَّائِينَ ، وَأَمَرَ دِيوَانَ الْجَيْشِ بِعَرْضِ الْجُنْدِ ، فَعَرَضَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً خَارِجَةً عَنِ الْقَصْرِ كَانَتْ فِي الدَّوَّائِينَ ، وَأَنْفَقَ ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى الْحَافِظِ فِي طَلَبِ الْمَالِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَأَمَرَ الْحَافِظُ مَقْدُمِي السُّودَانِ بِالْهَجُومِ عَلَى رِضْوَانَ وَقَتْلِهِ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ ، فَهَمُّ بِالرُّكُوبِ ، فَأَعْجَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَضَرَبَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفٍ فَقَتَلَهُ . وَقُتِلَ مَعَهُ أَخُوهُ ، وَأَحْضَرَتْ رَأْسَاهُمَا إِلَى الْحَافِظِ .

(١) صرخد : تلاصق بلدة حوران من أعمال دمشق . وكانت من القلاع الحصينة — معجم البلدان .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٩ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) هو سليم بن مصال ، نجم الدين أبو الفتح — اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٧٣ ، وانظر ما يلي حيث يلقبه التويرى أيضًا « أبا الفتح » عندما ولي وزارة الظاهر .

(٤) الجامع الأقمر : أنشأه الخليفة الأمر بأحكام الله ، وقام على إنشائه وزيره المأمون البطائني ، وهو الآن بشارع المعز لدين الله (النحاسين) — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٠ .

وسكنت الفتنة ، وأرسل الحافظ الرأس [٩١] لزوجة رضوان فلما وقع
فى حجرها قالت : هكذا تكون الرجال . فلم يكن فى وقت رضوان
أسم^(١) منه .

وكان مولده فى ستة تسع وثمانين وأربعمائة . وأول ولاية وليها
الأعمال القوصية والأعمال الإخممية فى سنة ثمان وعشرين
وخمسائة .

ذكر وفاة بهرام الأرمنى

كانت وفاته لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين
وخمسائة بالقصور . وكان الحافظ قد أسكنه بدار بها ولم يمكنه من
التصرف ، وكان يشاوره فى تدبير الدولة والأمور ويصدر عن رأيه . فلما
هلك حزن عليه حزناً شديداً ، وأمر يغلّق الدواوين ثلاثة أيام .

وأحضر الحافظ بطرك الملكية بمصر ، وأمره بتجهيزه ، فجهزه .
وأخرج وقت صلاة الظهر فى تابوت عليه الديباج ، وحوله جماعة من
التصارى يسيرون باللبان والسندروس والعود ؛ وخرج الناس كلهم
مشاة ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان . ثم خرج الحافظ على
بغلة خلف التابوت وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر بغير طيلسان . ولم
تزل الناس مشاة والقسوس يعلنون بقراءة الإنجيل ، والحافظ على
حالته إلى دير الخندق^(٢) بظاهر القاهرة ؛ وقيل بل فى بستان الزهرى

(١) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٧ - ١٣٨ . اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٨٢ - ١٨٤

(٢) دير الخندق : ظاهر القاهرة من بحرياً ، عمره جوهر الصقل عوضاً عن دير هدمه
بالقاهرة - الواظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٠٧ .

في الكنيسة المستجدة^(١) . ونزل الحافظ عن بقلته ، وجلس على شفير القبر ، وبكى بكاء^(٢) كثيراً .

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة طلع النيل حتى بلغ تسعة عشر ذراعاً وأربع أصابع^(٣) ، ووصل الماء إلى الباب الجديد^(٤) أول الشارع الأعظم بالقاهرة ، وصار الناس يتوجهون من القاهرة إلى بصر من جهة المقابر . ولما وصل الماء إلى الباب أظهر الحافظ الحزن والانقطاع ، فدخل عليه بعض خواصه وسأله عن السبب ، فأخرج له كتاباً وقال له : انظر هذا السطر ؛ فقرأه ، فإذا فيه . إذا وصل الماء إلى الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد . وقال : هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال الدولة وما يأتي بعدها^(٥) .

ذكر وفاة الحافظ لدين الله

وشىء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ومولده في المحرم سنة أربع وستين

(١) كنيسة الزهري : كانت في بر الخليج الغربي ، غربي اللوق ، في الموضع الذي كانت فيه البركة الناصرية - المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٥١٢ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٣ ، إتعاظ الخنفا ج ٣ ص ١٧٥ .

(٣) « ثمان عشرة ذراعاً وثلاث عشرة أصباً » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٨٤ .

ويذكر ابن علق أن النيل إذا وصل إلى ستة عشر ذراعاً فقد وجب الحراج ، وأن هذه الزيادة تيسر بحصول جيد ، فإذا وصلت ثمانية عشر ذراعاً كان هذا نذيراً بظفان النيل وفساد المحصول - قوانين الدواوين ص ٧٦ .

(٤) الباب الجديد : أنشاء الحاكم بأمر الله ، على يسرة الخارج من باب زويلة .. المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ١٠٠ .

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٩ - ١٤٠ ، إتعاظ الخنفا ج ٣ ص ١٨٧ .

وأربعمائة ، وقيل فى المحرم سنة ثمان وستين^(١) . فكانت مدة عمره ستا وسبعين سنة وشهورا ، ومدة ولايته منذ بويج البيعة العامة الثانية ، بعد قتل أحمد بن الأفضل ، ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما .

قال المؤرخ : وكان الحافظ موصوفاً بالبطش والتيقظ ؛ وكان شديد المناقشة . وهو الذى عمل طبل القوتنج الذى كسره الملك الناصر صلاح الدين يوسف ؛ وكان هذا الطبل قد عُمل من سبعة معادن والكواكب السبعة فى إشراقها . وكان خاصته أنه كلما ضرب به ضربة خرج الرّيح من مخرج الضارب^(٢) .

قال بعض المؤرخين : إن الحافظ خطر بباله أن ينقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى القاهرة ، وكانت المدينة إذ ذاك يُخطب بها لبني العباس ، لظهور ملوك الدولة السلجقية ؛ فأرسل نحواً من أربعين رجلاً من أهل النجدة والقدرة ، فتوجهوا إلى المدينة وأقاموا بها مدة ، وتحيلوا بأن حفرُوا سرّاً من مكان بعيد ، وعملوا حساب الخروج فى المكان المقصود . فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من أن ينقل من المكان الذى اختاره له ؛ فيقال إن السرب انهار عليهم فهلكوا ؛ وقيل بل سعى بهم فأهلكوا .

وكان للحافظ من الأولاد : أبو على حسن ؛ هلك كما ذكرنا ؛ وعبد الله ، هلك فى حياته أيضاً ؛ وأبو المنصور إسماعيل ؛ وأبو الأمانه جبريل ؛ ويوسف .

(١) اختلف المؤرخون فى تاريخ ميلاده فهو سنة ٤٦٧ هـ أو ٤٦٨ هـ فى المتن من أخبار مصر ص ١٤٠ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨ ، وسنة ٤٦٦ هـ فى كز الدرر ج ٦ ص ٥٠٦ .

(٢) عن هذا الطبل انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٨ ، وفيات الأعيان ٣ ص ٢٣٧ .

ووزراؤه : تقدم ذكرهم . ولما قتل رضوان بن الولخشى لم يستوزر بعده أحدا ، وإنما كانوا كتابا . فمن أشهر كتابه أبو على حسن الأنصارى كان [القاضي] ^(١) الفاضل يقول : لم يسمع الزمان بمثله . ومن أشهر شعرائه الشريف أبو الحسن الأخفش المغربي ، في جملة شعره في قصيدة :

ذكر الدَّوحَ وشَاطِئِ بَرَدَى وَحَبَابُهَا فِيهِ يَحْكِي بَرَدَا
[٩٢] أوالصَّبَا يَمْرَحُ فِي أَرْجَانِهِ وَتَعُوكَ الرِّيحُ مِنْهُ زَرَدَا
يُنْشِرُ الدُّرَّ عَلَيْهِ فَضَّةٌ وَتُذِيبُ الشَّمْسُ فِيهِ عَشْجَدَا
وَرَشَاءُ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْقَتُهُ خَمْرُهُ صَافِيَةٌ مَا عَرَّ بَدَا

قضاته : لما غلب أحمد بن الأفضل على الأمر ، أبقى محمد ابن هبة الله ابن ميسر القيسراني على القضاء . ثم صرَّفه الحافظ واستقضى أبا الفخر صالح بن عبد الله بن أبي رجا : ثم قبض عليه الوزير يانيس الرومي وقتله ، فولى سراج الدين أبو الشريفا نجم من جعفر ، مضافا إلى الدعوة . إلى أن قتل في ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ؛ فأعيد سناء الملك بن ميسر ، فأقام إلى أن قبض عليه في يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين . وسير إلى تنيس فقتل بها . وولى بعده القاضي الأعز أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عقيل ، إلى أن توفي في شعبان سنة ثلاث

(١) [إضافة للتوضيح .

وهو عبد الرحيم بن علي بن الحسن المستطلي . القاضي الفاضل . توفي سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م - وفاته الأعيان ج ٣ ص ١٥٨ رقم ٣٧٤ .

وثلاثين . وأقام الناس بغير قاض ثلاثة أشهر ، ثم ولى أبو الفضائل هبة الله بن عبد الوارث الأنصارى لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة منها . ثم جرت مفاوضة بينه وبين « النبيه »^(١) أبى الحسن على بن « اسماعيل »^(٢) ، قيل أدت الى مصافحة خرج فى أثنائها القاضى إلى القصر وهو مخرق الأتواب وقد تحلقت عمامته فى حلقه ؛ فعظم على الحافظ خروجه على هذه الهيئة وغرمه مائتى دينار ؛ واستتاب أباطاهر إسماعيل ابن سلامه الأنصارى ، فأقام فى النياحة إلى مستهل المحرم سنة خمس وثلاثين ، فوفر جارى القضاء ، وهو أربعون ديناراً فى كل شهر ، وخدم لجارى التقدمة فى الدعوة ، وهو ثلاثون ديناراً ، فى الوظيفتين ؛ فأجيب إلى ذلك وأقام إلى أن صُرف لسبع خلون من صفر سنة ثلاث وأربعين ، وبقي على الدعوة . وولى القضاء أبو الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المقدسى إلى آخر المدة^(٣) .

ذكر بيعة الظافر بأعداء الله

هو أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ، وهو الثانى عشر من ملوك الدولة العبيدية والتاسع من ملوك الديار المصرية منهم . بُيع له بعد وفاة أبيه لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة . واستوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن

(١) ، (٢) « بياض فى الأصل ، والتكملة من أخبار الدول المنقطعة ص ١٠١ .

فَعِنْدَمَا تَوَلَّى هَبَةَ اللَّهِ بَنَ عَبْدِ الْوَارِثِ الْقَضَاءُ « أَضِيحَتْ إِلَيْهِ دَارُ الْعِلْمِ وَعَزَلَ عَنْهَا النَّبِيهَ أَبَى الْحَسَنِ عَلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ أُعِيدَتْ إِلَى النَّبِيهِ فَحَضَرَهَا أَبُو الْفَضَائِلِ هَذَا الْقَاضِي الْمَذْكُورُ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَفَاوِضَاتٌ أَدَّتْ إِلَى مَصَافَةِ » — أَخْبَارُ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١٠١ .

(٣) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٠ — ١٠١ .

مصال ، وَنَعْتَهُ بِالسَّيِّدِ الْأَجَلِ الْمُفَضَّلِ أَمِيرِ الْجَبُوشِ ؛ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَكْبَارِ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ .

وفى الرابع من شعبان من السنة اجتمع السودان وجماعة من المفسدين بالبهنسية^(١) ، فخرج إليهم الوزير فحاربهم وهزمهم .

ذكر قيام العادل بن السلار ووزارته

ومقتل ابن مصال

فى هذه السنة ثار الأمير المظفر أبو الحسن على^(٢) بن السلار والى الإسكندرية وخرج وحشد وتقدم بِمَنْ مَعَهُ ، ودخل القاهرة فى يوم الأربعاء سابع شعبان ، وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَرَأَسَلَ الظَّافِرَ وَالْمَدِيرَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ ؛ فَرَأَجَعَتْ فى ذَلِكَ وَفَاءً لِابْنِ مِصَالٍ ، ثُمَّ أُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَهُ . وَفُتِحَ بَابُ الْقَصْرِ ، وَخُلِعَ عَلَى الْمَظْفَرِ خُلْعُ الْوِزَارَةِ وَلُقِبَ بِالْعَادِلِ . فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بِابْنِ مِصَالٍ جَمَعَ عُرَبَانِ الْبِلَادِ ، وَوَافَقَهُ بِدَرِ بْنِ رَافِعٍ مُقَدِّمِ الْعَرَبَانِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ؛ وَقَصَدَ ابْنُ السَّلَارِ فَتَدَبَّ إِلَى رِيبِيهِ عَبَّاسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ تَعِيمِ بْنِ الْعَزْزِ بْنِ بَادِيسٍ بِعَسْكَرٍ مَعَهُ . فَعَسَكَرَ بِرِكَّةِ الْحَبِشِ . فَتَدَبَّ ابْنُ مِصَالٍ لِحَرْبِهِ الْأَمِيرَ الْمَاجِدَ فَجَدَّ فى السَّيْرِ وَكَبَسَ عَسْكَرَ عَبَّاسٍ ، فَأَتَتْهُمْ جَرَأْحًا وَقَتْلًا ؛ فَانْهَزَمَ عَبَّاسٌ .

(١) البهنسية : مدينة بالصعيد غرب النيل ، وتبع حالياً مركز بنى مزار بمحافظة المنيا — القاموس الجغرافى ٢ ج ٣ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٦ رقم ٤٨٥ ، المعر ج ٤ ص ١٣٦ . وانظر أخباره فى المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٢ وما بعدها . أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٣ ، انعاظ المختفا ج ٣ ص ١٩٦ وما بعدها ، التاجم الزاهرة : ج ٥ ص ٢٨٨ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٢ وما بعدها .

واجتمع ابن مسال رأيه على قَصْدِ بِلَادِ الصَّعِيدِ ، فَعَاجَلَهُ ابْنُ السَّلَاةِ وَأَمَدَّ رَبِيبَهُ بِالْعَسَاكِرِ وَأَمَرَهُ بِمُعَاجَلَتِهِ قَبْلَ الْجَمْعِ ، فَأَدْرَكَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ دَلَاصَ (١) . وَالتَّقَوُّا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَهْدٍ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ هُنَاكَ ، وَاقْتَتِلُوا ؛ فَانْجَلَتْ الْحَرْبُ عَنْ قَتْلِ ابْنِ مَسَالٍ وَبَدَّرَ بَيْنَ رَافِعٍ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ تَاسِعِ عَشْرِ شَوَالٍ . وَحُمِلَ رَأْسُ ابْنِ مَسَالٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَطِيفَ بِهِ ، وَخُلِعَ عَلَى الْعَادِلِ فِي ذَلِكَ (٢) الْيَوْمِ .

وَفِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَغْلَقَ الْعَادِلُ أَبْوَابَ الْقَاهِرَةِ وَالْقُصُورِ ، وَقَبَضَ عَلَى صِبْيَانِ الْخَاصِّ وَقَتْلَهُمْ ، وَكَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا وَهُمْ أَوْلَادُ الْأَجْنَادِ وَالْأَمْرَاءِ وَعَبِيدُ الدَّوْلَةِ فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا نَوَفَى وَخَلَّفَ أَوْلَادًا حُمِلُوا إِلَى حَضْرَةِ الْخِلَافَةِ وَأُودِعُوا فِي أَمَاكِنَ مُفْرَدَةٍ لَهُمْ ، وَيُؤْخَذُ فِي تَعْلِيمِهِمُ الْفَرُوسِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ؛ وَتَسَمُّوْا صِبْيَانَ الْخَاصِّ . وَكَانَ سَبَبُ إِيقَاعِ الْعَادِلِ بِهِمْ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ تَعَاقَدُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَبَادَرَ بِهِمْ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَجَعَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي الْمَرَائِزِ بِالْثَغُورِ (٣) .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ قَتَلَ الْعَادِلُ أَبَا الْمَكْرَمِ الْمَوْفِقَ مُحَمَّدَ بْنَ مَعْصُومِ التَّنِيسِيِّ نَازِلَ الدَّوَاوِينِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَادِلَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ كَانَ مِنْ صِبْيَانِ الْحُجَّرِ وَكَانَ يَتَكَرَّرُ [دَخُولُهُ] (٤) إِلَى الْمَوْفِقِ بِرِسَائِلٍ وَيَكْلِمُهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ ، فَكَرِهَهُ

(١) دلاص : من القرى المصرية القديمة ، على الضفة الغربية للنيل . من أعمال البهنسا ، وهي حاليًا تابعة لمركز بني سويف بمحافظة بني سويف ، القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٢ - ١٤٣ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩٦ . كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، الكامل ج ١١ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ .

(٤) [إضافة للتوضيح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩٩ .

الموفق ، ثم كُتِبَ بعد ذلك لابن السَّلاَر منشورٌ بإقطاع ، فدخل به إليه ، فتغافل عنه وأهمل أمره ؛ فقال له ابن السَّلاَر : ما تسمع ؟ فقال : كلامك ما يدخل في أذني أصلاً . فاتَّخَذَ ابن السَّلاَر منشورَه وخرج مِنْ حيث أتى . فلَمَّا وَلِيَ أمر الدَّولة دخل عليه الموفق وسَلَّمَ عليه ، فقال له : ما أَظُنَّ كلامي يَدْخُلُ في أذنك . فتجلجج بين يديه وقال له : عفو السَّلاطَان . فقال : قد استعملتُ للعفو مِنْ حين خروجي مِنْ عندك ، ما أتيْتُك به . وأشار لِبَعْضِ خدَمه فأحضر مسماراً مِنْ حَدِيدٍ عَظِيمِ الهَيْئَةِ^(١) ، وقال : هذا والله أَعَدَدْتُهُ لكَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَضَرَبَ الْمَسْمَارَ فِي أُذُنِهِ حَتَّى نَفَذَ مِنَ الْآخَرَى ، وَحُمِلَ إِلَى بَابِ زُوَيْلَةِ الْأَوْسَطِ وَدُقَّ الْمَسْمَارُ فِي خَشِيَّةٍ ، وَعُلِقَ عَلَيْهَا وَقَدْ مَاتَ .

ذَكَرَ مَا فَعَلَهُ الْفَرَنْجُ بِالْقُرْمَا

وَمَا جَهَّزَهُ الْعَادِلُ مِنَ الْأَسْطُولِ إِلَى بِلَادِهِمْ

وَفِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَمِائَةِ أَغَارَ الْفَرَنْجُ عَلَى الْقُرْمَا فَتَهَبَّوْهَا وَأَحْرَقَوْهَا^(٢) وَعَادَوْا إِلَى بِلَادِهِمْ . فَجَهَّزَ الْعَادِلُ الْمَرَاقِبَ الْحَرَبِيَّةَ وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ وَسَقَرَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، فَمَضَتْ إِلَى يَاقَا وَقَاتَلُوا مِنْ بَيْهَا فِي الْمَرَاقِبِ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى عِدَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَرَاقِبِ الْفَرَنْجِ ، وَأَحْرَقُوا مَا عَجَزُوا عَنْ أَخْذِهِ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا . ثُمَّ امْتَدُّوا إِلَى ثَغَرِ عَكَّا وَفَعَلُوا فِيهِ كَيْفَ لَيْلِهِمْ بِيَاقَا . وَكَذَلِكَ فَعَلُوا بِصَيْدَا وَبَيْرُوتَ وَطَرَابُلُسَ . وَأَنْكَرُوا فِي الْفَرَنْجِ نِكَايَةَ عَظِيمَةً .

(١) « عظيم الخلقة » في المتن من أخبار مصر ص ١٤٣ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) انظر المتن من أخبار مصر ص ١٤٤ .

ووجدوا طائفة كثيرة من حجاج الفرنج فقتلوه عن آخرهم . وكان جملة ما أنفق في هذا الأسطول ثلاثمائة ألف (١) دينار .

وفى سنة ست وأربعين قطعت جميع الكساوى المرتبة للإمراء والدواوين عن أربابها ، وتوفرت .

ذكر مقتل العادل بن السلار

وسلطنة ربيبه عباس

كان مقتله في السادس من المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وكان سبب ذلك أن العادة كانت جارية بتجريد عسكر من مصر في كل سنة لحفظ عسقلان من الفرنج ، وكان الفرنج قد حاصروها في سنة سبع وأربعين . فلما كان في هذه السنة وقعت القرعة في البدل على عباس ربيب العادل ، وهو ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، فجرده العادل بالعساكر ، وقال له : هذا النفر قد نازله الفرنج ، ولا غنية أن تتوجه بالعساكر إليه لتدفعهم عنه . فخرج عباس من القاهرة ومعه جماعة من أكابر الأمراء ، منهم أسامة بن منقذ ، وكان خصيصا بعباس فلما وصلوا إلى بلبليس تذاكر عباس وأسامة القاهرة وطيب المقام بها وما خرجا إليه ، وما يلقياه من الشدائد ولقاء العدو ؛ فتآوه عباس لذلك ولا م عمه كونه جرده ، فقال له أسامة : لو أردت أنت كنت سلطان مصر . قال : وكيف الحيلة في ذلك ؟ فقال : هذا ولدك نصر (٢) ، بينه وبين الظافر مودة عظيمة ، فأرسله إليه وخاطبه على لسانه أن تكون أنت

(١) المتنى من أخبار مصر ص ١٤٥ . انماظ المختف ج ٣ ص ٢٠٢ . تاريخ الحروب الصليبية

ج ٢ ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٢) « ناصر الدين » في انماظ المختف ج ٣ ص ٢٠٤

السُّلطان مكان عمك ، فهو يختارُك ويكره العادل . فإن أجا بك لذلك
فاقتل عمك .

فجهز عباس ابنه وعرفه ما تقرّر مع أسامة . فدخل إلى القاهرة
على حين غفلة من العادل ؛ واجتمع بالطّافر وأعلمه الحال ؛ فأجاب لما
طلب .

ثم مضى نصر إلى عند جدته ، زوجة العادل^(١) ، وأعلم العادل أن
والده أعاده شفقة عليه من السفر . ومضى العادل إلى مصر وجّهز
المرابك الحربية ، وأنفق في رجالها ليلحق عباساً ، وأقام طول نهاره
في العَرَض [٩٤] والنفقة على رجالها ، وعاد إلى داره بالقاهرة وهو
على غاية من التعب . فلما نام على فراشه احتز نصر بن عباس رأسه ،
ومضى به إلى القصر ، ودخل إلى الطّافر ، وجّهز إلى أبيه ، فركب
لوقته ؛ ودخل القاهرة صبيحة نهار الأحد الثاني عشر من المحرم ،
فوجد جماعة من الأتراك ، كان العادل قد أضطّعتهم لنفسه ، قد ثاروا
لذلك ، فلاطّفهم وطمنهم ؛ فلم يطمئنا . ومضوا إلى دمشق .

وكانت وزارة العادل ثلاث سنين ونصف سنة تقريباً ؛ وكان من
الأكراد الزرزارية . ولما قُتل طيف برأسه في القاهرة جميعاً . ونُصب
الطّافر عباساً في السلطنة^(٢) .

ذكر مقتل الطّافر بأعداء الله وأخويه

كان مقتله في ليلة الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين
وخمسماية . وذلك أنه خرج ليلاً متنكباً ومعه خادمان وجاء إلى دار نصر

(١) هي السيدة بلارة بنت القاسم - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) المتنفذ من أخبار مصر ص ١٤٧ . اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ . أخبار الدول

المتنفذة ص ١٠٣ .

ابن عباس ، وهى الدار المعروفة قديماً بدار جبر بن القاسم ثم عُرِفَتْ بسكن المأمون بن البطائحي ، وهى المدرسة المعروفة بالسُّيُوفِيَّة ^(١) فى وقتنا هذا ، المقابلة لحافر الدبابله . بَخط سُوْق السُّيُوفِيِّين بالقاهرة وهى لطائفة الفقهاء الحنفية . فلَمَّا جاء الظَّافِر إليه قتله نصرُ بن عباس ، وحَفَر له تحت لوح رخامٍ ودفنه ^(٢) ، وقتل أحد الخادمين وهرب الآخر .

وكان سبب ذلك أَنَّ الأمراء استوحشوا من أَسَامة بن منقذ لَمَّا حَسَن لِعَبَّاسٍ قتل عمِّه العادل ، وقَصَدُوا قتل أَسَامة . فلَمَّا علم بذلك اجتمع بعبَّاسٍ وقال له : كيف تصبرُ على ما يقولُه النَّاسُ فى ولدك وأتاهمهم أَنَّ الخليفة الظَّافِر يفعلُ به ما يفعلُه مع النساء ! فعظَّم ذلك على عَبَّاس . وقيل بل كان الظَّافِر قد أنعم على نصر بن عَبَّاس بقلوب ، فجاء نصرُ إلى والدِه وأعلمه بذلك ، فقال له أَسَامة : ما هى بمهرِك غالية . فقال عَبَّاس لأَسَامة : كيف تكونُ الحيلة على هذا الأمر ؟ فقال : إِنَّ الخليفة فى كُلِّ وَقتٍ يأتى لولدك فى هذه الدَّار خفيةً ، فإذا أتاه فأمره بقتله . فأوصى عَبَّاسُ ابنه بذلك ؛ فلما جاءه قتله نصر ^(٣) .

قال : ولَمَّا كان صبيحةَ يومٍ قَتَلَه رَكِب عَبَّاسُ وولَّده على العادة وأتى إلى القصر ؛ فقال لِبَعْض الخدم : أَعْلِم مولانا لِيَجْلِسَ للاجتماع معه .

(١) المدرسة السيوفية بالقاهرة : وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، وعرفت بالسيوفية لكون سوق السيوفيين كان على بابها - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) « ودفنه فى الباذنج بدار المأمون بالسُّيُوفِيِّين » فى كنز الدرر ج ٦ ص ٥٦٤ .
« ورمى الكل فى جب عنده وغطى رأس الجب بقطعة رخام بيضاء ، فصارت من جملة رخام المجلس » - أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٥ .

(٣) انظر التنتى من أخبار مصر ص ١٤٧ . انماظ المنفا ج ٣ ص ٢٠٨ ، المواعظ والاعتبار ص ٢٠ .

فدخل وأعلم أهل القصر بما النمسة عباس من الاجتماع بالخليفة . فقالوا : قل له إنه خرج البارحة ولم يعد . فجاء الخادم إليه وأعلمه الخبر ؛ فشدد عباس في طلب الظافر ، ودخل إلى القاعات ومعه أكابر الخدم ، وقال : لا بد من مولانا . فقيل له عند ذلك : أنت أعلم بحاله . فأحضر أخويه يوسف وجبريل وقال لهما : أتبا قتلنا مولانا . فأنكرا ذلك وحلفا عليه الأيمان المغلظة . وأحضر القاضي وجماعة من الأعيان أهل الفتيا وداعى الدعاة وقال : قد صح عندي أن أخوي الظافر قتلاه . فأقتوه بقتلها ؛ فقتلوا يديه وقيل إنه قتل معها أبا البقاء ابن حسن بن الحافظ ، وصارم الدولة ، مصلح ، زمام القصر^(١)

قال : وكان الظافر من أحسن خلق الله وجهاً . وكان مولده يوم الأحد ، النصف من شهر ربيع الآخر^(٢) سنة سبع وعشرين وخمسمائة ؛ فكانت مدة عمره إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً ؛ ومدة ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وخمسة أيام^(٣)

ولده : أبو القاسم عيسى .

وزراؤه : تقدم ذكرهم .

قضاته : أبو الفضائل يونس ، إلى أن صرفه العادل بن السلار في سنة سبع وأربعين ؛ وولى أبا المعالي مجلى^(٤) بن نجا المخزومي ، فأقام إلى آخر الدولة .

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٨ ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٦ .

(٢) « في المحرم » كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٧ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٩ ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٦ .

(٤) هو مجلى بن جميع بن نجا ، القرشي المخزومي ، القاضي أبو المعالي ، صاحب الذخائر .

المتوفى سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م — وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥٤ رقم ٥٥٦ .

ذكر نيعة الفائز بنصر الله

هو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأعداء الله ؛ وهو الثالث عشر من ملوك الدولة العبّيدية والعاشر من ملوك الديار المصرية منهم . يُوعى له بعد مقتل والده في يوم الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسائة ، وعمره خمس سنين . وذلك أنه لما قُتل الظافر استدعى عباسُ ابنه أبا القاسم عيسى هذا وحمله على كتفه ، ووقف في القاعة ، وأمر أن تدخل الأمراء ، فدخلوا ؛ فقال : هذا ولدُ مولاكم وقد قتل أبوه وعماءُ كما ترون ، والواجبُ الطاعةُ لهذا الطفل . فقالوا بأجمعهم : سمعنا وأطعنا ؛ وصاحوا صيحةً عظيمةً زلّ منها عقلُ الضبى واختل . ثم سيره [٩٥] إلى أمه ولقب بالفائز ؛ فأقام يُصرع في كل يوم^(١) .

وانفرد عباسُ بالوزارة ويتدبير الأمور ، ولم يبق على يده يد ، وظن أن الأمر استقام له .

ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره

قال المؤرخ : لما قُتل الظافر بأعداء الله أكثر أهل القصر النُزاح عليه ، وشرعوا في إعمال الحيلة على عباس ، ووافق ذلك نفور الأمراء منه لإفدائه على القتل ؛ فاختلقت الكلمةُ عليه ، وهاجت السّاكر . وتفرقت الفرق ، ولبسوا السلاح . فخرج إليهم عباس في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول من السنة ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل جماعة منهم .

(١) « وكان واليًا على الأشمونين والبهنسا » في انماط الحفا ج ٣ ص ٢١٥ .

فَأَرْسَلَتْ عَمَّةُ الْفَائِزِ أختَ الظَّافِرِ شَعُورَ أَهْلِ الْقَصْرِ طُيَّ الْكُتُبِ إِلَى
الْأَمِيرِ طَلَانِعِ بْنِ رُزَيْكِ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَتَوَلَّى الْأَعْمَالِ السُّيُوطِيَّةَ ، وَقِيلَ
كَانَ مَتَوَلَّى مَنِيَّةَ بَنِي خَصِيبٍ^(١) ، وَسَأَلُوهُ الْإِتِّصَارَ لِمَوْلَاهُ ، فَجَمَعَ الثَّرْبَانَ
وَالْأَجْنَادَ وَمُقَطَّعِي الْبِلَادِ ، وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي تَاسِعِ عَشْرِ
شَهْرِ ربيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِلِقَائِهِ .

فَاسْتَشَارَ عَبَّاسَ أَسَامَةَ بْنِ مُنْقَدٍ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِاللِّحَاقِ بِالشَّامِ . فَدَخَلَ
إِلَى الْقَصْرِ وَأَخَذَ فِي [جَمْعِ]^(٢) تَحْفِهِ وَجَمَلِ أَمْوَالِهِ ، وَسَارَ هُوَ وَأَسَامَةُ بْنُ
مُنْقَدٍ إِلَى الشَّامِ عَلَى طَرِيقِ أَيْلَةَ . فَأَرْسَلَتْ عَمَّةُ الْفَائِزِ إِلَى الْفَرَنْجِ بِعَسْكَارٍ
رُسُلًا عَلَى الْبَرِيدِ تَعْلِمُهُمُ الْحَالَ وَتَهْدِلُهُمُ الْأَمْوَالَ فِي الْخُرُوجِ عَلَى عَبَّاسٍ
وَأَخِذَ مَا مَعَهُ . فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ ، فَتَخَاذَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَنَهَبُوا مَا مَعَهُ
فَأَسْرَهُ الْفَرَنْجِ وَجَمَلُوهُ إِلَى عَسْكَارٍ ؛ وَنَجَا أَسَامَةُ إِلَى دِمَشْقَ^(٣) .

وَقِيلَ إِنْ الْفَرَنْجِ قَتَلُوا عَبَّاسًا وَأَسْرَوْا ابْنَهُ نَصْرًا فَفَدَّاهُ الصَّالِحُ بْنُ
رُزَيْكِ ، وَأَحْضَرَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

ذكر وزارة الصالح أبي الغارات طلائع بن رزيك

قال المؤرخ : لما توجه عبّاس نحو الشام وافق ذلك قدوم طلائع بن
رزيك ، فخرج الأمراء والعساكر إليه . فمن الأمراء من شهر سلاحه

(١) مَنِيَّةُ بَنِي خَصِيبٍ : هِيَ مَدِينَةُ الْمَنِيَا الْحَالِيَّةُ ، قَاعِدَةُ مَحَافِظَةِ الْمَنِيَا وَتَنْسَبُ إِلَى الْخَصِيبِ بْنِ عَبْدِ
الْحَمِيدِ صَاحِبِ خِرَاجِ مِصْرَ مِنْ قَبْلِ هَارُونَ الرَّشِيدِ — الْقَامُوسُ الْجُغَرَأْفِيُّ ق ٢ ج ٣ ص
١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) [] : إِضَافَةٌ لِلتَّرْصُحِ .

(٣) (٢) [] : إِضَافَةٌ لِلتَّرْصُحِ .
(٣) أَخْبَارُ الدُّوَلِ الْمُنْقَطَعَةِ ص ١٠٩ ، وَانْظُرْ مَا جَاءَ بِمَكْتَنَزِ الدُّرُورِ ج ٦ ص ٥٦٧ ، وَانْظُرِ الْمَوَاعِظَ
وَالْإِعْتِبَارَ ص ٢٣ - ٢٧ .

وقَاتَلَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ التَّحَقَّقَ بِهِ : ثُمَّ انْجَلَى الْأَمْرُ بَعْدَ سَاعَةٍ عَنْ دُخُولِ طَلَانَعٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَالْعَسَاكِرُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ وَهُوَ لَا يَسُ السَّوَادَ ، وَأَعْلَامُهُ سُودٌ كَذَلِكَ حَزَنًا عَلَى الظَّافِرِ ، وَشَعُورُ نِسَاءِ الْقَصْرِ الَّتِي سِيرَتْ إِلَيْهِ عَلَى الرَّمَاحِ ^(١) .

وَنَزَلَ طَلَانَعٌ دَارَ الْمَأْمُونِ الَّتِي كَانَ بِهَا نَصْرُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَحْضَرَ الْخَادِمَ الَّذِي كَانَ مَعَ الظَّافِرِ لَمَّا قُتِلَ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَكَانِهِ ، فَأَخْرَجَ وَغُسَّلَ وَكُفَّنَ ، وَجُمِلَ فِي تَابُوتٍ عَلَى أَعْنَاقِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَسْتَازِينَ ، وَابْنُ رَزِيكٍ يَمْشِي أَمَامَ التَّابُوتِ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْقَصْرِ فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْفَائِزُ وَدُفِنَ فِي تَرْبَتِهِمْ بِالْقَصْرِ وَجَلَسَ الْفَائِزُ فِي بَقِيَّةِ النَّهَارِ ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِ رَزِيكٍ بِالْمَوْسُحِ وَالْعِقْدِ ، وَعَلَى وَلَدِهِ وَإِخْوَتِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، وَقُرِئَ سَجْدَتُهُ ^(٢) بِالْوِزَارَةِ ، وَنُعِيتَ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ . وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَقَتْلَهُمْ ، فِي ثَالِثِ عَشْرَى شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ تَيْمِ ^(٣) ، مَتَوَلَّى إِخْمِيمَ وَأَسِيْطَ ، عَلَى الصَّالِحِ ، وَجَمَعَ جَمْعًا صَالِحًا ^(٤) ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الصَّالِحَ عَسْكَرًا ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ تَيْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبٍ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ انْفَسَخَتِ الْهُدَنَةُ بَيْنَ الصَّالِحِ بْنِ رَزِيكٍ وَالْفَرَنْجِ ، فَجَهَّزَ الصَّالِحُ الْجِيُوشَ وَالسَّرَايَا إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ . فَوَصَلَتْ سَرِيَّةٌ إِلَى عَسْقَلَانَ وَغَنِمَتْ وَعَادَتْ سَالِمَةً . وَجَهَّزَ الْمَرَاكِبَ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ١٠٩ . المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٩ - ١٥٠ . انماط الحنفا ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) انظر نص هذا السجل في حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢١٤ . مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٣٧ - ٣٥٠ . وجاءت مقتطفات منه في انماط الحنفا ج ٣ ص ٢١٨ - ٢١٩ . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١١ .

(٣) «الأوحد بن تيم» في انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٢٤ . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١٢ .

(٤) «جما موفورا» في المنتقى من أخبار مصر ١٥٤ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٢٤ .

البحر إلى نحو بيروت ، فأوقعت بمراكب الفرنج . وجهز سرية إلى جهة الشوبك^(١) فعاثوا في تلك النواحي ، وعادوا سالمين بالغنائم والأسرى .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي الحجة سنة اثننتين وخمسين قبض الصالح ابن رزك على الأمير ناصر الدولة ياقوت وأولاده واعتقلهم ؛ وسبب ذلك أنه بلغه أنه كاتب أخت الظافر وقصد القيام على الصالح ، وكان والياً عاملاً على الأعمال القوصية ، وهو بالقاهرة . ولم يزل في حبسه إلى أن توفي في شهر رجب سنة ثلاث وخمسين .

وفي سنة أربع وخمسين ثار على الصالح طرخان بن سليط بن ظريف ، متولى الإسكندرية ، وجمع جوعاً من العربان وغيرها ؛ وتقدم بها لحربه ؛ فتدب الصالح إليه الأمير عز الدين حسام بن فضة بعسكر ، فالتقوا واقتتلوا ، فهزم حسام جيوشه وظفر به ؛ فاعتقله الصالح .

فلما كان في المحرم سنة خمس وخمسين ثار أخوه إسماعيل طلباً لثاره ، وتلقب بالمملك الهادي ؛ فتدب الصالح [٩٦] إليه الجيوش . فلما هجمت عليه هرب وأتى الجيزة ، واستتر عند بعض العربان . فلما كان في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر هرب طرخان من الاعتقال هو والموكل به ، فقبض عليه في السادس من الشهر وصلب على باب زويلة ، ورُمى بالنشاب ، ثم مسك أخوه إسماعيل وصلب إلى جانبه بعد ضرب عنقه^(٢) .

وفي سنة أربع وخمسين بنى الصالح حصناً من اللبن على مدينة بلبيس^(٣) .

(١) الشوبك : قلعة حصينة جنوب البحر الميت ، على الطريق بين مصر والشام - معجم البلدان .

(٢) انظر انماط الحنفا جـ ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

(٣) انماط الحنفا جـ ٣ ص ٢٣٦ .

ذكر وفاة الفائز بنصر الله

كانت وفاته في ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة ؛ وقيل لليلة بقيت منه ؛ وكان مولده في يوم الجمعة لتسع يمين من المحرم سنة أربع وأربعين ، فكان عمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وأياماً ، ومدة ولايته ست سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً^(١) .

وزرأؤه : الأفضل عباس بن يحيى بن تميم ؛ ثم الصالح طلائع بن رزيك .

قضاته : أبو المعالي مجلى بن نجا القرشي المخزومي ؛ ثم صرف في أول وزارة الصالح ، وأعيد أبو الفضائل يونس ؛ ثم صرف بالقاضي المفضل أبي القاسم هبة الله بن كامل .

ذكربيعة العاضد لدين الله

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف ، بن الحافظ عبد المجيد ، بن محمد ، ابن المستنصر بالله أبي تميم معد ، بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي ، بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور [بن العزيز بالله]^(٢) نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور بنصر الله أبي طاهر إسماعيل ، ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهدي عبيد الله . وهو الرابع عشر من ملوك الدولة العبيدية ، والحادي عشر من ملوك الديار المصرية

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٩ .

وورد أن مدة ولايته « ست سنين وستة أشهر وسبعة عشر يوماً » في كنز الدرر ج ٦ ص ٥٦٦ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

منهم ؛ وعليه انقضت دولتهم . بُويعَ له بعد وفاة الفاتز بنصر الله في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وكان الملك الصالح طلائع قَصَدَ أن يُبايعَ لِشخص من أقارب العاضد ، فقال له بعض أصحابه لا يَكُنْ عَبَّاسَ أَحَزَمَ مِنْكَ حَيْثُ اخْتَارَ صَغِيرًا وَتَرَكَ مِنْهُ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ ، وَاسْتَبَدَّ هُوَ بِالْأَمْرِ . فَعَدَلَ الصَّالِحُ إِلَى الْعَاضِدِ ، وَبَايَعَ لَهُ وَهُوَ مَرَاهِقُ الْبُلُوغِ ؛ فَكَانَتْ الْخِلَافَةُ لِلْعَاضِدِ اسْمًا وَلِلصَّالِحِ رِسْمًا^(١) .

ويوسف أبو العاضد هو أحد الأخوين^(٢) اللذين قَتَلَهَا عَبَّاسٌ بَعْدَ قَتْلِ الظَّافِرِ .

وفي سنة ست وخمسين تزوج العاضدُ لِدين الله بَابنة الملك الصالح بن رُزَيْكٍ ؛ وَكَانَ الْعَاضِدُ تَوَقَّفَ عَنْ زَوَاجِهَا ، فَجَبَرَهُ الصَّالِحُ عَلَى ذَلِكَ وَاعْتَقَلَهُ إِلَى أَنْ تَزَوَّجَهَا ؛ وَقَصَدَ بِذَلِكَ أَنْ يُرْزَقَ الْعَاضِدُ مِنْهَا وَلِذَا فَتَحَصَّلَ الْخِلَافَةُ وَالْمُلْكُ لِابْنِ رُزَيْكٍ ، فَجَاءَ بِخِلَافِ مَا قَصَدَ^(٣) .

(١) « للماضد رسماً وطلائع حسباً » في أخبار الدول المنقطعة ص ١١١ . « وكانت خلافته اسماً له . وجسماً ورسماً للصالح بن رزيك » كنز الدرر ج ٧ ص ١٣ .

(٢) « الأيوين » في الأصل ، والتصحيح يفتق الأحداث السابقة .

(٣) انظر انماط اخفا ج ٣ ص ٢٤٦ . الكامل ج ١١ ص ٢٥٥ .

ذكر مقتل الملك الصالح طلائع بن رزك وقيام ولده الملك العادل رزك

كان مقتله في السابع عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة . وذلك أنه ركب في هذا اليوم من دار الوزارة إلى القصر ، وجلس على مرتبته على عادته ؛ فلما انقضى المجلس خرج ؛ فبينما هو في دهايز القصر وثب عليه جماعة فضربوه بالسكاكين عدة ضربات مهلكة . وكان سبب ذلك أنه تحكّم في الدولة لخلوها من الأمراء وصغر سن العاضد ، وكان قد فرّق الأمراء وقتل بعضهم ؛ فبعثت ست القصور عمّة العاضد الأموال إلى بعض الأمراء وأغرّتهم به ، فرتبوا ذلك . قال : ولما ضرب بالسكاكين ألقى ابن الزبد نفسه عليه وقاتل دونه ودخل بقيّة الأمراء فخلّصوه فركب وبه بعض رمق . فلما رآته ست القصور وقدر ركب أيقنت بالهلاك . قال : ولما استقرّ في منزله أرسل إلى العاضد يعاتبه على ما كان منه ، فحلف وأنكر أن يكون أطلع ^(١) على هذا الأمر قبل وقوعه فأرسل إليه أن يبعث إليه عمته ست القصور ، فتوقّف العاضد عن ذلك ، فأرسل الصالح إلى [ست] ^(٢) القصور وأخرجها ؛ فلما جاءت إلى منزله أمر [٩٧] بخنقها ، فخنقت بين يديه حتى ماتت . ومات الصالح في بقيّة ليّله .

قال : وكان الصالح شديد التشيع متغالياً في مذهب الإمامية ؛ وكان يكره أهل السنة . وقيل إنه كان يسب الصحابة ، رضى الله عنهم ،

(١) « أن يكون الخلع على هذا » في الأصل . وهو تحريف ، والتصحيح يتفق والسياق ، انظر الكامل ج ١١ ص ٢٧٤ .

(٢) [إضافة تتفق والسياق ، وانظر الكامل ج ١١ ص ٢٧٤ .

وغضب على مَنْ يَتَّقُصُّهُمْ . وكان فيه بُخْلٌ وَحَسَدٌ . وَمَنَعَ في أَيْامِهِ من بَيْعِ
الغلال حتى غَلَّتْ الأسعار . وكان كَثِيرُ التَّطَلُّعِ إلى ما في أَيْدِي النَّاسِ ،
وصَادَرَ جماعةٌ ليس لهم تَعَلُّقٌ بالدَّولةِ وأَفْنَى الأُمراءَ قَتْلًا واعتَقالا . وهو أَوَّلُ
من خُوِطِبَ بِالسَّمَكِ في الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ^(١) .

وقال ابن الجباب في سيرته : إِنَّهُ من وَلَدِ جَبَلَةٍ بن الأيهم الغساني
الذي أَرْتَدَّ عن الإسلام في خلافة عُمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال
العُورخ : وكان والدُ الصَّالحِ يُسَمَّى أَسَدَ رَزِيك ، قَدِمَ مع أمير الجيوش
بدر الجمالي .

قال : وكان الصَّالحُ مع ذلك حازِمًا ضابطًا لأمور دَوْلته شاعرًا أديبًا .
قال القاضي الأَرشدُ عَمارةُ البَسي ^(٢) : دَخَلْتُ على الصَّالحِ قبل وفاته
بليثتين فَنَاولَنِي رُقْعَةً وَقَالَ : قَدْ عَمِلْتَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ في هذه السَّاعَةِ ؛
فإِذَا فيها :

نَحْنُ في غَفْلَةٍ ونَومٍ وَلَمَّوْا بِ عِيُونٍ يَقْطَآنَةُ لَا تَسَامُ
قَدْ رَحَلْنَا إلى الجَمَامِ سَيِّئًا لَيْتَ شِعْرِي ! مَتَى يَكُونُ الجَمَامُ !!

(١) يذكر المقرئ أن « أول من لقب بالملك منهم مضافاً إلى بقية الألقاب رضوان بن ولحشى
عندما وُزِّرَ للحافظ لدين الله ، فقيل له السيد الأجل الملك الأفضل ، وذلك في سنة ثلاثين
وخمسمائة » - المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٤٠ ، ثم أكد ذلك في اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص
١٦١ ، ثم عاد المقرئ وذكر في حديثه عن الصالح طلائع بن رزيك « وهو أول من خوطب
بالملك في ديار مصر ونعت به » اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢١٨ ، ٢٥٩ .

ولم يرد في السجل الخاص بـ رضوان بن ولحشى لقب ملك - انظر صبح الأعشى جـ ٨ ص
٣٤٢ - ٣٤٦ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٢٦ - ٣٢٣ .

(٢) هو أبو الحسن نجم الدين عمارة البقي ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . وصاحب كتاب
النكت المصرية ص ٤٨ - ٤٩ .

فقلت : هما صَالِحَان . وَقَمْتُ . فكان آخر عهدي به ^(١) .

قال المؤرخ : وكان الصَّالِح يَقْطَعُ اللَّيْلَ اثْنَتَانِ : فَالْثَّلَاثُ الْأَوَّلُ مع
أَمْرَاءِ دَوْلَتِهِ وَوُجُوْهَهَا ؛ وَالثَّلَاثُ الثَّانِي مع جُلَسَائِهِ وَنُدَمَائِهِ وَشِعْرَائِهِ ؛
وَالثَّلَاثُ الثَّالِثُ مع خَوَاصِّ نِسَائِهِ . فَكَانَ يُسَمَّى : أَبُو الْعَمْرِينَ قَالُوا :
وَكَذَلِكَ كَانَ أَمِيرَ الْجِيُوشِ بِدَرِ الْجَمَالِيِّ :

ومن شعر الصَّالِحِ قَوْلُهُ :

يَا مَرِيضَ الْقَلْبِ بِالذَّنِّ ب ، مَتَى بِالْعَفْوِ تَبْرَأَ
كَلَّمَا جَدَّدْتَ يَوْمًا تَوْبَةً ضِيعَتْ أُخْرَى
تَشْتَهِي الْأَجَرَ وَلَا تَنْفُ حُلَّ مَا يَكْسِبُ الْإِجْرَا
أَنْتَرَى بَعْدَ ذَهَابِ الدِّ عُمُرٍ تَسْتَأْنِفُ عُمُرَا

وقوله :

يَا مَاشِيًا فَوْقَ الثَّرَى رِفْقًا ، فَسَوْفَ تَصِيرُ نَحْتَهُ
إِنْ قُلْتُ إِنِّي أَعْرِفُ الدَّ حَوَالِيَ الْقَدِيرِ ، فَمَا عَرَفْتَهُ
إِنْ كُنْتُ تَعْبُدُ لِلْمَخَا فِةِ وَالرُّجَاءِ ، فَمَا عِبَدْتَهُ ^(٢)

وَالصَّالِحُ هُوَ الَّذِي بَنَى الْجَامِعَ ^(٣) خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ الْمَعْرُوفِ بِهِ .
وَكَانَ يَقُولُ : نِدِمْتُ عَلَى ثَلَاثَةٍ : أَحَدُهَا أَنَّنِي بَنَيْتُ الْجَامِعَ بِظَاهَرِ الْقَاهِرَةِ
وَجَعَلْتُهُ عَوْنًا عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ فَيَضَرُّهَا وَقْتُ الْحَصَارِ ؛ وَالْأُخْرَى تَوَلَّيْتُ
شَاوِرَ أَعْمَالِ الصَّمِيدِ ، وَاللَّهُ لَا كَانَ خَرَابُ دَوْلَةِ بَنِي رُزَيْكٍ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ :

(١) النكت المصرية ص ٤٨ - ٤٩ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٥٢ ، الكامل ج ١١ ص ٢٧٦ .

(٢) انظر النكت المصرية ص ٤٨ .

(٣) عن جامع الصالح : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٣ .

وَالثَّالِثَةُ أَنَّنِي أَنْفَقْتُ فِي الْعَسَاكِرِ مِائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ لِأَجْلِ فَتْحِ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ فَتَأَخَّرْتُ عَنْ ذَلِكَ ^(١).

قال : وَلَمَّا تَوَفَّى دُفِنَ بِدَارِ الْوِزَارَةِ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى تَرْبَتِهِ الَّتِي بِقَرَأَةِ
مِصْرَ .

قال : وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَخْضَرَ وَلَدَهُ رُزَيْكَ وَأَوْصَاهُ بِوَصَايَا كَثِيرَةٍ ،
مِنْ جُمْلَتِهَا أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ شَاوِرَ وَلَا يَغَيِّرُ عَلَيْهِ مُغَيِّرًا .

قال : وَرَوَّاهُ الشُّعْرَاءُ بِقَصَائِدَ كَثِيرَةٍ ، فِيهَا مَا قَالَهُ الْقَاضِي الْأَرُشْدُ
عِمَارَةُ الْيَمْنَى :

أَفَى أَهْلَ ذَا النَّادَى عَلَيْهِمْ أَسَائِلُهُ فَبَاقِي لِمَا بِي ، ذَاهِبُ الْعَقْلِ ذَاهِلُهُ ^(٢)
سَمِعْتُ حَدِيثًا أَحْسَدَ إِلْصَمَ عِنْدَهُ وَيُذْهِلُ وَاعِيَهُ ، وَيَخْرُسُ قَائِلُهُ

ومنها :

وَقَدْ رَأَيْتِي مِنْ شَاهِدِ الْحَالِ أَنَّنِي أَرَى الدُّسْتَ مَنْصُوبًا وَمَا فِيهِ كَافِلُهُ
وَأَنَّنِي أَرَى فَوْقَ الْوُجُوهِ كَأَنَّهُ ^(٣) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّفُوسَ تَوَاكِيلُهُ
دَعُونِي . فَمَا هَذَا أَوْ أَنْ يُكَانَهُ سَيَاتِيكُمْ طَلَّ الْبُكَاءُ وَوَابِلُهُ

وهي قصيدة طويلة أتى فيها بكل عجيب

قال : وَلَمَّا مَاتَ الصَّالِحُ خَرَجَتْ الْخَلْعُ مِنَ الْقَصْرِ لَوْلِيهِ ، وَتَلَقَّبَ
بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ مُجْدِ الْإِسْلَامِ ^(٤)

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٢ .

(٢) « ذاهب اللب ذاهله » في الروضتين ج ١ ص ٣١٣ . التكت المصرية ص ٥٠ . كنز الدرر
ج ٧ ص ١٨ .

(٣) « فما هذا وقت بكائه » في انماط الحفا ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٤) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٢ .

[٩٨] ذكر ظهور حسين بن نزار وقتله

وفي شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة ورد حسين بن نزار، بن المستنصر بالله ابن الظاهر لإعزاز دين الله من بلاد المغرب، وقد جمع جمعاً عظيماً وتلقب بالمنتصر بالله؛ فخرج إليه الأمير عز الدين حسام بن فضة ابن رزيك على صورة الانضمام إليه واللحاق به. فلما صار عنده في خيمته غدر به وقتله، وحمل رأسه إلى العاضد لدين الله.

وفيها بنى الأمير أبو الأشبال ضرغام البرج المعروف به بئر الإسكندرية.

ذكر انقراض دولة بني رزيك

قد ذكرنا أن الملك الصالح بن رزيك، والد العادل، لما حضرته الوفاة أوصى ابنه العادل بوصايا كثيرة منها أنه لا يعزل شاور من عمله ولا يحرّكه؛ وحذّره من ذلك فلما كان في سنة سبع وخمسين اجتمع أقارب العادل وحسنوا له عزل شاور عن ولاية الصعيد، فذكرهم بوصية أبيه، فأصروا على عزله، وكان أشدهم في ذلك الأمير عز الدين حسام ابن فضة، فالزم العادل إلى أن كتب كتاباً يستدعي فيه شاور ويأمره بالحضور إلى القاهرة فكتب إليه شاور يستعطفه ويظهر الطاعة والإذلال لسابق الخدمة لأبيه، ومناصحته في القيام بأمر الدولة، ثم قال فيه إن كان القصد أن يلى الأعمال أحدكم فليُرسل السلطان من يتسلمها غير عز الدين حسام؛ وإن كان غيركم من الأمراء فأنا أحق به من سواكم؛ وقد سمعتم وصية أبيكم الصالح في حقّي وما كرّره عليكم في أمري

وأقرار أعمال الصَّعيد في يدي . وأرسل الكتاب إلى العادل ، فوقَّف عليه ، وأوقف عليه أقاربه وأهله . فقالوا : إنَّ أبَيْتَه طَمَعَ في البلاد ولا يحملُ إليك مالاً . فقال العادل لهم : المصلحةُ تركُهُ . قصُّموا على عزله .

فأحضر العادلُ نصير الدِّين شيخ الدولة ، وهو من أقاربه ، وخلَّع عليه وولَّاه الأعمال القوصية ، وكتب على يده إلى شاور بتسليم الأعمال إليه ووصوله إلى القاهرة . وتوجَّه نصير الدِّين . فلما وصل إلى إخميم أقام بها وأرسل الكتاب إلى شاور طيُّ كتابه : فلما وقف شاور على الكتاب أرسل إلى نصير الدِّين رسولا من جهته برسالة يقولُ له : إنَّ بيني وبينك صُحبة ولا تغترَّ بقول حُسام ، وارجع من حيث أتيت فهو خير لك . فرجع نصير الدِّين إلى القاهرة ولم يُعاوذه .

وأظهر شاور العصيان على الدولة ، وأحضر جماعة من العُربان من بنى شيبان وغيرهم ، وتوجَّه من الأعمال القوصية . وجعل طريقه على السواحات ، وخرج منها إلى تروجة ، وحشد العُربان وأنفق فيهم الأموال ؛ فوافقوه وانطاعوا له ؛ فسار بهم نحو القاهرة . فنَدب العادل لحرِّبه سيف الدِّين حُسَيْنًا ، صهره ، ومعه جماعة من الأمراء . فرأسلهم شاور واستمالهم ، وبذل لهم الأموال الجمة ، فمالوا إليه فلما التقوا انحازوا إلى جماعته وفارقوا مُقدِّمهم ، فانهزم حُسَيْن واستجار بظريف ابن مَكُون أمير جذام فأجاره ، وحمله في البحر ؛ فمضى إلى مدينة الرُّسول ﷺ فمات هناك فنَدب إليه العادل عز الدِّين حُسامًا ، فانهزم منه أيضا .

فبعد ذلك خرج العادل من القاهرة وتوجَّه إلى إطيفيح ، واستنصب أهله وذخائره . واستجار بسليمان بن الفيض اللُخمي ، وكان من

أصحاب أبيه الصالح ، فأنزله عنده ؛ ومضى من وقته إلى شاور وأخبره بخبر العادل ، فندب إليه جماعة فأخذوه أسيراً هو ومن معه ، ونهب أصحاب ابن الفيض ما كان معه . وحمل إلى شاور فوصل إليه في ليلة الجمعة لثلاث بقیّن من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . فأمر شاور باعتقاله ؛ وقال لسليمان بن الفيض : لقد خباك الصالح ذخيرة لولده حين استجار بك فأسلمته لى ، وأنا أخبتك ذخيرة لولدى . ثم أمر به فشنق . وسُميت فرقة ابن الفيض غمازة من ذلك اليوم ، فهي تعرف الآن بهذا الاسم . فكانت أيام العادل سنة واحدة وثلاثة أشهر وأياماً . وجميع دولة بنى رزك تسع سنين تقريباً .

[٩٩] ذكر وزارة شاور الأولى وخروجه منها

كانت وزارته فى يوم الأحد لثمان بقیّن من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وذلك أنه لما انهزمت جيوش العادل بن رزك وهرب هو إلى إطيفيح خلت القاهرة منهم ؛ فدخلها شاور ، وحضر بين يدى الخليفة العاضد لدين الله ، فخلع عليه خلع الوزارة ، وسلطنه ، ولقبه بأمر الجيوش . وأطلق شاور لأهل القصور الإطلاقات الكثيرة ، وزادهم على مقرراتهم فى أيام بنى رزك واستدعى أموال بنى رزك وودائعهم . وبسط العدل أياماً ، ثم شرع فى ظلم الناس ؛ وبسط يده وبد أولاده فى الدولة ؛ وقطع أرزاق الأمراء والجند واستخف بهم وبالعاضد . وعتا ولده الكامل وتجبر ، ولبس رداء الكبر ، وبذخ فى الأموال ، وصرفها فى غير وجود مصارفها^(١) .

(١) انظر اتعاظ الخفا ج ٣ ص ٢٥٩ ، الكامل ج ١١ ص ٢٩١ ، كنز الدرر ج ٧ ص ٢٥ .

وسَاءَتْ سِيرَتُهُ فِي الْأُمَرَاءِ فَأَجْمَعُوا عَلَى إِخْرَاجِ الْعَادِلِ مِنَ الْاِعْتِقَالِ وَنَصَبِهِ فِي الْوِزَارَةِ . فَأَتَصَلَ ذَلِكَ بِالْكَامِلِ بْنِ شَاوَرٍ ؛ فَأَشَارَ عَلَى أَبِيهِ بِقَتْلِ الْعَادِلِ ، فَأَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّهُ أَوْلَانِي خَيْرًا فَلَا أَقْتُلُهُ ، فَقَتَلَهُ الْكَامِلُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ أَبِيهِ . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى شَاوَرٍ وَعَلَى الْأُمَرَاءِ ، وَغَضِبَ الْأُمَرَاءُ لِقَتْلِ الْعَادِلِ ، وَخَرَجُوا عَنْ شَاوَرٍ ، وَافْتَرَقُوا عَلَى فِرْقَتَيْنِ : فَكَانَ الضَّرْغَامُ وَإِخْوَتُهُ وَأَهْلُهُ فِرْقَةً ، وَالظُّهَيْرُ عَزَّ الدِّينَ مَرْتَفِعٌ وَعَيْنُ الزَّمَانِ وَابْنُ الزُّبَيْدِ فِرْقَةً .

وَكَانَ الضَّرْغَامُ وَمَنْ مَعَهُ أَظْهَرَ الْفِرْقَتَيْنِ . فَخَرَجَ عَلَى شَاوَرٍ وَحَارَبَهُ ، فَيَجَمَعَ شَاوَرُ أَمْوَالَهُ وَذَخَائِرَهُ وَغُلْمَانَهُ ، وَخَرَجَ لَيْلًا مِنَ الْقَاهِرَةِ ، فَرَكِبَ الضَّرْغَامُ فِي إِثَرِهِ فَلَحِقَهُ عِنْدَ بَابِ النُّصَرِ ؛ فَقَاتَلَهُ طِيُّ بْنُ شَاوَرٍ ، فَقَتِلَ طِيُّ ، وَأَسْرَ أَخُوهُ الْكَامِلُ ؛ وَمَضَى شَاوَرُ إِلَى الشَّامِ . وَذَلِكَ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، لِثَلَاثِ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ . فَكَانَتْ وَزَارَتُهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ^(١) . وَاللهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ وَزَارَةِ الضَّرْغَامِ بْنِ سَوَّارٍ

قَالَ : وَلَمَّا تَوَجَّهَ شَاوَرُ إِلَى الشَّامِ عَادَ الضَّرْغَامُ إِلَى الْقَصْرِ وَأَرْسَلَ إِلَى الْعَاضِدِ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ شَاوَرٍ ، وَمَضَى إِلَى دَارِهِ بِقِيَّةِ لَيْلَتِهِ . وَجَاءَ إِلَى الْقُصُورِ مِنْ بُكْرَةِ النَّهَارِ ، فَاسْتَدْعَاهُ الْعَاضِدُ لِدِينِ اللَّهِ ، وَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ ، وَلَقَّبَهُ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَاسْتَحْلَفَ لَهُ الْأُمَرَاءَ .

(١) « فَكَانَتْ وَزَارَتُهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ » انماط الحنفا جـ ٣ ص ٢٦١ .

وأرسل علم المُلْك بن النحاس إلى الملك العادل نُور الدِّين محمود بن زَنْكى، صاحب الشَّام، يقيض على شاوَر. فأظهر نور الدِّين الإجابة لذلك، وباطنه بخلاف ظاهره^(١).

قال: ولما ولي الضَّرغام الوزارة خرج عليه الأمير على بن الحوَّاص، فظفِر به الضَّرغام، فأشهره بالقاهرة، وصلبه. وأحضر جماعة من الأمراء إلى داره لدعوة عملها، فلما حضروا إليه قبض عليهم وقتلهم^(٢).

ذكر قدوم شاوَر من الشَّام وعوده إلى الوزارة ثانيًا وقتل الضَّرغام

كان قدومه في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة. وذلك أنه لما توجه إلى دمشق اجتمع بالملك العادل نُور الدِّين محمود بن زَنْكى، وحسن له أن يُجهز معه جيشًا يفتح به مصر؛ ووَصفها له ورغبه فيها، والتزم أنه يحمل خزائنها^(٣) إليه يستعين بها على قتال الفرنج. فمال إليه، وجهز معه أسد الدِّين شيركوه بعساكر. فلما قاربوا مصر ندب إليهم الضَّرغام عسكريًا وقدم عليه أخاه ناصر المسلمين، فلقبهم على بلبس، فانهزم العسكر المصري وعاد إلى القاهرة.

(١) اتعاظ الحنفاء ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢) اتعاظ الحنفاء ج ٣ ص ٢٦٣.

(٣) «ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد» في اتعاظ الحنفاء ج ٣ ص ٢٦٤، وانظر أيضًا

الروضتين ج ١ ص ٣٣٢.

وسار شاور والعساكر الشامية، فنزل بظاهر القاهرة في آخر الشهر، واجتمع معه خلق كثير من العربان. فعلم الضرغام أنه لا قيل له بما دهمه: فركب إلى القصر، وطاف به، وجعل ينادى القاض، وهو يخاف أن ينزل إليه. فأرسل إليه القاض يقول: أنتج بنفسك. فخرج من القاهرة يريد مصر، ودخل شاور وشركوه إلى القاهرة، ونذب جماعة في إثر الضرغام فأدركوه عند مشهد السيدة نفيسة، فقتلوه هناك في يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة. وطيف برأسه القاهرة [١٠٠] على رُمح، وبقيت جثته ملقاة بين الأكام ثلاثة أيام حتى أكلتها الكلاب. ودُفن ما بقي منه عند بركة القليل، وعُمل عليه قبة، فكانت مدة ملك الضرغام تسعة أشهر^(١).

وكان فارساً بطلاً، كريماً، عاقلاً، أدبياً، يحب العلماء ويقربهم؛ وله مجلس يجتمع فيه أهل العلم والأدب دون غيرهم. وكان حسن الخط. يُقال إنه كان يحاكي ابن البواب^(٢) في خطه.

قال: ودخل شاور إلى القاض لدين الله في مُستَهْل شهر رجب، فعاتبه على ما كان منه في إحصار العسكر الشامي، وحذره عاقبة ذلك؛ فوعده أنه يصرفهم إلى بلادهم، فقبل ذلك منه، وخلع عليه خلع الوزارة.

(١) انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٧٢، كنز الدرر ج ٧ ص ٢٦. أخبار الدول المنقطعة ص ١١٤.

(٢) هو علي بن هلال، صاحب الخط الجميل المنسوب، وعرف بابن البواب لأن أباه كان بواباً عند بني بويه - وتوفي ابن البواب سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٤٢ رقم ٤٥٧.

« ويكتب كتابه ابن مقلة » في انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٧١.
وهو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، الكاتب المشهور، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م - وفيات الأعيان ج ٥ ص ١١٣ رقم ٦٩٨.

ذكر غدر شاور بشيركوه

قال : ولما انتصب شاور في الوزارة وتم له ما أراد ، أخذ في التدبير على العسكر الشامي ، وحلف الأمراء ، وتخاذل عن شيركوه ؛ وصار يخرج إليه بوجه عليه آثار الغضب . ففهم أسد الدين شيركوه عنه ، وعلم شاور أنه لا قبل له بشيركوه ، فاستعان بالفرنج ^(١) واستدعاهم من الساحل لنصرته ، ووعدهم بالأموال . واتصل ذلك بأسد الدين فحاصر القاهرة . واتصل خبر شاور بالملك العادل نور الدين ، فكتب إلى أسد الدين وأعلمه بما بلغه من مباطنة الفرنج ، وأمره بالخروج عن الديار المصرية . فأبى ذلك وتوجه إلى بلبس ، واحتوى على بلاد الحوف ، وجعل مدينة بلبس ظهره . فاجتمعت العساكر المصرية ومن أناسهم من الفرنج ، ونزلوا أسد الدين ، وحصره بلبس ثلاثة أشهر ، وهو ممنوع بها لم يبرز إليهم ، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر على الفرنج أن نور الدين ملك حارم ^(٢) وسار إلى بانياس ، فرأسلوا شيركوه يسألونه الصلح ؛ فأجابهم إلى ذلك ؛ وخرج من مدينة بلبس ^(٣) ، فلما صار بظاهرها أشار شاور على تلك الفرنج بمهاجمته وقبضه فامتنع مرى ^(٤) ، ملك الفرنج ، وأبى إلا الوفاء بيمينه لشيركوه .

وسار أسد الدين إلى الشام ، وعاد شاور إلى القاهرة ، ومعهُ طائفة من الفرنج يتقوى بهم . وكان قد بذل لهم على نصرته أربعمئة ألف دينار ، ويهادنهم خمس سنين .

(١) المقصود بالملك عموري الأول Amalric I ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٦٢ -

١١٧٤ م ٥٥٧ - ٥٦٩ هـ الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٨٤ .

(٢) حارم : حصن تجاه مدينة أنطاكية - معجم البلدان .

(٣) « في أول ذي الحجة » - انطاخ الحنفا ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٤) المقصود عموري الأول - أمريك الأول .

وكان دُخول شاورٍ إلى القاهرة لِسِتْ مَضَيَّنٍ من ذى الحجة من السنة ؛
واستمرَّ بمصرٍ مِنْ غيرِ مُنازعٍ ، إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ذكر عَوْدِ أسد الدِّين شيركوه إلى الدِّيَارِ المِصرِيَّةِ بالعَسَاكِرِ الشَّامِيَّةِ وانفصاله

قال المؤرخ : لما انفصل أسد الدِّين شيركوه عن الدِّيَارِ المِصرِيَّةِ في سَنَةِ
تسعين وخمسين ، بَقِيَ عِنْدَهُ منها أَمْرٌ عَظِيمٌ . وكان إذا خَلَا بِهُنُورِ الدِّينِ
الشَّهِيدِ يَرْغُبُهُ فِيهَا . فَجَهَّزَهُ بِالْعَسَاكِرِ وَالْحَشُودِ ، فَسَارَ مِنَ الشَّامِ فِي شَهْرِ
رَبِيعِ الأوَّلِ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسَمِائَةٍ ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِشَاوَرٍ ، فَرَأَسَلَ
الْفَرَنْجَ وَأَتَتْصَرَّ بِهِمْ . فَخَرَجَ الْفَرَنْجُ وَوَقَفُوا عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا
شِيرْكُوهُ إِلَى الدِّيَارِ المِصرِيَّةِ ، فَعَدَّلَ شِيرْكُوهُ عَنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ وَجَعَلَهَا عَنْ
يَمِينِهِ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ إِطْفِيحَ ، فِي سَادِسِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ . وَعَبَّرَ النَّيْلَ
إِلَى الْجَنَابِ الْغَرْبِيِّ ، وَنَزَلَ الْجَبِيزَةَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا إِلَى الْعَشْرِينَ مِنْ مُجَاهِدَى
الْأَوَّلَى . وَاسْتَوَلَى عَلَى الْغَرْبِيَّةِ وَغَيْرِهَا . فَأَرْسَلَ شَاوَرَ إِلَى الْفَرَنْجِ
يَسْتَحْتَنُّهُمْ ، فَأَتَوْهُ عَلَى الصُّعْبِ وَالذُّلُولِ ، وَقَدْ طَمِعُوا فِي مَلِكِ الدِّيَارِ
المِصرِيَّةِ ^(١) .

فلما تَكَامَلُوا بِالْقَاهِرَةِ تَوَجَّهَ أسد الدِّين شيركوه نحو الصُّعِيدِ ، وَسَارَ
شَاوَرُ وَالْفَرَنْجُ فِي آثَارِهِمْ . فَجَمَعَ أسد الدِّين الْأُمَرَاءَ وَاسْتَشَارَهُمْ [فِي] ^(٢)
الْعُبُورِ إِلَى الْجَنَابِ الشَّرْقِيِّ وَالْعَوْدِ إِلَى الشَّامِ ، فَوَاقَفُوهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَهَضَمَ

(١) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٨٢ ، الروضتين ج ١ ص ٣٦٤ ، الكامل ج ١١ ص ٣٢٤ وما

بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح -

شرف الدين بُزْغَش ، أحد الأمراء المماليك النورية ، وكان شجاعاً مقداماً ، وأنكر ذلك كل الإنكار ، وامتنع من الموافقة ، وقال : مَنْ خاف من الأسر أو القتل فلا يخدم الملوك ^(١) ويأكل رزقهم ، ويكون في بيته عند امرأته . وقال : والله لا نزال نقاتل إلى أن نقتل عن آخرنا أو نتنصر . فوافقهُ أسد الدين ، وجمع عسكره ورتبهم ، وجعل أثقاله في القلب ليكثر بها السواد ولئلا ينهبها أهل البلاد .

فبينما هم في التعبة إذا بشاور والفرنج قد أقبلوا ، ورتبهم واقتتلوا ، فكانت الهزيمة على شاور والفرنج ^(٢) وتوالت عليهم الحملات من العسكر الشامي ، فعمادت بهم الهزيمة إلى الجيزة ، وشيركوه في آثارهم . وقيل منهم خلقٌ وغرق كثيرٌ منهم . وأسر أسد الدين [١٠١] صاحب قيسارية ^(٣) .

ودخل شاور والفرنج إلى القاهرة ، ومَلَكَ أسد الدين البرُّ الغربي بكَماله ؛ وقصد الإسكندرية ليحاصرها . فلما قُرب منها خرج إليه أهلها وسلموها إليه من غير مُمانعة ؛ وكان والى التفر يوم ذاك نجم الدين بن مصال . فدخل شيركوه البلد ، وأقام بها أياماً قلائل ، واستتاب بها صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، وتركه بها ومعه ألف فارس . وتوجه هو إلى الصعيد فاستولى عليه ، واستخرج أمواله ؛ وضام شهر رمضان بمدينة قوص .

هذا وشاور يتجهز للخروج ويرتب أحواله وأحوال الفرنج ويرمى ما تلف لهم . فلما تكامل ما يحتاج إليه قصد الإسكندرية ، فأخرج أهلها

(١) « الكرك » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الروضتين ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) « وكانت هذه الواقعة في موضع يعرف بالباين بالقرب من الأشمونين ، في يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة » — انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) هو هيو Hugues — أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ .

الأموال وأنفقوها ، واستعدوا للحصار ؛ فكان في جملة ما أخرجوه للحصار أربعة وعشرون ألف قوس زنبورك وما يناسب ذلك من الآلات .

وسار شاور ومُرى ملك الفرنج ، فنازلوا الإسكندرية . فلما رأوا شدة أهلها واجتماعهم على الحصار ، تقدم شاور إليهم وقال : سلموا إلى صلاح الذين ومن معه وأضع عنكم المكوس ، وأعطيكم الأخماس . فامتنعوا وقالوا : معاذ الله أن نسلم المسلمين إلى الفرنج والإسماعيلية . فعند ذلك وقع الحصار واشتد على أهل الإسكندرية إلى أن قلت الأقوات .

وبلغ ذلك أسد الدين فسار من الصعيد وجد في السير إلى الإسكندرية ، وكان شاور قد أفسد التركمان الذين مع أسد الدين فصاروا معه ؛ واجتمع لشيركوه طائفة كبيرة من العربان ، فلما علم شاور بقربه خافه ورأسله في طلب الصلح ، وبذل له خمسين ألف دينار ، سوى ما أخذه من خراج البلاد ، على أن يفارق الديار المصرية . فأجاب أسد الدين إلى ذلك ^(١) ، وشرط عليهم أن يرجع هو إلى الشام ويرجع الفرنج إلى بلادهم . فاستقرت هذه القاعدة ، وحلف الفرنج عليها .

فتفتحت الإسكندرية عند ذلك ، وخرج صلاح الدين يوسف إلى مري ملك الفرنج وجلس إلى جانيه . فدخل شاور عليها ، فقال لمري : سلمه إلى وأعطيك في كل سنة خمسين ألف دينار . فقال مري : نحن إذا حلفنا

(١) « وأرسل شيركوه إلى صلاح الدين يأمره بتقرير الصلح . ورحل عن مصر إلى الشام » في

انعاظ الحنفيا ج ٣ ص ٢٨٥ .

كما ورد « فصالحوا الملك الناصر على أن يسلم إليهم أسد الدين صاحب قيسارية » في أخبار

الدول المنقطعة ص ١١٥ .

وهذا يدل على أن الصلح تم أولاً مع صلاح الدين في الإسكندرية .

لا تَغِيرُ؛ وَوَيْحَهُ . وَكَانَ أَسَدُ الدِّينِ قَدْ شَرَطَ عَلَى شَاوَرٍ أَنْ الْفَرَنْجَ يَرْحَلُونَ وَلَا يَلْتَمِسُونَ مِنَ الْبِلَادِ يَرْهَأَ وَلَا ضَيْعَةً وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ .

قال : وَارْتَحَلَ أَسَدُ الدِّينِ . وَدَخَلَ مِصْرَ بِرِضَاءِ أَهْلِهَا ، وَسَارَ إِلَى بَلْبِيسَ . وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَوْسُفَ أَنْ يَتَوَجَّهَ فِي الْمَرَاكِبِ إِلَى عَكَا ، هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَمَا مَعَهُ مِنَ الْأَتَقَالِ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَرَكِبَ مِنْ عَكَا إِلَى دِمَشْقَ .

هكذا حكى ابن جلوب راغب في تاريخه . قال : وَارْتَحَلَ أَسَدُ الدِّينِ مِنْ بَلْبِيسَ فِي نِصْفِ شَوَّالٍ ، وَدَخَلَ شَاوَرٌ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَدَخَلَهَا فِي مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَتَلَقَّاهُ الْعَاضِدُ لَدَيْنِ اللَّهِ . وَأَمَّا الْفَرَنْجُ ، فَاسْتَقَرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَاوَرٍ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شِئْنَةٌ^(١) بِالْقَاهِرَةِ وَتَكُونَ أَبْوَابُهَا بِيَدِ فَرَسَانِهِمْ ، وَيَكُونَ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ .

وفي سنة ثلاثٍ وستين وخمسمائة خرج يحيى بن الخياط على شَاوَرٍ وَطَلَّبَ الْوِزَارَةَ ؛ فَتَدَبَّرَ شَاوَرٌ عَسْكَرًا لِحَرْبِهِ ، فَانْهَزَمَ وَمَضَى إِلَى الْبِلَادِ الْفَرَنْجِ^(٢) .

(١) شحنة : مصطلح يقصد به ما يوضع في البلد من رجال الأمن لضبطها وحمايتها — القاموس .

(٢) تعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٩٠

ذكر وُصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر

قال المؤرخ : وفي سنة أربع وستين وخمسمائة عَادَ الفرنج إلى القاهرة . وذلك أنهم لما توجَّهوا في سنة اثنتين وستين رتبوا في القاهرة جماعة من أبطالهم وشجعانهم وفرسانهم ليحموها من عسكر يأتى إليها من الشام ؛ فلما رأوا خلو مصر من الأجناد راسلوا ملكهم مرى واستدعوه ، وكان من الشجاعة والمكر على أمر عظيم . فامتنع وقال : الرأى ألا نقصدها فإنها طعمة لنا ، وأموالها تحمل إلينا نتقوى بها على قتال نور الدين ؛ وإن قصدناها حمل أصحابها الخوف على تسليمها لنور الدين ، وإن أخذها وجعل فيها مثل أسد الدين شيركوه فهو هلاك الفرنج وخروجهم من الشام . فلم يقبلوا رأيه ، وقالوا : ما يصل عسكر نور الدين إلينا إلا وقد ملكناها . وغلبوا على رأيه .

فتجهز الفرنج وساروا حتى وصلوا إلى مدينة بلبيس ونازلوها ؛ فوقع الإرجاف بمصر ؛ وشرع شاور في إنشاء حصن على مصر واستعمل فيه الناس ، فلم يبق أحد إلا وعمل فيه ؛ وحفر خندقا . وملك الفرنج بلبيس عنوة وسيروا وقتلوا خلقا كثيرا^(١) . وكان معهم بعض الأمراء المصريين يمين هرب من شاور ، منهم يحيى بن الخياط .

ثم ساروا [١٠٢] إلى القاهرة وأحاطوا بها . وذلك في العاشر من صفر ، فخاف أهلها إن أهملوا القتال أن يحل بهم ما حل بلهل بلبيس ، فجدوا في القتال والاحتراز .

قال : ولما قُرب الفرنج من القاهرة أمر شاوَر بنهب مصر وإحراقها ، فأحرقت في تاسع صفر ، ونهبت : وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة ، فانتقل بعضهم ، وتحصن البعض بالجزيرة ، وتوجه آخرون في المراكب إلى نغرى الإسكندرية ودمياط ، وطائفة إلى الوجه القبلي : وتفرقوا وذهبت أموالهم . كل ذلك قبل نزول الفرنج على القاهرة بيوم .

قال : وبقيت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً : إلى حادى عشر شهر ربيع الآخر .

قال : ولما علم العاضد لدين الله عجز أهل القاهرة عن مقاومة الفرنج أرسل إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى يستغيث به ، وسير إليه شعور نسائه في طي الكتب .

وقيل إن شاوَرأ أرسل إلى نور الدين أيضاً .

وأرسل شاوَر إلى مرى ملك الفرنج يُذكره بسابق الصعبة والمهود القديمة ، وقرّر أن يحمل إليه ألف ألف دينار ؛ فأجاب مرى إلى ذلك وقال لأصحابه : نأخذ المال ونتقوى به ونمضى ثم نرجع فلا نبالي بعد ذلك بنور الدين . فاستوثق شاوَر منه بالأيمان وعجل له مائة ألف دينار ، ومأطله بالبيعة ؛ وشرع يجمع له من أهل القاهرة المال ، فلم يحصل له من جهتهم غير خمسة آلاف دينار ليضعفهم .

هذا والرسل تتابع إلى الملك العادل ويستغيثون به . وقرّر له ثلث الديار المصرية .

قال : ولما وصلت الكتب إليه طلب أسد الدين شيركوه من جمعى ، فسار منها إلى حلب في ليلة واحدة ، فجهّزه نور الدين وأعطاه مائتى ألف دينار سوى الثياب والسلاح وغير ذلك . فاختار أسد الدين من العسكر ألفى فارس من الأقوياء ، وستة آلاف من بقية العسكر . وأنفق نور

الذين لكل فارس عشرين ديناراً . ثم سار شيركوه ، فكان خروجه من دمشق في منتصف شهر ربيع الأول ؛ وأزده نور الدين بجماعة من الأمراء ، منهم مملوكه عز الدين جرديك ، وشرف الدين بزهش وعين الدولة الياروقى ، وناصر الدين خمارتكين . وقطب الدين يتال بن حسان المنبجى ، وغيرهم ^(١) . والله أعلم .

ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ورحيل الفرنج عنها

قال : وقدم أسد الدين شيركوه بالعساكر ، فكان وصوله إلى مصر في يوم الثلاثاء ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة . ولما بلغ الفرنج قربه عادوا عن القاهرة إلى بلادهم ، وكان رجوعهم في يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر ، ومعهم من الأسرى اثنا عشر ألف نفس . ودخل أسد الدين القاهرة في سابع شهر ربيع الآخر ، وخرج إليه العاضد لدين الله وتلقاه . وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان وجلس إلى جانب العاضد ، وخلع عليه ؛ وفرح الناس بقدمه . وعاد أهل مصر إليها ، وشرعوا في إطفاء النيران وإصلاح ما تشعث . وكانت سقوف جامع عمرو بن العاص بمصر قد احترقت فجدده الملك الناصر صلاح الدين يوسف .

قال : وأمر العاضد أسد الدين بالتزول على شاطئ النيل بالمقس ، ورتب له شاور ولمن معه الإقامة الوفرة ، وأظهر له وداً كثيراً ، وصار يتردد إليه في كل يوم . فطلب أسد الدين من شاور ما لا ينفقه في عسكره . فمطله

(١) انظر الكامل جـ ١١ ص ٣٣٨ ، اتماظ المنفا جـ ٣ ص ٢٩٤ .

فسير إليه شيركوه الفقيه عيسى الهكاري يطالبه بالنفقة ويقول له : إن العسكر قد طال مقامهم وطالبوا بالنفقة وتغيرت قلوبهم عليك ، وإن أخشى عليك منهم . فلم يكثر شاور بذلك ، وشرع في الماطلة فيما كان قرره لنور الدين .

وعزم شاور على أن يصنع دعوة ومحضر أسد الدين وجماعة الأمراء الذين معه إلى داره ، ويقبض عليهم ، ويستخدم من معه من الجند فيمتنع بهم من الفرنج . فنهاه عن ذلك ولده الكامل ، وحلف أنه إن صمم على هذا الأمر عرف به شيركوه . فقال له أبوه : والله إن لم تفعل هذا قتلنا عن آخرنا . فقال الكامل لأبيه : صدقت ، ولأن نقتل ونحن مسلمون خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين [عود]^(١) الفرنج إلا أن يسمعوا أن أسد الدين قد قبض عليه ، وحينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين ما أغاثه ، ويملكون البلاد . فترك ما عزم عليه^(٢) . واتصل ذلك بالعاضد فأعلم شيركوه .

[١٠٣] ذكر مقتل شاور

كان مقتله في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر من السنة .

وذلك أن الأمراء التورية لما رأوا ماطلته بالنفقة وبلغهم أنه قد عمل على القبض عليهم اتفق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك ، وغيرهما ، على قتله وأعلموا أسد الدين بذلك : فنهاهم عنه . واتفق أن شيركوه خرج لزيارة قبر الإمام الشافعي هذا اليوم ، وحضر شاور له على عادته ، فقيل إنه توجه للزيارة : فقال : توجه إليه . فتوجه معه يوسف

(١) [إضافة للنوضح من اتعاط المنفا ج ٣ ص ٣٠٠ ، الكامل ج ١١ ص ٣٣٩ .

(٢) انظر اتعاط المنفا ج ٣ ص ٣٠٠ ، الكامل ج ١١ ص ٣٣٩ .

وَجُرِّدَهُمَا وَهَمَّا يُسَايِرَانِهِ ، فَأَنْزَلَاهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَكَفَّنَاهُ ، فَهَرَبَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ . فَجَعَلَاهُ فِي خَيْمَةٍ ، وَأَحَاطَ بِهَا جَمَاعَةٌ وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ قَتْلُهُ بِغَيْرِ أَمْرِ أَسَدِ الدِّينِ ^(١) . فَحَضَرَ مِنَ الْقَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنْ قِبَلِ الْعَاضِدِ ، يَسْتَحْتِ عَلَى قَتْلِهِ ، وَحَضَرَ أَسَدُ الدِّينِ إِلَى الْمَخِيْمِ وَرُسُلُ الْعَاضِدِ تَتَوَاتَرُ لِأَسَدِ الدِّينِ بِأَمْرِهِ بِقَتْلِهِ . فَقُتِلَ ، وَأُرْسِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْعَاضِدِ عَلَى ^(٢) رُمْحٍ .

وَمَضَى أَوْلَادُهُ إِلَى الْقُصُورِ وَاسْتَجَارُوا بِالْعَاضِدِ ، فَقُتِلُوا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ ، فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ خَلُوفٍ مِنْ جَادِي الْأَوَّلَى مِنْهَا . وَهُمْ : الْكَامِلُ ، وَالْمَعْظَمُ ، وَرُكْنُ الْإِسْلَامِ . وَتَأَسَّفَ شِيرِكُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْكَامِلِ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ .

قَالَ : وَلَمَّا قُتِلَ شَاوَرُ اسْتَدْعَى الْعَاضِدُ أَسَدَ الدِّينِ شِيرِكُوهُ ، فَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا شَاوَرُ ، فَرَأَى الْعَوَامَ وَقَدْ اجْتَمَعُوا ، فَهَالَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ مَوْلَانَا الْعَاضِدَ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَنْهَبُوا دُورَ شَاوَرٍ . فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَنَهَبُوا . وَدَخَلَ شِيرِكُوهُ إِلَى الْقَصْرِ ، فَتَلَقَاهُ الْعَاضِدُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَ الْوِزَارَةِ ، وَلَقَّبَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَمِيرَ الْجَبِيُوشِ ^(٣) . وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ فِي الْوِزَارَةِ حَتَّى تَوُفِيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ خَمْسَةِ وَسْتَيْنِ يَوْمًا ؛ وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفَ ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ .

(١) « نور الدين » في الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١١ ص ٣٤٠

(٢) انظر انعاظ الحنفيا جـ ٣ ص ٣٠١ .

(٣) انظر نص المنشور وما كتبه عليه العاضد بخطه في صحيح الأغنى جـ ٩ ص ٤٠٦ . انعاظ الحنفيا جـ ٣ ص ٣٠٢ . الروضتين جـ ١ ص ٤٠٢ . مفرج الكروب جـ ١ ص ١٦٥ .

ذكر انقراض الدولة العبديّة والخطبة للمستضى بنور الله العباسي

كان انقراض هذه الدولة عند خلع العاضد لدين الله ، وذلك في يوم الجمعة لسبع مَضِينَ من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة .
وكان سبب ذلك أن صلاح الدين يوسف لما تَبَيَّنَتْ قدمه في ملك الديار المصرية واستمال الناس بالأموال قَتَلَ مؤتمن الخلافة جوهرًا ، زمام القصور ، ونصب مكانه قراقوش الأسدي الخصى خادم عمه ، ثم كانت وقعة السودان فأفناهم بالقتل ، على ما نذكره إن شاء الله مستوفى في أخباره . ثم أسقط من الأذان قولهم : « حَيُّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » ؛ وَأَبْطَلَ مجلس الدعوة ؛ وَضَعَفَ أَمْرُ الْعَاضِدِ معه إلى الغاية فعند ذلك كتب الملك العادل نور الدين إلى الملك الناصر صلاح الدين يأمره بالقبض على العاضد وأقاربه ، والخطبة للخليفة المستضى بنور الله ^(١) ، وكان المستضى قد رَأَسَ له في ذلك . فامتنع صلاح الدين ، وكَرِهَ إزالة هذه الدولة . فكتب إلى الملك العادل يعتذر ، وقال : إِن فَعَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا نَأْمَنُ من قيام أهل مصر علينا لِمِلْهِم إلى هذه الدولة . وَكَانَ قَصْدُ صلاح الدين أن يتفوى بالعاضد على نور الدين إن هو أَرَادَ الدُّخُولَ إلى الديار المصرية ^(٢) .

فلما وَرَدَ جوابه على نور الدين بالاعتذار انزعج لذلك ، ورأفد رُسُلَهُ إليه يأمره بخلع العاضد والقبض عليه ^(٣) .

(١) هو أبو محمد الحسن المستضى بنور الله . ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٦٨ .

(٣) انظر الروضتين ج ١ ص ٤٩٣ .

فاستدعى الملك الناصر الأمراء واستشارهم في ذلك ، فبينهم من حذره ، ومنهم من هَوَّنَه عليه . فأحضر الفقيه اليسع بن يحيى بن اليسع ، وعرفه الحال . فلما كان في هذه الجمعة صعد إلى المنبر بجامع مصر قبل طلوع الخطيب ، ودَعَا للمستضى بنور الله : فلم يُنكر عليه أحد . فلما كان في الجمعة الثانية أمر الملك الناصر الخطباء بمصر والقاهرة أن يخطبوا للمستضى بنور الله أبي محمد الحسن ، بن المستجد بالله العباسي : فخطبوا له .

ثم توفى العاضد لدين الله إثر هذا الخلع ، في يوم عاشوراء من السنة ، بعد ثلاثة أيام من خلعه . وكان ضعيفاً لما قُطعت خطبته ، فقال صلاح الدين : لا تُعلموه ، فإن عوفي أعلمناه ، وإن توفى فلا نفعه بهذه الحادثة .

وقال [١٠٤] بعض المؤرخين : إن صلاح الدين لما قطع خطبته دخل عليه وقبض عليه واعتقله . فلما رأى ذلك كان في ذخائره فص في خاتم ، فمضه ، فمات ليومته . فكان صلاح الدين يقول : ندمت [على] كوني دخلت على العاضد وفعلت به ما فعلت ، وكان أجله قد قُرب . ولما مات جلس الملك الناصر للعزاء به . فكانت مدة ولايته إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً ، ومولده في يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسمائة ؛ فعمره على هذا إحدى وعشرون سنة إلا أحد عشر يوماً .

وكان له من الأولاد ثلاثة عشر وهم عليّ ؛ وموسى ؛ وعبد الكريم ؛ وأبو الحجاج يوسف ؛ وأبو الفتوح ؛ وإبراهيم ؛ وجعفر ؛ ويحيى ؛ وعبد القوى ؛ وعبد الصمد ؛ وأبو البشر ؛ وعيسى . فأعتقلهم الملك الناصر بأجمعهم ، واستمرّوا في الاعتقال إلى سنة اثنتين وستمائة ، فكان من أمرهم ما نذكره في أخبار الدولة الأيوبية .

وَوَزَّلَهُ مَنْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَهُمْ : الصَّالِح أَبُو الْغَارَاتِ طَلَانِعِ بْنِ رَزِيكٍ ؛ ثُمَّ وَلَدَهُ الْعَادِلُ رُزَيْكٌ . ثُمَّ شَاوَرٌ ؛ ثُمَّ الضَّرْغَامُ ؛ ثُمَّ عَادَ شَاوَرٌ ؛ ثُمَّ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهُ ؛ ثُمَّ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفَ .

قَضَاتُهُ : أَبُو الْقَاسِمِ هَبَةُ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ ؛ وَأَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْقَوَى ؛ ثُمَّ الْأَعَزُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَلَامَةَ ؛ ثُمَّ أَعْيَدَ عَبْدِ الْجَبَّارِ ؛ ثُمَّ أَعْيَدَ ابْنَ كَامِلٍ ، ثُمَّ صَرَفَ عَلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِالْقَاضِي صَدْرِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دَرْبَاسٍ ^(١) .

وَكَانَ الْعَاضِدُ شَدِيدَ التَّشْيِيعِ مُتَغَالِيًّا فِي سَبِّ الصَّحَابَةِ ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . إِذَا رَأَى سُنِّيًّا اسْتَحْلَمَ دَمَهُ .

جَامِعُ أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ وَمَدَّتْهَا وَمَنْ مَلَكَ مِنْ مَلُوكِهَا

كَانَتْ مَدَّةُ تَغْلِبِ مَلُوكِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبِلَادِ مِنْذُ أَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ عُيَيْدَ اللَّهِ ، الْمُنْعُوتُ بِالْمُهْدِيِّ ، مِنْ سَجِلْمَاسَةَ ، مِنْ سَجْنِ الْيَسْعِ ابْنِ مَدْرَارٍ إِلَى أَنْ مَاتَ الْعَاضِدُ هَذَا مَائَتِي سَنَةً وَسَبْعِينَ سَنَةً وَشَهْرًا ^(٢) . مِنْهَا بِلَادُ الْغَرْبِ ، مِنْذُ دَخَلَ عُيَيْدُ اللَّهِ الْمُهْدِيُّ رَقَادَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْمَعْرُ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَخَمْسَةَ وَعِشْرُونَ

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) « مائتين وتسعة وستين سنة وثمانية أشهر وأحد وعشرين يوما » - أخبار الدول المنقطعة ص ١١٧ .

يوماً^(١). وباقى هذه المدّة بمصر والشّام ، إلى أن انقطعت دعوتهم .
 بخروج عسقلان عن يد المسلمين واستيلاء الفرنج عليها ، في جُمادى
 الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، في أيام الظاهر بأعداء الله في وزارة
 عبّاس بن يحيى بن تميم .

وعدة من ملك منهم أربعة عشر ملكاً تسموا كلهم بالخلافة ؛ وهم : عبد
 الله المنعوت بالمهدى ؛ ثم ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ؛ ثم ابنه
 المنصور بنصر الله أبو الظاهر إسماعيل ؛ ثم ابنه المعز لدين الله أبو تميم
 معدّ ، وهو أول من ملك الديار المصريّة والبلاد الشاميّة منهم ، وإليه تنسب
 القاهرة المعزية ؛ ثم ابنه العزيز بالله أبو المنصور زيار ؛ ثم ابنه الحاكم بأمر
 الله أبو على المنصور ؛ ثم ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم ، وقيل أبو
 الحسن ، على ؛ ثم ابنه المستنصر بالله أبو تميم معدّ ؛ ثم ابنه المستعلى بالله
 أبو القاسم أحمد ؛ ثم ابنه الأمر بأحكام الله أبو على المنصور ؛ ثم ابن عمه
 الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله ؛ ثم
 ابنه الظاهر بأعداء الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ ؛ ثم ابنه الفائز
 بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظاهر ؛ ثم ابن عمه العاضد لدين الله أبو
 محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن
 المستنصر ؛ وعليه انقضت دولتهم ، وانتهت آيامهم ، وبأد ملّكهم ، فلم
 يُعد إلى وقتنا هذا .

قال المؤرخ : ولما خلع العاضد ومات واعتقل الملك الناصر صلاح
 الدين يوسف أولاده بالقصور مرّ القاضى الأرشد عمارة اليمنى الشّاعر
 بالقصور ، وهى مغلقة الأبواب ، مهجورة الجناح ، خاوية على عروشها ،
 خالية من أنيسها ؛ فأنشأ قصيدته المشهورة التى رثى بها القصور وأهلها ،

(١) « خمسة وستون سنة وأربعة أشهر ونصف » — أخبار الدول المنقطعة ص ١١٧ .

وهي من عيون المرائي [١٠٥] وأولها ^(١) :
 رميت يادهر كف المجد بالشَّل
 وجيده بعد حُسن الحُل ^(٢) بالعطل
 سمعت في منهج الرأى العشور، فإن
 قُدِّرَت من عثرات الدهر ^(٣) فاستقل
 هَدَمَت قاعدة المعروف ^(٤) عن عَجَل
 سَقِيَتْ مُهْلًا، أما تَمَشَى على مَهْلٍ
 لَمْ يَفَى وَلَمْ يَفَى بِنَى الآمال قاطبة
 على فَجِيعَتِنَا ^(٥) في أكرم الدول
 قَدِمْتُ مِصرَ فأولستني خلائفها
 من المكَّارِم ما أُرْبَى على الأمل
 قَوْمٌ عَرَفْتُ بِهِم كَسْبَ الأُلُوفِ ومن
 جمالها ^(٦) أنها جاءت ولمْ أَسَل
 منها :

ياعاذلي في هوى أبناء فاطمة
 لك الملامة إن قَصُرَتْ في عذلي

(١) انظر هذه القصيدة في : الروضتين ج ١ ص ٥٧٠ - ٥٧١ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٦ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٦ - ٥٢٨ ، اتعاظ الخنفا ج ٣ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(٢) « بعد حل الحسن » في الروضتين .

(٣) « من عثرات البغي » في الروضتين .

(٤) « قواعد المعروف » في الأصل ، والتصحيح من الروضتين واتعاظ الخنفا .

(٥) « على فجيعتها » في مفرج الكروب .

(٦) « كما لها » في المصادر الأخرى .

بِالله زُرْسَاحَةُ الْقَضْرَيْنِ ، وَأَبِيكَ مَعِي
 عَلَيْهَا ، لَا عَلَى صَفَيْنَ وَالْجَمَلِ
 وَقُلْ لِأَهْلِيهَا : وَالله مَا التَّحَنَّتْ
 فَبِكُمْ جِرَاحِي ، وَلَا قِرْجِي بِمَنْدَمِلٍ ^(١)
 مَاذَا تُرَى ^(٢) كَانَتْ الْإِفْرَنْجُ فَاعِلَةٌ
 فِي نَسْلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 قُلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ قِسْمَةٍ مَا
 مُلِكْتُمْ بَيْنَ حُكْمِ السُّبْنِيِّ وَالنُّفْلِ
 وَقَدْ حَصَلْتُمْ عَلَيْهَا وَاسْمُ جَدِّكُمْ
 مُحَمَّدٌ ، وَأَبْيَكُمْ غَيْرُ مُنْتَقِلِ
 مَرَزْتُ بِالْقَضْرِ ، وَالْأَبْوَابُ خَالِيَةٌ
 مِنَ الْوُفُودِ ، وَكَانَتْ قِبْلَةُ الْقَبْلِ
 فَمِلْتُ بِوَجْهِي خَوْفَ مُنْتَقِدِ
 مِنَ الْأَعَادِي ، وَوَجْهُ السُّودِ لَمْ يَمِلْ
 أَسَلْتُ مِنْ أَسْفَى ^(٣) دَمْعِي غُدَاةَ خَلْتُ
 رَحَائِكُمْ ، وَغَدَتِ مَهْجُورَةُ السُّبُلِ
 أَبْكِي عَلَى مَا تُرَاتِ ^(٤) مِنْ مَكَارِمِكُمْ
 حَالِ الزَّمَانِ عَلَيْهَا ، وَهِيَ لَمْ تَحُلْ

(١) « فَبِكُمْ قِرْجِي وَلَا جِرْجِي مَنْدَمِل » فِي الرُّوضَتَيْنِ ، « فَبِكُمْ جِرْجِي وَلَا قِرْجِي
 بِمَنْدَمِل » فِي مَفْرَجِ الْكَرُوبِ وَصَبْحِ الْأَعَشَى .

(٢) « مَاذَا عَسَى » فِي انْتِظَارِ الْحَفَا .

(٣) « أَسَلْتُ مِنْ أَسْفَى » فِي الْمَصَادِرِ الْآخَرَى .

(٤) « أَبْكِي عَلَى مَا بَدَأَ لِي » وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْآخَرَى .

وهي قصيدة مشهورة مطوّلة .
ولما انقرضت هذه الدولة قامت الدولة الأيوبية على ما ذكره إن شاء
الله تعالى في أخبار ملوكها والله أعلم .

ذكر أخبار الدولة الأيوبية

وهي دولة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأولاده ، ودولة أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر وأولاده ، رحمهم الله تعالى .

ولنبداً بذكر نسب نجم الدين أيوب والملوك الدولة الأيوبية وابتداء حاله وحاله أخيه أسد الدين ، وكيف تنقلت بهم الحال إلى أن ملك أسد الدين شيركوه الديار المصرية ، وكيف انتقل الملك من بعده إلى ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف . ثم نذكر أخبار من ملك من أولاده وأخيه الملك العادل وأولاده في حربهم وسلمهم إلى حين انقراض دولتهم . وبالله التوفيق

ذكر نسب الملك الأفضل نجم الدين

هو [أبو] ^(١) سعيد أيوب بن شادى بن مروان . هذا هو المقطوع به الذى لا نزاع فيه ، ولا خلاف بين أحد من المؤرخين ونقله أخبارهم .

وقال الملك الأجد مجد الدين أبو محمد الحسن ، ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المفاخر داود ، ابن السلطان الملك المعظم شرف الدين أبي المظفر عيسى ، ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد ، ابن الملك الأفضل نجم الدين أبي سعيد أيوب ، رحمهم الله تعالى ، في كتابه المترجم بالفوائد الجلية في الفرائد الناصرية : سمعت من يقول : مروان بن محمد ؛ وقال بعض الناس محمد بن يعقوب .

(١) [إضافة تتفق مع مايل .

وانظر ترجمته في : الروضتين ج ١ ص ٥٣٣ وما بعدها ، وورد « أبو الشكر »

في وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٥ رقم ١٠٧ .

وقال شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن في كتابه المترجم بالروضتين في أخبار الدولتين سمعت من يقول : مروان بن يعقوب (١).

وقال [١٠٦] الملك الأحمجد : وقد اختلف في نسبهم على ثلاثة أقوال :
القول الأول : ما قاله عز الدين علي بن الأثير الجزري المؤرخ أن نجم الدين أيوب من بلد دوين (٢) من أذربيجان ، وأصله من الأكراد الروادية ؛ وهذا القبيل هم أشرف الأكراد (٣).

قال الملك الأحمجد : وهذا شيء يجري على السنة كثير من الناس ، ولم أر أحداً ممن أدركه من مشايخ بيتنا يعترف بهذا النسب ، لكنهم لا ينكرون أن نجم الدين كان بدوين .

قال : والمشهور عند بيتنا أن جدنا نزل على الأكراد وتزوج منهم ، فصارت بيتنا وبينهم خؤولة لا غير . ويدل على ذلك أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف لما ملك البلاد تقدم في دولته جماعة من الأكراد ، فلم يبق أحد منهم إلا جاء بنوعه وأقاربه ، حتى صار في عضبة من أهله ؛ والسلطان رحمه الله لم يأت إليه من يمت بقرابة إلا من جهة النساء فقط ؛ ولو كان من الروادية لكان جميع القبيلة أولاد عمه وإن لم يكن له ابن عم قريب فيكون ابن عم بعيد قطعاً لأن القبيلة كلها أولاد رجل واحد . ولا شك أن الدواعي تتوفر على الانتباه إلى الملك ما لا تتوفر على الانتباه إلى الأمراء .

القول الثاني : أنهم من أولاد مروان بن محمد الأموي ، آخر خلفاء الدولة الأموية .

(١) انظر الروضتين ج ١ ص ٥٣٤ .

(٢) دوين : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وباء مثناه من تحت ساكنه وآخره نون ، بلدة من نواحى أران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من نغليس - معجم البلدان .

(٣) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٤١ .

قال الملك الأنجد : وهذا شيء أدعاه الملك المعز فتح الدين أبو الفداء إسماعيل بن الملك العزيز ظهير الدين أبي الفوارس سيف الإسلام طغتكين ، ابن أيوب ، باليمن ، لما ملكه بعد أبيه ، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله أمير المؤمنين . وقال يحيى بن حميد بن أبي طى : قد نقيت عن ذلك فأجمع الجماعة من بنى أيوب على أنهم لا يعرفون جداً فوق شادى^(١) .

القول الثالث : ما ذكره حسن بن عمران الجرشى فإنه جاء إلى الملك المعظم وعمل شجرة نسب بنى أيوب ، فوصله بعلى بن أحمد المرمى^(٢) ممدوح أبي الطيب المنتبى الذى يقول فيه :

شرق الجوُّ بالغبّار إذا سا ر على بن أحمد القنصام
وقال أيضا فى مدحه :

إنما بن عوف بن سعد جرات لا تشتهيها النعام
ولم يُنكر الملك المعظم عليه ذلك بل قبل منه .
قال : وهذا سرُّ النسب الذى عمّله الجرشى ، وهو : أيوب بن شادى ابن مروان بن أبى على .

قال الملك الأنجد : قلت : ويحتمل أن يكون أبو على هذا هو محمد المقدم ذكره - وأبو على كنية له - ابن عنتره بن الحسن بن على بن أحمد ابن أبى على بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحارث بن سفيان بن عمرو بن مرة بن شبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وبقية النسب معروف . هذا ما قيل فى نسبه . وأما ابتداء حاله :

(١) انظر الروضتين ج ١ ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) « على بن محمد » فى الأصل ، والتصحيح من بيت الشعر التالى ، ومن كثر الدرر ج ٧

ذكر ابتداء حال الملك الأفضل نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه

قال المؤرخ : قدم نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه من بلد دوين إلى العراق في خلافة المسترشد بالله^(١) ، وخدموا مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد . فرأى من نجم الدين عقلاً ورأياً وحسن سيرة ، وكان أسنُّ من أخيه أسد الدين ، فجعله مجاهد الدين دُزداراً^(٢) بقلعة تكريت^(٣) ، وكانت له ، فسار إليها ومعه أسد الدين .

وقيل بل كان نجم الدين قد خدم السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي^(٤) ، فرأى منه أمانةً وعقلاً ، وسداداً وشهامة ، فولاه قلعة تكريت ، فقام بها أحسن قيام . فلما ولي السلطان مسعود^(٥) أقطع قلعة تكريت لمجاهد الدين بهروز ، فأقر نجم الدين في الولاية . وكان أتاهك عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، والد السلطان الشهيد نور الدين لما انهزم من قراجا الساقى في سنة ست وعشرين وخمسمائة ، كما ذكرناه^(٦) ، بلغت به الهزيمة إلى تكريت ، فقام نجم الدين بخدمته أتم قيام ، وأقام له

(١) هو أبو منصور فضل المسترشد بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٥١٢ - ٥٢٩ هـ / ١١١٨ - ١١٣٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٢) « فجعله مستحفظاً ، في الكامل ج ١١ ص ٣٤١ .

ودزدار : كلمة فارسية بمعنى حاكم حصن .

(٣) تكريت : يفتح التاء - بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، ولها قلعة حصينة غربي دجلة - معجم البلدان .

(٤) توفي سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م - انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣٧٠ وما بعدها .

(٥) عن السلطان مسعود وأخباره ، انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٢ وما بعدها .

(٦) انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٤ .

السفن إلى أن عَبَر دجلة ، فكان ذلك سبب وصلته بالبيت الأتابكي [١٠٧] وتقدمه .

قال : ثم اتفق بين أسد الدين وبين قوارص النصرائي ، كاتب بهروز ، مشاجرة في بعض الأيام ، فكلّمه النصرائي بكلمة أمضته ، فضرب عنقه بيده ، ورماه برجله ^(١) فلما اتصل الخبير ببهرز وحضر عنده من حذره من جرأة شيركوه وتمكين نجم الدين واستيحاظه على قلوب الرعايا خاف عاقبة ذلك ، وكتب بالإنكار عليه بسبب ما كان من أخيه ، وعزله . فسار نجم الدين أيوب وشيركوه إلى عماد الدين زنكي في الموصل ، فلما وصل إليه سرّ بها وأحسن إليهما ، فأقطعهما الإقطاعات الجليلة ، وشهدا معه حروب الكفار وقتال الفرنج .

فلما ملك زنكي قلعة بعلبك ، في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة جعل نجم الدين دُزداراً بها ؛ فأقام بها إلى أن قُتل عماد الدين زنكي ، في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وحاصر معين الدين أنر ، صاحب دمشق قلعة بعلبك ، حتى ضاق الأمر على نجم الدين ، فاضطر إلى تسليمها إليه ، وتعوّض عنها إقطاعاً وأملاكاً ؛ وكان عنده من الأكابر الأمراء . واتصل أسد الدين شيركوه بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فجعله مقدماً على عسكره ، وجعل له حصص والرحبة وغيرها .

فلما تعلقت همة نور الدين بملك دمشق أمر أسد الدين بمكاتبة أخيه نجم الدين أيوب في ذلك ، فرأسله ، فأعان نور الدين على فتح دمشق ؛ فعظم محلها عند نور الدين . فكان نجم الدين إذا دخل عليه جلس من غير أن يؤذن له في الجلوس ، ولم تكن هذه الرتبة لغيره من سائر الأمراء . فلما كان من أمر شاور ما قدمناه وقصد نور الدين محمود أو استغاث به ،

(١) « فجرد أسد الدين سيفه وقتل النصرائي ... وأخذ النصرائي برجله فالتقى من الفلعة » في الروضتين ج ١ ص ٥٣٧ .

أرسل معه أسد الدين بالعساكر ؛ وكان من أمره في المرة الأولى ، في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، والمرة الثانية ، في سنة اثنتين وستين ، والمرة الثالثة في سنة أربع وستين وخمسمائة [على] ما قدّمنا ذكره في أخبار الدولة العبيدية في أيام العاضد لدين الله .

ذكر وزارة الملك المنصور أسد الدين شيركوه بالديار المصرية وفاته

كانت وزارته للعاضد لدين الله في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة .

وذلك أنه لما كان من أمر شاور ومقتله ما ذكرناه آنفا استدعى العاضد لدين الله أسد الدين شيركوه ، فدخل إلى القاهرة في الساعة التي قُتل فيها شاور ، فرأى من اجتماع العوام ما هالَهُ ، فخاف على نفسه ، فقال لهم : أمير المؤمنين يأمرُكم بنهب دارِ شاور . فقصدَهَا الناس ونهبوها ، وتفرقوا عنه . ولَمَّا نزل أسد الدين بدارِ شاور ، وهى دارُ الوزارة ، لم يجد فيها ما يجلس عليه^(١) .

قال : ولَمَّا تفرق الناس للنهب دخل أسد الدين على العاضد لدين الله ، فتلقاه وخلَعَ عليه خِلَع الوزارة ، ولقّبهُ بالملك المنصور أمير الجيوش ، وكتب له تقليد الوزارة ، وكتب عليه العاضد بخطه عهداً : (عهدٌ لم يُعهد لوزير بمثله ، وتقليدُ أمر رآك أمير المؤمنين أهلاً لحمله . والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مَرَأَشِد سُبُلِهِ . فخذْ كتاب أمير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتززت بخدمتك من

(١) انظر ما سبق تحت عنوان ذكر مقتل شاور .

النَّبوة^(١)؛ وَاتَّخَذَ الْقَوْرَ سَبِيلًا «وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْفَالًا»^(٢).

وخرج من عند القاضد وركب إلى دار الوزارة وسكنها، واستقل بالأمر. واستعمل على الأعمال من يتقنه من كفاة أصحابه، وأقطع البلاد لعساكره. وأرسل إلى ديوان الإنشاء بالقصر يطلب من يكتب بين يديه، فأرسل إليه متولى الديوان القاضى الفاضل عبد الرحيم البيساني؛ وظن رؤساء ديوان المكاتبات أن هذا الأمر لا يتم، وأن^(٣) أسد الدين يقتل عن قريب كما قتل غيره، فأرسلوا إليه القاضى الفاضل وقالوا لعله يقتل معه. فكان من أمره ما كان.

ولم تطل مدة أسد الدين فى الوزارة بل انقضت أيامه، وفاجأه حماته، فتوفى فى يوم السبت لثمانى بقين من جمادى الآخرة من السنة.

واختلف فى سبب وفاته، ف قيل إنه مات فجأة، وقيل بعلّة الخوانيق، وقيل بل سُم. فكانت مدة وزارته خمسا وستين يوما^(٤)؛ وعمل عزاه ثلاثة أيام، وحمل إلى المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة

(١) «اعتزت خدمتك إلى بنوة النبوة» فى الروضتين ج ١ ص ٤٠٢، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢) سورة النحل رقم ١٦ جزء من الآية رقم ٩١.
وقارن نص المنشور وما كتب عليه الضد بخطه فى صبح الأعشى ج ٩ ص ٤٠٦،
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢، الروضتين ج ١ ص ٤٠٢، مفرج الكروب ج ١ ص ١٦٥، تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع الجزء الأول ص ٣٤-٤٤.

(٣) «فان» فى الأصل، والتصحيح يتفق مع السياق، وما ورد فى الروضتين ج ١ ص ٤٠٣.

(٤) «ثلاثة وستين يوما» فى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٤.

والسَّلام ؛ ودُفِنَ هناك بِرِباطِ الوَزيز [١٠٨] جِمال الدِّين وَزير
الموصل ^(١) .

ولَمَّا مات أَسَد الدِّين شيركوه اسْتَقَرَّ في الوِزارَةِ بَعْدَهُ المَلِكُ النَّاصِرُ
صَلاح الدِّين يُوْسُفُ بنِ أَيُّوبَ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ المَلِكِ النَّاصِرِ صَلاح الدِّين يُوْسُفَ

ابن المَلِكِ الأَفْضَلِ نَجْم الدِّين أَيُّوبَ وَوِزارَتِهِ بِالدِّيَّارِ المِصْريَّةِ

كَانَتْ وَزارَتُهُ بِالدِّيَّارِ المِصْريَّةِ عَقِبَ وَفاةِ عَمِّهِ المَلِكِ المَنْصُورِ أَسَدِ
الدِّينِ شيركوه وَقَدْ نَطاوَل ^(٢) جِماعَةً مِنَ الأَمراءِ النُّوريَّةِ لِلوِزارَةِ ؛ مِنْهُمْ
عَيْنُ الدَّولَةِ اليَّارُوقِي ، وَقَطَبُ الدِّينِ قايمازُ ، وَسيفُ الدِّينِ المِشْطُوبُ
الهِكَّارِيُّ ، وَشِهابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الحَارِمِيُّ ، وَهُوَ خالُ صَلاح الدِّينِ ؛
وَخَطَبُها كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ . فَأشارَ جِماعَةٌ مِنَ المِصْريِّينَ وَخواصُّ العاضِدِ
لِدِينِ اللَّهِ عَلَيَّ العاضِدِ أَنَّ يُولَيَّ صَلاحَ الدِّينِ ، وَقالُوا : إِنَّهُ أَصْغَرُ
الجِماعَةِ سِنًا وَلا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ أَمْرِ أميرِ المُؤْمِنينَ . فَإِذا اسْتَقَرَّ وَضَعُنا
عَلَى العِساكِرِ مَنْ يَسْتَمِيلُهُمْ ^(٣) إِلَيْنَا ، فَيَبْقَى عِنْدَنَا مِنَ الجُنْدِ مَنْ نَتَقَوَّى

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِي بنِ أبي مَنصُورٍ ، جِمال الدِّينِ أَبُو جِغْفَرٍ ، وَزيرُ الموصلِ ، تَوَفَّى سَنَةَ

٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م - الرُّوضَتَيْنِ ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٥٦ ، الكامِلُ ج ١١ ص

٣٠٦ - ٣١٠ ، وَفَيَاتُ الأَعْيانِ ج ٥ ص ١٤٣ رَقْم ٧٠٤ .

(٢) « نَطاوَلَهُ » ، فِي الأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ يَتَّفَقُ وَالسِّيَاقُ .

(٣) « تَسْلِيمُهُمْ » ، فِي الأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ يَتَّفَقُ وَالسِّيَاقُ .

به ، ثم نأخذ يوسف بعد ذلك أو نخرجه فإن أمره أسهل من غيره ، فاستدعاه العاضد لدين الله ، وخلع عليه جلع الوزارة . ولقبه بالملك الناصر^(١) ، فلم يطمعه أحد من الأمراء الذين كانوا تطاولوا للوزارة ولا خدموه .

وكان الفقيه عيسى الهكاري^(٢) معه ، فسعى مع الأمير سيف الدين على بن أحمد المشطوب حتى استماله إليه ، وقال له : إن هذا الأمر لا يصل إليك مع الياروقى والحارمى وغيرهما . ثم اجتمع بالحارمى وقال له مثل ذلك ، وقال له : إن صلاح الدين ولد أختك ، وعزه وملكه لك ، وقد استقام له الأمر ، فلا تكن أول من سعى فى إخراج الأمر عنه . واجتمع بالأمراء واستمالهم . فأطاعه بعضهم وعصى بعضهم .

فأما الياروقى فإنه قال : لا أخدم يوسف أبداً ، وعاد إلى الملك العادل نور الدين هو وجماعة من الأمراء . وصار صلاح الدين نائباً عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين ولا يكاتبه إلا : « بالأمير الأسفهلار^(٣) صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية . يفعلون كذا وكذا » . ويفعل علامته فى الكتب ، عظمة أن يكتب اسمه .

ولما وزر صلاح الدين ثبت قدمه ، واستمال قلوب الناس بالأموال فمالوا إليه فقوى أمره ، وضعف أمر العاضد .

(١) انظر نص منشور تعيينه صلاح الدين وزيراً فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٩١-٩٨ ، تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع الجزء الأول ص ٥٧-٦٣ .

(٢) هو عيسى بن محمد بن عيسى ، الهكاري ، توفى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٩٧ رقم ٥١٦ .

(٣) الأسفهلار : كلمة تركية مركبة بمعنى مقدم العسكر ، وصاحب هذه الوظيفة زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد ، والتحدث فيهم - صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٩ .

ذكر مقتل مؤتمن الخلافة جوهر ، زمام القصور وانتقال وظيفته إلى قراقوش الأسدي وحرب السودان

كان مقتل مؤتمن الخلافة في يوم الأربعاء لخمسٍ بَيِّن من ذي القعدة ، من سنة أربعٍ وسِتِّينٍ وخمسمائة .

وسبب ذلك أن الملك الناصر شرع في نقض^(١) إقطاع المصريين ، فاتفق هذا الخادمُ مع جماعةٍ من الأمراء المصريين على مكانة الفرنج واستدعائهم إلى الديار المصرية ، والاعتصامَ بهم على صلاح المدين ومنَّ معه ؛ وأرسل الكتب مع إنسان ، فجعلها في نعلٍ ولَبِيسه ، وسار على أنه فقير رث الهيئة . فلما وصل إلى البِيضاء^(٢) وجده تركماني ، فأنكر حاله إذ هورث الهيئة جديد المداس . فأخذ مداسَه وقتقه ، فوجد الكتب فيه ، فحملة بها إلى الملك الناصر ، فوقف عليها ، وكتب الأمر ، وقرر الرجل بالعقوبة ، فأقر أن الكتب بخط رجلٍ يهودي ، فاستحضره ، فأقر بها . ثم قتل صلاح الدين القاصد . واستنصر مؤتمنُ الخلافة من الملك الناصر ، فلزم القصور واحترز على نفسه ، فكان لا يخرج منها . فلما طال ذلك عليه خرج في هذا اليوم لقصر^(٣) له بالخرقانية ، فأرسل إليه الملكُ الناصر جماعةً فقتلوه . وأتوه برأسه ، فرتب حينئذٍ على أُرمة

(١) « بعض » في الأصل ، والتصحيح من الروضتين ج ١ ص ٤٥٠ ، وانظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١١ .

(٢) « البثر البيضاء » في الروضتين ج ١ ص ٤٥٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٢ . وهي موضع قرب بليس بينها وبين الخانكة على الطريق بين القاهرة وغزة - معجم البلدان .

(٣) « وخرج إلى منظره له على النيل ، بستان بناحية الخرقانية ، قريباً من قليب » - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٢ .

القصور قراقوش الخصى، وكان من ممالك عمه أسد الدين ليطايعه بما يتجدد بالقصور .

قال : ولما قُتل مؤتمن الخلافة ثار السودان لذلك وأخذتهم الحمية ، وعظم عليهم قتله ، لأنه كان رأسهم ورئيسهم ، فحشدوا واجتمعوا ، فزادت عدتهم على خمسين ألف عبد ؛ وكانوا أشد على الوزراء من العسكر . فندب الملك الناصر العسكر لقتالهم ، وقدم على العسكر أبا الهيجاء السمين ؛ فالتقوا بين القصرين واقتتلوا ، فقتل من الفريقين جمع كثير . [١٠٩] فلما رأى الملك الناصر قوتهم وشدة بأسهم أرسل إلى محلّتهم المعروفة بالمنصورة^(١) ، خارج باب زويلة ، فأحرقها ؛ فاتصل ذلك بهم ، فضعت نفوسهم ، فانهزموا إلى محلّتهم فوجدوا النيران تُحترق فيها . وأتيهم العسكر فمنعهم من إطفائها^(٢) . ودام [القتال]^(٣) بينهم أربعة أيام ، نهاراً وليلاً ، إلى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى القعدة ؛ فخرجوا بأجمعهم إلى الجيزة وقد أيقنوا بالهلاك ، وخرج إليهم تورانشاه أخو الملك الناصر فقتلهم ، ولم ينج منهم إلا اليسير . وكتب الملك الناصر إلى ولاة البلاد بقتل من يجدونه منهم ، فقتلوا من عند آخرهم .

وبقى الملك الناصر يخشى من أهل القصر لما فعله بمؤتمن الخلافة جوهر ، فكان جوهر هذا سبب زوال ملك الدولة العبيدية وجوهر القائد سبب ملك المعز للبلاد ؛ فشتان بين الجوهرين .

(١) المنصورة = الحارة المنصورة ، على بنة من سلك في الشارع خارجاً من باب زويلة ، وكانت حارة متسعة جداً فيها مساكن السودانيين ، خربها الأمير خطاب بن موسى بأمر صلاح الدين - بعد هذه الواقعة - وصيرها بسناً - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) الطغى ، في الأصل ، والتصحيح ينفى والسياق .

(٣) [إضافة للتوضيح .

ذكر الحوادث فى الأيام الناصرية غير الفتوحات والغزوات

لم نَقْدِمْ هذه الحوادث التى نذكرها الآن على الغزوات والفتوحات إلا أنها سابقة على ذلك فى التاريخ ، ولأننا أردنا أن نُفَرِّدَ غزواته وفتوحاته ليأتى الكلام عليها سياقة يتلو بعضه بعضاً ، ولا ينقطع بغيره ، فكان ممّا تذكره :

ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب

والد الملك الناصر إلى الديار المصرية

كان الملك الناصر قد كتب فى طلب والده ، رحمهما الله تعالى ، فوصل بأولاده وأهله إلى القاهرة فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة ؛ ولما وصل تلقاه الخليفة العاضد لدين الله بظاهر باب الفتوح عند شجرة الإهليلج^(١) ، ولم تجر بمثل ذلك عادة ، فكان يوماً مشهوداً . وخَلَعَ العاضدُ عليه ، ولقبه الملك الأفضل ، وحمل إليه من أنواع التحف والألطفات شيئاً كثيراً ؛ وأقطعه الإسكندرية ودمياط والبحيرة ، وأقطع ولده شمس الدولة ، أخا الناصر ، قوص وأسوان وعيذاب ، وكانت عبرتها يوم ذاك مائتى ألف وستة وستين ألف دينار^(٢) .

ذكر إبطال الأذان بحى على خير العمل

قال المؤرخ : ولعشر مضيّن من ذى الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر أن يسقط من الأذان قولهم « حى على

(١) صحراء الإهليلج : شرقى الخندق فى الرمل ، وكانت تنتهى إليها حمارة الحسينية من جهة باب الفتوح ، وكان بها شجر الإهليلج الهندى فعرفت بذلك ، وهو من جملة بستان ريدان الذى يعرف بالريدانية - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) انظر اتماظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٧ ، الروضتين ج ١ ص ٤٦٥ ، النوادر السلطانية ص ٣٤ - ٣٥ .

خير العمل ، محمد وعلى خير البشر » . وكانت أول وصية دخلت على الشيعة والدولة العبيدية ؛ ويشسوا بعدها من خير يصل إليهم من الملك الناصر . ثم أمر أن يذكر في الخطبة بكلام مجمل ، لئليس على الشيعة والعامة : اللهم أصلح العاضد لدينك ^(١) .

ذكر ما أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة ومصر من المدارس والخوانق

قال المؤرخ : وفي أول سنة ست وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر بهدم دار المعونة ^(٢) المجاورة للجامع العتيق بمصر . ودار المعونة هي المكان الذي يعتقل فيه الناس . وأمر بينائها مدرسة لطائفة الفقهاء الشافعية ، وتعرف هذه المدرسة بابن زين التجار ^(٣) . وإنما عرفت به لأنه درس بها .

ثم عمر دار الغزل المجاورة لباب الجامع المعروف بباب الزكوة مدرسة للطائفة المالكية ^(٤) ودرس فيها ابن أبي المنصور .

وفيها اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، ابن أخى صلاح الدين ، الدار المعروفة بمنازل العز ^(٥) بمصر ، وبناها مدرسة للطائفة الشافعية .

(١) اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) دار المعونة = حبس المعونة ، بالفسطاط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) مدرسة ابن زين التجار = المدرسة الناصرية = المدرسة الشريفة : وهي أول مدرسة أنشئت بالفسطاط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

وابن زين التجار هو أحمد بن مظفر بن الحسين ، أحد أعيان الشافعية ، توفي سنة

٥١٩ هـ / ١١٩٤ م - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) المدرسة الفمحية بالفسطاط : بجوار الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) -

المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٥) مدرسة منازل العز بالفسطاط : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ .

وكانت هذه الدار يسكنها الأمير ناصر الدولة بن حمدان فى الأيام
المستصرية ؛ وقد تقدّم ذكر ذلك .

ثم أمر الملك الناصر ببناء مدرسة الشافعى والبيمارستان ، وعمر
الخانقاه المعروفة بسعيد السعداء على ما يأتى ذكر ذلك .

وفى [هذه] ^(١) السنة أيضا أبطل الملك الناصر مجلس الدعوة من
الجامع الأزهر وغيره ، وكان [١١٠] من سنة الدولة العبيدية أن يقيموا
لهم دعاة كالخطباء والله أعلم .

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية

للقاضى صدر الدين بن درباس

وفى سنة ست وستين وخمسائة فى ثامن عشرى جمادى الآخرة
فوض السلطان الملك الناصر القضاء بالديار المصرية إلى القاضى صدر
الدين أبى القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماردانى ، فاستمر
إلى آخر الأيام الناصرية .

وفى سنة سبع وستين وخمسائة ، فى سابع المحرم قطعت خُطبة
العاضد لدين الله ، ومات فى يوم عاشوراء كما قدّمناه .

وفىها فى الثالث عشر من جمادى الأولى كُشِفَ حائلُ الخزائن
بالقصور ، فوجد فيها مايزيد على مائة صندوق ، ومن الذخائر النفيسة
ما لا مزيد عليه .

وفىها فى صفر أمر الملك الناصر بإبطال المكوس بالقاهرة
والأعمال عن التجار المنرددين إليها وإلى ساحل المقسم صادراً
ووارداً ، فكان مبلغ ذلك مائة ألف دينار عينا .

(١) [إضافة بقتضيتها السياق .

وفيهما رُسِمَ بتحويل سنة خمس وستين الخراجية إلى سنة سبع وستين الهلالية، وكانت قد حُوِّلَتْ في سنة خمسمائة في أيام الأفضل أمير الجيوش^(١).

ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب

كانت وفاته رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء السابع والعشرين^(٢) من ذى الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة. وذلك أنه ركب من داره، فلما انتهى إلى باب القصر في وسط المحجة شَبَّ به فرسه فسقط عنه، فحُمِلَ إلى منزله، فعاش ثمانية أيام ومات فُدِّنَ إلى جانب قبر أخيه أسد الدين في الدار السلطانية، ثم نُقِلَ إلى المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وقبراً في تربة الوزير جمال الدين الأصفهاني وزير الموصل رحمه الله.

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر ببيع الكتب التي بخزانة القصر^(٣)، فكانت أكثر من مائة ألف كتاب من سائر المصنفات، فأبيعت بأخس الأثمان.

ذكر عمارة قلعة الجبل والصور

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أيضاً أمر الملك الناصر بعمارة قلعة الجبل والصور الدائر على القاهرة ومصر، وجعل مبدأه من شاطئ

(١) انظر ما سبق عن تحويل السنة الخراجية إلى السنة الهلالية.

(٢) « ثامن عشر ذى الحجة » كنز الدرر ج ٧ ص ٥٠.

ويذكر أبو شامة أن نجم الدين وقع من عل فرسه في ١٨ ذى الحجة، وتوفي في ٢٧

منه - الروضتين ج ١ ص ٥٣٣.

(٣) عن خزنة الكتب التي كانت بالقصر انظر الروضتين ج ١ ص ٥٠٧، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٣.

النيل إلى شاطئه . فكان دَوْرُ السَّور على القاهرة ومصر والقلعة تسعة وعشرين ألف ذراع ، وثلاثمائة ذراع وذراعين . من ذلك ما بين قلعة المقسم والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ؛ ومن القلعة بالمقسم إلى حائط قلعة الجبل ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع واثنان وتسعون ذراعا ؛ ومن حائط قلعة الجبل إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع . ودائرُ قلعة الجبل ثلاثة آلاف ومائتا ذراع وعشرة أذرع ، كل ذلك بالذراع الهاشمي . وتولَّى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وحفر في رأس الجبل بئراً يُتوصل إلى مائها المعين من دَرَج منحوتة من الجبل ؛ وتوفي الملك الناصر قبل أن تكمل عمارته^(١) .

وفيهما أمر ببناء المدرسة عند تربة الإمام الشافعي رحمه الله ، وتولاها الفقيه الزاهد نجم الدين الخيوشاني .

وأمر باتخاذ دارٍ في القصر ببيمارستاناً للمرضى ، ووقَّف على ذلك وفوقا . وهذا البيمارستان يُسمَّى في وقتنا هذا البيمارستان العتيق^(٢) .

وفيهما أسقط مكوس مَكَّة ، شَرَّفها الله تعالى ، المقررة على الحاج وعوض أميرها عن ذلك في كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحاً تُحمل إلى ساحل جدة ، وعيَّن لذلك ضياعاً بالديار المصرية وقرَّر أيضاً حَمْل غلابٍ إلى المجاورين بالحرمين الشريفين والفقراء ؛ فقال الشيخ أبو

(١) عن قلعة الجبل انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٠٣ ، وانظر أيضاً كبريز ويل : وصف قلعة الجبل (ترجمة جمال محرز) ، كازانوف : تاريخ ووصف قلعة الجبل ، ترجمة أحمد دراج .

... تميَّز له عن البيمارستان المنصوري - انظر الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ١٥٥ - ١٥٦ .

وعن بيمارستان صلاح الدين انظر المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٥ .

الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي^(١) في ذلك من قصيدة يمدح بها الملك الناصر :

رفعت مكارم مكسر الحجاز	بأنعامك السائب الفاسر
وأمنت أكناف تلك البلاد	فهان السيل على العابر
وسمت أياديك فيأضة	على وارب وعلى صابر
فكم لك بالشرق من حامد	وكم لك بالغرب من شاكِر

ذكر قتل جماعة من المصريين

وفى سنة تسع وستين وخمسائة أيضا ، فى ثانى شهر رمضان صلب جماعة ممن أراد الوثوب بمصر من أصحاب الخلفاء العبيديين . وسبب ذلك أن جماعة من شيعتهم ، منهم عمارة اليمنى الشاعر ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضى الأعز سلامة المعروف بالعوريس^(٢) ، والقاضى ضياء الدين نصر بن عبد الله بن كامل ، وداعى الدعاة ، وغيرهم من جنود العبيديين ورجال السودان وحاشية القصر ومن وافقهم من الأمراء الصلاحية والجند — اتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من جزيرة صقلية ومن سواحل الشام إلى الديار المصرية على شىء بذلوه لهم من المال والبلاد ، وقرروا أن الملك الناصر إذا خرج إليهم بنفسه نار هؤلاء بالقاهرة ومصر وأعادوا الدولة العبيدية ، العلوية يزعمهم ، ويعود من معه من العساكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام بالبلاد . وإن أقام هو وأرسل العساكر إليهم ناروا به فأخذوه باليد . وقال لهم عمارة : وأنا فقد أبعدت أخاه إلى اليمن خوفا أن يسد مسده ، وتجتمع الكلمة عليه بعده . وأرسلوا إلى الفرنج وتقررت هذه القاعدة بينهم .

(١) توفى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م — انظر مقدمة رحلة ابن جبير ص ٥ وما بعدها .

(٢) العوريس ، فى الكامل ج ١١ ص ٣٩٨ .

قال : وكان ممن أدخلوه معهم في هذا الأثر زين الدين علي^(١) بن نجا الواعظ ، وهو القاضي ابن نجية ، ثم اختلفوا في وزارة الخليفة ؛ فقال بنو رزيك : يكون الوزير منا . والقاضي ؛ وقال بنو شاور : بل يكون الوزير منا فحضر ابن نجا إلى الملك الناصر وأعلمه بصورة الحال ، فأمره بمباطنتهم وموافقتهم ، ومطالعتهم بأحوالهم . ففعل ذلك .

ثم وصل رسول من ملك الفرنج إلى الملك الناصر بهذابا ، وهو في الظاهر له وفي الباطن لهؤلاء ، فوضع الملك الناصر عليه من التصاري من داخله وباطنه ؛ فذكر له الحال على جليته ، فأعلم به الملك الناصر . فلما تحققت قبض على هؤلاء وصلبهم ، فكان من صلب عمارة اليمنى ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضي الأعز العوريس ، وغيرهم^(٢) .

وجاء عمارة إلى باب القاضي الفاضل لما مُسك ، فاحتجب عنه ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد احتجب

إن الخلاص من العجب^(٣)

ونودي في أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها إلى أقاصى الصعيد ، واحتاط الملك الناصر على من بالقصر من سلاله العاضد

(١) هو علي بن إبراهيم بن نجا ، الفقيه الحنبلي ، المعروف بابن نجية ، زين الدين أبو الحسن ، التوفي سنة ٥٩٩ هـ / ١١٦٣ م - شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٠ ، التيجان الزاهرة ج ٦ ص ١٨٣ .

(٢) عن صلب عمارة الشاعر اليمني وأصحابه انظر الروضتين ج ١ ص ٥٦٠ - ٥٧٧ . وعن هذه المؤامرة انظر السلوك ج ١ ص ٥٥ - ٥٧ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٨٧ ، الكامل ج ١١ ص ٣٩٨ - ٤٠١ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٥٩ .

(٣) هو العجب ؛ في الروضتين ، والكامل .

وأهله . وأما مَنْ كان قد وافقهم من أصحابه فلم يُحاطبهم في ذلك ولا أَوْهمهم أَنَّهُ عِلِمٌ بِهِ . وَبَلَغَ ذلك فرنج السَّاحِل فلم يتحركوا من أماكنهم ، وأما فرنج صقليةَ فإِنَّهم قصدوا نهر الإسكندريةَ على ما نذكره .
وفي سنة سبعين وخمسمائة ، في أوائلها ، خالف الكَنْز^(١) ، أمير العرب ، على الملك الناصر بصعيد مصر ، واجتمع معه جماعةٌ كبيرة من رعايا البلاد والعُربان والسُّودان وغيرهم ، وقَتَلَ أخا الأمير أبي الهيجاء السَّمين ، وكان قد توجَّه لإقطاعه بالصَّعيد . فَعَظُم قَتْلُهُ على أخيه ، وكان من أكابر الأمراء الناصرية ، فَسَارَ إلى قتال الكَنْز . وَنَدَبَ معه الملك الناصر جماعةً من الأمراء والعسكر ، فوصلوا إلى مدينة طُود ، وهى على مسافةٍ يومٍ من مدينة قوص إلى جهة الصَّعيد ، فامْتَنَعَ مَنْ بها عليهم ، فقاتلُوهم وظَفَرُوا بهم وقتلوا كثيرًا منهم ، وأخربوا البلد ، فهى إلى وقتنا هذا تُعرف بِطُود الخراب ، وغِيْطَانُها عامرة . ثُمَّ سار العسكر منها إلى الكَنْز ، فقاتلوه ، فَقُتِلَ هو وَمَنْ مَعَهُ من الأعراب ، وأبْنَتِ البلاد واستقرَّ أهلها^(٢) .

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة ظهر بالذِّيار المصرية فآر كثير جدًا . قال القاضي الفاضل عَبْدُ الرَّحِيمِ : حَدَّثَنِي مَنْ شَاهَدَ هذا الفَآرَ وهو يَرَحُلُ من بقعة إلى أخرى فيَغْطِي الأرض بِكَمالها حتى لا يَظْهَرُ منها شَيْءٌ أَلْبَنَةُ

(١) كنز الدولة : لقب منحه لأول مرة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله لحاكم النوبة في عهده أبو المكارم هبة الله بن محمد بن علي عندما قبض على الثائر أبي ركوّة وأرسله إلى الحاكم — انظر ما سبق — وكان آخر من لقب منهم بهذا اللقب كنز الدولة المعاصر لصلاح الدين ، والذي قتل سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م — البيان والإعراب ص ٥٠ .
وينو كنز أو الكنوز هم سلالة العرب بعد اختلاطهم بالنوبيين ولا زالت قبيلة الكنوز تعيش حتى اليوم جنوبي أسوان — انظر تاريخ دولة الكنوز الإسلامية .

(٢) انظر مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٦ وما بعدها ، الروشتين جـ ١ ص ٦٠٠ وما بعدها .

وأنه شاهده يمر بأماكن فلا يُلم بها ولا يخرج عليها والزروع بها محصورة ،
و يمر بأخرى فلا يلبث أن يفسد جميع ما فيها ولا يرتحل عنها وبها شيء من
الزروع ولا المقات بالجملة .

وفي سنة تسع وسبعين وخسمائة [١١٢] ظهر بأبوصير السدر^(١) من
أعمال الجيزة بيت أشاع الناس أنه بيت هرمس ، ففتح بحضور القاضي
نظام الدين بن الشهرزورى وأخرج منه أشياء ، من جملتها صور كباش
وضفادع بأزهر ، وقوارير دهنج ، وفلوس من فضة ونحاس ، وأصنام
نحاس وياقوت ، وغير ذلك من الذهب والفضة والتحف القديمة ووُجد
فيه خلق كثير من الأموات .

وفي سنة ثمانين وخسمائة في يوم الاثنين مستهل المحرم دُرس في
المدرسة الفاضلية^(٢) التي أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم بالقاهرة
بدرج ملوخيا ؛ ورُتب فيها لإقراء كتاب الله تعالى الشيخ الإمام العالم
الزكى أبو [محمد]^(٣) القاسم بن فيره الرعنى الشاطبى ؛ وفي التدريس
على مذهبه الشافعى ومالك الفقيه أبو القاسم عبد الرحيم بن سلامة
الإسكندرى ، رحمهما الله تعالى .

وحيث ذكرنا هذه النبذة من الحوادث التي اتفقت في خلال دولته ،
فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية .

(١) أبو صير السدر : من القرى القديمة ، التابعة لمركز الجيزة بمحافظة الجيزة - القاموس
الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٣ .

(٢) عن المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، انظر المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) [] إضافة لتصحيح الاسم .
وهو القاسم بن فيره ، أبو محمد الشاطبى ، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م - وفيات
الآعيان ج ٤ ص ٧١ رقم ٥٣٧ .

ذكر ما استولى عليه الملك الناصر من البلاد الإسلامية بنفسه وأتباعه

كان من البلاد التي خطب بها للملك الناصر صلاح الدين يوسف طرابلس الغرب وبعض بلاد إفريقية، منها مدينة قايس^(١).

وسبب ذلك أن شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر^(٢)، ابن أخى الملك الناصر، توجه في سنة ثمان وستين وخمسمائة في طائفة من الأتراك إلى جبال نفوسة^(٣)، واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بالبلاط، وهو من أعيان أمراء تلك الناحية، وكان خارجاً عن طاعة [ابن] ^(٤)عبد المؤمن، فاتفقا وكثر جمعهما، ونزلاً على طرابلس الغرب، فحاصراها مدةً وضيقاً على أهلها، ثم فتحها، فاستولى قراقوش عليها، وأسكن أهلها بقصرها. ثم ملك كثيراً من بلاد إفريقية إلا المهديّة وسفّاقس وقفصة وتونس وما والآها من القرى والمواقع. وكثر جمع قراقوش، فحكم على تلك البلاد، وجمع أموالاً عظيمة وجعلها بمدينة قايس، وقويت نفسه، وطمع أنه يستولى على جميع إفريقية لبعد ابن عبد المؤمن عنها واشتغاله بجهاد الفرنج. ثم جاء نورا به مملوك تقي الدين أيضاً، بطائفة من الترك فرّاد بهم قوة إلى قوته. ثم اجتمع الأتراك وعلى

(١) قايس: بكسر الباء الموحدة، مدينة بين طرابلس وسفّاقس، على ساحل البحر، غرب طرابلس الغرب - معجم البلدان.

(٢) هو عمر بن شاهنشاه بن أيوب، توفي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م - وفیات الأعيان ج ٣ ص ٤٥٦ رقم ٥٠١.

(٣) جبال نفوسة: بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة، جبال في المغرب بين مدينتي طرابلس والقيروان - معجم البلدان.

(٤) [إضافة للتوضيح - انظر ما يلى.

وهو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، الذى تولى زعامة الدولة الموحدية في الفترة من ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٨٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٥٤.

ابن إسحاق الملقب [المعروف بابن غانية]^(١) وملكوا بجاية في سنة ثمانين ، وانتقدوا إلى الملقب واستعانوا به ، لأنه من بيت الملكة والرياسة القديمة ، ولقبوه بأمير المسلمين ؛ وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها شرقاً وغرباً إلا تونس والمهدية فإن الموحدين حفظوها .

ولما حصل استيلاؤهم على بلاد أفريقية قُطعت خطبة أولاد عبد المؤمن وخطب للناصر لدين الله العباسي ؛ وقصدوا مدينة قفصة فسلموها في ستة اثنين وثمانين ؛ وأقام بها طائفة من الملتزمين والأتراك .

فلما اتصلت هذه الأخبار بالأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(٢) اختار من عسكره عشرين ألف فارس من الموحدين ، وسار بهم في صفر سنة ثلاث وثمانين ، فوصل إلى مدينة تونس . وأرسل ستة آلاف مع ابن أخيه فساروا إلى الملقب والأتراك بقفصة ، فهزمهم الملقب ومن معه في شهر ربيع الأول من السنة . فجاء يعقوب بن يوسف بمن معه في نصف شهر رجب منها ، والتفوا على مدينة قابس ، فانهزم الأتراك والملقب ، وقتل كثير منهم . وفتح يعقوب قابس ، وأخذ أموال قراقوش وأهله وحملهم على مراکش . وحصر مدينة قفصة ثلاثة أشهر وبها الترك ، فطلبوا الأمان لهم ولأهل البلد ، فأمنهم وسير الأتراك إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم .

هذا ما اتفق لهذه الطائفة ، وإن كانت هذه الفتوحات لا تختص كلها بالدولة الأيوبية ، إلا أنهم كانوا سبباً ، وهم الذين استولوا على البلاد كما ذكرنا فأوردناها في أخبارهم .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١١ ص ٥٠٧ .

وكان ملكهم بجاية بعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن وتولية ابنه يعقوب - انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ٤ .

(٢) ولى في الفترة من ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٥٤ .

[١١٣] ذكر استيلائه على اليمن

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة جهز الملك الناصر أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه^(١) إلى اليمن ، فسار في مستهل شهر رجب . وكان عمارة اليمنى الشاعر يذكر له البلاد ويحسنها له ويحثه على قصدها ، ويعظم مملكتها . فسار ووصل إلى مكة شرفها الله تعالى ، ومنها إلى زبيد^(٢) وبها صاحبها عبد النبي المتغلب عليها^(٣) . فلما قرب منها ورأى أهلها انهزموا ، فوصل المصريون إلى سور زبيد فلم يجدوا عليه من يمانع عنه ، فنصبوا السلايليم وصعدوا عليها إلى السور فملكوا البلد غنوة ونهبوه ، وأسر المتغلب عليها عبد النبي وزوجته المدعوة بالخيرة . وكانت امرأة صالحة كثيرة الصدقة . وسلم شمس الدولة عبد النبي إلى سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ، وهو من أمرائه ، وأمره أن يستخرج منه الأموال ، فاستخرج منه شيئاً كثيراً وأظهر دفائن كانت له . ودلتهم الخيرة على ودائع لها كثيرة . ثم أصلح أمر زبيد وخطب بها للناصر لدين الله^(٤) .

ثم سار إلى ثغر عدن ، وهي فرضة^(٥) الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكش وفارس وغير ذلك ؛ وهي من جهة البر من أمنع البلاد

(١) توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م - وفیات الأعيان ج ١ ص ٣٠٦ رقم ١٢٧ .

(٢) زبيد : يفتح أوله وكسر ثانيه - مدينة مشهورة باليمن في مواجهة ساحل باب المندب - معجم البلدان .

(٣) هو عبد النبي بن علي بن المهدي ، حكم زبيد في الفترة من ٥٥٨ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٢ - ١١٧٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٠٢ .

(٤) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، الخليفة العباسي في بغداد ، الذي ولي في الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٥) فرضة = طريق - القاموس .

وأُخْصِنَهَا . وصاحبها يومئذ رجل اسمه يَاسِر ^(١) ، فخرج إليه وقَاتَلَهُ ، فانهزم هو ومَنْ مَعَهُ ؛ فَسَبَقَهُ بَعْضُ عَسْكَرِ الدَّوْلَةِ فدخلوا البلد قبل أهله وملكوه ، وأَسِيرَ صاحبه . وَقَصَدَ الْعَسْكَرُ نَهْبَ الْبَلَدِ ، فَمَنَعَهُمْ شَمْسُ الدَّوْلَةِ ، وَقَالَ : مَا جِئْنَا لَنُخْرِبَ الْبِلَادَ ، وَإِنَّمَا جِئْنَا لَنَمْلِكَهَا وَنَعْمَرَهَا وَنَنْتَفِعَ بِهَا . ثُمَّ عَادَ إِلَى زَيْدٍ وَحَصَرَ مَا فِي الْجَبَلِ مِنَ الْحِصُونِ فَمَلَكَ قَلْعَةً تَعَزَّزَ وَاسْمُهَا الدَّمُولَةُ ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقَلَاعِ ، وَبِهَا تَكُونُ خَزَائِنُ صَاحِبِ الْيَمَنِ . وَمَلَكَ غَيْرَهَا مِنَ الْحِصُونِ وَالْمَعَاqِلِ ، وَاسْتَنَابَ بِغَيْرِ عَدَنَ عَزَّ الدِّينَ عَثْمَانَ الرَّنْجِيلِيَّ ، وَبَزِيدَ سَيْفِ الدِّينِ مَبَارِكَ بْنِ كَامِلِ بْنِ مَنقَذَ . وَجَعَلَ فِي كُلِّ حِصْنٍ نَائِبًا مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَأَحْسَنَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَهْلِ الْبِلَادِ ؛ وَعَادَتْ زَبِيدُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِمَارَةِ وَالْأَمْنِ . ثُمَّ عَادَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْيَمَنِ ، وَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ذِكْرُ مَلِكِهِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ

قَالَ الْمَوْزُوحُ : لَمَّا تَوَفَّى الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورَ الدِّينِ الشَّهِيدَ مُحَمَّدَ ^(٢) ابْنَ زَنْكِي رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ ^(٣) فِي أَخْبَارِهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ أَقْرَبَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْخُطْبَةَ بِاسْمِهِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَخْطُبْ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ اتَّفَقَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ثِقَلَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ ، وَلَمْ يُسْتَأْذَنَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذَلِكَ وَلَا كُتِبَ لَهُ فِيهِ ؛ فَسَارَ

(١) فِي عَهْدِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ ، الَّذِي حَكَّمَ عَدَنَ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ٥٦٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٤ - ١١٧٣ م ، وَكَانَ صَبِيًّا ، فَتَحَكَّمَ فِي الْبَلَدِ الْوَزِيرُ يَاسِرُ بْنُ بِلَالٍ - تَارِيخُ الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٢٠٤ .

(٢) عَنْ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ وَتَرْجُمَتِهِ أَنْطَرُ الرُّوسْتِينِي ج ١ ص ٥٧٧ - ٥٨٥ .

(٣) لَمْ يَذْكَرِ النُّوَيْرِيُّ فِيمَا سَبَقَ وَفَاةَ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ وَلَا أَخْبَارَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَنْفُلُ حَرْفِيًّا عَنْ غَيْرِهِ .

[الملك الناصر]^(١) من الديار المصرية إلى الشام في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة ، ووَصَلَ إلى دمشق في يوم الاثنين سلخ الشهر - وقال ابن شدَّاد في سلخ شهر ربيع الآخر^(٢) - وتسلم دمشق من الأمير شمس الدين بن المقدَّم ونزل بدار العقيقي ، وكانت سكن أبيه ، وأحسن إلى الأمراء وأكرمهم ، وأظهر أنه إنما حضر إلى الشام نصرةً للملك الصالح ، وليُعيد عليه ما أخذه ابن عمه سيف الدين غازي من بلاده . وأقر خطبته ولم يقطعها ولا خطب لنفسه .

ذكر ملكه مدينة حمص وحماته

قال المؤرخ : ولما ملك دمشق استخلف بها أخاه سيف الإسلام^(٣) طغر تكين بن أيوب ، وتوجَّه إلى مدينة حمص في مستهل جمادى الأولى ، فنازلها ، فملك المدينة ولم يشتغل بالقلعة ؛ وترك بالمدينة من يحفظها ويمنع من [في]^(٤) القلعة من التصرف .

وسار منها فوصل إلى مدينة حماة في مستهل جمادى الآخرة ؛ وكان بقلعتها الأمير عز الدين جرديك ، وهو من المماليك التورية ، فامتنع من تسليمها . فأرسل إليه يعرفه ما هو عليه من الطاعة للملك الصالح ، فاستحلفه جرديك على ذلك ، وخرج إليه ، وترك أخاه بالقلعة ليحفظها . وتوجَّه عز الدين جرديك إلى حلب ليكون سفيراً [١١٤] بين الملك الناصر وبين كُشتكين فا عتقل بحلب فلما بلغ أخاه ذلك سلم القلعة إلى الملك الناصر فملكها .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) انظر التوادر السلطانية ص ٥٠ . وانظر الروضتين ج ١ ص ٦٠٢ وما بعدها .

(٣) هو سيف الدين غازي بن مودود الذي ولي حكم الموصل في الفترة من ٥٦٥ - ٥٧٦ هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٦ .

(٤) « سيف الدين » في الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠ ، ٢٢ .

(٥) [إضافة تنص مع السياق ، ومع ما ورد في مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٢ .

ذكر حصره حلب وعوده عنها وملكه قلعة حمص وبعلمك

قال : ولما بلغ الملك الناصر خبر عز الدين جرّديك والقبض عليه ،
توجّه إلى حلب وحصرها في جمادى الآخرة من السنة ، فقاتله أهلها ،
وركب الملك الصالح وهو صبي وعمره اثنتا عشرة سنة وجمع أهل
حلب ، وذكرهم بإحسان والده إليهم ، واستنصر بهم في دفع صلاح
الدين ، فبكروا وحلفوا له على بذل النفوس والأموال ، وقاتلوا أشدّ
قتال . وأرسل سعد الدين كُمشتكين إلى سنان ، مقدّم الإسماعيلية ، مالا
كثيرا على قتل الملك الناصر ؛ فسير إليه جماعة ، فظفر صلاح الدين
بهم وقتلهم . ورحل عن حلب في مستهل شهر رجب من السنة .

وكان سبب رحيله أن كُمشتكين أرسل إلى القومض
ريغند^(١) الصنجيلي ، صاحب طرابلس ، أن يجهز إلى بلاد صلاح الدين
من الفرنج من يمنعه من الوصول إليها . فلما بلغه ذلك فارق حلب وعاد
إلى حماة في ثامن الشهر . بعد نزول الفرنج على حمص بيوم . فلما
سمع الفرنج بقرّبه رحلوا عن حمص ، ووصل صلاح الدين إلى
حمص ، ومكّ القلعة بعد حصار . وكان ملكه لها في الحادي والعشرين
من شعبان من السنة .

ثم سار منها إلى بعلمك ، وكان بها يمن الخادم متوليها من أيام نور
الدين ، فحصرها الملك الناصر ، فطلب يمن الأمان ، فأمنه وتسلم القلعة
في رابع شهر رمضان .

(١) هو ريغند الثالث أمير طرابلس الصليبي - الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٤٤ ،
الكامل ج ١١ ص ٤١٩ ، الروضتين ج ١ ص ٦١١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص

ذكر انهزام عسكر سيف الدين غازي من الملك الناصر وحصره حلب ثانيا

قال المؤرخ ، كان الملك الصالح كتب إلى عمه سيف الدين غازي يستجده على قتال صلاح الدين ودفعه فجهز العسكر ضربة أخيه عز الدين مسعود ، وتأخر هو لما وقع بينه وبين أخيه عماد الدين من الاختلاف الذي قدمناه في أخبار الدولة الأتابكية ^(١) فسارت العساكر السبئية ، واجتمع معها العسكر الحلبي ، وساروا كلهم لقتال الملك الناصر فأرسل إلى سيف الدين يئذل له تسليح حصص وحماة وأن يُقر بيده مدينة دمشق نهاية عن الملك الصالح ؛ فلم يجب إلى ذلك وقال : لأبذ من تسليم جميع ما أخذه من بلاد الشام ويعود إلى مصر .

فلما امتنع سيف الدين من إجابته تجهز عند ذلك للقاء عز الدين مسعود ومن معه وقتالهم ، فالتقوا في تاسع عشر شهر رمضان بقرون حماة ^(٢) ، فلم تثبت عساكر سيف الدين وانهزموا لا يملأون بعضهم على بعض ، وتبعهم الملك الناصر وغنم مئسكهم ، ووصل إلى حلب وحاصرها ، وقطع خطبة الملك الصالح ، وأزال اسمه .

فلما طال الحصار على من بحلب راسلوه في الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ؛ فأجابهم إلى ذلك ، وانتظم الصلح . فرحل عن حلب في العشر الأول من شوال ووصل إلى حماة ، ووصلت إليه بها رسل الحليفة المستضيء بنور الله ، ومعهم الخنق والأعلام السود وتوقيع من الديوان العزيز بالسلطنة ببلاد مصر والشام .

(١) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ١٧٠ .

(٢) قرون حماة : منطقة جبلية تشرف على مدينة حماة ، وتتكون من قمتين متقابلتين -

وفيهما ملك قلعة بعرين^(١) في العشر الأول من شوال من صاحبها
فخر الدين مسعود بن الزعفراني ، وكان من أكابر الأمراء النورية ،
فجاء إلى خدمة الملك الناصر ، وظن أنه يكرمه ويقربه ، فلم ير من ذلك
شيئا ، ففارقه وعاد إلى قلعة . فلما استقر الصلح بين المليكين الناصر
والصالح نازل [الناصر]^(٢) بعرين ونصب عليها المجانيق وملكها .

ذكر الحرب بين الملك الناصر وسيف الدين غازي

وانهزام غازي

قد قدمنا انهزام عز الدين مسعود بالعسكر السيفي من الملك الناصر
في سنة سبعين وخمسائة . فلما كان في سنة إحدى وسبعين جمع سيف
الدين غازي جميع عساكره وفرق فيهم الأموال ، واستنجد بصاحب
حصن كيفا^(٣) وصاحب ماريدين^(٤) وغيرهما ، وسار إلى حلب ،
واستصحب سعد الدين كمشكين مدبر دولة الملك الصالح والعسكر
الحلبى .

وكان صلاح الدين في قلعة من المسكر لأنه جهز أكثر عساكره إلى
الديار المصرية فلما بلغه ذلك [١١٥] أرسل يستدعى عساكره ، فلم
تلحقه ؛ وأعجلته الحركة ، فسار من دمشق إلى حلب للقاء غازي ومن
معه ، فالتقى العسكران بتل السلطان بالقرب من حلب . في عاشر
سوال من السنة .

(١) بعرين = بارين : مدينة وقلعة بين حماة وحلب — معجم البلدان .

(٢) [] إضافة للتوضيح .

(٣) حصن كيفا : بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر — معجم البلدان .

(٤) ماريدين : بكسر الراء والدال ، قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، تشرف على نصيبين — معجم البلدان .

وكان عز الدين زلفندار مقدّم العسكر الموصلى قليل المعرفة بالحروب ، فجعل أعلام صاحبه في هذه من الأرض لا يراها إلا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا أن سيف الدين غازى قد انهزم ، وانهزموا لا يملو الأخ على أخيه . ولم يقتل من العسكر على كثرته غير رجل واحد . وانهزم سيف الدولة إلى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب^(١) .

قال العماد الأصفهاني : إن سيف الدين غازى كان في عشرين ألف فارس ؛ وخطأه ابن الأثير الجزرى في ذلك وقال إن أخاه مجد الدين أبا السعادات المبارك كان يتولى كتابة الجيش ، وأنه وقف على جريدة العرّض فكانت ستة آلاف^(٢) .

وإن جمعنا بين قوليهما فنقول : إن الجريدة التى وقف عليها ابن الأثير كانت للجيش المختصّ بسيف الدين غازى خاصة ، والأذى نقله العماد الأصفهاني عن جميع ماصّجه من سائر الجيوش الحلبية والحصّية ، والماردينية ، والله أعلم .

ذكر ما ملكه الملك الناصر من بلاد الملك الصالح

بعد هذه الواقعة

قال المؤرخ : لما استولى الملك الناصر على أثقال العسكر الموصلّى وغنمها ، واتسع هو وعسكره بها ، سار إلى بزاعة^(٣) ، فحصرها وملكها^(٤) بعد قتال من يقاتلها ، وجعل بها من يحفظها . ثم

(١) الكامل ج ١١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٢٩ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) بزاعة : بلدة من أعمال حلب ، في وادي بطنان ، بين منبج وحلب - معجم البلدان .

(٤) وذلك في الثاني والعشرين من شوال - الروضتين ج ١ ص ٦٥٥ .

سار إلى مَنبج^(١) فحصرها في آخر شَوال ، وبها صاحبها قطب الدِّين يَنال بن حَسَّان المَنبِجِي ، وكان شديدَ العداوةِ للملك الناصر والتَّخْرِيس عليه ؛ فملك المدينة وحاصر القلعة وملكها عنوةً ، وأسر صاحبها يَنال ، ثم أطلقه ، فسارَ إلى الموصل ، فأقطعه سيف الدِّين غازي مدينة الرِّقَّة .

ثم سار إلى قلعة عَزَّاز^(٢) فنازلها في ثالث ذي القعدة ونصب عليها المجانيق ، ولازم الحصار ثمانية وثلاثين يوماً وتسلمها في حادى عشر ذي الحجة من السنة^(٣) .

ووثب عليه في مدَّة الحصار باطنى^(٤) فضربه بسكين في رأسه ، فردَّ عنه المِغْفَر^(٥) ، وضربه عدَّة ضربات وقعت في زيق كزاغنده^(٦) .

(١) مَنبج : بالفتح ثم السكون . بلد قديم ، بينها وبين حلب حوالى ٣٠ ميلاً - معجم البلدان .

(٢) عزاز = أعزاز : بليدة وقلعة شمالى حلب - معجم البلدان .

(٣) انظر الروضتين ج ١ ص ٦٥٥ وما بعدها ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢ وما بعدها ، الكامل ج ١١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) المقصود من إسماعيلية الشام المعروفين بالحشاشين أو الحشيشية - الروضتين ج ١ ص ٦٥٨ .

(٥) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة في الحرب لحماية الرأس - انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ هامش ٣ .
« فلولا المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله » - الكامل ج ١١ ص ٤٣٠ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ .

(٦) « طوق كزاغنده » في الروضتين ج ١ ص ٦٥٩ .

كزاغند = كزاغند : لفظ فارسي بمعنى المعطف القصير ، ويلبس فوق الزردية - مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ هامش ٥ .

ذكر حصره مدينة حلب والصلح عليها

قال : ثم رحل الملك الناصر عن أعزاز ونازل حلب في نصف ذي الحجة ، وحصرها إلى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وتردّدت الرسائل بينهم في الصلح ، فاستقرت القاعدة بين الملك الناصر وسيف الدين غازي والملك الصالح وصاحب ماردين وصاحب حصن كَيْفَا ، وتحالفوا أن يكونوا كلهم عوناً على الناكث منهم . فتم الصلح ، وأعاد الملك الناصر إليهم قلعة أعزاز ، ورجع عن حلب .

ذكر نهبه بلاد الإسماعيلية

قال : لما عاد الملك الناصر من حلب قصد بلاد الإسماعيلية في شهر المحرم سنة اثنتين وسبعين لقتالهم ، لأنهم أرادوا قتله ؛ فهب بلادهم وخرّبها ؛ ونازل قلعة مَصِيَّاف^(١) . فأرسل سناناً مقدّم الإسماعيلية إلى الأمير شهاب الدين الحارمي صاحب حماة ، وهو خال الملك الناصر ، يطلب منه الدخول بينها في الصلح والشفاعة ، وتهدّده بالقتل إن لم يفعل . ففعل ذلك ، وتم الصلح . وتوجّه الملك الناصر إلى دمشق ، ثم رحل منها إلى الديار المصرية لأربع خلّون من شهر ربيع الأول ، ووصل إلى القاهرة لأربع بقين منه .

ذكر عبوره الفرات وملكه الديار الجزيرية

وفي سنة ثمان وسبعين^(٢) وخمسمائة كان الملك الناصر يحاصر بيروت ، فأتته كتب مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على بن

(١) مصياف = مصياف = مصبات : حصن مشهور للإسماعيلية بساحل الشام قرب طرابلس - معجم البلدان .

(٢) « ثمانين وسبعين » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من مفرج الكروب جـ ٢ ص ١١٥ ، الكامل جـ ١١ ص ٤٨٢ .

تكن^(١) مُقَطَّع حُرَّان يطلبه إلى البلاد ويَعِدُه المساعدة . فسارَ وَعَبَّرَ
الفرات ، وكاتبَ ملوكَ الأطراف [١١٦] وَوَعَدَهُمْ ، وبَذَلَ لَهُمُ الْبُدُولَ
على نَصْرَتِهِ فَأَجَابَهُ نُوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ حَصْنِ كَيْفَا . فسارَ الْمَلِكُ
النَّاصِرُ إلى مَدِينَةِ الرُّهَا فَحَصَرَهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَدَاوَمَ الْحَصَارَ ، فَطَلَبَ
صَاحِبُهَا فَخْرَ الدِّينِ مَسْعُودَ الرَّعْفَرَانِي الْأَمَانِ ، فَأَتَتْهُ وَتَسَلَّمَ الْبَلَدَ ، وَصَارَ
صَاحِبُهَا فِي خِدْمَتِهِ ؛ وَتَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ . فَلَمَّا مَلَكَهَا سَلَّمَهَا لِمُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ
حُرَّانِ . ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ وَكَانَ بِهَا مُقَطَّعُ قُطْبُ الدِّينِ يَنَالُ بْنُ حَسَّانَ
الْمَنْبُجِي ، فَمَلَكَهَا ، وَسَارَ صَاحِبُهَا إِلَى عَزِ الدِّينِ أَتَاكُ . وَسَارَ إِلَى الْخَابُورِ
فَمَلَكَه . بَكَمَالِهِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَمَلَكَ الْمَدِينَةَ لَوَقْتِهِ ، وَحَصَرَ الْقَلْعَةَ
عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَمَلَكَهَا ؛ وَأَقْطَعَهَا لِلْأَمِيرِ أَبِي الْهَيْجَاءِ السَّمِينِ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ
الْأَمْرَاءِ ، وَسَارَ عَنْهَا ، وَمَعَهُ نُوْرُ الدِّينِ صَاحِبُ الْحَصْنِ ، فَحَاصِرُ الْمَوْصِلِ
فَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهَا بِشَيْءٍ لِحَصَانَتِهَا وَكَثْرَةِ مَنْ بِهَا .

ذَكَرَ مَلَكَهُ مَدِينَةَ سِنْجَارَ

قَالَ : ثُمَّ سَارَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى سِنْجَارَ ، فَسَيَّرَ مُجَاهِدُ
الدِّينِ قَايِمَازَ إِلَيْهَا نَجْدَةً مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَمَنَعَهُمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ الْوَصُولَ
إِلَيْهَا ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَأَخَذَ سِلَاحَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَسَارَ إِلَيْهَا وَنَازَلَهَا وَبِهَا شَرَفُ
الدِّينِ أَمِيرُ أَمِيرَانِ أَخُو عَزِ الدِّينِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، فَمَلَكَهَا بِأَمَانٍ بَعْدَ
حَصَارٍ عَظِيمٍ . وَسَارَ شَرَفُ الدِّينِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ .

وَاسْتَقَرَّ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ جَمِيعُ مَا مَلَكَهُ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ بِمَلِكِ سِنْجَارَ (٢)
وَاسْتَنْتَابَ بِهَا سَعْدَ الدِّينِ بْنِ مَعِينِ الدِّينِ أَنْزَرَ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ ،

(١) « على كوجك » في مفرج الكروب ج ٢ ص ١١٦ ، « على بن بككين » في الكامل
ج ١١ ص ٤٨٢ .

(٢) « فلما ملك سنجار صارت على الجميع كالسور » - الكامل ج ١١ ص ٤٨٨ .

وأحسنهم صورةً ومعنى . وعاد إلى نصيبين ، فلقية أهلها وشكروا إليه من أبى الهيجاء السمين فأنكر عليه وعزله .

وسار إلى حران فوصل إليها فى أوائل ذى القعدة ، فكانت عز الدين صاحب الموصل صاحب خلاط ، وهو شاه أرمن^(١) ، واستجده على حرب الملك الناصر . فلما بلغه اجتماعهما سار إلى بحرزم بالقرب من مايردين .

ذكر ملكه مدينة آمد وتسليمها إلى صاحب حصن كيفا

قال : ثم سار من هذه الجهة الى آمد فوصل إليها فى سابع عشر ذى الحجة^(٢) فنارز لها وحاصرها ، ونصب عليها المجانيق . وهى من أحصن البلاد ، يضرب المثل بحصاننها ، وكان صاحبها ابن نيسان فى غاية الشح يبخل ببذل المال ، فملأ أصحابه وتخاذلوا عنه . فأخرج نساء إلى القاضى الفاضل^(٣) وسأله أن يأخذ له الأمان ولأهله ، وأن يؤخر ثلاثة أيام حتى ينقل ماله بالبلد من الأموال والذخائر .

فأجابه الملك الناصر إلى ذلك ، وتسلم البلد فى العشر الأول من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وانقضت الأيام الثلاثة قبل فراغه من نقل أمواله ، فمئيع مما بقى . وتسلم الملك الناصر البلد بما فيه إلى نور الدين صاحب الحصن ، وكان فيه من الذخائر ما تزيد قيمته على ألف ألف دينار^(٤) .

(١) « شاهرمن » فى الأصل ، والتصحيح من النوادر السلطانية ص ٥٨ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٨ .

(٢) بحرزم : بلدة فى واد بين ماردين وديسر من أعمال الجزيرة - معجم البلدان .

(٣) « ثلاث بقين من ذى الحجة » فى مفرج الكروب ج ٢ ص ١٣٤ .

(٤) « الأفضل » فى الأصل ، وهو تحريف . والتصحيح من الكامل ج ١١ ص ٤٩٤ .

(٥) « ألف دينار » فى الأصل . والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٣٦ . الكامل ج ١١ ص ٤٩٤ .

ذكر ملكه تل خالد وعين تاب

قال : ثم سار الملك الناصر إلى تل خالد من أعمال حلب فحصرها ورمّاها بالمجانيق ، فطلب أهلها الأمان ، فأمنهم ، وتسلمها في المحرم أيضا .

وسار منها إلى عين تاب ، وبها ناصر الدين محمد [بن خممارتكين] ^(١) من أيام نور الدين الشهيد ، فحصرها ، فرأسله في طلب الأمان على أن يكون الحصن بيده ويكون في خدمته . فأجابهُ إلى ذلك وحلف له عليه ، فنزل إليه واتصل بخدمته ^(٢) .

ذكر ملكه حلب

قال : ثم سار من عين تاب إلى حلب في المحرم أيضا ونزل بالميدان [الأخضر] ^(٣) عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن ^(٤) ؛ فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد [أن] ^(٥) يبني مساكن لنفسه ولأصحابه وعساكره ، وأقام أياما والقتال بين العسكرين في كل يوم .

وكان صاحبها عماد الدين زنكي بن مؤدود بن زنكي مجتهدا في القتال ، فطالبه بعض الجند بأرزاقهم ، [١١٧] فاعتذر بقلّة المال عنده ؛ وكان قد شغّ بإخراجه ، فقال له مَنْ يريدُ جَفْظَ حَلَبِ يُخرج الأموال ولَوْباعِ حَلْيَ نسائه . فجنّح إلى تسليمها ، فرأسل الملك الناصر في طلب العوض عنها : سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج .

[١] إضافة للتوضيح من الروضتين ج ٢ ص ٤٢

[٢] « وكان أيضا في المحرم من هذه السنة » — الكامل ج ١١ ص ٤٩٥ .

[٣] إضافة للتوضيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤١ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ .

[٤] جبل جوشن : بطل على حلب من غربها — معجم البلدان .

[٥] إضافة تتفق والسياق .

فَسَلَّمَ^(١) مَثَلَ حَلَبِ وَأَعْمَالِهَا وَتَعَوَّضَ عَنْهَا قَرْىَ وَمِزَارِعَ ، وَجَرَتْ
الْأَيْمَانُ عَلَى ذَلِكَ . وَتَسَلَّمَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ثَامِنِ عَشَرَ صَفَرِ .

فَسَبَّ النَّاسُ عَمَادَ الدِّينِ زَنْكِي وَأَسْمَعُوهُ الْمَكْرُوهَ عَلَى فِعْلِهِ .
وَاسْتَفَرَّتْ الْحَالُ بَيْنَهُمَا أَنَّ عَمَادَ الدِّينِ يَحْضُرُ إِلَى خِدْمَةِ الْمَلِكِ
النَّاصِرِ مَتَى اسْتَدْعَاهُ بِنَفْسِهِ وَعَسْكَرِهِ وَلَا يَحْتَجُّ بِحُجَّةٍ .

قَالَ : وَلَمَّا تَسَلَّمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَلَبَ امْتَدَحَهُ الْقَاضِي مَحْيَى الدِّينِ
ابْنَ الزَّكِيِّ ، قَاضِي دِمَشْقَ ، بِقَصِيدَةٍ جَاءَ مِنْهَا :

وَفَتْحُكُمْ حَلَبًا بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ مَبْشَرُ بُفْتُوحِ الْقُدْسِ فِي رَجَبِ^(٢)
فَكَانَ كَذَلِكَ .

وَنَقَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ مِنْ نِيَاهِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ
إِلَى حَلَبَ ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ ، وَأَعْطَاهُ حَلَبَ وَقَلْعَتَهَا وَأَعْمَالَهَا
وَمَنْبِجَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ؛ وَسَيَّرَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

ذَكَرَ فَتْحَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَارِمَ

قَالَ : وَلَمَّا فَتَحَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَلَبَ كَانَ بِقَلْعَةِ حَارِمِ^(٣) سَرْخَكُ ،
وَهُوَ مِنَ الْمَمَالِكِ النُّورِيَّةِ ، فَامْتَنَعَ مِنْ تَسْلِيمِهَا ، فَرَأَسَلَهُ فِي ذَلِكَ وَخَيَّرَهُ
فِيمَا يُرِيدُ مِنَ الْقِتَالِ ، وَوَعَدَهُ الْإِحْسَانَ ؛ فَاسْتَشْطَ فِي الطَّلَبِ . فَتَرَدَّدَتْ
الرَّسَائِلُ بَيْنَهُمْ ، فَرَأَسَلَ سَرْخَكُ الْفَرَنْجَ لِيَحْتَمِيَ بِهِمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَنْ مَعَهُ
مِنَ الْأَجْنَادِ فَخَافُوا أَنْ يَسَلَّمَهَا لِلْفَرَنْجِ ، فَقَبِضُوا عَلَيْهِ وَاعْتَقَلُوهُ ،
وَرَأَسَلُوا الْمَلِكَ النَّاصِرَ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ ، فَأَجَابَهُمْ وَتَسَلَّمَ الْحِصْنَ وَرَتَّبَ

(١) « فَتَسَلَّمَ » فِي الْأَصْلِ ، وَالنَّصِيحُ يَتَّفِقُ مَعَ السَّهَابِ ، وَانْظُرِ الْكَامِلَ جَدِّ ١١ ص ٤٩٧ .

(٢) انْظُرِ الْكَامِلَ جَدِّ ١١ ص ٤٩٧ .

(٣) حَارِمُ : بِكسر الراء . حصن وكورة جليلة تجاه أنطاكية ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ - مَعْجَمِ
الْبُلْدَانِ .

فيه دُزْدَارًا من بعض خَوَاصِهِ^(١)، وأقام الملك الناصر بحلبَ إلى أن قرَّر قواعدها وأقطع أعمالها.

ذكر حصار الموصل

وفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حاصر الملك الناصر الموصل. وذلك أنه سار من دمشق في ذي القعدة سنة ثمانين لقصد حصارها فلما وصل إلى مدينة بلد^(٢) سِيرَ إليه عز الدين صاحب الموصل والدته وابنة عمه^(٣) الملك العادل نور الدين الشهيد وغيرهما من النساء في جماعة من أعيان الدولة يسألونه المصالحة، وبذلوا موافقته وإنجاده بالعساكر متى طلبها، ليعود عن قصد الموصل. وإنما أرسلهن ظناً منه أنه لو سِيرَ ابنة نور الدين إلى الملك الناصر في طلب الشام أعطاه لأنها ابنة مخدومه. فتلقاهن بالإكرام، وأحسن إليهن، واستشار أصحابه في ذلك، فكل أشار عليه بموافقتهن.

فقال له الفقيه عيسى الهكاري وعلى المشطوب: مثل الموصل لا تترك لا امرأة، وإن عز الدين ما أرسلهن إلا وقد عجز عن الحرب. فوافق ذلك هواه فردهن خائبات، واعتذر بأعذار غير مقبولة، وقصد الموصل وحاصرها، وكان بينهم مناشات فلم يتمكن منها، فندم حيث

(١) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٩٨ - ٤٩٩. مفرج الكروب ج ٢ ص ٦٢٦. شفاء العيوب ورقة ٢٨ ب، المختصر ج ٣ ص ٦٧.

(٢) بلد: من أعمال بغداد، على نهر دجلة - معجم البلدان.

(٣) «والده وابن عمه» في الأصل. والتصحيح يتفق مع السياق، من الكامل ج ١١ ص ٥١٢. وأورد ابن واصل هذا الخبر عند منازلة صلاح الدين للموصل للمرة الثالثة - مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١. وما أورده التويري يتفق مع ما ورد في الكامل.

لم يحبس النساء . ففي أثناء ذلك توفي شاه أرمن^(١) صاحب خلّاط ، فأشار عليه أصحابه بمُفارقة الموصل وقصد خلّاط ، ففارقها .

ذكر ملكه ميافارقين

قال : ولما سار الملك الناصر إلى خلّاط جعل طريقه ميافارقين^(٢) وكان صاحبها قطب الدين صاحب ماردين قد توفي^(٣) وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها إلى شاه أرمن وعسكره بها ؛ فتوفي شاه أرمن أيضا ، فطمع في أخذها ونازلها . فرآها مشحونة بالرجال ، وفيها زوجة قطب الدين المتوفى وبناته ، والمقدم على جيشها أسد الدين برتقش^(٤) ، وكان فيه شجاعة وشهامة . فحصرها الملك الناصر من أول جمادى الأولى ، ونصب عليها المجانيق والعرادات ؛ واشتد القتال فلم يظفر منها بشيء ؛ فرجع عن القوة إلى أعمال الحيلة . فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول إن أسد الدين قد مال إلينا في تسليم البلد ، ونحن نرعى حتى أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ، ونريد أن يكون لك نصيب ، وأنا أزوج بناتك بأولادى ، وتكون ميافارقين وغيرها لك وبحكمك ، [١١٨] ووضع من أرسل إلى أسد الدين يعرفه أن الخاتون قد مالت للانقياد إلى تسليمها ، وأن من بخلّاط قد كاتبوه ليسلموها إليه . فسقط في يده ، وضعت نفسه ، وأرسل إلى الملك الناصر يقترح إقطاعا ومالا ، فأجيب إلى ذلك . وسلم البلد في سلخ جمادى الأولى ، وعقد نكاح بعض أولاده على بعض البنات .

(١) « شاهر من » في الأصل . والتصحيح من الكامل جـ ١١ ص ٥١١ . ومفرج الكروب جـ ٢ ص ١٦٨ . وسيجرى تصحيحها في المواضع التالية .

(٢) ميافارقين : أهم مدن ديار بكر ، بإقليم الجزيرة — معجم البلدان

(٣) هو قطب الدين إيلغازى بن أبى . المتوفى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م . وخلفه ابن حسام الدين يولى أرسلان — تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٥٢ .

(٤) « يرتقش » في الكامل جـ ١١ ص ٥١٥ .

ذكر عوده إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين صاحبها

قال : ولما تسلم الملك الناصر ميافارقين وفرغ من أمرها وتدبير أحوالها ، عاد إلى الموصل لحصارها . فتردّت الرّسائل بينه وبين عزّ الدين صاحبها ، ووقع الاتفاق على أن يسلم للملك الناصر شهرزور وأعمالها ، وولاية القرابلي ، وجميع ما وراء الزّاب ، وأن يخطب له على منابر بلاده ، ويضرب السّكّة باسمه ؛ وتحالفا على ذلك . فتسلّم الملك الناصر البلاد ، وسكنت الدّهماء .

ورحل إلى حرّان فمرض بها وطال مرضه حتى أيس منه ؛ ثمّ عوفى . وعاد إلى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

قال : ولما كان الملك الناصر مريضاً بحرّان كان عنده ابن عمه ناصر الدين محمد [بن] شيركوه ، وله من الإقطاع حمص والرحبة ، فسار إلى حمص واجتاز بحلب ، وأحضر جماعة من أخذائها ، ووعدهم ، وأعطاهم مالا ؛ ثم وصل إلى حمص ورأسل جماعة من الدّماشقة على تسليم البلد إذا مات الملك الناصر . وأقام ينتظر موته ؛ فتوفى ناصر الدين ليلة عيد الأضحى سنة إحدى وثمانين ، وعوفى الملك الناصر .

[وكان الملك الناصر ^(١) لما بلغه ما اعتمده ناصر الدين بحلب ومُرسلته للدّماشقة ، وضع عليه الناصح بن العميد سقاء سُمّا فمات ، وطلب ابن العميد من القُد فلم يوجد ؛ وسار من ليلته إلى الملك الناصر ؛ فقويت الظّنة ^(٢) بذلك .

(١) [إضافة من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٤ .

(٢) [إضافة تتفق مع السياق . وانظر شفاء القلوب ورقة ١١ . الكامل ج ١١ ص ٥١٨ .

مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) انظر الكامل ج ١١ ص ٥١٨ .

ولَمَّا تُوْفِيَ أُعْطِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِقْطَاعَهُ لَوْلَدِهِ شِيرْكُوهُ ، وَعَمْرَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . وَخَلَّفَ نَاصِرُ الدِّينِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَيُْولِ وَالْآلَاتِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَحَضَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى حَمَصٍ وَعَرَضَ تَرْكَهُ ، وَأَخَذَ أَكْثَرَهَا ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْجِهَادِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ إِلَّا مَا لَخِيرَ فِيهِ .

وحضر شيركوه عند الملك الناصر [بعد موت أبيه بسنة]^(١) ، فأجلسه في حجره وسأله إلى أين انتهى من القرآن ، فقال إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾^(٢) ، فاضطرب الملك الناصر لذلك وظن أنه عرض بفعله ، وطلب مؤذبه ولوحه فوجده كذلك .

فعوضه عما أخذه من مال أبيه الضياع الخراب بالشام في ذلك الوقت ، وهو الذي يُعرف إلى زماننا هذا بالخراب الأسدي : وورثته إلى هذا التاريخ يبيعون خراب الشام والسواد والبلقاء وغير ذلك . واستولوا من الخراب على ما ليس في كتابهم ، وأباعوا مالا هو لهم ، فإنه قيل إن الذي اشتمل عليه كتاب المبيعة أربعمائة ضيعة ، وهي التي كانت قد استولى عليها الخراب في ذلك الوقت ، فأباع ورثته جميع ما خرب بعد ذلك مما لم يتضمنه كتابهم وأعانهم على ذلك أنهم يبيعونه لأرباب الجاهات بأحسن الأثمان . وأعرف بهذا يسمى رمدان من بلاد البلقاء بالقرب من الرقيم والجادية وسنجاب^(٣) اشتراها الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري^(٤) لما كان ينوب عن السلطنة بالشام .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١١ ص ٥١٨ .

(٢) سورة النساء رقم ٤ آية رقم ١٠ .

(٣) قرى في منطقة البلقاء بالقرب من عمان شرقي نهر الأردن - معجم البلدان .

(٤) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين ، ولي سلطنة المماليك في الفترة من ٦٩٦ -

٦٩٨ هـ / ١٢٩٧ - ١٢٩٩ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٢ .

من الورثة الأسدية بسبعمئة درهم ؛ فلما مات وانتقل بعض ميراثه إلى السلطان الملك الناصر^(١) بالولاء الشرعى . وكنت أباشر ديوانه بالشام ، حصلت من مغل هذه البلدة فى سنة إحدى وسبعمئة ما أبيع بنيف وعشرين ألف درهم . فانظر إلى هذا التفاوت العظيم .

ذكر غزوات الملك الناصر وما افتتحه

من بلاد الفرنج

وقد رأيت أن أفرد غزوات الملك الناصر وفتوحاته ونكباته فى الفرنج ، ولا أضمت ذلك إلى غيره من أخباره ، لأن فيه ما يدل على قوة الإسلام ، وأن الله تعالى لم يزل يؤيد هذا الدين من عبادته بمن يناضل عنه ، ويحمي حوزته ، ويذب عن أهله ، ويستأصل شأفة عدوهم . ونذكر ذلك على الترتيب .

فكان أول ذلك وصول الفرنج إلى نغر دمياط ورجوعهم عنه .

كان وصول الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، إلى نغر دمياط فى صفر سنة خمس وستين وخمسمئة ، [١١٩] فحاصروا النغر . وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه لما ولي الوزارة للخليفة العاضد لدين الله خافه فرنج الساحل ، فكاتبوا أهل صقلية والأندلس من الفرنج يستمئذونهم ويخبرونهم أن أسد الدين قد ملك الديار المصرية . وأنهم لا يأمنونه على البيت المقدس . فأمدهم بالمال والرجال والسلاح ، فنازلوا دمياط وضيّقوا على أهلها . فأرسل الملك الناصر إليهم العساكر براً وبحراً ، وكتب إلى الملك العادل نور الدين الشهيد بذلك ، ويعرفه

(١) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولي عرش السلطنة المملوكية ثلاث مرات ، وتوفى سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٢ .

(٢) « ويعرفه إلا أنه لا يمكنه » فى الأصل . والتصحيح يتفق والسياق . وانظر الكامل ج ١١ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

أنه لا يمكنه الخروج من القاهرة لأنه لا يأمن أمر الشيعة وأنهم يثرون بعده ، فيبقى الفرنج أمامه والمصريون خلفه . فأمدّه نور الدين بمسك ، وخرج نور الدين بنفسه إلى بلاد الفرنج للإغارة عليها ؛ فاستباح أموالها لخلو البلاد الساحلية منهم فلما بلغهم ذلك رجعوا إلى بلادهم بساحل الشام بعد مقامهم على دمياط نيفا وخمسين يوما ، ولم يظفروا منها بشيء . وأخرج العاضد للملك الناصر في هذه الغزاة ألف ألف دينار مصرية ، سوى الثياب والأسلحة .

ذكر غزوه بلاد الفرنج وفتح أيلة

وفي سنة ست وستين وخمسمائة سار الملك الناصر عن القاهرة وأغار على أعمال عسقلان والرملة ، وهجم على ربض غزة فنهبه . وأتاه ملك الفرنج^(١) في قلعة من العسكر ليرده ، فهزمه الملك الناصر بعد أن أشرف على أسره ، وعاد إلى القاهرة ، وعمل مراكب مفصلة ونقلها على الجمال إلى البحر ، فجمع قطعها وشذها ، وألقاها في الماء . وحصر أيلة برأ وبحرا ، وفتحها في العشر الأول من شهر ربيع الآخر ، واستباح أهلها وما فيها ؛ وعاد إلى الديار المصرية^(٢) .

ذكر محاصرة الشوبك وعوده عنها

قال المؤرخ : وفي صفر سنة سبع^(٣) وستين توجه الملك الناصر إلى حصن الشوبك ونازله ، وحصره ، وضيق على من به من الفرنج . ودام القتال ، فطلب أهله الأمان ، واستمهلوه إلى عشرة أيام فأجابهم

(١) المقصود هو الملك عموري الأول (أميرك الأول) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية .

(٢) انظر الكامل جـ ١١ ص ٣٦٥ .

(٣) « ست » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث ، ويتفق مع ما ورد في الروضتين جـ ١ ،

ص ٥١٨ ، الكامل جـ ١١ ص ٣٧١ .

إلى ذلك . ثم بلغه أن الملك العادل نور الدين جاء من دمشق إلى الشوبك من الجانب الآخر . فخاف أن نور الدين متى ملك الشوبك قبض عليه ، فعاد إلى الديار المصرية ، وكتب إلى نور الدين يعتذر بمرض أبيه بمصر ، فقبل عذره ظاهراً . ووقعت الوحشة بينهما باطناً

ذكر وصول [أسطول] صقلية إلى ثغر الإسكندرية وانهزامه

كانت هذه الحادثة في سنة سبعين وخمسمائة ، ولم يكن للملك الناصر بها غزاة بنفسه ولا مباشرة للحرب . وكان سبب وصول هذا الأسطول إلى الثغر ما قدمناه من مكاتبة المصريين الذين صلبهم صلاح الدين الفرنج . فوصل من صقلية مائتا شينى تحمل الرجال ، وست وثلاثون طريدة^(١) تحمل الخيل ، وست مراكب تحمل آلة الحرب ، وأربعون مركباً تحمل الأزواد . وفي المراكب من الرجال : خمسون ألفاً ومن الفرسان ألف فارس وخمسمائة فارس . وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية . فوصلوا إلى الثغر في السادس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة ، فخرج إليهم أهل الثغر بعددهم وأسلحتهم ، فمنعهم المتولى عليهم ، وأمرهم أن يقاتلوا من وراء السور . وطلع الفرنج إلى البر ونصبوا الدبابات^(٢) وقاربوا السور ؛ وقاتلهم أهل البلد قتالاً شديداً . وجاء إلى الإسكندرية من كان إقطاعه بالقرب منها .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١١ ص ٤١٢ .

(٢) طريدة : سفينة حربية مخصصة لحمل الخيول — معجم السفن الإسلامية .

(٣) الدبابات : أبراج متحركة تستخدم في مهاجمة الأسوار والحصون — السلوك ج ١ ص ٥٦

هامش ١ . وانظر مفرج الكروبي ج ٢ ص ١٤ .

وكتب إلى الملك الناصر بذلك : فتجهز بنفسه : وقدم من يعلم أهل الثغر بوصوله ، وكان أهل الثغر قد أنكروا في الفرنج ، وقتلوا وجرحوا كثيراً منهم ، وحرقوا الدبابات .

ولما علم الفرنج بمقدم الملك الناصر جنحوا إلى الهرب ، وأخذتهم سيوف أهل الثغر ، وحرقوا بعض مراكبهم ، ونهبوا خيانتهم ، وأخذوا سلاحهم ؛ وكثر القتل فيهم ، وهرب من بقي ؛ واحتسب ثلاثمائة من الفرسان على تل ، فقاتلهم المسلمون طوال الليل إلى ضحى الغد ، فأخذوا بين أسير وقتيل .

[١٢٠] ذكر مسيره إلى عسقلان وغيرها

وانهزام عسكره وعوده

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة خرج الملك الناصر إلى غزة وعسقلان .

وكان رحيله من القاهرة بعد صلاة الجمعة لثلاث ليال خلون من جمادى الأولى من السنة ، فوصل إلى عسقلان في يوم الأربعاء لليلة بقيت من الشهر ، فسبى وسلب ، وضرب أعناق الأسرى ؛ وتفرق عسكره للإغارة على الأعمال .

ثم سار إلى الرملة في يوم الجمعة مستهلاً جمادى الآخرة ، فاعترضه الفرنج وقد جمعوا جمعاً كثيراً ؛ فكان بينهما وقعة عظيمة استشهد فيها أحمد ولد الملك المظفر تقي الدين [عمر]^(١) ، وأسير ولده الثاني شاهنشاه ، وأقام في الأسر سبع سنين حتى أفتكه السلطان بمال كثير . وأسير الفقيه عيسى الهكاري .

(١) [إضافة للتوضيح .

ثم كانت على المسلمين . وذلك أَنَّ العساكر كانت قد تعيَّت للحَرْب ، فلما قاربهم العدوَّ أراد بعضُ الأمراء أن ينقل الميمنة إلى الميسرة والميسرة إلى القلب ، فلما اشتغلوا بهذه التَّعبئة هجمَ عليهم الفرنج ، فانكسروا وطلبوا الدِّيار المصرية ، وضلُّوا في الطَّرِيق . وعاد السُّلطان ومَنْ معه إلى القاهرة في يوم الخميس منتصف الشهر ^(١) .

ذكر وقعة مرج عيون وانهزام الفرنج

وأسر ملوكهم

كانت هذه الوقعة في يوم الأحد لثمانٍ خلَوْنَ من شهر المحرم سنة خمسٍ وسبعين وخمسمائة ؛ وكان الفرنج في عشرة آلاف مقاتل . فلما التقوا مع المسلمين انهزم ملكُهم ^(٢) مجروحاً عند اللقاء وأُسِرَ منهم جماعة ، منهم : مقدَّم الدَّاوية ^(٣) . ومقدَّم الأسيَّارية ، وصاحب طبرية ، وأخو صاحب جبيل ^(٤) ، وابن القومصية ^(٥) ، وابن بارزان ^(٦) صاحب الرَّملة ، وصاحب جينين ، وقسطلان ياقا ، وابن صاحب مرقية وعدَّة من خيالة القدس وعكَّا . وغيرهم من المقدَّمين الأكابر زادت عدَّتُهم على مائتين وسبعين ، سوى غيرهم ، فنقلهم السُّلطان إلى دمشق .

فأما ابنُ بارزان فإنه بذلَّ في نفسه مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار صوريَّة ، وإطلاق ألف أسير من المسلمين ، والتَّزَمَ بعكَّاك الفقيه عيسى الهكَّاري . وأما ابنُ القومصية فافتكَّته أمُّه بخمسة وخمسين ألف

(١) نظر الكابل جـ ١١ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ . مفرج الكروب جـ ٢ ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) هو بلدوين الرابع ملك مملكة بيت المقدس الصليبية - الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٦٠ .

(٣) هو أودو سانت أماند - تاريخ الحروب الصليبية - ٢ ص ٦٧٨ .

(٤) « وأخوه صاحب جبيل » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٧٦ . الكامل جـ ١١ ص ٤٥٥ .

(٥) المقصود هو ابن كوتيسة طرابلس - تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٧٨ .

(٦) هو بلدوين إبلين .

دينارٍ صُوريّة . وأما مقدّم الداويّة فإنه هلك ، فطلبت جُثته بإطلاق ألف أسير من مقدّمى المسلمين (١) .

قال : وفى هذا اليوم ظفّر الأسطول المصرى ببطشنة (٢) كبيرة للفرنج ، فاستولى عليها وعلى أخرى ، وعاد إلى النغر بألف أسير . واقه أعلم .

ذكر هدم بيت الأحزان

كان الفرنج قد عمروا حصن بيت الأحزان فى مدّة مقام الملك الناصر على بهلك واشتغاله بأمرها ؛ فبنوه على مخاضة بيت الأحزان ، وبينه وبين صفد وطبرية نصف يوم .

وكان فى بنائه ضررٌ عظيمٌ على المسلمين ، فبذل لهم الملك الناصر فى هدمه مائة ألف دينار ، فأبوا ذلك . فجهز إليه الجيش ، فوصل إلى المخاضة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين ، والحصن مبنى دونهما من الغرب . فنصبوا عليه المجانيق بعد العصر من يوم الأحد ، فما جاء الليل إلا وقد استولوا على الباشورة (٣) . ثم أدارحوه الثقوب ، فاستمرت إلى يوم الخميس ، ليست بقيت من الشهر ، فهديم الجدار ، ودخل العسكر الحصن وغنموا ما فيه ؛ فكان ما غنموا من أنواع السلاح الجديدة مائة ألف قطعة ؛ وأسرروا سبعمائة أسير ، ومن أسرى المسلمين مائة . ثم هديم الحصن إلى الأساس ، وكان سمكه عشرة أذرع (٤) .

(١) انظر مضمار الحقائق ص ١٦ - ١٨ ، وانظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٦٧٦ -

٦٧٩ ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٠٤ - ٨٠٥ .

(٢) بطشة = بطشنة : مركب حربية كبيرة - معجم السفن الإسلامية .

(٣) الباشورة : الحائط الخارجى للحصن - مفرج الكروب ج ٢ ص ٨١ هامش ١ .

(٤) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٨٠ - ٨٦ ، الكامل ج ١١ ص ٤٥٥ - ٤٥٨ ، مضمار

الحقائق ص ٢٤ - ٢٦ .

قال : ولما عمر الفرنج بيت الأحران قال النشو أحمد التمشقي :
 هلاك الفرنج أتى عاجلا
 وقد آن تكسير صلبانها
 ولولم يكن قد دنا حنقها
 لما عمّرت بيت أحرانها^(١)

ذكر مسير الملك الناصر إلى بلاد الأرمن

[١٢١] [وفى سنة ست وسبعين وخمسمائة ، توجه الملك الناصر إلى بلاد الأرمن . وذلك أن ابن لاوون^(٢) ملك الأرمن كان قد استمال قوماً من التركمان ، فلما أتوه وهم آمنون أسرهم . فدخل الملك الناصر إلى بلاده واستولى على قلعة تعرف بالمانقير^(٣) ، وهدمها إلى الأساس ، وأخذ ما فيها من الآلات . ووجد المسلمون في أرضها صهريجاً مملوئاً من الآلات الذهب والفضة والنحاس . فبذل ابن لاوون جملة من المال ، وأنه يطلق الأسرى ، ويشتري خمسمائة أسير من بلاد الفرنج ويطلقهم . فأجابه السلطان إلى ذلك ، وأخذ رهينة عليه . ثم عاد إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة^(٤) .

ذكر مسيره إلى الشام والإغارة على طبرية وبيسان

وما كان من الظفر بمراكب الفرنج ببحر عيذاب

وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة توجه السلطان الملك الناصر لقصد الشام عند وفاة الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين . فأغار

(١) الكامل ج ١١ ص ٤٥٧ .

(٢) هو روبرت الثالث - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٧٧٨ .

(٣) « المانقير » في مفرج الكروب ج ٢ ص ٩٩ .

(٤) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٦٦ . مفرج الكروب ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩ . النواذر السلطانية ص ٥٤ .

على طبرية وبيسان في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول ، فانتصر بعد قتال .

وفيهما كان الظفر بالفرنجة ببحر عيذاب^(١) . وذلك أن البرنس صاحب الكرك^(٢) عمل أسطولاً بالكرك ، ونقل قطعته إلى بحر أيلة ، وجمعها وألقاها في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، فساروا في البحر واقتربوا فرقتين : فرقة حصلت أيلة ، وفرقة توجهت إلى عيذاب . وأفسدوا السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوه من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار . وجاءوا على حين غفلة ، فرأى الناس ما لم يمهّدوه ، فإن هذا البحر لم ير الناس فيه فرنجة قط ، لا تاجراً ولا مقاتلاً قبل هذا الوقت .

وكان الملك العادل ينوب عن أخيه الملك الناصر بالديار المصرية ، فعبّر أسطولاً وجهز فيه جماعة من المسلمين ، ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الخاص ، فسار في طلبهم . وأبتدأ بالمركب التي على أيلة ، فظفر بها ، وقتل بعض من فيها وأسر بعضهم . وتوجه لوقته بعد ظفره بهم إلى الذين توجهوا إلى عيذاب ، وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز وأخذ الحاج ، والدخول بعد ذلك إلى اليمن ، فوصل لؤلؤ إلى عيذاب فوجدهم قد نهبوا ما وجدوه بها وتوجهوا ، فسار في أثرهم ، فبلغ رابغ والحوراء فأدركهم بها ، وأوقع بهم . فلما تحققوا العطب خرجوا إلى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب ، فنزل من مراكبه وقاتلهم في البر أشد قتال ، وأخذ خيلاً من الأعراب الذين هناك فركبها ، وقاتلهم ، فظفر بهم وقتل أكثرهم : وأسر من بقي ، وأرسل

(١) المقصود ميناء عيذاب على البحر الأحمر .

(٢) هو المعروف في المصادر العربية باسم أرناط ، وفي المصادر والمراجع الأوروبية باسم ريجنالد

شاتيون — الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٧٨٠ .

بعضهم إلى مَنى لِيُنْحَرُوا بِهَا عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى قَصْدِهِمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .
وعاد إلى مصر ببقية الأسرى ، فقتلوا ^(١) .

ذكر الإغارة على الغور

قال : ولَمَّا مَلَكَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَلَبَ وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ ثُمَّ رَحَلَ مِنْهَا فِي ثَامِنِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِيعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ نَزَلَ عَلَى بَيْسَانَ فَوَجَدَ أَهْلَهَا قَدْ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَتَهَبَّهَا الْعَسْكَرُ النَّاصِرِيُّ وَتَقَوُّوا بِمَا فِيهَا ، وَحَرَقُوا مَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ اخْذُهُ . وَسَارَ بِهِمْ حَتَّى أَتَى الْجَالُوتَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ عَامِرَةٌ وَعِنْدَهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ، فَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ عِنْدَهَا لِلْقِتَالِ ، وَرَحَلَ إِلَى الْفُؤَلَةِ ^(٢) ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَنْجِ ، وَكَانَ الظُّفْرُ لَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ .

وَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَرْكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَعَادَ .

ثُمَّ جَمَعَ الْعَسَاكِرَ الْمَصْرِيَّةَ وَالْحَلِيبِيَّةَ وَغَيْرَهَا وَقَصَدَ الْكَرْكَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهِيَ الدَّفْعَةُ الثَّانِيَّةُ ؛ فَجَمَعَ الْفَرَنْجُ فَارِسَهُمْ وَرَاجِلَهُمْ لِلدُّبِّ عَنْهَا ، فَفَارَقَهَا السُّلْطَانُ ، وَجَهَّزَ طَائِفَةً إِلَى نَابِلُسَ فَتَهَبَّوْهَا وَعَادُوا إِلَيْهِ ^(٣) .

ذكر غزوة الكرك والشوبك

وفتح طبرية ومجدل يابا ويافا

قال العمادُ الأصفهانيُّ في البرقي الشامي : وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بَرَزَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنْ دِمَشْقَ فِي أَوَّلِ الْمَحْرَمِ ، فِي الْعَسْكَرِ

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٧ - ١٣٢ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٢) الفولة : قرية معروفة بالقرب من عين جالوت - معجم البلدان ، النوادر السلطانية ص ٦٢ .

(٣) انظر النوادر السلطانية ص ٦١ - ٦٣ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥١ ، الكامل ج ١١ ص ٥٠٢ .

العرمرم ، ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم . فلما وصل إلى رأس الماء ^(١) أمر ولده الأفضل بالمقام عندها ليجتمع عنده الأمراء الواصلون من الجهات . وسار السلطان [١٢٢] إلى بصرى ، ثم منها إلى الكرك ، ورعى الزروع وقطع الأشجار . ثم سار إلى الشوبك وفعل مثل ذلك . ووصل إليه العسكر المصري ففرقه على قلعتي الكرك والشوبك . وأقام إلى أن انقضى من السنة شهران . والملك الأفضل مقيم برأس الماء ، وقد اجتمعت عنده العساكر ، فتقدم إلى سرية منهم بالفارة على أعمال طبرية ، فانتهوا إلى صفورية ^(٢) فخرج إليهم الفرنج فقاتلوه ، فكان الظفر للمسلمين ، وهلك مقدم الأسيبار ؛ وعادوا إليه فكانت مقدمة النصر المبين .

وانتهت البشائر إلى الملك الناصر وهو بناهي الكرك والشوبك ، فسار بمن معه في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول ، وعرضهم في اثني عشر ألف فارس . وعزم على دخول الساحل ، فانتهى إلى ثغر الأتحوانة ^(٣) فاجتمعت الفرنج في زهاء خمسين ألفاً ، ونزلوا على مرج صفورية بأرض عكا ، فلم يتقدموا عنها . فتقدم السلطان إلى الأمراء أن يقيموا في مقابلتهم ، ونزل هو بمن معه من خواصه على طبرية وشرع في نقب سورها ، فهزموه في ساعة من نهار ، وامتنعت القلعة بمن فيها .

فلما اتصل بالفرنج فتح طبرية تقدموا ، وذلك في يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ، فترك السلطان على طبرية من يحفظ قلعتها ، وتقدم بالعسكر ، فالتقى على سطح جبل طبرية الغربي منها . وحال

(١) رأس الماء : موضع في حوران ، على مسافة ٢٠ ميلاً شمال درعا — معجم البلدان .

(٢) صفورية : قرب طبرية — معجم البلدان .

(٣) ثغر الأتحوانة : على شاطئ بحيرة طبرية — معجم البلدان .

بينهما الليل ، فباتا إلى صبيحة يوم الجمعة ، فتصادما بأرض قرية اللويصا : واستمرت الحرب بينهما إلى الليل فكانت من أعظم الحروب . ثم باتا إلى صبيحة يوم السبت ، فالتقيا .

فلما عاين القومص^(١) أن الدائرة تكون على طائفته هرب في أوائل الأمر قبل اشتداده ، وسار نحو صور ، فتبعه جماعة من المسلمين ، فنجوا بمفرده . ثم انهزمت طائفة أخرى فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينح منها واحد . واعتصمت الطائفة الأخرى بتل حطين ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، فقتلهم العطش ، فأيسر مقدّمهم ، وقتل الباقون وأيسروا ، وألقى الله عليهم الخذلان .

قال القاضي أبو المحاسن ابن شداد : لقد حكى لى من أتى به أنه لقي بحوران شخصا واحداً ومعه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيراً^(٢) . وأما القومص الذى هرب فإنه وصل إلى طرابلس ، وأصابه ذات الجنب ، فأهلكه الله .

قال : وبات السلطان بالمنزلة ، ونزل يوم الأحد على طبرية وتسلم قلعتها في بقية يومه ، وأقام بها إلى يوم الثلاثاء .

قال : ولما يسر الله هذا الفتح كتب السلطان إلى أخيه الملك العادل سيف الدين بمصر يُبشّره به ، وأمره بالمسير إلى بلاد الفرنج من جهة مصر يَمَنّ بقی عنده من العساكر ، ومحاصرة ما يليه منها : فسارع إلى ذلك ، وسار ونازل حصن مجدليابة^(٣) وفتحها ، وغنم ما فيه ، ثم سار إلى يافا وفتحها عتوة ، وقتل وسبى ، وأسر وغنم ..

(١) المقصود ريموند صاحب طرابلس .

(٢) النواذر السلطانية ص ٧٧ .

(٣) « يافا » في الأصل . والتصحيح يتفق وعنوان هذه الفقرة ، وما ورد في الكامل ج ١١ ص

ذكر فتح عكا ونابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة ومعليا والفولة والطور والشقيف وغير ذلك

قال ابن شداد : ثم رحل السلطان طالبا عكا . وكان نزوله عليها في يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ، وقتلها بمكر الخميس مستهل جمادى الأولى ، فأخذها ، واستنقذ من كان فيها من الأسارى ، وكانوا زهاء أربعة آلاف ؛ واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر .

ثم تفرقت العساكر في بلاد الساحل فأخذوا نابلس ، وحيفا ، وقيسارية ، وصفورية ، والناصرة ، ومعليا ، والفولة ، والطور ، والشقيف وقلعاً تلى هذه كثيرة ؛ وكان ذلك لخلوها من الرجال فإنهم عنهم القتل والأسر^(١) .

ذكر فتح تبينين وصيدا وصرفند وبيروت وجبيل

قال : ثم أرسل السلطان [ابن] أخيه تقي الدين إلى تبينين ، فضايقها ، وكتب إلى السلطان أن يأتيه بنفسه ، فوصل إليها ونازلها يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الأولى ، فسأل من بها الأمان واستمهلوا خمسة أيام لينزلوا بأموالهم ، وأطلقوا الأسارى ، فخرجوا إليه ، فسر بهم وكسأهم . وخلص في تلك السنة [١٢٣] من الأسرى أكثر من عشرين ألف أسير ، ووقع في أسره من الكفار مائة ألف .

قال : ثم رحل السلطان من تبينين إلى صيدا ، فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها بعد قتال .

(١) التوارد السلطانية ص ٧٩ . وانظر الكامل ج ١١ ص ٥٣٩ وما بعدها .

(٢) [إضافة من الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ .

ثم سار إلى صَيْدَا ، ففارقها صاحبها وتركها خالية ، فتسلّمها ساعة
 وُصُوله إليها لِتَسْعَ بِقَيْنَ من جُمَادَى الأولى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ
 وَسَارَ من يَوْمِهِ نحو بَيْرُوتَ فقاتل أهلها على سُورِهَا وظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ
 قَتَرُوا عَلَى حِفْظِهِ ، فدخلها المسلمون من الجانب الآخر ، فسألوا
 الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وتسلّمها فى التاسع والعشرين
 من الشهر .

وَأَمَّا جُبَيْلُ فَكَانَ صَاحِبُهَا فى جُمْلَةِ الْأَسْرَى الَّذِينَ يُقْلَوْنَ إِلَى
 دِمَشْقَ ، فسأل إطلاقه وتسلّمها ، فأحضره مَقْبِذًا ، فسَلِمَ الْبَلَدَ وَأَطْلَقَ
 أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطْلَقَهُ السُّلْطَانُ . ^{مَعِينٌ التَّارِخُ}
 لِأَهْلِ التَّارِخِ

ذَكَرَ فَتْحَ عَسْقَلَانَ وَمَا يَجَاوِرُهَا

قال : وَسَارَ السُّلْطَانُ إِلَى عَسْقَلَانَ وَالرَّمْلَةِ وَغَزَا وَالدَّارُومَ وَغَيْرَ
 ذَلِكَ .

فَنَزَلَ عَلَى عَسْقَلَانَ فى يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ .
 وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَسَلَّوْهَا عَلَى خُرُوجِهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ سَالِمِينَ ؛
 وَذَلِكَ فى يَوْمِ السَّبْتِ سَلَخَ جُمَادَى الْآخِرَةَ ^(١) .

ثم تسلّم حِصُونِ الدَّوَايَةِ وَهِيَ غَزَّةُ ، وَالدَّارُومَ ، وَالرَّمْلَةَ ، وَتَمَنَّى ،
 وَبَيْتَ لَحْمَ ، وَمَشْهَدَ الْخَلِيلِ ، وَلَدَّ ، وَبَيْتَ جَبْرِيلَ ^(٢) .

قال : وَكَانَ بَيْنَ فَتْحِ عَسْقَلَانَ وَأَخْذِ الْفَرَنْجِ لَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 خَمْسَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَإِنْ الْعُدُوْا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا فى السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ
 جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانِي وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ .

(١) انظر مفرج الكروبيج ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٥ ، النوادر السلطانية
 ص ٨٠ .

(٢) مفرج الكروبيج ج ٢ ص ٢١٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ .

قال العماد : وفوض السلطان القضاء والحكم والخطابة وجميع المناصب الدينية بمدينة عسقلان وأعمالها إلى جمال الدين عبد الله بن عمر الدمشقي ، وهو المعروف بقاضي اليمن .

ذكر فتح البيت المقدس

قال المؤرخ : لما فرغ السلطان الملك الناصر من أمر عسقلان وما بجاورها سار إلى البيت المقدس ، فكان وصوله إليه في يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . وكان به البطريرك المعظم عندهم ، وهو أعظم شأنًا من ملكهم ، وبه أيضًا باليان بن بارزان صاحب الرملة ومن خلص من فرسان الفرنج من حطّين ، واجتمع به أهل عسقلان وغيرها ، كلهم يرى الموت عليه أهون من أن يملك البيت المقدس .

فنزل السلطان بالجانب الغربي وأقام خمسة أيام يطوف حول البلد لينظر من أين يقاتله . ثم انتقل إلى الجانب الشمالي يوم الجمعة ، العشرين من الشهر ، وكانت عدة من به من المقاتلة ستين ألفًا غير النساء والصبيان فنصب السلطان المجانيق في تلك الليلة ، ونصب الفرنج على السور مجانيق أيضًا ، وقاتلوا أشد قتالًا رآه الناس لأن كلا من الفريقين يرى ذلك عليه من الواجبات لا يحتاج فيه إلى سلطان . وكانت خيالة الفرنج يخرجون في كل يوم إلى ظاهر البلد فيقاتلون ويبارزون . وتوالى الزحف ، وتعب المسلمون السور مما يلي وادي جهنم .

فلما رأى الفرنج ذلك أخذوا إلى طلب الأمان ، وبعثوا جماعة من أكابرهم في ذلك : فامتنع الملك الناصر من ذلك وقال : لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه في سنة إحدى وسبعين وأربعمئة من

الْقَتْلَ وَالسَّبْيَ . فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُلُ إِلَيْهِمْ ، أَرْسَلَ بِالْيَانِ بْنِ بَارْزَانَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ لِيَحْضُرَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، فَأَمَنَهُ ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، وَاسْتَعْطَفَهُ فَلَمْ يَتَعَطَفْ ، وَاسْتَرْحَمَهُ فَلَمْ يَرْحَمْهُ . فَلَمَّا أُيسِسَ مِنْهُ قَالَ لَهُ مَا مَعْنَاهُ : أَيُّهَا السُّلْطَانُ ، أَعْلَمُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنَّمَا يَفْتَرُونَ عَنِ الْقَتْلِ رَجَاءَ الْأَمَانِ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ وَيَرْغَبُونَ فِي الْحَيَاةِ ؛ فَإِذَا رَأَيْنَا أَنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ وَاللَّهُ لَنَقْتُلَنَّ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، وَنُحْرِقَ أَمْوَالَنَا وَأَمْتِعَتَنَا ، فَلَا نَتْرَكُكُمْ تَقْنَمُونَ مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَلَا تَسْبُونَ وَلَا تَأْسِرُونَ رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً . [١٢٤] فَإِذَا فَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ أَخْرَبْنَا الصَّخْرَةَ وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الشَّرِيفَةِ ؛ ثُمَّ نَقْتُلُ مَنْ عِنْدَنَا مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ خَمْسَةُ آلَافٍ ، وَلَا نَتْرِكُ لَنَا دَابَّةً وَلَا حَيوانًا إِلَّا قَتَلْنَاهُ . ثُمَّ نَخْرِجُ إِلَيْكُمُ ، كُلُّنَا ، فَنَقَاتِلُكُمْ قِتَالًا مَنْ يَرِيدُ بِحَيِّهِ دَمَهُ وَنَفْسَهُ ، فَلَا يُقْتَلُ الرَّجُلُ مِنَّا حَتَّى يُقْتَلَ ؛ فَإِذَا أَنْ نَمُوتَ أَعْزَاءَ أَوْ نُنْظَرَ كَرَامًا .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ كَلَامَهُ اسْتَشَارَ عِنْدَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِمُؤَافَقَتِهِمْ .

وَوَقَعَ الصَّلَاحُ عَلَى أَنْ يَسْلَمُوا أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيَبْذُلُوا عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْفَرَنْجِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ ، وَعَنْ كُلِّ امْرَأَةٍ خَمْسَةَ ، وَعَنْ كُلِّ طِفْلِ وَطِفْلَةٍ دَيْنَارِينَ ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْغَنَى وَالْفَقِيرَ . وَيَبْذُلُ ابْنُ بَارْزَانَ فِي الْفُقَرَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ مَالِهِ . وَعَلَى أَنْ تَكُونَ الْمُدَّةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَمَنْ آدَى ذَلِكَ قَبْلَ الْمُدَّةِ خَلَصَ وَمَنْ تَأَخَّرَ اسْتَرْقِيَ .

وَتَسَلَّمَ السُّلْطَانُ الْمَدِينَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ

رجب . وكان يوماً مشهوداً ، ورفعت الأعلام الإسلامية على الأسوار^(١) .
ورتب السلطان على أبواب البلد أمناء من الأمراء يأخذون من أهله
ما استقر عليهم ، فخانوا ، ولو أدوا الأمانة لامتلت الخزائن .

قال : وصلى الملك الناصر الجمعة الثانية في رابع شعبان في قبة
الصخرة ، وكان الخطيب والإمام القاضي محيى الدين ابن الزكى قاضى
دمشق^(٢) .

ثم رتب له خطيباً وإماماً ونقل إليه المنبر الذى كان عمله الملك
العاقل نور الدين يحلب برسم البيت المقدس إذا فتحه . وكان بين عمله
وقفتح البيت المقدس ما يزيد على عشرين سنة .

ثم تقدم أمر السلطان بعمارة المسجد الأقصى ومحو ما كان الفرنج
صنعوه من الصور على عاداتهم ، ونقل إليه المصاحف ، وطهره من
أذناس الكفر ، رحمه الله تعالى ، وتقدم بعمل الربط والمدارس ، وجعل
دار الأستبار مدرسة للشافعية^(٣) .

ذكر رحيله ومحاصرة صور

قال المؤرخ : وأقام السلطان الملك الناصر بالبيت المقدس إلى
الخامس والعشرين من شعبان من السنة ، ثم سار لقصد محاصرة صور
وقد اجتمع فيها خلق كثير من الفرنج . وقدم إليها المرئيس^(٤) فى

(١) انظر مفرج الكروبيد ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٧ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ - ٥٥٣ ، النوادر
السلطانية ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ، محيى الدين بن الزكى ، توفى ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م - وفيات
الأعيان ج ٤ ص ٢٢٩ رقم ٥٩٤ .

(٣) مفرج الكروبيد ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) هو كراد ابن ماركيز مونتيفرات - تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣ .

البحر بأموال عظيمة ؛ وكانت عادته أن يحضر إلى البيت المقدس بأموال يفرقها ، فلما حضر في هذا الوقت ووصل عكا فرأها قد خرجت عن أيدي الفرنج سار إلى صور فملكها ، وأنفق ما معه على من بها ، فقوى أمره وانحاز إليه جميع من خلس بالأمان من ساير البلاد . فأنفق على سور صور وخنادقها ، وعمقها ، فصارت كالجزيرة في البحر لا يمكن الوصول إليها .

فوصل الملك الناصر إلى عكا في مستهل شهر رمضان ، فأصلح من شأنها ، ثم رحل عنها ونازل صور في تاسع شهر رمضان ونزل على نهر بالقرب من البلد : ثم نزل على تل يقارب صور في الثاني والعشرين من الشهر ، وقسم القتال على العسكر لكل جنح منهم وقت معلوم . واستدعى الأسطول المصري ، وكان بعكا ، فجاءه عشر شوان ، وكان للفرنج في البحر مراكب فيها رماة الجروح^(١) والزنبوركات^(٢) يرمون من دنا من البحر . فاستطال الأسطول عليها ، وأحاط بهم المسلمون وقتلوا برأ وبحرا ؛ ثم أغفلوا أمرهم فملك الفرنج من الشواني خمسة وأسروا مقدمها^(٣) .

ثم كانت حروب كثيرة ووقائع .

ثم رحل السلطان عنها في آخر شوال ، وهو أول كانون^(٤) ، وسار إلى عكا ، وأذن للعساكر بالعود إلى أوطانهم للراحة في الشتاء والعود في الربيع ، فعادت عساكر الشرق والموصل والشام ومصر ، وبقي

(١) الجرح - الجروح : أنواع من السهام - انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٢ هامش ٤ .

(٢) الزنبورك - الزنبوركات : نوع سميك من السهام - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٤ هامش

(٣) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ، الكامل ج ١١ ص ٥٥٣ - ٥٥٥ .

(٤) ديسمبر ١١٨٧ .

السُّلْطَانُ فِي عَكَا فِي حَلَقَتِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَرَدَّ أَمْرَهَا إِلَى الْأَمِيرِ عَزِ الدِّينِ جُرْزْدِيك (١) .

ذَكَرَ فَتْحَ هُونَيْنِ

قال المؤرخ : كَانَ السُّلْطَانُ لَمَّا فَتَحَ تَيْبِينَ أَمْتَعَ مَنْ بِهُونَيْنِ مِنْ تَسْلِيمِهَا ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقَلَاعِ وَأَمْنَعِهَا ، فَرْتَبَ عَلَيْهَا مِنْ يَحْصُرُهَا ؛ فَطَلَبَ مَنْ بِهَا الْأَمَانَ لَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ يَحَاصِرُ صُورَ ، فَأَمَّتْهُمْ ، وَنَزَلُوا مِنْهَا وَتَسَلَّمَهَا (٢) .

[وَاتَّفَقَ أَنْ فَتَحَ هَذِهِ الْمَدَنَ وَالْحَصُونِ جَمِيعَهَا مِنْ جَبَلَةٍ إِلَى سَرْمِينِيَّةَ ، مَعَ كَثَرَتِهَا ، كَانَ فِي سِتِّ جَمْعٍ مَعَ أَنَّهَا فِي أَيْدِي أَشْجَعِ النَّاسِ] (٣) [١٢٥] وَأَشَدَّهُمْ عِدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَيَسِرُ اللَّهُ فَتَحَهَا فِي أَيْسَرِ مَدَّةٍ .

(١) انظر الكامل ج ١١ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ .

(٢) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) رغم تنابع أرقام أوراق المخطوط ، فإن الكلام غير متصل فيها بين ورق ١٢٤ وورقة ١٢٥ ، والفقرة المضافة من الكامل ج ١٢ ص ١٣ - ١٤ لمواصلة تنابع الأحداث . وتتفق مع السياق الذي أورده التويري في بداية الورقة ١٢٥ ، أما المدن والحصون التي تشير إليها هذه الفقرة فهي :

- ذكر فتح جبلة - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٨ ، الكامل ج ١٢ ص ٧ .
- ذكر فتح بكسر انيل - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٩ ، الكامل ج ١٢ ص ٨ .
- ذكر فتح اللاذقية - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٩ ، الكامل ج ١٢ ص ٩ .
- ذكر فتح صهيون - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦١ ، الكامل ج ١٢ ص ١٠ .
- ذكر فتح الشحر وبكاس - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٤ ، الكامل ج ١٢ ص ١٢ .
- ذكر فتح سرمانية - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٤ ، الكامل ج ١٢ ص ١٣ .

ذكر فتح حصن برزية

قال : ولما رحل السلطان من قلعة النغر سار إلى قلعة برزية ^(١) ، وبحصانتها يضرب المثل ، وهى تقابل حصن أفامية ^(٢) وتتأصفها فى أعمالها ، وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى ، ومن عيون تنفجر من جبل برزية وغيره .

وكان أهلها أضر شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبلغون فى الأذى .

فنزّل السلطان شرقها فى رابع عشرى الشهر ^(٣) ، وركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعا يقاتلها منه ، فلم يجده إلا من جهة الغرب . وهذه القلعة لا يمكن أن تُقاتل من جهتى الجنوب والشمال ألبتة ، فإنّ جبلها لا يصعد إليه من هاتين الجهتين ؛ وأما الجانب الشرقى فيمكن الصعود منه لغير مقاتل لصعوبته وارتفاعه ؛ وأما جهة الغرب فإن الوادى المُطِيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كبيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهم . فنزّله المسلمون ونصبوا المجانيق ، ونصب أهل القلعة منجنيقا ، فرأى السلطان المجانيق لا تفيد ، فتركها وعزم على الزحف ومكائرتها بالرجال ؛ فقسّم العسكر ثلاثة أقسام ، يزحفون بالنوبة . فطال ذلك على أهلها وعجزوا عن مقاتلتهم فملكها المسلمون عنوة ونهبوا وأسرّوا وسيّوا ، وأخذوا صاحبها وأهله ، وأمسّت خالية خاوية . وألقى المسلمون النار فى بعض البيوت فاحترقت ^(٤) .

(١) برزية = برزويه : حصن قرب الساحل على سن جبل شاهق — معجم البلدان .

(٢) أفامية : حصن على سواحل حصص . يقابل برزية — معجم البلدان .

(٣) هو شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٤ هـ — الكامل ج ١٢ ص ١٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) الكامل ج ١٢ ص ١٤ - ١٧ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، النوادر السلطانية ص ٩٢ - ٩٣ .

ذكر فتح قلعة دريساك

قال : ثم رحل السلطان بعد فتوح برزفة من الغد فأتى جسر الحديد ، وهو على العاصى بالقرب من أنطاكية ، فأقام هناك حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار إلى قلعة دريساك ، فنزل عليها في ثامن شهر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وهى من أحصن معازل الداوية وقلاعهم التى يدخرونها عند نزول الشدائد بهم . فنصب عليها المجانيق ، وتابع الرمي بالحجارة ، فهدم قطعة يسيرة من سورها ؛ ثم أمر بالزحف عليها ومهاجمتها ؛ فتوالى الزحف والقتال ، وتقدم النقبابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط ، وطلب أهله الأمان فأمّنهم على ألا يخرجوا منها بغير نياهم خاصة ، فخرجوا كذلك ، وتوجهوا إلى أنطاكية ، وتسلمه فى تاسع عشر شهر رجب ^(١) .

ذكر فتح قلعة بغراس

قال : ثم سار عن دريساك إلى قلعة بغراس ، فحصرها بعد أن اختلف أصحابه فى حصرها ، فعنهم من أشار به ، ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين ، وقلعة منيعة ، وهو بالقرب من أنطاكية . فسار إليها وجعل أكثر عسكره مقابل أنطاكية يغيرون على ضياعها ، وبقي هو فى بعض أصحابه على القلعة ونصب عليها المجانيق فلم يؤثر فيها ، فغلب على الظنون تعذر فتحها . فبينما هم فى ذلك إذ جاء رجل من القلعة يطلب الأمان لرَسُولٍ ، فأعطيه ، وجاء رسول يطلب الأمان لأهلها ، وسلموها على قاعدة دريساك ، فأجابهم إلى ما طلبوا . وعاد

(١) الكامل ج ١٢ ص ١٧ - ١٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، النوار السلطانية ص ٩٣ .

الرَّسُولَ ومعه الأعلام السلطانية فَرُقَتْ على رأس القلعة ، وتسَلَّمها السُّلْطَانُ وأَمَرَ بتخريبها فخرِبَتْ^(١) .

ذكر الهدنة بين المسلمين وبين صاحب أنطاكية

قال : ولَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ بفراس قصد حصار أنطاكية فجاءته رُسُلُ بيمند تسأله الهدنة ثمانية أشهر بحيث يُطْلَقَ جميع مَنْ عنده من أسرى المسلمين . فاستشار السُّلْطَانُ أصحابه ، فأشار أكثرهم بذلك ليستريح العسكرُ ويجددوا [١٢٦] ما يحتاجون إليه ، فأجاب إلى ذلك ووقعت الهدنة ثمانية أشهر أولها تشرين الأول^(٢) .

وتوجَّه السُّلْطَانُ إلى حلب فوصل إليها في ثالث شعبان ، وفرَّق العساكر الشرقية : عمادُ الدِّين زَنْكِي بن مؤدود صاحب سنجار ، وعسكرُ الموصل ، وغيرهما . ثم رحل إلى دمشق فدخلها في أول شهر رمضان من السنة .

ذكر فتح الكرك والشوبك وما يجاورهما

قد ذكرنا أَنَّ السُّلْطَانُ كان قد جَعَلَ على الكرك من يحصِّره ، وهو سعدُ الدِّين كمشبه^(٣) ، في أول سنة أربع وثمانين ؛ فلازِمَ الحصار هذه المدة الطويلة حتى نفذت ذخائر الفرنج ، وأكلوا دوابهم . فراسلوا الملكَ العادلَ أخا السُّلْطَانِ ، وكان السُّلْطَانُ قد جعله بتلك النواحي في جَمْعِ من العسكر ، وسألوه الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، وأرسل إلى سعدُ الدِّين مقدَّم العسكر فتسلَّم القلعة منهم وأمنهم .

(١) الكامل جـ ١٢ ص ١٨ - ١٩ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، النوادر السلطانية ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) شهر أكتوبر ١١٨٨ م - شعبان ٥٨٤ هـ - الكامل جـ ١٢ ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) « كمشبا » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧١ .

وتسلّم أيضًا ما قارب هذا الحصن من الحُصُون وهو الشوبك ،
وهرمز ، والوعيرة ، والسلع فأمنت القلوب من تلك الجهة^(١) .

ذكر فتح قلعة صفد

قال : ولما وصل السلطان إلى دمشق أُشير عليه أن يفرّق العساكر ،
فقال : إن العمر قصير والأجل غير مأمون ، وقد بقي بيد الفرنج هذه
الحصون : صفد والكوكب ، ولا بد من الفراغ من ذلك فإنهما في وسط
بلاد الإسلام ، وأقام بدمشق إلى منتصف شهر رمضان من السنة ، وسار
إلى قلعة صفد ، فحصرها ونصب عليها المجانيق ، وداوم الرمي ليلاً
ونهاراً ، فسألوا الأمان ، فأمنتهم وتسلّمها ، وخرج أهلها إلى صور^(٢) .

ذكر فتح كوكب

قد قدّمنا^(٣) أن السلطان كان قد جعل على كوكب الأمير قايماز
النجمي^(٤) . فلما حصر السلطان صفد أرسل من بصور من الفرنج نجدة
من جهاتهم إلى كوكب ، وهم مائتا رجل من الشجعان ، فظفّر بهم
قايماز فقتلهم عن آخرهم ، وأرسل إلى السلطان المقدّمين عليهم ، وهما
رجلان من فرسان الأسياتار ، فأمر بقتلها ، فقال أحدهما ما أظن أننا
ينالنا سوء بعد أن رأينا وجهك الصبيح . فعفا عنهما واعتقلهما .

ولما ملك صفد سار عنها إلى كوكب وشدّد الحصار وآلى الزحف ،
وأشرف على أخذها ، فسأل الفرنج الأمان فأمنتهم وأطلقهم ، وتسلّم

(١) الكامل جـ ١٢ ص ٢٠ - ٢١ . مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) وذلك في رابع عشر شهر شوال ٥٨٤ هـ - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٢ .

(٣) لم يذكر النويري ذلك من قبل ، ولكنه ينقل عن غيره . وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع .

(٤) هو قايماز بن عبدالله النجمي ، صارم الدين ، توفي سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م - البداية

والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣ . الدارس جـ ١ ص ٥٧٢ وما بعدها .

الحِصْنُ فِي مِنتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

فَالْتَحَقَ مَنْ كَانَ بِهِ بَصُورٌ فَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَكَثُرُوا ، لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُمْ شُجْعَانُ الْفَرَنْجِ وَكُمَاتُهُمْ . وَتَابَعُوا الرُّسُلَ إِلَى مُلُوكِ الْفَرَنْجِ بِالْأَنْدَلُسِ وَصِيقَلِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ يَسْتَعِيثُونَ بِهِمْ وَيَسْأَلُونَ الْأُمْدَادَ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا تَذَكَّرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَعِيدُ فِيهِ عِيدَ الْأَضْحَى . ثُمَّ سَارَ مِنْهُ إِلَى عَكَا وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ انْسَلَخَتِ السَّنَةُ ^(١) .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ثَارَ بِالْقَاهِرَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَنَادَوْا بِشُعَارِ الْعُلَوِيِّينَ ، وَصَاحُوا : يَا لَعْلَى ^(٢) ! وَسَلَكُوا الدُّرُوبَ يُنَادُونَ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ يُلَبُّونَ دَعْوَتَهُمْ وَيَخْرَجُونَ مَعَهُمْ ، فَيُعِيدُونَ الدَّوْلَةَ الْعُبَيْدِيَّةَ وَيَمْلِكُونَ الْبَلَدَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ بِالْقَصْرِ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ ؛ فَلَمْ يُجِبْهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

فَلَمَّا خَافَ سَمْعُهُمْ تَفَرَّقُوا فَأَخِذُوا . وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَمَرَ وَأَرْعَجَهُ .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ : يَنْبَغِي أَنْ يُفْرَحَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ وَلَا يَحْزَنَ ، حَيْثُ عَلِمَ مِنْ بَوَاطِنِ رَعِيَّتِهِ الْمَحَبَّةَ لَهُ وَالنَّصِيحَةَ ، وَتَرَكَ الْمَيْلَ إِلَى عَدُوِّهِ . وَلَوْ وَضَعَ السُّلْطَانُ جَمَاعَةً يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ لَيَعْلَمَ بَوَاطِنُ أَصْحَابِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَسِرَ الْأَمْوَالُ الْجَلِيلَةَ لَكَانَ قَلِيلًا فُسِّرَى عَنْهُ .

(١) الكامل جـ ١٢ ص ٢٢ - ٢٣ ، مفرج الكرب جـ ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٦ ، النوادر السلطانية ص ٩٦ .

(٢) « يال على » في مفرج الكرب جـ ٢ ص ٢٧٦ ، الكامل جـ ١٢ ص ٢٤ .

(٣) « وخسر الأموال » في الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١٢ ص ٢٤ .

[١٢٧] ذكر فتح شقيف ارنوم

وفى شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسمائة سار السلطان إلى شقيف ارنوم^(١)، وهو من أمتع الحصون، ليحصره، ونزل بمرج عُيون فنزل صاحب الشقيف، وهو ارناط^(٢) صاحب صيدا، إلى السلطان؛ وكان من أكثر الناس دهاء ومكرًا فقال: أنا محب لك ولذولتك، ومعترف بإحسانك، وأخاف أن يطلع المركيس على ما بيني وبينك فينال أولادى وأهلى منه أذى، فإنهم عنده بصور؛ وأحب أن تمهلنى حتى أتوصل إلى تخليصهم من عنده، وحينئذ أحضر أنا وهم إلى عندك ونسلم الحصن إليك، ونكون فى خدمتك، نقنع بما تعطينا من الإقطاع. فأجابه السلطان إلى ذلك وظن صدقه، واستقر الأمر بينهما أن يسلم الشقيف فى جمادى الآخرة.

وأقام السلطان بمرج عُيون ينتظر الأجل وهو قلق مفكر لقرب انقضاء الهدنة بينه وبين صاحب أنطاكية فأمر تقي الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه من بلاد الشرق ويكون مقابل أنطاكية لئلا يغير صاحبها على ما يجاوره من بلاد الإسلام عند انقضاء الأجل.

وكان السلطان أيضًا متزعج الخاطر لما بلغه من اجتماع الفرنج بصور وما يصل إليهم من الأمداد، وأنهم اجتمعوا فى خلق كثير وخرجوا من مدينة صور إلى ظاهرها؛ فخاف أن يترك الشقيف وراء ظهره. وكان ارناط فى هذه المدة يشتري الأقوات من سوق العسكر، والسلاح، وغير ذلك مما يحصن به شقيفه، فيبلغ السلطان فلا ينكره بحسن ظنه. وكان قصد ارناط المطاولة إلى أن يظهر الفرنج من صور.

(١) شقيف ارنوم = شقيف ارنون : قلعة حصينة بين بانياس والساحل - معجم البلدان.

(٢) واسمه رينالد، ويعرف برينالد صاحب صيدا - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ٨٧٠.

فلما قاربَ الأجل تقدّم السلطان إلى الشقيف، واستدعى أرناط وقد بقي من الأجل ثلاثة أيام . فجاءه ، فتحدّث معه في تسليم الحصن ، فاعتذر بأولاده وأهله وأنّ المركيس لم يمكنهم من المجيء إليه ، وطلب المهلة مدّة أخرى . فحينئذٍ تحقق السلطان مكّره وخداعه ، فأخذه وحسّسه ، وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيساً وحمله رسالة سرّاً ، وأظهر أنّه أمره بتسليمه ؛ فامتنع من بالحصن من تسليمه : فسرّ أرناط إلى دمشق وسجّنه ، وتقدّم إلى الشقيف وضيق على من به ، وترك عليه من يحفظه ويسنّع من الوصول إليه . فتسلّمه في يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وأطلق صاحبه^(١) .

ذكر مسير السلطان من مرج عيون إلى صور وما كان عليها من الوقائع

قال : وجاءت السلطان كتب أصحابه الذين جعلهم يزكاً^(٢) في مقابلة الفرنج على مدينة صور يخبرونه أنّ الفرنج قد اجتمعوا على عبور الجسر الذي لصور ، وعزّموا على حصار صيدا . فثار جريدة في شجعان أصحابه ، فوصل إليهم بعد أن كانت الوقعة بين الفرنج وبين اليزك .

وذلك أنّ الفرنج خرجوا من مدينة صور ، فلقبهم اليزك على مضيق وقاتلهم ومنعّوهم . وكانت حرباً شديدة ، وأسّر من الفرنج جماعة ، منهم سبعة رجال من فرسانهم المشهورين ، وقتل من المسلمين

(١) الكامل جـ ١٢ ص ٢٧ - ٢٨ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ، التوادر السلطانية ص ٩٧ .

(٢) اليزك : طلائع الجيش - صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٠ .

جماعة . ثم عجز الفرنج عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى صور واقه أعلم^(١) .

ثم كانت لهم وقعة ثانية بعد وصول السلطان مع المتطوعة . وذلك أن السلطان لما جاء إلى صور أقام مع اليزك في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج للخروج ؛ فركب في بعض الأيام في عدة يسيرة لينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل ، فظن من هناك من المتطوعة أنه قصد الغزاة ، فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو وبعثوا [١٢٨] عن العسكر ، وخلفوا السلطان وراء ظهرهم ؛ فبعث من يردهم فلم يرجعوا . وظن الفرنج أن وراءهم من يحميهم فأجمعوا عنهم ؛ فلما علموا بانفرادهم حملوا عليهم حملة رجل واحد ، فقتل منهم جماعة من المعروفين ؛ فشق ذلك على السلطان والمسلمين . وكانت هذه الواقعة في تاسع جمادى الأولى .

فلما رأى السلطان ذلك انحدر من الجبل بمن معه ، وحمل على الفرنج فردهم إلى الجسر ، فرموا بأنفسهم في الماء ، ففرق منهم مائة دارع سوى من قتل . وعادوا إلى مدينة صور ، فعادا السلطان إلى تبينين ثم إلى عكا .

ثم كانت وقعة ثالثة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة صبر فيها الفريقان^(٢) .

ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها

قال المؤرخ : لما كثر جمع الفرنج بصور ، على ما ذكرناه من أن السلطان كان كلما فتح حصناً أو مدينة بالأمان سار أهلها إلى صور

(١) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ . الكامل جـ ١٢ ص ٢٩ .

(٢) انظر تفصيل هذه الواقعة الثالثة في الكامل جـ ١٢ ص ٣٠ — ٣١ .

بأموالهم وأهلهم ، اجتمع بها منهم عالمٌ كثير لا يُحصَوْنَ ، وأموالٌ كثيرة ، ثم إن الرهبان والقسوس لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس عنهم ، وتابعتهم جماعة من المشهورين . فأخذهم البطرك^(١) ودخل بهم إلى بلاد الفرنج يطوفها بهم ويستجِدُّون أهلها ويستجبرون بهم ، ويحثونهم على الأخذ بشار البيت المقدس .

وصوِّروا صورة المسيح عليه السلام وصورة رجل أعرابي والعربى يضربه بين جماعة ، وقالوا : هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين ، وقد جرَّحه وقتله^(٢) .

فعمَّظ ذلك على الفرنج وحشدوا ، حتى النساء ، فإنهم كان معهم على عكا عدَّة من النساء يبارزن الأقران . ومن لم يستطع أن يخرج استأجر عنه أو يعطيهم مالا . فاجتمع لهم من الرجال والأموال مالا . يُحصى كثرة .

واجتمعوا بصور والبحر يُمدُّهم بالأموال والأقوات والعُدَّة والذخائر ، فضاقت عليهم مدينة صور ، باطنها وظاهرها ؛ فأرادوا قصد صيدا ، فكان من ردهم ما ذكرناه .

فاتفقوا على قصد عكا ومُحاصرتها ؛ فساروا إليها بفارسهم ورَاجِلهم ، ولزموا البحر في مسيرهم ، لا يفارقونه في السهل والوعر ، ومراكبهم تسيرهم وفيها السلاح والذخائر . فكان رحيلهم من مدينة صور في ثاني شهر رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ونزولهم

(١) « البترك » في الأصل .

والمقصود رئيس أساقفة صور وهو جوسبوس Goscus الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٨٣ .

(٢) انظر مفرج الكروبيد ج ٢ ص ٢٨٨ ، الكامل ج ١٢ ص ٣٢ ، الروضتين ج ٢ ص ١٤١ .

على عكا في مُنتصف الشهر . فتخطف المسلمون منهم في مسيرهم وأخذوا من انفراد .

وجاء الخبر إلى السلطان برحيلهم ، فسار حتى قاربهم . ثم نزلوا على عكا قبل وصوله إليها ، ونازلوها من سائر جهاتها براً وبحراً ، فلم يبق للمسلمين إليها طريق . ونزل السلطان عليهم وضرب خيمته على تل كيسان^(١) وامتدت ميمته إلى تل العياضية وميسرته إلى النهر الجارى^(٢) ، ونزلت الأنفال بصفورية . وسير الكتب إلى الأطراف يستدعى العساكر ، فأناه عسكر الموصل ، وديار بكر ، وسنجار ، وغيرها من بلاد الجزيرة . وأناه تقي الدين ابن أخيه ، ومظفر الدين بن زين الدين صاحب حران والرها . فكانت الأمداد تأتي المسلمين في البر وتأتي الفرنج في البحر .

وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة .

نحن نذكر المشهور منها على سبيل الاختصار : وأما الحروب التي تكون بين بعض هؤلاء وبعض هؤلاء ، والمناوشات ، فلو شرخناها لطال بها الكتاب لأن مدة هذا الحصار كانت ثلاث سنين وشهراً .

وكان ابتداء القتال في مُستهل شعبان من السنة . فقَاتَلهم السلطان في ذلك اليوم ولم يبلغ منهم غرضاً : ثم باكرهم القتال واستدار عليهم من سائر جهاتهم إلى أن انتصف النهار ، وصبر الفريقان أعظم صبر . فحمل تقي الدين من الميمنة على من يليه منهم وأزاحهم عن مواقعهم ، فركب بعضهم بعضاً لا يُلوى الأخ على أخيه ، والتجأوا إلى من يليهم من أصحابهم . وانكشف نصف البلد ، وملك تقي الدين مكانهم . ودخل

(١) تل كيسان : ففتح الكاف وياه ساكنة : موضع في مرج عكا من سواحل الشام — معجم البلدان .

(٢) هو نهر بالس .

المسلمون البلد وخرجوا منه ، واتصلت الطريق وزال الحصار . وأدخل السلطان إلى البلد [١٢٩] مَنْ أراد من الرجال ، وما أراد من الذخائر ، والأموال ، والسلاح ؛ فكان مِنْ جُملة من أمره السلطان بالدخول إليها الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين . وقُتِل من الفرنج في هذا اليوم خلقٌ كثير .

ثم كانت بينهم وقعات في ثامن شعبان ، وتاسعِهِ ، وعَاشِرِهِ ، وحادي عشرِهِ . ثُمَّ كانت وقعةٌ في تاسع عشر شعبان بين أهل عكا والعدو فُقِلَ مِنْ فِي الطائفتين وجرح .

ثم كانت الواقعة الكبرى في الحادي والعشرين من شعبان وذلك أن الفرنج اجتمعوا وتشاوروا ، وقالوا إن العسكر المصري إلى الآن ما قَدِمَ وهذا فِعْلُ السُّلْطَانِ ، فكَيْفَ إِذَا قَدِمَتْ عساكِرُهُ فأَجْمَعُوا رأيهم على مُناجزة الحرب . وكانت عساكِرُ السُّلْطَانِ متفرقة : منها طائفةٌ في مُقَابلة أنطاكية تمنعُ صاحبها من الإغارة على الأعمال الحليية ؛ وطائفةٌ على حمص في مُقَابلة طرابلس ؛ وطائفةٌ تَقَاتِلُ مَنْ بَقِيَ بِصُور ؛ وطائفةٌ بالديار المصرية لحماية نَفَرِي الإسكندرية ودمياط ، وَمَنْ بَقِيَ من العسكر المصري إلى الآن لم يَصِلْ ؛ وهذا مِمَّا أَطْمَعُ الفرنج في الظهور .

قال : وأصبح المسلمون في هذا اليوم على عادتهم . مِنْهُمْ من يتقدَّم إلى القتال ومنهم مَنْ هو في خِيَمَتِهِ ، ومنهم من قَدَّ توجَّه في حاجته . فخرج الفرنج مِنْ مَعسِكَرهم كالجراد المنتشر قد ملأوا الأرض ، فكانت وقعة عظيمة ابتداءها على المسلمين ، ثم أنزل الله نصره عليهم . فهزموهم الفرنج أَقْبَحَ هزيمة ، وقُتِل منهم من رؤسائهم عشرة آلاف ، وقتل من المسلمين في هذه الموقعة من الفُتُلَّانِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ مائة وخمسون ، ومن المعروفين الأمير مجلى بن مروان .

والظهير أخو الفقيه عيسى [الهكاري]^(١)، وكان وإلى البيت المقدس، جمع العلم والدين والشجاعة، والحاجب خليل الهكاري، وجمال الدين بن رَوَاحَة الحموي، ولم يكن بالمصاف. وأسير من الفرنج مقدم الدَاوِيَة أو كان السلطان قد أسره فيما تقدم وأطلقه، فقتله الآن.

قال: وأمر السلطان بجمع القتلى وإلقائهم في النهر الذي يشرب منه الفرنج.

قال العساة الأصفهاني رحمه الله: ومن العجب أن الذين ثبتوا في هذه الواقعة لم يبلغوا ألفاً، ودوا مائة ألف، وآتاهم الله قوة بعد ضعف. قال ابن الأثير: وأخذ في جملة الأسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل، فلما أسرن وألقي عنهن السلاح عُرِفْنَ^(٢).

ذكر رحيل السلطان عن منزله وتمكن الفرنج من حصار عكا

كان رحيله في رابع شهر رمضان من السنة. وسبب ذلك أنه لما قتل من الفرنج هذه المقتلة العظيمة جانت الأرض منهم وتغير الهواء، وحدث للأمرجة فساد، وحصل للسلطان مرض القولنج، وكان يعتريه، فأشار عليه الأمراء والأطباء بالانتقال، وقالوا لو أراد الفرنج أن ينصرفوا لما قدرُوا فإننا قد ضيقنا عليهم؛ والرأى أن ينتقل عن هذه المنزلة، فإن رحلوا فقد كُفينا شرهم، وإن أقاموا عُدنا إلى القتال، فوافقهم. وكان بشس الرأى.

(١) [إضافة للتوضيح -

(٢) الكامل ج ١٢ ص ٣٩ .

ورحل السلطان إلى منزلة الخروبة^(١)، وكتب إلى أهل عكا يعلمهم بسبب رحيله ويحثهم على حفظ البلد وغلق أبوابها.

قال: ولما رحل السلطان بمساكره عن تلك المنزلة أَمِن الفرنج وانبسطوا، وانبثوا، وعادوا إلى خصار عكا في البر والبحر، وشرعوا في حفر خندق عليهم يكون بينهم وبين المسلمين إن قصدوهم وعملوا سوراً من تراب، وجاءوا بما لم يكن في الحُصان. هذا والسلطان قد اشتد به المرض فلم يستقل منه إلى أن تكامل حفر الخندق وعمل السور من تراه.

ذكر وصول العسكر المصري في البر [١٣٠] والأسطول في البحر

قال: وفي منتصف شوال سنة خمس وثمانين وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين. فلما وصلت قويت قلوب الناس، وأحضر من آلات الحصار شيئاً كثيراً. ثم وصل بقده الأسطول المصري في خمسين قطعة ومقدمهم الأمير حسام الدين لؤلؤ، وكان شهماً شجاعاً، مقداماً ميمون النقية، خبيراً بقتال البحر؛ فوصل بغتة، فوقع على بطشة كبيرة للفرنج، فغنمها وأخذ ما فيها من الأموال الكثيرة والميرة، وعبر بذلك إلى عكا؛ فسكنت نفوس الناس بذلك. وقال العماد: إنه ظفر ببطشتين^(٢).

(١) الخروبة: تل في الطريق بين صفورية وعكا، في منطقة الجبال التي تشرف على السهل بهذا المنطقة - معجم البلدان.

(٢) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣-٥.

ذكر خبر ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته

قال العماد الأصفهاني : ونُبئ الخبر بوصول ملك الألمان^(١) إلى قسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل على قصد العبور إلى بلاد الإسلام . فاستنفر الملك الناصر الجيوش والعساكر من كل جهة ، وجهز القاضي بهاء الدين شداد وأمره بالمسير إلى الديوان العزيز ببغداد^(٢) وأن يمر على صاحب سنجار^(٣) ، وصاحب الموصل^(٤) ، وصاحب إربل^(٥) ، ويستدعيهم بأنفسهم وعساكرهم .

قال ابن شداد : فسررت في حادي عشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمس مائة ، وأبلغت الرسائل ، فأجابوا إلى ذلك ، فعُدت في خامس شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وسبقت العساكر^(٦) .

ثم وصلت العساكر عند انقضاء الشتاء في شهر ربيع الأول وأمدته الخليفة بجمل من النقط الطيار وجملين من القنا ، وتوقيع بعشرين ألف دينار يقبض على الديوان العزيز من التجار ، وخمسة من الزرايين .

-
- (١) هو الامبراطور فردريك بربروسا - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٨٦ .
 (٢) كان الخليفة في ذلك الوقت الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء ، الذي ولي الخلافة العباسية في الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .
 (٣) هو عماد الدين زنكي بن مودود ، الذي ولي سنجار في الفترة من ٥٦٦ - ٥٩٤ هـ / ١١٧٠ - ١١٩٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٧ .
 (٤) هو عز الدين مسعود بن غيازي ، الذي ولي حكم الموصل في الفترة من ٥٧٦ - ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ - ١١٩٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٦ .
 (٥) هو زين الدين يوسف بن علي الذي حكم إربل في الفترة من ٥٦٣ - ٥٨٦ هـ / ١١٦٨ - ١١٩٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٩ .
 (٦) التوابع السلطانية ص ١١٥ .

وكان العدو قد اضطلع ثلاثة أبرجة من الخشب والحديد كالجبال وألبسها الجلود المسقاة بالخل ، فيسر الله تعالى على المسلمين إخراجها ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول .

قال : وكان السلطان قد كتب إلى مضر بعمارة الأسطول وإحضاره إلى عكا ، فوصل في يوم الخميس ثامن الشهر ، فكانت الحرب في هذا اليوم في ثلاثة مواضع في البحر ، والحصار في البر ، وكان النصر بحمد الله للمسلمين .

هذا ما كان من أمر السلطان لما بلغه خبر ملك الألمان .

وأما ملك الألمان فقال ابن الأثير في تاريخه الكامل :
وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة خرج ملك الألمان من بلاده . وهم طائفة من الفرنج من أكثرهم عدداً وأشدهم بأساً ، وكان قد أزعجه ملك المسلمين البيت المقدس ، فجمع عساكره وسار بهم ، وطريقه في مسيره على القسطنطينية . فأرسل ملك الروم^(١) بخبره إلى السلطان ، ووعد أنه لا يمكنه من العبور إلى بلاده . فلما وصل ملك الألمان إلى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه ، لكنه منع عنهم البصرة ، فقلت أزواده ؛ وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية ، وصاروا على أرض بلاد الإسلام ، وهي مملكة الملك قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي^(٢) . فلما وصلوا إلى أوائلها ناز عليهم التتر كمان [فمازوا]^(٣) يسايرونهم ، فيقتلون من انفرد منهم ويسرقون ماقدروا

(١) هو إسحاق الثاني أنجلوس . الذي ولي عرش الدولة البيزنطية في الفترة من ١١٨٥ -

١١٩٥ م - تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٨٥١ .

(٢) هو قليج أرسلان بن مسعود . عز الدين . الذي ولي سلاجقة الروم في الفترة من ٥٥١ -

٥٨٨ هـ / ١١٥٦ - ١١٩٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٢١ .

(٣) [إضافة تتفق والسياق - من الكامل ج ١٢ ص ٤٨ .

عليه : فنالهم لذلك مشقة عظيمة ، وهلك كثير منهم من الجوع والبرد وكثرة الثلوج .

فلما قاربوا مدينة قونية خرج إليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلع أرسلان [ليمنهم] ^(١) فعجز عن ذلك ، فعاد إلى قونية ، فأسرعوا السير في أثره فنارلوا قونية وأرسلوا إليه هدية وطلبوا منه أن يأذن للرعية في بيع الأقوات عليهم ، فأذن في ذلك .

• وطلبوا من الملك قطب الدين أن يأمر رعيته بالكف عنهم وأن يجهز معهم جماعة من أمرائه رهائن ، فخافهم ، وسلم إليهم نيفا وعشرين أميراً كان يكرههم . فساروا بهم معهم ، ولم يتمتع اللصوص وغيرهم من أذاهم ؛ فقبض ملك الألمان على من معه من الأمراء وقيدهم ، فمنهم من مات في أسره ومنهم من قدى نفسه ^(٢) .

قال ابن شداد : وأعوزهم الزاد وعراهم جوع عظيم ، وعجزوا عن حمل أقمشتهم ، فجمعوا عُدداً كثيرةً وسلاحاً [١٣١] وجعلوا ذلك بيدراً ^(٣) وأضرموا فيه النار ، لعجزهم عن حمله ، ولثلاً ينتفع به غيرهم . قال : وبقيت بعد ذلك راية من حديد ^(٤) .

قال ابن الأثير : ثم سار إلى أن أتى إلى بلاد الأرمن ، وصاحبها يومئذ لافون ^(٥) بن اصطفانه بن ليون الأرمني ، فأمدهم بالأقوات والعُلوفات ، وحكمهم في بلاده ، وأظهر الطاعة لهم . ثم سار إلى

(١) [إضافة من الكامل جـ ١٢ ص ٤٨ .

(٢) انظر الكامل جـ ١٢ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) البيدر : الجر أو المخزن - القاموس .

(٤) التوادر السلطانية ص ١٢٣ .

(٥) هو ليو الثاني بن سديفاني بن ليو الأول - تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٣٨ - ٨٣٩ .

أَنْطَاكِيَّةَ ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِمْ نَهْرٌ^(١) فَنَزَلُوا عَنْهُ . وَعَبَّرَ مُلْكُهُمْ إِلَيْهِ لِيُغْتَسِلَ فِيهِ . فَفَرَّقَ فِي مَكَانٍ لَا يَبْلُغُ الْمَاءُ وَسَطَ الرَّجُلِ فِيهِ . وَكَفَى اللَّهَ شَرَّهُ^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ شَدَّادٍ : إِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى طَرَسُوسَ سَبَّحَ فِي النَّهْرِ فَمَرَضَ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِ الْمَاءِ فَمَاتَ ؛ وَلَمَّا مَاتَ سَلَّقُوهُ فِي خُلٍّ وَجَمَعُوا عِظَامَهُ فِي كَيْسٍ لِيَحْمِلُوهَا إِلَى الْقُدْسِ وَيَدْفِنُوهَا بِهِ^(٣) .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَكَانَ مَعَهُ وَلَدٌ كَبِيرٌ فَمَلَكَ بَعْدَهُ وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ . فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ؛ وَأَحَبَّ بَعْضُهُمُ الْعُودَ إِلَى بِلَادِهِ فَتَخَلَّفَ عَنْهُ . وَمَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى تَمْلِكِ أَنْحِ لَهُ فَعَادَ أَيْضًا . وَسَارَ هُوَ فَيَقْنُ بَقِيَ مَعَهُ . فَعَرَضَهُمْ ، وَكَانُوا ثِيْفًا وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَقَعَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ وَالْمَوْتُ ، فَوَصَلُوا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَكَانَتْهُمْ قَدْ نَشِئُوا مِنَ الْقُبُورِ فَتَبَرَّمُ بِهِمْ صَاحِبُهَا وَحَسَنَ لَهُمُ الْمَسِيرَ إِلَى عَمَّا . فَسَارُوا عَلَى اللَّاذِقِيَّةِ وَجَبَلَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي مُلْكُهَا الْمُسْلِمُونَ ؛ وَخَرَجَ أَهْلُ حَلَبَ وَغَيْرِهَا إِلَيْهِمْ وَأَسْرَوْا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَمَاتَ أَكْثَرُ مِمَّنْ أَسْرَ^(٤) .

قَالَ : وَبَلَغُوا إِلَى طَرَابُلُسَ وَأَقَامُوا بِهَا أَيَّامًا فَكَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ . فَرَكِبُوا فِي الْبَحْرِ إِلَى الْفَرَنْجِ الَّذِينَ عَلَى عَمَّا .

وَلَمَّا وَصَلُوا وَرَأَوْا مَا نَالَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ . فَفَرَّقَتْ بِهِمُ الْمَرَاقِبُ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ^(٥) .

(١) هو نهر سالف .

(٢) الكامل جـ ١٢ ص ٤٩ .

(٣) التوادر السلطانية ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) الكامل جـ ١٢ ص ٤٩ .

(٥) الكامل جـ ١٢ ص ٤٩ - ٥٠ .

وقال ابن شدّاد : إنهم لما وصلوا إلى أنطاكية طلب ابن ملكهم من صاحبها قلعتها لينقل إليها أمواله وخزائنه وأثقاله ، فسلمها إليه طمعاً في ماله ، وكان كذلك ، فإنه لم يعد إليه واستولى الإبرنس على ما فيها ^(١) .

قال : وجاءت فرقة منهم إلى حصن بغراس وظنوا أنه للفرنجة ، ففتح لهم وإلى الحصن الباب وتسلم منهم الأموال ، وأسر جماعة منهم وقتل . وخرج إليهم العسكر الحلبي فقتل منهم وأسر . ثم أخذ من بقي منهم على طريق طرابلس فخرج عليهم من بالاذقية وجبله ، فقتلوا منهم وأسروا .

ثم ركب ملك الألمان في البحر من طرابلس بمن بقي معه ليقصد عكا ، في أواخر شعبان ، فنارت عليهم ريح كسرت منهم ثلاث مراكب ، ووصل الباقيون إلى صور ثم إلى عكا في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين ؛ وكان لقدمهم وقع عظيم ^(٢) .

وسياتي ذكر ما تجدد بعد وصولهم إلى عكا إن شاء الله تعالى . فلنذكر ما كان قبل وصولهم من الوقائع .

ذكر الوقعة العادلية على عكا

كانت هذه الوقعة في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى سنة ست وثمانين .

قال ابن شدّاد : لما بلغ السلطان وصول ملك الألمان إلى بلاد الأرمن جهّز بعض العساكر إلى البلاد المتاخمة لطريق عسكر العدو ،

(١) النوادر السلطانية ص ١٣٦ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وتقدّم أمره بهذم سورطيرية وهذم يافا وأرسوف وقيسارية ، وهذم سور صيدا وجبيل ونقل أهلها إلى يروت . فلما علم الفرنج أن العساكر قد تفرقت نهضوا للقتال بقتة وهجموا على الميمنة وفيها مخيم الملك العادل ، فلما بصر بهم ركب فيمن معه ، وتلاحقت به العساكر ، واقتتلوا ، فكانت من أعظم الوقائع ، قتل فيها خلق كثير من الفرنج .

قال : ولقد خضت في الدماء بدائتي واجتهدت أن أعدهم فما قدرت على ذلك لكثرتهم وتفرقتهم ؛ وشاهدت منهم امرأتين مقتولتين . وكانت هذه الوقعة فيما بين الظهر والعصر في الميمنة وبعض القلب ، ولم تفقد من المسلمين فيها غير عشرة غير معروفين ^(١) .

قال : ولما أخبر من بعكا من المسلمين بهذه الوقعة خرجوا إلى مخيم العدو من البلد ، وجري بينهم مقتلة عظيمة انتصر فيها المسلمون ، ونهبوا ما كان بخيام الفرنج من الأقمشة وغيرها ، حتى الطعام الذي في القدور ، وسبوا النساء .

قال : واختلف الناس في عدد من قتل من الفرنج في هذه الوقعة ، فقيل ثمانية آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، ولم ينقصهم حازر عن خمسة آلاف ^(٢) .

[١٣٢] ذكر وصول الكندهري إلى عكا نجدة للفرنج

وماجده من آلة الحصار

قال : ثم وصل الكندهري ^(٣) في البحر نجدة للفرنج في عدد كثير أضعاف ما نقص منهم ، ففرق الأموال واستخدم ؛ ونصب المجانيق على

(١) التوارد السلطانية ص ١٢٩ - ١٣١ .

(٢) التوارد السلطانية ص ١٣٠ - ١٣٦ .

(٣) هو هنري تروى كونت شامبانيا . وهو ابن أخى ملك فرنسا من جهة أبيه . وابن أخى ملك

انجلترا الأعمى - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٩١٢

عكا فحرّقها المسلمون ؛ ثمّ نصب منجنيقين قأحرّقا في آوّل شعبان ، وكان قد أُتِفِقَ عليهما ألف دينار وخمسمائة دينار ، وأُسر من الفرنج سبعون في هذا اليوم ومن جُمِلتهم فارس كبير عندهم فقتله المسلمون^(١)

ثمّ جهّز الفرنج بَطْشًا لمحاصرة بُرْج الذّبان^(٢) ، وهو برّج في وسط البحر على باب ميناء عكا ، فعمدوا إلى بَطْشَة من البُطْش وعملوا برّجًا على صَارِيهَا وملاؤه حطبًا ونفطًا على أنهم يُلْحِقُونَ البَطْشَة بِبُرْج الذّبان ، ثمّ يُحْرِقُونَ البرج الذي على الصّارى . وجعلوا في البَطْشَة بَقُودًا كثيرًا حتّى يُلْقَوْهُ في البرج إذا اشتعلت فيه النّيران . وعبثوا بَطْشَة ثانية وملاؤها حطبًا على أنّها تدخل بين المراكب الإسلاميّة ثم يلهبونها فتحترق هي والبَطْش الإسلاميّة وجعلوا في بَطْشَة ثالثة جماعة من المقاتلة . وقدموا البَطْشَة نحو البرج ، وكان الهواء مُسْعِدًا لهم ، فلمّا أحرّقوا البَطْشَة والبُرْج الَّذِي قصدوا بهما إحراق بَطْش المسلمين وبُرْج الذّبان انعكس الهواء عليهم بإذن الله تعالى ، فاحترقت البَطْشَتَان ، وانقلبت الثالثة بِمَنْ فِيهَا من المقاتلة . والله أعلم^(٣) .

ذكر ما كان من أمر الفرنج بعد وُصُول ابن ملك الألمان إلى عكا وما اتّخذوه من آلات الحصار

قال : ولَمَّا وُصَلَ ابنُ ملك الألمان القائم في الملك بعد أبيه إلى عكا كان وصوله إليها في سادس شهر رَمَضان سَنَة سِتِّ وثمانين

(١) النوادر السلطانية ص ١٣٤ - ١٣٥ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) برج الذّبان : برج في وسط البحر مبنى على الصخر على باب ميناء عكا . يجرس الميناء ، ومنى عبره المركب أمن غائلة العدو - مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) النوادر السلطانية ص ١٣٨ - ١٣٩ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

وخمسمائة . فكان أول ما بدأ به أنه خرج إلى يَزْكِيَّة السَّلْطَان وقَاتَلَهُمْ ، فقتل من أصحابه وجرح خلقٌ كثير ، وانكسروا ورجعوا إلى المخيم غروب الشمس من ذلك اليوم ؛ وقتل من المسلمين اثنان وجرح جماعة . فلما عاين ذلك رجع إلى قتال مَنْ في البلد ، وأخذ من آلات الحصار ما لم يُرَ قبل ذلك مثله ، فكان مما أحدثه آلة عظيمة تسمى دَبَابَة يَدْخُل من تحتها المقاتلة ، وهي من الخشب الملبس بصفائح الحديد ، ولها مِنْ تحتها عجلٌ يحرك من داخلها حتى تنطح السور بشدة عظيمة فتهدمه بتكرار نطحها ، وآلة أخرى وهي قبو فيه رجال تسحب فيه كبش ، ورأس تلك الآلة ممددة شبه سكة المحراث ، ورأس الكبش مدور ، هذا يهديم بثقله ، وتلك تهدم بحدتها وثقلها ، وهي تسمى سفوداً^(١) ، وأعد الستائر^(٢) والسلايلم وغير ذلك ؛ وأعد في البحر بطشة عظيمة وضع فيها برُجاً يخرطوم إذا أرادوا قلبه على السور بحركة انقلب بحرَكَات ويبقى طريقاً إلى المكان الذي ينقلب عليه تمشي عليها المقاتلة ، ونصب المجانيق وحكمها على السور ، وتوالت جِجَارَتُهَا حتى أثرت فيها أثراً بيناً فأخذ المسلمون سهْمَيْنِ عَظِيمَيْنِ من سهام الجروح وأحرقوا نِصَالَهُمَا حتى بقيا كالشعلة من النار ثم رُميا في منجنيق الفرنج فاحترق ، واتصل لهبهُ بالآخر فأحرقه^(٣) .

ثم زحف العدو على البلد في شهر رَمَضان في خلق كثير ، فأهلهم أهل البلد حتى سحبوا ألتهم المذكورة وقاربوا أن يُلصقوها بالسور ويحصل منهم في الخندق جماعة كثيرة ، فأطلقوا عليهم الجروح

(١) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٣٤ .

(٢) ستارة : ستائر : وتتخذ من الملود واللباد ، وتبل بالخل والشب والنطرون لوقاية الأبراج والديابات الخشبية والسفن من قذائف النفط — مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٠٣ هامش ٥ .

(٣) انظر النوادر السلطانية ص ١٤٠ - ١٤١ . مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٣٦ .

والمجانيق والسهام والنيران ، وفتحوا الأبواب وهجموا على العدو من كل مكان ، وكبسوهم في الخندق . فانهزموا ؛ ووقع السيف فيمن بقي في الخندق منهم . ثم ألقوا النار في كبشهم ، فاحترق ، وسرت ناره إلى السفود فاحترق أيضا ، وعلق المسلمون في الكبش الكلاب الحديد فسحبوه وهو يشتعل ، فحصل عندهم ، فأطفاؤه بالماء . ووزن ما كان عليه من الحديد فكان مائة قنطار بالشامي [١٣٣] فكان هذا اليوم من أحسن أيام الإسلام^(١) .

قال : واستأنف الفرنج عمل دبابه أخرى وفي رأسها شكل عظيم يقال له الكبش ، وله قرنان في طول الرمح كالعمد الغلاظ ، وسقوفها هي والكيش بأعمدة الحديد ، ولبسوا رأس الكيش بعد الحديد بالنحاس ، فلم يبق للنار عليها سبيل ؛ وشحنوها بالرجال . فنصب المسلمون عليها المجانيق ورموها بالحجارة ، فأبعدت الرجال من حولها ، ثم رموها بحزم الحطب فأحرقوا ما بين القبرتين ، وخسفها المنجنيق ، وخرج أهل عكا فقطعوا رأس الكبشين .

قال : وفي العشر الأوسط من شهر رمضان ألقى الريح بطشتين فيهما رجال ونساء وصبيان ، وميرة عظيمة وأغنام ، فغنيهما المسلمون^(٢) .

وكان في إحداها امرأة محتشمة كثيرة الأموال ؛ واجتهد الفرنج في استيقادها فلم يجابوا لذلك .

وكان بينهم في بقية السنة عدة وقائع يطول شرحها .

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) النواذر السلطانية ص ١٤٣ - ١٤٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٧ .

وفى سابع ذى الحجة هُدمت قطعة عظيمة من سور عكا فسدها المسلمون وقاتلوا عليها قتالاً شديداً حتى أحكموا بناءها .

وفى ثانى ذى الحجة هلك ابن ملك الألمان وكند كبير ، ومرض الكندهرى ، ووقع فيهم فناء عظيم . والله أعلم .

ذكر وصول ملك افرنسيس

كان وصوله فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فى ست بطش عظام مشحونة بالمقاتلة^(١) ؛ وكان ملكاً مطاعاً فيهم ، ووعدهم بالأمداد خلفه . وكان معه باز عظيم الخلق أبيض اللون ، فطار من يده وسقط على سور عكا ، فأخذه المسلمون وأنفذوه إلى السلطان ؛ فبذل الفرنج فيه ألف دينار فلم يجابوا لذلك .

قال : وزحف الفرنج على عكا فى يوم الخميس الرابع من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ، ونصبوا عليها سبعاً مجانيق . وبلغ من مضايقتهم لها أنهم كانوا يلقون فى خندقها ما يموت من دوابهم وما يؤيس منه ممن أنخنه الجراح . وانقسم أهل البلد أقساماً : قسم ينزلون إلى الخندق ويقطعون الدواب ليسهل نقلها ، وقسم ينقلون ذلك إلى البحر ، وقسم يذبحون عنهم ، وقسم فى المنجنيقات وحرايسة الأسوار .

قال : وكانوا قد صنعوا دبابة عظيمة أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من الرصاص ، والثالثة من الحديد ، والرابعة من

(١) هبط الملك فيليب أغسطس ملك فرنسا إلى المعسكر الصليبي أمام عكا فى ٢٠ إبريل سنة ١١٩١ . المصدر : الأمانة العامة ، ١١٩١ ، ٩٢٢

النَّحَاس ؛ فكانت تَعْلُو على السُّور وترْكُب فيها المقاتلة ؛ وقرَّبوها من السُّور فكَادَ أَهْلُ الْبَلَدِ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ؛ فَأَغَانِ اللَّهُ عَلَى حَرْقِهَا^(١) .
وكان في جُمادى الأولى عُدَّةٌ وَقَعَت .

قال : ولَمَّا حُرِّقَت دُبَابَاتُ الْفَرَنْجِ وَكَبَّاشُهُمْ وَأَبْرَجَتْهُمْ الْخَشَبُ وَاسْتَأْثَرَهُمْ أَقَامُوا أَمَامَ خِيَامِهِمْ مَعًا يَلِي عِكَأ تَلَا مُسْتَطِيلًا عَالِيًا مِنَ التُّرَابِ ، فَكَانُوا يَقْفُونَ وَرَاءَهُ وَيَحْوِلُونَهُ لِيَقْرُبُوهُ مِنَ السُّورِ ؛ إِلَى أَنْ صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّورِ مَقْدَارُ نِصْفِ غُلَّةِ سَهْمٍ . فَلَمْ تَعْمَلْ فِيهِ النَّارُ .

ذكر وصول ملك الإنكلتير

كان وصولُهُ إِلَى عِكَأ فِي ثَالِثِ عَشَرَ جُمادى الأولى مِنَ السَّنَةِ^(٢) بَعْدَ أَنْ مَلَكَ فِي مَسِيرِهِ قَبْرِصَ عَنُودَ ؛ وَوَصَلَ فِي أَرْبَعِينَ قِطْعَةً . وَلَمَّا قَدِمَ تَوَالَى الزَّحْفُ وَالْقِتَالُ . ثُمَّ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا وَجُرِحَ الْإِفْرَنْسِيْسُ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَدْعُونَ الْقِتَالَ . هَذَا وَاللُّصُوصُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ فِي خِيَامِهِمْ وَيَسْرِقُونَ أَقْمَشَتَهُمْ وَيَخْطَفُونَهُمْ ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْفَرَنْجِ وَهُوَ نَائِمٌ فَيُوقِظُونَهُ ، وَيُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالسَّلَاحِ ؛ إِنْ تَكَلَّمْتَ ذَبَحْنَاكَ ، وَيَحْمِلُونَهُ [١٣٤] وَيَخْرُجُونَ بِهِ إِلَى عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ . فَعَلُوا ذَلِكَ مَرَارًا كَثِيرَةً .

قال : ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ مِنَ الْفَرَنْجِ إِلَى السُّلْطَانِ مَدَافِعَةً بِسَبَبِ مَرَضِ الْإِنْكَلْتِيرِ ؛ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فِي إِهْدَاءِ جَوَارِحَ ، وَقَالَ إِنَّهَا قَدْ ضَعُفَتْ وَتَغَيَّرَتْ مِنَ الْبَحْرِ ، وَطَلَبَ أَنْ يُسِيرَ لَهَا دَجَاجٌ وَطَيْرٌ تَأْكُلُهُ لِتَقْوَى بِهِ ثُمَّ

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٦ - ٣٥٢ .

(٢) وصل الملك رتشارد قلب الأسد ، ملك إنجلترا في ٧ يونية ١١٩١ م - الشرق الأوسط والمغرب الصليبية ص ٩٢٢ .

همدى للسلطان . ففيهم السلطان أنه يحتاج ذلك لنفسه لأنه حديث عهد
بمرض ، فسير إليه ذلك . ثم أرسل في طلب فاكهة وتلج . فأرسل إليه .
وهم مع ذلك يحاصرون البلد أشد حصار ^(١) .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا

قال : ثم اشتد الحصار في سابع جمادى الآخرة ، فركب السلطان
بالعسكر وجرى قتال عظيم إلى الليل ، ولم يطم في ذلك اليوم ؛ ولما حال
بينها الليل عاد إلى خيامه . ثم باكر القتال ، فوصلت مطالعة من بالبلد
يذكرون أن العجز قد بلغ بهم الغاية ، وأنهم في الغد متى لم يعمل ما يمنع
العدو طلبوا الأمان وسلموا البلد . فرأى السلطان مهاجمة العدو ، فلم
يساعده العسكر . فضغقت نفوس أهل البلد ، وتكهن العدو من الخنادق
فملكوها ، ونقبوا السور وأحرقوه ، ف وقعت بدنة من الباشورة ودخل
العدو إليها ، فقتل منها زهاء مائة وخمسين نفسا ؛ وكان منهم ستة من
أكابرهم ، فقال أحدهم : لا تقتلوني حتى أرحل الفرنج عنكم . فقتل رجل
من الأكراد وقتل الخمسة ، فناداهم الفرنج من الغد احفظوا الستة فإننا
نطلقكم كلكم بهم . فقالوا : قد قتلناهم . فقوى عزم الفرنج على عدم
المصالحة وأنهم لا يطلقون من في البلد إلا بإطلاق جميع الأسرى الذين في
أيدي المسلمين ، وتعاد إليهم البلاد الساحلية .

فصالحهم من بالبلد على أنهم يسلمون إليهم البلد وجميع ما فيه من
الآلات والمعدد والمراكب ، ومائتي ألف دينار ، وألف وخمسمائة أسير

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٥ .

تجاهيل الأحوال ، ومائة أسير مُعَيَّنِينَ . وصليب الصُّلُوبُ ؛ على أنهم يخرجون بأنفسهم ونسائهم وذُراريهم . ومأمهم من أموالهم وأقمشتهم . فكتبوا في ذلك إلى السُّلطان ، فأنكر هذا الأمر واستعظمه ؛ وعزم على أن يكتب بالإنكار على مَنْ بَعَكَ . وجمع أمراءه وأصحاب المشورة ، فها شعر المسلمون إلا وقد ارتفعت أعلام الكُفر وُصُلبَانُهُ على أسوار البلد ؛ وذلك ظهر نهار الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة ، سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فعظمت المصيبةُ على المسلمين وتحمز المسلمون إلى بعض أطراف البلد . ثم ترددت الرسائل بينها على تقرير القاعدة في خلاص مَنْ بَعَكَ من المسلمين ، فاستقرت الحالُ على مائة ألف دينار وستمائة أسير وصليب الصُّلُوبُ . وأنفذوا ثقاتهم وعابثوا الصليب في ثامن عشر شهر رَجَب ؛ ثم طلبوا أن يسلم ذلك إليهم فإذا صار عندهم أطلقوا الأسرى ؛ فامتنع السُّلطانُ من ذلك إلا بعد تسليم الأسرى .

فلما رأوه قد امتنع منه أخرجوا خيانتهم إلى ظاهر الخنادق في الحادى والعشرين من الشهر ؛ ثم ركبوا في وقت العصر في اليوم السابع والعشرين من شهر رَجَب سنة سبع وثمانين ، وجمعوا الأسرى ، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد ، فقتلوه صبرا . طعنوا بالرمح وضربا بالسيف ، رحمة الله عليهم ؛ ولم يُبقوا من المسلمين إلا أكابرهم . فلما اتصل الخبر بالسُّلطان حمل المسلمون عليهم ، وجرت بينهم حربٌ عظيمةٌ دام القتال فيها طول النهار . وتصرف السُّلطان فيها كان قد حصله من المال ، وأعاد الأسرى إلى أماكنهم ، وردَّ صليب الصُّلُوبُ إلى مكانه ^(١) .

(١) مفرج الكرب ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٦٤ . التوادر السلطانية ص ١٦٦ - ١٧٢ . الكامل ج

١٢ ص ٦٦ - ٦٨ ، وانظر المختصر ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ .

ذكر ما كان بعد أخذهم عكا

قال : ثم سار الفرنج إلى صَوْب عسقلان في مستهل شعبان ، وسار السلطان في عراضهم ، والمسلمون يتخطفونهم ويقتلون منهم ويأسرون ؛ وكل أسير جرى به إلى السلطان أمر بقتله . ثم كانت وقعة عظيمة في تاسع شعبان عند رحيلهم من قيسارية ، انتصر فيها المسلمون . ثم رحل السلطان فنزل شعراء أرسوف . وطلب ملك الإنكليز الاجتماع بالملك العادل خلوة ، فاجتمعا ، فأشار بالصلح . وكان حاصل كلامه [١٣٥] أنه قد طال بيننا القتال ونحن في نصرة فرنج الساحل ، ورأى الصلح ، ويرجع كل منا إلى مكانه . فقال له الملك العادل : على ماذا يكون الصلح ؟ قال : على أن تسلموا لأهل الساحل ما أخذ منهم من البلاد . فأبى الملك العادل ^(١) .

ثم كانت وقعة أرسوف في يوم السبت رابع عشر شعبان ؛ وكانت الدائرة فيها على الفرنج ^(٢) .

ذكر هدم عسقلان

قال : ثم رحل السلطان بعد وقعة أرسوف في تاسع عشر شعبان ، ونزل بالرملة ، واستشار أصحابه في أمر عسقلان ، فأشاروا عليه بتخريبها خشية أن يستولى العدو عليها وهي عامرة ، فتكون سبيًا لأخذ البيت

(١) انظر النواذر السلطانية ص ١٨٢ ، مفرج الكروبي ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) النواذر السلطانية ص ١٨٣ - ١٨٤ ، مفرج الكروبي ج ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

المقدس وقطع طريق مصر . فعلم السلطان عجز المسلمين عن حفظها
لقرب عهديهم بقتال عكا ؛ فسار حتى أتى عسقلان ، وأمر بتخريبها ،
وكان هو وولده الملك الأفضل يستعملان الناس في الحراب خشية من
حضور العدو فيتمدح هدمها ، ثم حرقها بالنار ؛ والأخبار تتواتر من جهة
العدو بعمارة يافا . واستمر الحراب والحريق إلى سلخ شعبان ^(١) .

ثم رحل السلطان عنها يوم الثلاثاء ، ثاني شهر رمضان فنزل على
الرملة يوم الأربعاء ، وأمر بتخريب حصنها وتخريب كنيسة لد . وركب
جريدة إلى القدس الشريف ، فوصل إليه في يوم الخميس .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان من السنة كانت بينهم وقعة
انتصر فيها المسلمون .

قال : ثم سار السلطان إلى الرملة في سابع شوال وأقام بها عشرين
يوماً ، فجرت وقعات ؛ منها وقعة في ثامن شوال ، وفي سادس عشره ،
والدائرة فيها على العدو .

وفي ثامن عشر شوال اجتمع الملك العادل والإنكثير على طعام ،
وانفصلا ^(٢) على تواؤد ، وسأله الاجتماع بالسلطان فامتنع السلطان من
ذلك .

ثم رحل الفرنج في ثالث ذي القعدة إلى الرملة ، وأظهروا قصد بيت
المقدس والحرب مستمرة بين المسلمين وبينهم . ورحل السلطان إلى
القدس في الثالث والعشرين من ذي القعدة بنية المقام به ، وشرع في
تحصينه .

(١) التواريخ السلطانية ص ١٨٧ - ١٨٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) « وانفصلا » في الأصل ، والنصح يتفق والسياق .

ذكر وقوع الصلح والهدنة العامة بين المسلمين والفرنجة

قال : ولم تزل الحرب قائمة والمراسلات متصلة بينهم على طلب الصلح ، والسُّلطان لا يرضى بما يختارونه ، وهم لا يوافقون على ما يريدُه السُّلطان ، إلى الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ، فوقعت هدنة عامة في البر والبحر ، وجعل لهم من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور ، وأدخلوا في الصلح طرابلس وأنطاكية . وأُخرج من عمل يافا الرملة وبجذل يافا^(١) ومن عمل عكا الناصرة وصفورية واشترط خراب عسقلان . ووقعت المصالحة مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر^(٢) ، أولها مُبتدأ أيلول الموافق لهذا التاريخ ، وذلك بعد سؤال ملك الإنكلتير وتكرار رسائله .

قال : ثم أمر السُّلطان أن يُهادي في الطرقات والأسواق : ألا إن الصلح قد انتظم ، فمن شاء من بلادنا يدخل بلادهم ومن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل .

ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس^(٣) .

ثم أمر بإرسال مائة نقاب لتخريب سور عسقلان وإخراج الفرنج منها ، فخربت . وكان يوم الصلح يوماً مشهوداً واختلط العسكران .

ثم اشتد المرض بالإنكلتير فرحل ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان وسار معه الكندهرى إلى جهة عكا ، ولم يبق بيافا [١٣٦]

(١) مجد لياية : قرية قرب الرملة — معجم البلدان .

(٢) « ثمانية أشهر » في الكامل ج ١٢ ص ٨٥ .

(٣) انظر التوادر السلطانية ص ٢٣٥ .

إلا مريضاً أو عاجزاً . ثم أذن السلطان للناس في الرجوع إلى أوطانهم ،
فسار عسكرُ إربل والموصل وسنجار ؛ وقوى عزمته على الحج .

ثم عاد السلطان إلى القدس ورتب أحواله وعين الكنيسة التي في
شارع قمامة للبيمارستان ونقل إليه العقاقير والأدوية ؛ وأدار سُور
القدس . وأقام بالقدس إلى يوم الأربعاء رابع شوال ، وخرج في يوم
الخميس خامس الشهر قاصداً دمشق . فلما انتهى إلى طبرية وصل إليه
بهاء الدين قراقوش الأسدى وقد خلص من الأسر ، فاستصحبه معه
وكشف القلاع والحصون ، ودخل إلى دمشق في يوم الاثنين السادس عشر
من شوال سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ؛ وجلس الناس يوم الخميس ؛
وأنشده الشعراء ؛ وكان مجلساً عاماً ، وعمّ الناس فيه بهذله . ولم يزل
كذلك إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

كانت وفاته رحمه الله تعالى بعد صلاة الصبح يوم الأربعاء لثلاثٍ بقرين
من صفر سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائة .

وكان مولده بقلعة تكريت في شهور سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة ؛
فكان عمره سبعاً وخمسين سنة تقريباً . ومدة ملكه منذ ولي وزارة العاضد
لدين الله ولقب بالملك الناصر لثمانٍ بقرين من جمادى الآخرة سنة أربعٍ
وستين وخمسمائة وإلى هذا التاريخ أربعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر
 وخمسة أيام ؛ ومنذ خلع العاضد في سابع المحرم سنة سبعٍ وستين وخمسمائة
 اثنتين وعشرين سنة وشهراً واحداً وعشرين يوماً .

وكان ابتداء مرضه يوم السبت سادس عشر صفر؛ ونال المسلمون لوفاته من الألم مالا يُعبر عنه. ولما مات دُفن بقلعة دمشق في منزله؛ وما زال ابنه الأفضل يترؤى في موضع ينقله إليه، فشرع في بناء تربته عند مسجد القدم^(١) وبني عندها مدرسة للشافعية. وأمر ببناء التربة في سنة تسعين وخمسمائة؛ فاتفق وصول ابنه العزيز تلك السنة من الديار المصرية للحصار، فخرب ما كان قد ارتفع من البناء. ثم أمر بعمارة القبة في حدّ جامع دمشق، فعمرت ونقل إليها يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة؛ ومشى الأفضل أمام تابوته وأخرج من باب القلعة على دار الحديث إلى باب البريد^(٢)، وأدخل منه إلى الجامع، وصلى عليه قدام باب السر، صلى عليه القاضي محيي الدين محمد بن علي بإذن الأفضل. ثم حمل إلى لحده، وألحده الأفضل وجلس في الجامع ثلاثة أيام.

وكان الملك الناصر رحمه الله كريماً جواداً شجاعاً، حسن الأخلاق، مضت أكثر أيامه في الجهاد في سبيل الله تعالى.

قال ابن شدّاد: لما مات السلطان لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وجراماً^(٣) واحداً ذهباً سورياً، ولم يخلف ملكاً في سائر أنواع الأملاك. وحسب ما وقبه من الخيل في مدة مقامه على عكا فكان تقديره اثني عشر ألف رأس؛ ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو مؤهوب أو موعود به، وصاحبه يلازمه في طلبه؛ وما حضر

(١) مسجد القدم، جنوبي الحصاة بدمشق

(٢) باب البريد: أحد أبواب الجامع الأموي بدمشق. الدارس ج ٢ ص ٣٧١ وما بعدها.

(٣) «جرماً واحداً» في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٦. وانظر أيضاً الفتح القسي ص ٦٢٩، حيث ذكر «ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهماً»

اللقاء إلا استعار فرساً فركبه . وكان لا يلبس إلا مايحل كالكتان والقطن والصوف . وكان له ركعات يصلّيها من الليل^(١) .

وخلف رحمه الله من الأولاد ، على ما نقله العماد الأصفهاني وغيره سبعة عشر ولدا : الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن [على]^(٢) ، وهو أكبرهم ؛ والملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ؛ والملك الظاهر غياث الدين ، وقيل شهاب الدين ، أبو منصور غازي ؛ والملك الظافر مظفر الدين أبو العباس خضر ؛ والملك المعز فتح الدين أبو يعقوب يوسف^(٣) ؛ والملك الأعز شرف الدين أبو يوسف^(٤) يعقوب [١٣٧] والملك المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ؛ والملك الزاهر مجير الدين أبو سليمان داود^(٥) ؛ والملك المفضل قطب الدين أبو محمد موسى^(٦) ؛ والملك الأشرف عز الدين محمد^(٧) ؛ والملك المحسن شهاب الدين^(٨) أبو العباس أحمد ؛ والملك الجواد ركن الدين أبو سعيد أيوب ؛ والملك المظفر^(٩) فخر الدين أبو منصور تورانشاه ؛ والملك العادل نور الدين أبو المظفر

(١) النوادر السلطانية ص ٧ وما بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٣ .

(٣) « إسحاق » في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٥ ، الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٤) « أبو سيف » مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٥) « والملك الزاهر مجير الدين أبو الفتح سليمان مسعود » في الأصل . والتصحيح من مفرج

الكروب ج ٢ ص ٤٢٤ ، الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٦) « أبو موسى قطب الدين » في الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٧) « عزيز الدين » في الروضتين ج ١ ص ٧١٠ ، و « نصير الدين » في مفرج الكروب ج ٢

ص ٤٢٥ .

(٨) « بين الدين » في مفرج الكروب ، و « ظهور الدين » في الروضتين ، و « زين الدين » في

شفاء القلوب ورقة ٥٤ أ .

(٩) « المعظم » في مفرج الكروب ، والروضتين ، وشفاء القلوب .

ملكشاه^(١)؛ والملك المنصور نصرة الدين مروان^(٢)؛ والملك الصالح معين الدين إسماعيل^(٣)؛ وعماد الدين شادى، ويسمى عمر؛ وابنة صغيرة^(٤).

ذكر من ملك الممالك التى كانت جارية فى ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى من أولاده وإخوته وأقاربه وألزاهم بعد وفاته

استقرّ ملك دمشق وما معها للملك الأفضل نور الدين أبى الحسن على، وهو أكبر أولاده وولى عهده، وعنده أخواه شقيقاه الملك الظاهر خضر والملك الأفضل موسى^(٥).

واستقرّ ملك الديار المصرية للملك العزيز عماد الدين أبى الفتح عثمان.

واستقرّ ملك حلب وما يليها للملك الظاهر غياث الدين غازى، وعنده أخوه الملك الزاهر داود، فجعله من قبيله على البيرة.

واستقرّ ملك حمص والرحبة [وتدمر]^(٦) للملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه، وهو ولد ابن عم السلطان الملك الناصر.

(١) «الملك الغالب أبو الفتح ملكشاه» فى مفرج الكروب، والروضتين، وشفاء القلوب.

(٢) «الملك المنصور أبو بكر» فى مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٥، و«نصرة الدين مروان» فى الروضتين ج ١ ص ٧١١.

(٣) لم يرد ذكره فى مفرج الكروب والروضتين.

(٤) «وأما البنت فهى مؤنسة خاتون، تزوجها الملك الكامل محمد» الروضتين ج ١ ص ٧١١، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٦، شفاء القلوب ورقة ٧٤ أ.

(٥) «الأفضل» فى الأصل، والتصحيح يتفق مع ما سبق.

(٦) [] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤.

واستقر ملك حماة وسَلَمِيَّة والمعرَّة ومنبج للملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

واستقر ملك حرَّان والرُّها وميَّافارقين والرَّقة وقلعة جعبر والكرك والشَّوبك للملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، وهو أخو السُّلطان .

واستقر ملك بعلبك للملك الأبعد [بهرامشاه]^(١) بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب .

واستقر بغيرين وأقاميه وكفرطاب عز الدين [إبراهيم]^(٢) بن شمس الدين بن المقدَّم .

واستقر بصهيون ناصر الدين [منكورس بن خمارتكين]^(٣) غلام أبي قبيس .

واستقر بتل باشر بدر الدين دُلُدرم بن ياروق .

واستقر بعينتاب ناصر الدين شحنة حلب .

هذه الممالك التي كانت جارية في ملك السُّلطان الملك الناصر رحمه الله .

فلنذكر الآن أخبار الدِّيار المصريَّة ومن ملكها بعد وفاة السُّلطان الملك الناصر ، ونجعل ما يقع لهؤلاء الملوك ، أو في ممالكهم ، من الحوادث في ضمن أخبار ملوك الدِّيار المصريَّة ؛ وننبِّئ عليها بالتراجم ، على ما نفق عليه إن شاء الله تعالى .

(١) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

(٢) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

(٣) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

ذكر أخبار الملك العزيز عماد الدين أبي الفتح عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

وهو الثاني من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية ^(١) ملك الديار المصرية عندما وصل إليه الخبر بوفاة والده السلطان الملك الناصر . رحمه الله تعالى ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

ولما ملك أحسن السيرة وأطلق جميع ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم من المكوس على اسم الزكاة . وجهز إلى البيت المقدس عشرة آلاف دينار لتصرف في مصالحه ؛ وأكرم أصحاب أبيه وعائلتهم الأفضل أخوه صاحب دمشق بخلاف ذلك ، فمالت القلوب إلى الملك العزيز ونفرت عن الملك الأفضل . فاستشعر الأفضل من أمرائه ، وعزم على القبض عليهم ؛ فبلغهم الخبر ففارقوه ، واتصلوا بخدمة أخيه الملك العزيز بالديار المصرية في بقية السنة فأكرمهم وقرَّبهم ^(٢) وكان منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر استيلاء الفرنج على جبيل

[١٣٨] كان استيلاؤهم على حصن جبيل في مستهل صفر سنة تسعين وخمسمائة بمواطاة ممن كان فيه . وذلك أن الحصن كان عدة من فيه خمسة عشر رجلاً ، فندب متولى البلد منهم عشرة لجباية الجزية ، وخرج متولى الحصن إلى الحمام ، فاستصحب أحد الخمسة الذين تأخروا

(١) ولد الملك العزيز عثمان بدمشق في ٨ جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م — السلوك ج ١ ص ١١٤ .

(٢) عن أسباب الوحشة بين الأخوين — انظر مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤ - ١٥ .

بالحصن معه ، وبقي به أربعة من الأكراد ، فأغلقوا باب الحصن . وتوجه أحدهم إلى الفرنج الذين بالتّيرون فأخبرهم بخلو الحصن ، وكان به حداد نصراني ، فصعد هو والثلاثة إلى أعلى الحصن . فلما عاد السوالى منعوه من الدّخول ورمّوه بالحجارة ، فكسروا يده ، وقالوا هذه القلعة قد صارت للقومص . وجاء أهل التّيرون بالليل فطردوا من كان بالبأشورة من المسلمين .

ووصل ابن ريمون أخو صاحب جبّيل وتحدّثوا مع الأكراد ، فنزل أحدهم إليهم وقرّر معهم أن يُعطوا نصف ما بالحصن من سائر الحواصل وغيرها ، وأن تكون لهم ثلاثة ضياع من عمل طرابلس ؛ واستحلفهم على ذلك . وتسلموا الحصن . فرتب الفرنج فيه من الجرّخية^(١) ألفاً وخمسين جرّخياً^(٢) .

فلما اتّصل الخبر بالسلطان الملك العزيز عظم عليه ، وأخرج خيامه في يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الأول ، وأمر بالاستعداد للخروج إلى الشام لاستنقاذ جبّيل من الفرنج ، وأرسل شمس الخلافة رسولا إلى الفرنج بسبب إعادة جبّيل فتوجه في سادس عشر شهر ربيع الآخر .

وفي سنة تسعين وخسمائة ، لسبع بقين من شهر ربيع الأول ، عُزل القاضي صدر الدّين بن دُرْبَاس وقُوض القضاء بالديار المصرية للقاضي زين الدّين أبي الحسن على بن يوسف بن عبد الله بن رمضان الدمشقي ؛ فرلّى سنة وعُزل في سنة إحدى وتسعين وخسمائة ، وأعيد القاضي صدر الدّين . وقيل بل ولي القاضي محيي الدّين محمد بن عبد الله بن أبي عسرون ، وعُزل في يوم الأحد سادس عشر المحرم سنة اثنتين وتسعين

(١) المقصود رماة السهام الجرّخية .

(٢) انظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٠ . ص ١٧٧ .

وخمسمائة . وأعيد القاضي زين الدين النمشقي فولى سنة ، ثم عزل ،
وأعيد القاضي صدر الدين إلى أن توفى في سنة خمس وستمائة وافته أعلم .

ذكر مسير الملك العزيز إلى الشام والصلح بينه وبين أخيه الملك الأفضل وعوده إلى القاهرة

قال : وفي تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وخمسمائة توجه
الملك العزيز إلى الشام وترك بالقاهرة من الأمراء بهاء الدين قراقوش
وصيرم ، وجهاز ثلاثة عشر لواء إلى ثغرَي الإسكندرية ودمياط ومعهم
سبعمائة فارس . واستصحب معه من الأمراء سبعة وعشرين أميراً عدتهم
تقدير ألفي فارس ، ومن الحلقة ألف فارس . فلما اتصل بالأفضل خروجه
استعد وأنفق النفقات الوافرة ، وخرج إلى رأس الماء في سبعمائة فارس ،
ولما وصل الملك العزيز إلى القور احتاط على الخاص الأفضل به ، وشرع
في إقطاع أعمال الشام . وجهاز من أمرائه : قائماز ، وعشرين أميراً ،
منهم ، جهاز ركس ، وميمون القصري ، وسنقر الكبير ، والشجاع الخادم ،
والجناح ، وجرديك . فتقدموا ووقفوا على أطراف العسكر الشامي ،
فرجع الأفضل إلى دمشق وغلقت أبواب البلد لما قرب العسكر المصري
منها .

وتقدم العزيز وترك ثقله بمسجد القصب بظاهر دمشق ، ونزل هو
بالكنوسة ^(١) ؛ فاستنجد الأفضل بعمة الملك العادل فحضر إلى دمشق ،
وحضر الظاهر من حلب ، وناصر الدين صاحب حماة ، وأسد الدين

(١) الكنوسة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر .

صاحب حصص ، وعسكرُ الموصل وغيره . فلما رأى العزيز اجتماعهم علم أن لا قدرة له بهذا الجمع ، وكتب إلى عمه العادل يقول : أنا ما خرجت من الديار المصرية إلا لاستنقاذ جُبيل من الفرنج ، قبلنى أن الملك الأفضل حالف الفرنج على ، واستنصر بهم ، ووعدهم أن يعيد البلاد إليهم ، فاقضى ذلك سوقنا إليه . [١٣٩] وبلغنا أنك تدخل بيننا وبينه ، وحوشيت من ذلك ، وأنا خير لك من غيرى . وإن أردت أن تكون السلطان ورئيس الجماعة فأنا راضٍ بذلك .

وكتب لأخيه الملك الظاهر وغيره من [حكام^(١)] الممالك وترددت الرسائل بينهم .

وتقررت الحال على أن يكون للملك العزيز البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين ؛ وأن تكون دمشق وطبرية وأعمال الغور للملك الأفضل ؛ وأن يعطى الأفضل لأخيه الملك الظاهر جبلة واللاذقية ؛ وأن يكون للملك العادل بالديار المصرية إقطاعه الأول ، وأن يُخْطَب للملك العزيز ببلاده وتُنقش السُّكَّة باسمه ؛ وأن الملك العزيز يمدُّ بألف فارس إعانة له على فتح خلاط .

واجتمع الملك العادل بالملك العزيز ، وتزوج العزيز ابنته ، وجاء الملك الظاهر صاحب حلب إلى أخيه الملك العزيز . وتقررت قواعد الصلح . وتأخر الملك العزيز إلى الكُسوة ثم إلى مرج الصفر^(٢) ، ومرض به ثم أفاق .

ولما عزم على العود إلى الديار المصرية خرج لوداعه سائر الملوك الذين حضروا لنصرة الأفضل ، ثم خرج إليه الأفضل في سبع شعبان

(١) [إضافة تتفق والسياق .

(٢) « مرج الصفر » من نواحي دمشق ، إلى الجنوب الغربى منها — معجم البلدان .

وأدركه بنيق ، وهي أعلى الغور ، فأكرمه الملك العزيز ، وبألف في احترامه
وساله الأفضل أن يرجع إلى دمشق ليزور قبر أبيه ، فأجاب إلى ذلك ؛ ثم
أشار عليه أصحابه ألا يفعل ، فامتنع . وعاد الأفضل ، وسار العزيز إلى
الديار المصرية فدخلها في أواخر شعبان .

وفي مستهل جماد سنة تسعين وخمسمائة هبت رياح عاصفة بالقاهرة
من وقت العصر ، وسقط في ثالث الشهر برد كثير أكبره قدر البيض
وأصغره قدر النبق ، وصار على جبل المقطم منه شيء كثير كالجبل الثاني ؛
ونقل الناس منه مدة أربعة أيام ؛ ثم سأل حتى ملأ الخندق ، ودخل الماء من
المراسم التي في السور إلى القاهرة ، وعلا ، حتى خيف على البلد .

ذكر خروج الملك العزيز لقصد الشام ثانيا ورجوعه وقصد العادل والأفضل الديار المصرية وما تقرر من القواعد :

كان سبب ذلك أن الملك الأفضل قلّد وزارة دمشق لضياء الدين
ابن [^(١)] الأثير الجزري وحكّمه في البلاد ، فقصد الأمراء بالأذى
والإطراح ، وتشاغل الأفضل عنهم . ففارق خدمة الأفضل [فارس
الدين] [^(٢)] ميمون القصرى [وشمس الدين] ^(٣) وسنقر الكبير وعز
الدين سامة ، وغيرهم . وحضر بعض هؤلاء إلى الديار المصرية وانضموا
إلى الملك العزيز ، وقالوا له : إن الأفضل مسلوب الاختيار ؛ وحرّضوه
على قصد دمشق ؛ فخرج إليها في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

(١) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١٠ . السلوك ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١١ .

(٣) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١١ .

فلما اتَّصل خبرُ خروجه بالأفضل ركبَ من دِمَشق في رابعِ مُجمَدى الأولى وتوجَّه إلى عمِّه الملك العادل ، وهو بقلعة جَعْبَر ، واستنجد به ، وسار إلى أخيه الملك الظاهر بحلب واستنجد به أيضاً ، فركبَ الملك العادلُ وجَدَّ في السَّير إلى دِمَشق خوفاً أن يسبقَه العزيز إليها . وكاتبَ الملك العادل الأمراءَ الذين صُحبة العزيز ، وكان العزيز قد نَزَلَ بمنزلة الفُؤار على مرحلتين من دِمَشق ، واستمالَهُم وحذَرَهُم من العزيز ، فمالُوا إليه ، واستمالوا أبا الهيثماء السَّمين ، وفارقوا العزيز وقصَدُوا دِمَشق ؛ وذلك في يوم الاثنين رابعِ شوال من السَّنة .

فلما وصلُوا إلى دِمَشق اتَّفَقَ العادلُ والأفضل ، وتحالفاً على قَصْد العزيز وانتزاعِ الدِّيار المصريَّة منه ، على أن يكونَ ثلثُ الدِّيار المصريَّة للملك العادل إقطاعاً والثلثان للملك الأفضل . وسأروا في طلب العزيز ، فَرَجَعَ إلى الدِّيار المصريَّة وجَدَّ في السَّير ودخلَ القاهرة ^(١) .

قال : ولما وصلَ العادل والأفضل إلى القُدس سلِّمًا وأعماله وما يجاورُه من أَعْمَال السَّاحل لأبي الهيثماء السَّمين ، فرتَّب فيه نَوَّابه ، وسار معها إلى الدِّيار المصريَّة . فنَزَلَ الملك العادل على بلييس ، وكان السعر ما شيا ^(٢) فاستظهر العزيز عليهم .

[١٤٠] قال : ولم يكن غرضُ العادل قَصْدَ مِصرٍ وإنما خَشِيَ على الملك العزيز من الأمراء أن يقتلوه ويستولوا على الدِّيار المصريَّة ، فقصدها لهذا السَّبب .

ولما ضاقت الميرةُ على العسكر الشَّامي وقتلت أزوادهم نديمُوا على وُصُولهم إلى الدِّيار المصريَّة ؛ فأرسلَ الملك العادل إلى القاضي الفاضل

(١) انظر تفصيل ذلك في مفرج الكروبيد ج ٣ ص ٤٦ - ٤٩ .

(٢) « وكانت أهام زيادة النيل ، والأسعار غالية ، والعلف متعز » في السلوك ج ١ ص ١٢٦ .

عبد الرحيم في الاجتماع به ، فأذن له العزيز في ذلك ؛ فخرج إليه ، فاستبشر الناس بخروجه رجاء وقوع الصلح . وركب العادل وتلقاه على فراسخ^(١) ، فاجتمعا ، واستقرت القواعد على أن يكون إقطاع العادل بمصر على عاذته ، وأن تكون إقامته عند الملك العزيز بالقاهرة ، وأن يعفو [العزيز]^(٢) عن الأسدية والأكراد .

واجتمع العادل بالأفضل وأمره بالرجوع إلى دمشق . ثم اجتمع الأفضل بالعزيز ، واستقر الصلح بينها ، وأهدى العزيز إليه هدايا جليلة المقدار . ورجع الأفضل إلى دمشق ومعه أبو الهيثم السمين ، فدخلها في المحرم سنة اثنتين وتسعين وخسمائة .

ولم تطل المدة إلى أن بلغ الملك العادل عن الأفضل ما استوغر خاطره ، فعند ذلك قرر ، مع الملك العزيز ، أن يجهز العساكر لتمهيد قواعد الملك بالشام وسائر البلاد ، وأتفقا على أن يكون العزيز بدمشق والعادل ينوب عنه بالديار المصرية .

ذكر ملك الملك العزيز دمشق

وخروج الأفضل إلى صرخد

قال : ولما اتفق الملك العادل والملك العزيز على ما قرراه تجهز [الملك العادل]^(٣) للمسير إلى دمشق وبرز بخيابه من القاهرة في يوم السبت

(١) المقصود أنه سار عدة أميال لاستقباله .

(٢) [إضافة للتوضيح ، وانظر مفرج الكروب ج ٣ ص ٥٢ ، السلوك ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) [إضافة للتوضيح — انظر ما يلى عند الحديث عن خروج العزيز .

مستهل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [في] ^(١) ثلاثة آلاف فارس . ثم برز الملك العزيز في يوم الثلاثاء ، رابع الشهر ، وظاهر خروجه ودأعه لعنه الملك العادل ، وحث العساكر المجرودة على الخروج . وأقام ببركة الحب .

فلما كان في العشرين من الشهر اتصل بالملك العادل عن الملك الأفضل أنه كاتب الأسديّة ، وأنه قبض على أموال كانت للعادل بدمشق ، وأطلق رهائن كانت عند نوابه ، وأنه وافق الظاهر صاحب حلب ؛ فقرر مع الملك العزيز أن يتوجّها جميعاً ويأخذوا دمشق من الأفضل وحلب من الظاهر ، فاتفقوا على ذلك وعقدوا بينها ميثاقاً .

وشرع الملك العزيز في تجهيز رجال الحلقة والأعيان ، وزحل هو وعنه الملك العادل من البركة في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى ، فحصل للعادل ضعف في هذا النهار منعه عن الحركة . وكان وضوؤها إلى بليس في سابع عشر الشهر ، وكملت صحة العادل في العشرين من الشهر ، وسار إلى الشام على مهل ورفق .

فلما تحقق الملك الأفضل قصدهما لبلاده استنار شيوخ دولته ، فأشاروا عليه أن يستقبل أخاه وعمه ويسلم لها الأمر ؛ وأشار وزيره ضياء الدين ابن الأنير الجزري بالتصميم والمخالفة ، فرجع إلى رأيه ، وحصن البلد ، وفرّق الأمراء على الأسوار . فلما رأى شيوخ الدولة وأكابرها أنه لم يرجع إليهم واعتمد على رأى وزيره راسلوا الملك العزيز والملك العادل في انتهاز الفرصة ؛ فركباً بعساكرهما وتأهباً في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب وخرج أهل دمشق لقتالهم ؛ والتقوا في السابع والعشرين من الشهر . فلم يكن بأسرع من انهزام العسكر

الشامى . وتبعهم العزيز والعاذل حتى ألبأهم إلى سور البلد ، ودخلوا دمشق ^(١) ، وتبعهم العسكر ، فملككت البلد .

فبعدها ركب الملك الأفضل إلى خيمة أخيه الملك العزيز ، واجتمع به بظاهر دمشق .

قال : ودخل الملك العادل ومن معه باب توما والباب الشرقي ، ونزل بالدار الأسدية . ودخل الملك العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية ^(٢) . وملك العزيز دمشق وأقيمت له الخطبة في يوم الجمعة الثامن والعشرين من الشهر .

قال : ولما ملك الملك العزيز دمشق ندم على ما كان قرر من إقامته بالشام وتمكين عمه الملك العادل من الديار المصرية واعتذر [١٤١] إلى أخيه الملك الأفضل في السر . فأظهر الأفضل سره لمن معه فظنوا أن هذه خديعة . فأرسل إلى العادل وأعلمه برسلة العزيز ، فعنه العادل ، فأنكر الحال ^(٣) . وخرج الأفضل إلى صرخد ^(٤) وقرر له في كل سنة مائتي ألف درهم من صرخد وغيرها . وهو كاره لذلك . وسأل أن يكون بمكة ؛ وينقطع إلى الله تعالى ، وينزل عن الملك ، فلم يجبه العزيز .

وكان خروج الأفضل من دمشق إلى صرخد يوم الاثنين ، ثاني شعبان سنة اثنين وتسعين ، فكانت مدة ملكه لدمشق ، منذ وفاة والده إلى أن ملكها العزيز ، ثلاث سنين وخمسة أشهر .

(١) « من دمشق » في الأصل . والنصح يتفق مع السياق .

(٢) « وبات عند عمته ست اشام بنت أيوب — المعروفة بالحسامية — والدة حسام الدين بن لاحق ، وإليها تسب مدرسة ست الشام بدمشق » — مفرج الكروب ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) صرخد : قلعة حصينة ، من أعمال دمشق . ملاصقة لبلاد حوران — معجم البلدان .

وَدَخَلَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ قَلْعَةَ دِمَشْقَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَجَلَسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِدَارِ الْعَدْلِ وَأَسْقَطَ مِنَ الْمَكُوسِ بِدِمَشْقَ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ عَلَى سُوقِ الرَّقِيقِ وَسُوقِ الدُّوَابِّ وَدَارِ الْبَطِّيخِ ، وَالْمَلَاهِي ، وَالْعَصِيرِ ، وَالْفَحْمِ ، وَالْحَسِيدِ ، وَسَبْكِي الْفُولاذِ وَالزَّجَاجِ .

قال : وهرب ضياء الدين ابن الأثير ونهبت داره .

وَنُودِيَ فِي دِمَشْقَ أَنَّ يَلْبَسُ أَهْلُ الذِّمَّةِ الْعِمَامَاتِ الْغِيَارَ لِيُعْرِفُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ لَمَّا جَلَسَ بِدَارِ الْعَدْلِ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ لَهُ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ ، فَمَا شَكَ الْعَزِيزُ أَنَّهُ مِنَ الْأَشْرَافِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ ذِمِّيٌّ أَمَرَ بِذَلِكَ .

قال : ولأطف الملك العزيز عنه الملك العادل إلى أن قام بدمشق في النِّهَايَةِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ . وَسَلَّمَ دِيوانَ دِمَشْقَ لَصَفَى الدِّينِ ابْنِ شُكْرٍ ^(١) كَاتِبِ الْعَادِلِ .

وَفَارَقَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ دِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَعَادَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ وَسَلَّمُ إِلَيْهِ دِمَشْقَ وَمَا هُوَ مِضَافٌ إِلَيْهَا مِنَ الْقَلَاعِ وَالْحِصُونِ وَالْأَعْمَالِ ؛ وَالْخُطْبَةِ وَالسَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ .

وَدَخَلَ الْعَزِيزُ إِلَى الْقَاهِرَةِ جَرِيدَةً فِي رَابِعِ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ وَفَوْضَ شَدَّ الْأَمْوَالِ وَالْخُطَابِ عَلَيْهَا لِلْأَمِيرِ فَخَرِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ جَهَارَكْسَ ؛ وَضَعْنَ الْحُمْورَ فِي كُلِّ سَنَةِ بِسَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَتَجَاهَرُ النَّاسُ بِهَا وَظَهَرَ

(١) هو عبد الله بن علي . صفى الدين ابن شكر ، وزير الملك العادل الأيوبي ، ثم وزير الملك الكامل الأيوبي . وتوفي سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٥ م . السلوك ج ١ ص ٢٢٠ .

الفساد وفشا في الناس ؛ واجتمع الرجال والنساء في شهر رمضان من غير استئثار ، سيما في الخليج وساحل مصر ؛ ورتب ضمان الخمر في النفقة على طعام السلطان ؛ وهذه من البلايا التي لم يُسمع بمثلها ، فإن عادة الملوك والأكابر [أن] ^(١) يجتهدوا أن يكون مأكّلهم من أجل الجهات كالجوال ^(٢) وما يُناسبها . وبسبب إطلاق الخمر كثّر القتل بالقاهرة والجراحات ، وخُطف العمائم والأمتعة والمأكّل من الأسواق .

قال المؤرخ : وغلّت الأسعار في هذه السنة بالديار المصرية ، واشتدّ الأمر على الناس ، وكثّر الوباء ، وبلغ القمح كل أردب دينارين ، وأطن الدينار ثلاثة عشر درهما وتُلت درهم ، وهذا كان نهاية الغلاء في ذلك العصر .

ولقد وصف ^(٣) الفاضل من عظم ما حلّ بالناس غلوّ السعر أمراً عظيماً فكيف لو أدرك الفاضل الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمئة وقد أبيع القمح سعر الأردب ثلاثة عشر ديناراً ونصف دينار وأبيع الفروج بخمسين درهماً ، ورطل البطيخ الأخضر بأربعة دراهم ، والسفرجلة بثلاثين درهماً ^(٤) .

قال المؤرخ : وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة كانت وفاة الشيخ السيد الشريف عبد الرحيم ^(٥) ، قدس الله روحه ونور ضريحه ، بقنا من أعمال قوص ودُفن بجبانته ، وضريحه معروفٌ هناك من أعظم مزارات

(١) [إضافة يقتضها السياق .

(٢) الجوال : مصطلح بمعنى الجزية المفروضة على أهل النمة .

(٣) « وصل » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) يقارن النويري بالفترة التي عاصرها .

(٥) هو عبد الرحيم بن أحمد بن حجّون القناني . المتوفى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م - الطالع

السعيد ص ٢٩٧ رقم ٢٣٠ .

أهل الصَّلاح بالدُّنيا .

ومَّا نُقِلَ من كلامه ، قدسَ الله روحه ، وَقَدْ سَمِعَ المؤذِّن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الشيخُ شَهِدْنَا بما شَهِدْنَا . ومن كلامه : لا يستطيعُ العارفُ أن يوصلَ إلى مَنْ لا يعرفُ حقيقةَ ما عَرَفَ ، كما لا يستطيعُ البصيرُ أن يوصلَ إلى الأكْمَرِ ^(١) حقيقةَ الألوان . وعُرضَ هذا الكلامُ على الشيخِ عزِّ الدِّين عبْدَ العزيز ^(٢) بن عبد السلام ، رحمه الله ونفع به ، فقالَ هَذَا كَلَامٌ مَنْ غَرِقَ في الحقيقة .

[١٤٢] ذكر استيلاء الفرنج على بيروت

وفي يوم الجمعة عاشر ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة مَلِكُ الفرنج مدينةَ بيروت من المسلمين وسببُ ذلك أنَ فرنج السَّاحِل راسَلُوا مَلِكَ الألمان ^(٣) في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وكان قد مَلَكَ جزيرة صقلية ، وعرفوه أَنَّ المسلمين قد اِشْتَقَلُوا بحرب بعضهم بعضاً : فأقبل في مراكبه ^(٤) إلى عكا . وصادَفَ ذلك سقوطُ الكُنْدهرى ^(٥) ملك عكا من

(١) الأكْمَر : الذى يولد أعمى - اللسان .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى ، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد . توفى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م - طبقات الشافعية الكبرى ج ٨ ص ٢٠٩ رقم ١١٨٣ .

(٣) هو الامبراطور هنرى السادس . الذى عمل على استعادة مكانة الألمان في الأرض المقدسة ، فأرسل حملة ألمانية عاجلة على رأسها أدولف وكتراد - انظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٦٩ .

(٤) انظر الهامش السابق .

(٥) هو هنرى كونت - شامبانيا . ولقى مصرعه في ١٠ سبتمبر ١١٩٧ . - تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٢ .

شُباكٍ فهلك ، فملك ملك قبرص ^(١) عكّا ، وخرج إلى بيروت فملكها من المسلمين ، وكان بها عز الدين أسامة . فعمرها الفرنج ولم تزل بأيديهم إلى أن فتحها الملك الأشرف ^(٢) في سنة تسعين وستمئة ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار دولة الترك .

وفيها خرجت المراكب الحربية لقصد بلاد الفرنج ، فوجدوا بطشاً للفرنج فملكوها ، فوجد المسلمون فيها أموالاً جلييلة .

وفيها أنشأ الأمير فخر الدين إياز جهاز كس الناصري القيسارية المعروفة به بالقاهرة المحروسة ، وجاءت من أحسن الأبنية ^(٣) .

ذكر وفاة سيف الإسلام بن أيوب ملك اليمن وملك ولده شمس الملوك

وفي يوم الأربعاء الثالث من شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة توفي الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، أخو السلطان الملك الناصر [صلاح الدين] ^(٤) بالمنصورة التي أنشأها باليمن . وكان قد طرد ولده شمس الملوك [إسماعيل] ^(٥) إلى الحجاز . فلما سيع بوفاة والده سار إلى اليمن وملك بعده .

(١) « ملك الألمان » في الأصل . والتصحيح من تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٤ .

(٢) هو الأشرف خليل بن قلاوون .

(٣) قيسارية جهاز كس بالقاهرة : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) [إضافة للتوضيح .

(٥) [إضافة للتوضيح ، وانظر مفرج الكروب حيث ورد به أن أباه أبعده إلى الشام — ج ٣

وإلى سيف الإسلام هذا يُنسب البستان^(١) الذي كان بظاهر القاهرة ، وهو الآن عمائر تُعرف أرضها بحكر سيف الإسلام .

ذكر وفاة الملك العزيز وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الأحد العشرين^(٢) من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة بداره بالقاهرة .

وكان قد خرج إلى الفيوم لقصد الصيد إلى ذات الصفا ، فحُم ، فعاد إلى القاهرة واشتد مرضه ، فمات . وقيل إنه ساق خلف الصيد فكبا به فرسه مرة بعد أخرى ، فمات بعد ثلاث . ودُفن بداره بالقاهرة [وكان مولده بالقاهرة]^(٣) في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين ، وقال الفاضل في جمادى الآخرة . فكانت مدة عمره سبعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوماً ؛ ومدة ملكه خمس سنين وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

وكان رحمه الله عادلاً كريماً بالمال ، بخيلاً على طعامه شجاعاً حسن الأخلاق .

وخلف من الأولاد أحد عشر ولداً ، وهم الملك المنصور محمد ، القائم بعده ؛ وعلى ، وعمر ، وإبراهيم ؛ وعيسى ؛ ومحمود ؛ ورعاه ، ويوسف ؛

(١) بستان سيف الإسلام : شرقى بركة الغيل فيما بين البركة والجبل الذي عليه قلعة الجبل - الموعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٣٣ ، الانتصار ق ٥ ص ٤٥ .

(٢) « السابع والعشرين » في مفرج الكروب جـ ٣ ص ٨٣ ، السلوك جـ ١ ص ١٤٤ .

(٣) [إضافة تنفق مع السياق من الروضتين جـ ١ ص ٧٠٩ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص

ويونس؛ وولدان صغيران. ولم يخلف في خزانته ذهباً ولا دراهم إلا بعض قماش ليس بالطائل.

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك العزيز ابن الملك الناصر وهو الثالث من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية

[١٤٣] ملك الديار المصرية بعد وفاة أبيه في يوم الأحد العشرين^(١) من المحرم سنة خمس وتسعين وخسمائة بوصية منه. ولما مات الملك العزيز كان عمه الملك العادل يحاصر ماريدين فاجتمعت الأمراء الصلاحية وعقدوا الأمر لولده ولقبوه بالملك المنصور، وكان قبل ذلك يُلقب بالناصر وإنما تركوا الناصر لموافقته لقب الخليفة^(٢) وركب في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم، وشق القاهرة من باب زويلة إلى باب النصر، والأمراء في خدمته. وكتب الأمراء إلى الملك العادل يعزونه في ابن أخيه الملك العزيز، ويدكرون اتفاقهم على تنصيب^(٣) ولده في السلطنة بعده، وأنهم على طاعة الملك العادل.

ثم اجتمع الأمراء الأسدية والصلاحية بظاهر القاهرة وقالوا: إن الذي فعلناه من حفظ الملك العزيز في ولده هو نعم الرأي، وإنما هو صغير السن لا يفهم ما يقال له، ولا يقوم بأعباء الملك، ولا بد لنا من كبير من

(١) «حادى عشر المحرم» في السلوك ج ١ ص ١٤٦، وهو يتناقض مع ما سبق وروده في السلوك من أن وفاة العزيز كانت في ٢٧ محرم — انظر السلوك ج ١ ص ١٤٤، ١٤٦.

(٢) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، الذى ولى الخلافة العباسية في الفترة من ٥٧٥ -

٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣.

(٣) «نصب» في الأصل، والتصحيح يتفق مع السياق.

هَذَا الْبَيْتُ يُرَبِّيه وَيُكْفَلُهُ وَيُدَبِّرُ أحوالَ الدَّوْلَةِ ، وَلَيْسَ لَهَا مِثْلُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَهُوَ الْآنَ مَشْغُولٌ بِبِلَادِ الشَّرْقِ . وَقَصَّدُوا أَنْ يَكْتُبُوا إِلَيْهِ وَيَسْتَدْعُوهُ فِكْرَةَ بَعْضِهِمْ شِدَّةَ أَخْلَاقِهِ وَمُمَاقَنَتَهُ^(١) لِلْجَنْدِ فَعَدَّلُوا عَنْهُ وَاتَّفَقُوا عَلَى اسْتِدْعَاءِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ مِنْ صَرْخَد .

وَأَنْ يَتَوَلَّى أُنَابَكِيَّةَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَأَنْ يَنْوُبَ عَنِ الْأَفْضَلِ إِلَى حِينَ وَصُولِهِ ، أَخُوهُ الْمَلِكُ الظَّافِرُ خُضْرَ ، فَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ^(٢) .

وَكَتَبُوا إِلَى الْأَفْضَلِ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ صَفَرَ مِنْ السَّنَةِ وَنَزَلَ الْمَلِكُ الظَّافِرُ بِدَارِ السُّلْطَنَةِ فِي الْقَاعَةِ الْعَزِيزِيَّةِ ، وَقَامَ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ .

قَالَ : وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ الْأَمْرَاءِ إِلَى الْأَفْضَلِ خَرَجَ مِنْ صَرْخَدَ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ ، وَسَلَكَ الْهَرِّيَّةَ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ .

ذِكْرُ وَصُولِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَاسْتِقْرَارِهِ فِي تَدْبِيرِ دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ

كَانَ وَصُولُهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ : فَبَرَزَ النَّاسُ لِلِقَائِهِ ، وَزُيِّنَتِ الْمَدِينَةُ ، لِقُدُومِهِ . وَلَمَّا دَخَلَ أَقْرَأَ الْخُطْبَةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ابْنِ أَخِيهِ ، وَنَقَشَ السَّكَّةَ بِاسْمِهِ ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ يُذَكِّرُ بَعْدَهُ . وَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ يَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْإِنْقِيَادَ إِلَى أَمْرِهِ

(١) مَأَمَتِ الرَّجُلُ : أَبْغَضَهُ أَشَدَّ الْبَغْضِ ، وَالْمَعَانِيَةُ مِنَ الْمَشَارَكَةِ : أَيْ أَنَّ الْبَغْضَ مُتَبَادِلٌ بَيْنَ الْعَادِلِ وَالْجَنْدِ مِنَ الصَّلَاحِيَةِ — الْقَامُوسُ .

(٢) « وَأَقِيمَ الْمَلِكُ الظَّافِرُ مِظْفَرَ الدِّينِ خُضْرَ بْنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ مُبَاشِرَ نِيَابَةِ السُّلْطَانَةِ حَتَّى يَقْدَمَ الْأَفْضَلُ » — السُّلُوكُ ج ١ ص ١٤٦ .

قال : ولما وصل الملك الأفضل إلى بلبس خرج فخر الدين إيازجهاركس وزين الدين قراجا على أنها يلتقيانه ، فتوجها إلى الملك العادل . ثم خرج في يوم وصوله الأمير شمس الدين ^(١) سراسنقر بمالكيه وجماعة من أصحابه والتحق بالملك العادل ، وسار إليه ، إلى ماردين .

ذكر مسير الملك الأفضل إلى الشام وحصار دمشق وعوده عنها وخروجه عن الديار المصرية

قال : ولما استقر الأفضل في تدبير الدولة بالديار المصرية ، ولم يبق للملك المنصور معه إلا الشركة في الخطبة ، حمّله أصحابه على قصد دمشق وحضرها ، وقالوا : هي لك بوصية أبيك الملك الناصر ، فعزم على المسير إليها ، وأمر العساكر بالاستعداد لذلك . وبرز إلى المخيم ببركة الحب ، هو وابن أخيه الملك المنصور ، في يوم السبت العشرين من جمادى الأولى من السنة واستحث العسكر على الخروج .

ووصل إليه في يوم الأربعاء ، السادس من جمادى الآخرة ، رسول من أخيه الملك الظاهر صاحب حلب وهو يُلومُه على إنفاذ الرُّسل بالطاعة للعادل ، ويقول : إن أكثر الناس كانوا منصرفين عنه فانصرفوا إليه ، وحثه على سرعة قصد دمشق ؛ ويقول : اغتنم الفرصة مادام العادل في حصار ماردين ؛ ووَعده بالوصول إليه فأكد ذلك ما عنده ، وأقام ببركة الحب وهو يحث العسكر على سرعة الحركة ، إلى ثانی شهر رجب ، فرحل عنها .

(١) « أسد الدين » في السلوك جـ ١ ص ١٤٧ ، ومفرج الكروب جـ ٢ ص ٩٢ .

وفي مدة مقامه ببركة الحب أحضر قاضي القضاة والشهود،
وأشهدهم على نفسه [١٤٤] أنه وقف المطرية^(١) ومنية الباسل^(٢) والرّباع
المسوغة والمستمرة بيد الديوان على عمارة سور القاهرة ومصر
والبيمارستان بالقاهرة .

قال : ولما وصل الأفضل إلى بلبس احتاط على ما كان باسم العادل
وألزّاه بالديار المصرية ؛ وأقطعه ، ثم قبض على أخيه الملك المؤيد وقبّده
وأعادته إلى القاهرة ، فاعتقل بالقلعة . وتعدى الملك الأفضل في سيرة إلى
دمشق . هذا ما كان منه .

وأما الملك العادل فإن سراسنقر الناصري وصل إليه بما يريد
واستحثه على العود إلى دمشق ، فأوصى ولده الملك الكامل بمحاصرتها .
وفارقها العادل لخمس بقين من شهر رجب ، ووصل إلى دمشق في يوم
الاثنين حادي عشر شعبان ، وأخذ في تحصين البلد . ووصلت العساكر
المصرية في يوم الخميس ، ورُتب الأطلاب وسار الملك المنصور بن الملك
العزیز في القلب وزحف على البلد فأخذ قصر حجاج والشاغور . وكان
العادل لما شاهد إقبال العساكر أمر بإحراق قصر حجاج ، فأحرق ،
واحترق فيه عدة مساجد وأطفال . وأحاطت العساكر المصرية بدمشق ،
ودخلها جماعة منهم من باب السلامة ، وانتهوا إلى السوق الكبير ،
وخرجوا من باب الفراديس . وقدم الأفضل الميدان الأخضر^(٣) ثم تأخر
إلى ميدان الحصى ؛ واستقر بهذه المنزلة أكثر من ستة أشهر .

(١) المطرية : من ضواحي القاهرة - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ١١ .

(٢) منية الباسل = المنيا = منية الباسك = من إقليم الاطفيحية ، وهي حاليا تابعة لمركز الصف
بمحافظة الجيزة - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٣١ .

(٣) « وسير الأفضل بالديوان الأخضر » في الأصل . والتصحيح من مفرج الكروب ج ٣ ص
٩٥ ، السلوك ج ١ ص ١٤٨ .

وكاتب الملك العادل جماعة من الأمراء المصريين ، ففازقوه ودخلوا إلى دمشق فأكرمهم .

ثم وصل الملك الظاهر صاحب حلب ومعه أخواه الظاهر والمعز وجاءهم الملك المجاهد صاحب حمص ، وعسكر حماة دون سلطانها^(١) ، وحسام الدين بشارة صاحب حمص بانياس ، وكان من أكابر الدولة ، فأشار بالصلح .

قال : ولما حاصر الملك الأفضل دمشق منع من يدخل إليها بشيء من الميرة ، وقطع عنها الأنهار ؛ فاشتد الأمر على أهل دمشق ، واستغاثت الرعايا على العادل ، وتسلطوا عليه ، وحملوه على تسليم البلد . وانتقل أكثر من في البلد إلى القسقر ، ونصبوا به أخصاصا ومساكن ؛ وأقيمت الأسواق به .

فلما اشتد الأمر على العادل كتب إلى الظاهر يستميله وقال : أنا أسلم البلد إليك دون غيرك ، فنعى الخبر إلى الأفضل ، فاضطرب رأيها ، وقيل بل كتب إليها يقول : أنا أسلم البلد إليك بعد سبعة أشهر فأجاباه إلى ذلك . وقيل إنه كان يكتب إلى الأفضل يقول الظاهر قد صالحني ، وإلى الظاهر بمنل ذلك .

واتفق في فساد حال الأفضل أن جماعة الأمراء كان بأيديهم إقطاعات بالديار المصرية جليلة المقدار ، فحسداهم آخرون عليها ، فكانوا يأتون إلى الملك الأفضل ويقولون : إن فلانا قد عزم على قصد عمك العادل والانضمام إليه ، ويأتون لذلك الأمير فيقولون : إن الأفضل قد عزم القبض عليك ، ويأتى ذلك الأمير إلى الأفضل فيرى في وجهه أثر التغير لما نقل عنه ، فلا يشك ذلك الأمير في صدق الناقل فالتحق به جماعة من الأمراء

فبينما الأفضل كذلك إذ قَدِمَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ بْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مِنَ الشُّرْقِ ، فِي تَاسِعِ عَشْرِ صَفَرِ سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، بِالْعَسَاكِرِ وَالتُّرُكُمَانِ فَاشْتَدَّ بِهِ عِضْدُ أَبِيهِ . وَتَأَخَّرَ الْأَفْضَلُ بَيْنَ مَعِهِ إِلَى سَفْحِ جَبَلِ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَرْجِ الصُّفْرِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشْرِ صَفَرٍ ؛ وَعَادَ الظَّاهِرُ وَالْمُجَاهِدُ^(١) .

وَاشْتَدَّ الْهَرْدُ عَلَى الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ فَعَادَ الْأَفْضَلُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَسَاقَ الْعَادِلُ بَعْسَاكِرَهُ فِي أَثَرِهِ . فَكَانَ وَصُولُ الْأَفْضَلِ إِلَى بَلْبِيسَ فِي حَادِي عَشْرِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْإِقَامَةِ بِهَا .

قَالَ : وَلَمَّا وَصَلَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ إِلَى تَلِّ الْعُجُولِ^(٢) أَقَامَ بِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَرَأَسَلَ الْأَفْضَلَ ، فَبَايَعْتُوهُ أَنَّهُ لَا يَصَالِحُهُ حَتَّى يَفَارِقَ الْأُمَرَاءَ الصَّلَاحِيَّةَ .

فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بِالصَّلَاحِيَّةِ غَضِبُوا وَعَزَمُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ .

هَذَا وَالْأَفْضَلُ عَلَى بَلْبِيسَ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ مَعْظَمُ أَصْحَابِهِ إِلَى إِقْطَاعَاتِهِمْ وَجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ بَايَعُوا الْمَلِكَ [الْعَادِلَ]^(٣) .

(١) كَانَ يَتَوَلَّى حِمَاةَ وَتَرَايَحُهَا الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ تَقِيِّ الدِّينِ عِمْرَ . وَذَلِكَ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ٥٨٧ -

٦١٧ هـ / ١١٩١ - ١٢٢٠ م - تَارِيخُ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٤٧ .

(٢) تَلِّ الْعُجُولِ : بِالْقَرَبِ مِنْ غَزَّةَ - مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

(٣) [] : إِضَافَةٌ يَتَضَمُّهَا السِّيَاقُ . انْظُرْ مَفْرَجَ الْكُرُوبِ جـ ٣ ص ١٠٨ . السُّلُوكُ جـ ١ ص

١٥٠ .

وَعِنْدَ هَذَا الْمَوْضِعِ تَنْتَهِي اللَّوْحَةُ ١٤٤ وَهِيَ آخِرُ مَا وَجَدَ مِنْ جـ ٢٦ مِنْ مَخْطُوطِ نَهَايَةِ الْأَرَبِ . وَمِنْ الْأَرْجَحِ أَنْ هُنَاكَ وَرَقَةٌ أُخْرَى مَفْقُودَةٌ فِيهَا ذِكْرُ لِلْأَحْدَاثِ الَّتِي تَرْبُطُ بَيْنَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ وَبِدَايَةِ الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَخْطُوطِ وَالَّذِي يَبْدَأُ بِالْكَلَامِ عَنْ أَخْبَارِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَدُخُولِهِ الْقَاهِرَةَ فِي ٢٢ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٥٩٦ هـ . وَذَلِكَ تَحْتَ عُنْوَانٍ : « ذِكْرُ أَخْبَارِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَيْفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ وَسُلْطَتِهِ » .

[ومضى الملك العادل يطوي المراحل إلى أن دخل الرمل وبلغ الملك الأفضل ذلك ، فرام جمع عساكره ، فتعذر ذلك عليه لتفرقهم في أخبارهم ، وتشتتهم في الأماكن التي يربعون فيها خيلهم ، فخرج في جمع قليل ، ونزل السانح .

ووصل الملك العادل ، وضرب معه مصافا ، فانكسر عسكر الملك الأفضل ، ولولا منهزمين لا يملون على شيء .

ثم سار الملك العادل بالعساكر ، ونزل بركة الحب ، وسير إلى الملك الأفضل يقول له : « أنا لا أحب أن أكسر ناموس القاهرة ، لأنها أعظم معاقل الإسلام ، ولا تمهوجني إلى أخذها بالسيف ، واذهب الى صرخد وأنت آمن على نفسك » .

فاستشار الملك الأفضل الأمراء فرأى منهم تخاذلا ، فأرسل إلى عمه يطلب منه أن يعرضه عن الديار المصرية بالشام ، فامتنع من ذلك ، فطلب أن يعرضه حران والرها فامتنع ، فطلب منه جافى وجبل جور وميافارقين وسميساط ، فأجابه إلى ذلك ، وتسلم القاهرة منه . [(١)]



[انتهى الجزء السادس والعشرون من كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السابع والعشرون ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل] (٢) .

(١) [إضافة لربط أحداث نهاية هذا الجزء بالأحداث التالية في بداية الجزء التالي - مرجع

الكروب جـ ٣ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) خاتمة للجزء تتفق وسياق خاتمة الجزء السابق من كتاب نهاية الأرب .

١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

مختصرات مصادر ومراجع التحقيق

تحتوى القائمة التالية على أسماء المصادر والمراجع الإضافية ومختصراتها التى استلزمها تحقيق الجزء الثامن والعشرين من كتاب نهاية الأرب للتويزى .^(١)

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر والمراجع :

(١) اتعاظ الحنفا = المقرئى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

— اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .

٣ أجزاء — تحقيق جمال الدين الشيال — محمد حلمى محمد أحمد — القاهرة

١٩٦٧ — ١٩٧٣ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة = ابن طاهر (جمال الدين بن على ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :

أخبار الدول المنقطعة — دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين — تحقيق أندريه فريه .

المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٢ .

(٣) أخبار مصر = المسبحى (محمد بن عبيد الله بن أحمد ، ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) :

— الجزء الأربعون من أخبار مصر .

تحقيق أمين فؤاد سيد ، وتيارى بيانكى — القسم التاريخى .

المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٨ .

(١) تحقيقاً لمواش التحقيق استخدمنا مختصرات فى الإشارة إلى المصادر والمراجع . وفى هذه القائمة أتيننا
مختصراً للمصادر والمراجع . وأمام كل مختصر اسم المصدر أو المراجع .

- (٤) الإشارة = ابن الصيرفي (على بن منجب بن سليمان ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) :
 — الإشارة إلى من نال الوزارة .
 تحقيق عبد الله مخلص .
 المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٢٤ .
- (٥) الاعتبار = أسامة بن منقذ ، ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) :
 — كتاب الاعتبار .
 نشره فيليب حقي .
 جامعة برنستون — الولايات المتحدة ١٩٣٠ .
- (٦) أعلام الإسكندرية = جمال الدين الشيال :
 — أعلام الإسكندرية — القاهرة ١٩٦٧ .
- (٧) افتتاح الدعوة = القاضي النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن حيون ، ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) :
 — كتاب افتتاح الدعوة .
 تحقيق فرحات الدشراوي — تونس ١٩٧٥ .
- (٨) الانتصار = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
 — الانتصار لواسطة عقد الأمصار .
 نشر فولرز — بولاق ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٣ م .
- (٩) البداية والنهاية = ابن كثير (إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
 — البداية والنهاية — ١٤ جزء — بيروت ١٩٦٦ .
- (١٠) تاريخ الحروب الصليبية = رنسمان :
 — تاريخ الحروب الصليبية — ترجمة السيد الباز العريفي .
 ٣ أجزاء — بيروت ١٩٦٧ — ١٩٦٩ .

- (١١) تاريخ الدول الإسلامية = أحمد السعيد سليمان
 — تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة —
 جزءان — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٩ .
- (١٢) تاريخ دولة الكتوز الإسلامية = عطية القوصي
 — تاريخ دولة الكتوز الإسلامية — القاهرة ١٩٧٦ .
- (١٣) تاريخ ابن الفرات = ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصري ، ت ٨٠٧ هـ /
 ١٤٠٤ م) :
 — تاريخ الدول والملوك .
 المجلد الرابع — البصرة ١٩٦٧ .
 المجلد ٧ — ٩ — بيروت ١٩٣٦ — ١٩٤٢ .
- (١٤) تاريخ مدينة الإسكندرية = جمال الدين الشيال
 — تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي —
 القاهرة ١٩٦٧ .
- (١٥) تاريخ ووصف قلعة القاهرة = كازانوف :
 — تاريخ ووصف قلعة القاهرة — ترجمة أحمد دراج — القاهرة ١٩٧٤ .
- (١٦) تكملة تاريخ ابن البطريق = يحيى بن سعيد الأنطاكي .
 — تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي
 نشر كراتشكوفسكي — ١٩٢٤ .
- (١٧) الحركة الصليبية = سعيد عبد الفتاح عاشور
 — الحركة الصليبية — جزءان —
 القاهرة ١٩٦٢ .

- (١٨) حسن المعاضرة = السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
— حسن المعاضرة في أخبار مصر والقاهرة —
جزءان — القاهرة ١٩٦٧ .
- (١٩) خزانة السلاح = مجهول
خزانة السلاح ، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها — نشر نبيل محمد عبد
المعز
القاهرة ١٩٧٨ .
- (٢٠) ذيل تاريخ دمشق = ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي ، ت ٥٥٥
هـ / ١١٦٠ م) :
— ذيل تاريخ دمشق — نشر أندروز —
بيروت ١٩٠٨ .
- (٢١) رحلة ابن جبير = محمد بن أحمد بن جبير ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :
— رحلة ابن جبير — بيروت ١٩٦٤ .
- (٢٢) الروضتين = أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) :
— الروضتين في أخبار الدولتين .
الجزء الأول تحقيق محمد حلمي محمد أحمد —
القاهرة ١٩٥٦ — ١٩٦٢ .
- (٢٣) السلوك = المقرئ (أحمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
— كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
ح ١ — ٢ تحقيق د . محمد مصطفى زيادة —
القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٥٨ .

(٢٤) سيرة ابن طولون = الهلوى (عبد الله بن محمد بن عمير ، ت بعد ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م :

— سيرة أحمد بن طولون — تحقيق محمد كرد علي —
دمشق ١٣٥٨ هـ .

(٢٥) شذرات الذهب = ابن العماد الحنبلى (عبد الحى بن أحمد بن محمد ، ت ١٠٨٩ هـ — ٦٦٨ م) :

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب — ٨ أجزاء — بيروت .
(٢٦) الشرق الأوسط والحروب الصليبية = السيد الباز العربى
— الشرق الأوسط والحروب الصليبية — القاهرة : ١٩٦٣ .

(٢٧) شفاء القلوب = الحنبلى :

— شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣٦ .

(٢٨) صبح الأعشى = القلقشندى (أحمد بن على ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء — ١٤ جزء —
القاهرة ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

(٢٩) الطالع السعيد = الادفوى (جعفر بن ثعلب ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :
— الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد —
تحقيق سعد محمد حسن — القاهرة ١٩٦٦ .

(٣٠) طبقات الشافعية الكبرى = السبكى (عبد الوهاب بن على ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) :

— طبقات الشافعية الكبرى — ١٠ أجزاء — القاهرة ١٩٧٦ .

- (٣١) العبر = الذهبي (محمد بن أحمد، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
 — العبر في خبر من غير ، نشر صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد — ٥ أجزاء —
 الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦٦ .
- (٣٢) العقد الثمين = الفاسي (محمد بن أحمد الحسني المكي ، ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) :
 — العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .
 تحقيق فؤاد السيد — ٨ أجزاء — القاهرة ١٩٥٩ — ١٩٦٩ .
- (٣٣) عقد الجمان = العيني (محمد بن أحمد ، بدر الدين ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) :
 — عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان .
 مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- (٣٤) القاموس الجغرافي = محمد رمزي :
 — القاموس الجغرافي للبلاد المصرية .
 قسمان في ٥ أجزاء — القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٣ .
- (٣٥) القاموس المحيط = الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب الشيرازي ، ت ٨٠٣ هـ /
 ١٤٠٠ م) :
 ٤ أجزاء — القاهرة ١٩٥٢ .
- (٣٦) قوانين الدواوين = ابن مفاي (الأسعد شرف الدين أبو المكارم ت ٦٠٦ هـ /
 ١٢٠٩ م) :
 — كتاب قوانين الدواوين — تحقيق عزيز سوريال عطية — مصر ١٩٤٣ .
- (٣٧) الكامل = ابن الأثير (علي بن أبي الكرم ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :
 — الكامل في التاريخ .
 ١٣ جزء — بيروت ١٩٨٣ .

(٣٨) كنز الدرر = ابن أبيك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ، ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٢٣٥ م) :

- كنز الدرر وجامع الفرر .
- الجزء السادس : الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية .
- تحقيق صلاح الدين المنجد — القاهرة ١٩٦١ .
- الجزء السابع : الدر المطلوب في أخبار بني أيوب .
- تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة ١٩٧٢ .

(٣٩) الكواكب السبارة = ابن الزيات (محمد الأنصارى ت ٨١٤ هـ / ١٤١١ م) :

— الكواكب السبارة في ترتيب الزيارة .

بولاق ١٣٢٥ هـ .

(٤٠) لسان العرب = ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ، ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :

- لسان العرب — ٢٠ جزء — بولاق ١٣٠٠ — ١٣٠٨ هـ .
- (٤١) المختصر = أبو الفدا (إسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :
- المختصر في أخبار البشر — ٤ أجزاء — استانبول ١٩٢٨ .

(٤٢) المسلمون والبيزنطيون = أحمد عبد الكريم سليمان .

— المسلمون والبيزنطيون في شرقى البحر المتوسط .

الجزء الأول — القاهرة ١٩٨٢ .

(٤٣) مصر في عصر الإخشيديين = سيدة إسماعيل كاشف .

— مصر في عصر الإخشيديين — القاهرة ١٩٧٠ .

(٤٤) مضمار الحقائق = محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) :

— مضمار الحقائق وسر الخلائق — تحقيق حسن حبشى — القاهرة ١٩٦٨ .

- (٤٥) معجم البلدان = ياقوت (ياقوت الحموى ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :
 — معجم البلدان — ٥ مجلدات — بيروت .
- (٤٦) معجم البلدان الليبية = الطاهر أحمد الزاوى .
 — معجم البلدان الليبية .
 طرابلس — ١٩٦٨ .
- (٤٧) معجم السفن الإسلامية = درويش النخيل .
 — السفن الإسلامية على حروف المعجم .
 القاهرة ١٩٧٩ .
- (٤٨) المغرب = البكرى (أبو عبيد ، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :
 — المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب — نشر دى سلان — الجزائر ١٨٥٧ .
- (٤٩) مفرج الكروب = ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) :
 — مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .
 ج ١ — ٣ نشر جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٠ .
- (٥٠) الملل والنحل = الشهرستاني (محمد عبد الكريم) :
 — الملل والنحل — تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل — ٣ أجزاء — القاهرة ١٩٦٨ .
- (٥١) المنتقى من أخبار مصر = ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف جلب راغب ، ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) :
 — المنتقى من أخبار مصر .
 تحقيق أمين فؤاد سيد .
 المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨١ .

- (٥٢) المواعظ والاعتبار = المقرئى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
 — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار —
 جزءان — بولاق ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .
- (٥٣) النجوم الزاهرة = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :
 — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
 ١٦ جزء — القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٧٢ .
- (٥٤) نصوص من أخبار مصر = ابن المأمون (موسى بن المأمون البطانحى ، ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) :
 — نصوص من أخبار مصر .
 تحقيق أمين فؤاد سيد .
 المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨٣ .
- (٥٥) النكت العصرية = عمارة اليمنى (أبو الحسن نجم الدين ، ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) :
 — كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية — باريس ١٨٩٧ م .
- (٥٦) نهاية الأرب = النوبرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :
 — نهاية الأرب فى فنون الأدب .
 ٢٧ جزء — مطبوع بالقاهرة ١٩٢٣ - ١٩٨٥ .
- (٥٧) النوادر السلطانية = ابن شداد (يوسف بن رافع ، بهاء الدين ، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :
 — النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية —
 تحقيق جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٦٤ .

(٥٨) وصف قلعة الجبل = كرزويل :

— وصف قلعة الجبل — ترجمة جمال محمد محرز — القاهرة ١٩٧٤ .

(٥٩) وفيات الأعيان = ابن خلكان (أحمد بن محمد ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان —

٨ أجزاء — تحقيق إحسان عباس — بيروت ١٩٦٨ — ١٩٧٢ .

(٦٠) الولاة والقضاة = الكندي (محمد بن يوسف ، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) :

— كتاب الولاة وكتاب القضاة ، صححه رفن كست — بيروت ١٩٠٨ .

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ

محتويات الكتاب
الباب الثاني عشر من القسم الخامس
من الفن الخامس
أخبار ملوك الديار المصرية
الدولة الطولونية

الصفحة	الموضوع
١١	خروج أحمد بن طولون إلى الشام سنة ٢٦٤ هـ
	ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون
١٤	على أبيه وما كان من أمره
١٦	ذكر خلاف لؤلؤ على أحمد
١٩	ذكر وفاة أحمد بن طولون وشيء من أخباره وسيرته
	ذكر ولاية أبي الجيوش خمارويه بن أحمد بن طولون
٢٢	وهو الثاني من ملوك الطولونية
	ذكر مسير إسحاق بن كنداجق ومحمد بن
٢٣	أبي الساج إلى الشام
٢٤	ذكر وقعة الطواحين
	ذكر اختلاف محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق
٢٦	والخطبة لخمارويه بالجزيرة
٢٧	ذكر الاختلاف بين خمارويه ومحمد بن أبي الساج والحرب بينهما ..
٢٨	ذكر الدعاء لخمارويه بطرسوس
٢٨	ذكر الفتنة بطرسوس

الصفحة	الموضوع
	ذكر زواج المعتضد بالله بابنة خمارويه بن
٢٩	أحمد بن طولون
٣٠	ذكر مقتل أبي الجيش خمارويه
	ذكر ولاية أبي العشائر جيش بن أبي الجيش
٣١	خمارويه بن أحمد بن طولون ، وهو الثالث من الملوك الطولونية ..
٣٢	ذكر عصبان دمشق على جيش ، وخلاف جنده وقتله
	ذكر ولاية أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه
٣٣	ابن أحمد بن طولون ، وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية ..
٣٤	ذكر انقراض الدولة الطولونية
	ذكر أخبار من ولى مصر بعد انقراض الدولة الطولونية وإلى قيام
	الدولة الإخشيدية من الأعمال وملخص ما وقع في أيامهم من
٣٧	الحوادث
٣٧	ذكر إياهمم الخليلجي وما كان من أمره
٣٩	ذكر استيلاء حباشة على الإسكندرية
	ذكر وصول أبي القاسم بن المهدي إلى الديار المصرية واستيلائه على
٤٠	الإسكندرية والفيوم والأشمونين
	ذكر أخبار الدولة الإخشيدية وابتداء أمر من قام بها ،
	وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده
٤٤	إلى أن انقرضت أيامهم
٤٨	ذكر مسير الإخشيد إلى الشام ووفاته وشيء من أخباره وسيرته ..
٤٩	ذكر ولاية أبي القاسم أنرجور
٥٠	ذكر قيام أبي نصر غلبون بن سعيد المغربي وما كان من أمره ...
٥٢	ذكر وفاة الوزير أبي بكر بن الماذرائي وشيء من أخباره ومآثره ..
	ذكر وفاة أبي القاسم أنرجور وولاية أخيه
٥٣	أبي الحسن على بن الإخشيد

الموضوع	الصفحة
ذكر ولاية أبي المسك كافور الخصى الإخشيدى واستقلاله	
بملك مصر دون شريك ولا منازع	٥٤
ذكر أخبار الدولة العبيدية التى انتسب ملوكها إلى الشرف وألقوا	
نسبهم بالحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما	٦٣
ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم	٦٦
ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعى داعى المغرب وما كان من أمره ،	
وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب	٧٧
ذكر انتقال أبي عبد الله الشيعى عن بنى سكتان	
إلى بنى عصمة بتازرارث	٨٥
ذكر تغلب أبي عبد الله الشيعى على مدينة بيلة	٩١
ذكر الحرب بين أبي عبد الله الشيعى وبين	
أبي حوال محمد بن أبي العباس	٩٢
ذكر تغلب أبي عبد الله الشيعى على مدينة منطيف	٩٣
ذكر خروج إبراهيم بن حنبل إلى بلد كتامة	٩٤
ذكر هرب زيادة الله إلى المشرق	٩٦
ذكر رجوع أبي عبد الله الشيعى إلى أفريقيا	٩٧
ذكر خروج أبي عبد الله الشيعى إلى سجلماسة	٩٨
ذكر ابتداء الدولة العبيدية وأخبار المهدي عبيد الله	
وما كان من أمره منذ خرج من الشام إلى أن	
ملك البلاد وتسلم الأمر من أبي عبد الله الشيعى	١٠٠
ذكر رحيل عبيد الله من الشام ووصوله إلى سجلماسة	١٠٠
ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعى وأخيه أبي العباس وما كان من	
أمرهما بعد قيام عبيد الله المهدي إلى أن قتلها	١٠٦
ذكر أخبار من خالف على عبيد الله وما كان من أمرهم	١١٠
ذكر بناء مدينة المهدية	١١١

الصفحة	الموضوع
١١٢	ذكر خروج أبي القاسم إلى بلاد المغرب وبنائه مدينة المسيلة ...
١١٣	ذكر وفاة عُبيد الله المهدي وشيء من أخباره
١١٣	ذكر بيعة القائم بأمر الله
١١٦	ذكر وفاة القائم بأمر الله وشيء من أخباره
١١٧	ذكر بيعة المنصور بنصر الله
١١٨	ذكر وفاة المنصور بنصر الله وشيء من أخباره
١١٩	ذكر بيعة المعز لدين الله
	ذكر خبر إرسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر
١٢٢	إلى الديار المصرية
١٢٢	ذكر خبر وصول جوهر القائد بالعساكر إلى الديار المصرية
	ذكر إقامة الخطبة ، وضرب السكة بمصر للمعز لدين الله
١٣١	وما قبل في الدعاء له على المنبر ، وما نقش على السكة
١٣٤	ذكر خروج تبر الإخشيدى والقبض عليه
١٣٥	ذكر فتوح الشام
١٣٦	ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق
	ذكر خروج المعز لدين الله من بلاد الغرب إلى الديار المصرية ،
١٣٩	وما رتبته ببلاد المغرب قبل مسيره
١٤٥	ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي ، وجواب القرمطي له ...
١٥٠	ذكر فتوح طرابلس الشام
١٥١	ذكر وفاة المعز لدين الله وشيء من أخباره
١٥٣	ذكر بيعة العزيز بالله
١٥٤	ذكر الحرب بين أفتكين التركي وعساكر العزيز بالله
١٥٧	ذكر حرب أفتكين وأسرهم
١٥٨	ذكر فتوح اللاذقية

الصفحة	الموضوع
١٥٩	ذكر فتح قنسرين وحمص
...	ذكر وفاة العزيز بالله وشيء من أخباره وأخبار وزيره
١٦٣	يعقوب بن كلس ومن ولى بعده
١٦٥	ذكر أخبار الوزير يعقوب بن كلس
١٦٧	ذكر بيعة الحاكم بأمر الله
١٦٨	ذكر القبض على الوزير عيسى بن نسطور من النصراني وقتله ..
١٦٩	ذكر مخالفة منجوتكين بدمشق وحربه وأسره وسبب ذلك
	ذكر الفتنة بين المشاركة والمغاربة ،
١٧١	وهرب ابن عمار وما كان من أمره
١٧٤	ذكر قتل برجوان الخصى
	ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله وأمر به من الأمور الدالة
١٧٦	على اضطراب عقله بعد أن استقل بالأمر بمفرده
١٧٦	ذكر بناء الجامع المعروف بجامع راشدة
	ذكر بناء الجامع المعروف بالحاكم الذى هو
١٧٧	بين باب النصر وباب الفتوح بالقاهرة
١٨٠	ذكر أبى ركة وظهوره ، وما كان من أمره إلى أن قتل
	ذكر خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعتهم لأبى الفتوح
١٨٥	الحسن بن جعفر الحسنى وما كان من أمرهم
١٨٨	ذكر تفويض السفارة والوساطة لأحمد بن محمد القشورى وقتله ..
١٩١	ذكر هدم كنائس الديار المصرية
١٩٢	ذكر البيعة بولاية العهد لأبى القاسم عبد الرحيم
١٩٣	ذكر إحراق مصر وقتال أهلها
	ذكر غيبة الحاكم بأمر الله وعدمه ، والسبب الذى نقل فى إعدامه ،
١٩٤	وشىء من أخباره وسيرته غير ما تقدم

الصفحة	الموضوع
	ذكر مولد الحاكم ومدة عمره وملكه وأولاده وكتابه ووسائطه
٢٠١	وفضائه ونقش خاتمه
٢٠٢	ذكر بيعة الظاهر لإعزاز دين الله
٢٠٤	ذكر مقتل الحسين بن دؤاس
	ذكر وفاة الظاهر لإعزاز دين الله على بن الحاكم بلمر الله
٢٠٧	وشىء من أخباره
٢٠٩	ذكر بيعة المستنصر بالله
٢١٢	ذكر عود حلب إلى ملك ملك الديار المصرية
	ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبي القاسم الجرجاني ،
٢١٢	وأمر الجيوش أنوشكين الدزيرى
٢١٣	ذكر ظهور سكين المشبه بالحاكم وقتله
	ذكر وفاة الوزير صفى الدين أبي القاسم أحمد بن على الجرجاني
٢١٤	وشىء من أخباره
	ذكر مقتل أبي سعيد التستري وعزل الوزير
٢١٦	وقتله ووزارة ابن الجرجاني
	ذكر القبض على الوزير أبي عمدة
	الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورى وقتله ،
٢٢١	وشىء من أخباره
٢٢٤	ذكر الفتنة الواقعة التى أوجبت خراب الديار المصرية
٢٢٧	ذكر الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأتراك
٢٣٠	ذكر الحرب بين ناصر الدولة والأتراك
٢٣٠	ذكر الصلح بين ناصر الدولة والأتراك
	ذكر الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى
٢٣١	وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل
٢٣٣	ذكر الغلاء الكائن بالديار المصرية

الصفحة	الموضوع
	ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى مصر
٢٣٤	واستيلائه على الدولة
٢٣٦	ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كنز الدولة
٢٣٨	ذكر بناء باب زويلة بالقاهرة
٢٣٩	ذكر وفاة أمير الجيوش بدر الجمالى وولايه ولده الأفضل
٢٤٠	ذكر وفاة المستنصر بالله وشىء من أخباره
٢٤٣	ذكر بيعه المستعل بالله
٢٤٥	ذكر ما اتفق لتزار ومن معه
٢٤٦	ذكر استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس
	ذكر استيلاء الفرنج على ما نذكره من البلاد الإسلامية
٢٤٧	بالساحل والشام والبيت المقدس
٢٤٨	ذكر ملكهم مدينة أنطاكية
٢٥٣	ذكر مسير المسلمين لحرب الفرنج وما كان من أمرهم
٢٥٥	ذكر ملكهم معرة النعمان
٢٥٦	ذكر استيلائهم خذلهم الله تعالى على البيت المقدس
٢٥٩	ذكر ظفر المسلمين بالفرنج
	ذكر قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين وما اسولى عليه الفرنج
٢٦٠	من البلاد وهى : حيفا وأرسوف وقيسارية والرها وسروج
	ذكر أخبار صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حروبه وحصار
٢٦١	طرابلس والطربان وملك انطرسوس
٢٦٢	ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا
٢٦٤	ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت
٢٦٧	ذكر ملك الفرنج جبلة وبُنْياس
٢٦٨	ذكر ملكهم مدينة صيدا
٢٦٩	ذكر استيلائهم على حصن الأتاب وحصن زردنا

الصفحة	الموضوع
٢٧٠	ذكر حصر مدينة صور وفتحها
٢٧٣	ذكر وفاة المستعمل بأحكام الله
٢٧٤	ذكر بيعة الأمر بأحكام الله
٢٧٥	ذكر إنشاء ديوان التحقيق
٢٧٦	ذكر حل الإقطاعات وتحويل السنة
٢٧٧	ذكر أخذ الفرما وهلاك بغدوين الفرنجي صاحب القدس
٢٧٨	ذكر نصب ثغر عيذاب
	ذكر مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش بن
٢٧٩	أمير الجيوش بدر الجمالي وشيء من أخباره
٢٨٨	ذكر تفويض أمور الدولة وإمرة الجيوش للمأمون البطاحي ...
٢٩١	ذكر القبض على المأمون
٢٩٢	ذكر أخبار أبي نجاح بن فنا النصراني الراهب وقته
٢٩٤	ذكر مقتل الأمر بأحكام الله وشيء من أخباره
٢٩٦	ذكر بيعة الحافظ لدين الله
	ذكر قيام أحمد بن الأفضل الحافظ وما كان من أمر أحمد
٢٩٦	إلى أن قُتل
٢٩٨	ذكر بيعة الحافظ لدين الله الثانية
٢٩٩	ذكر الخلف بين أبنئ الحافظ لدين الله
٣٠٠	ذكر مقتل حسن بن الحافظ
٣٠٠	ذكر وزارة بهرام الأرمني
٣٠٢	ذكر خروج بهرام من الوزارة ووزارة رضوان ابن الوحشى
٣٠٤	ذكر خروج رضوان من الوزارة وما كان من أمره إلى أن قتل ...
٣٠٦	ذكر وفاة بهرام الأرمني
٣٠٧	ذكر وفاة الحافظ لدين الله وشيء من أخباره
٣١٠	ذكر بيعة الظافر بأعداء الله

الصفحة	الموضوع
٣١١	ذكر قيام العادل بن السَّار ووزارته ومقتل ابن مصال
	ذكر ما فعله الفرنج بالفرما وما جهَّزه العادل
٣١٣	من الأسطول إلى بلادهم
٣١٤	ذكر مقتل العادل بن السَّار وسلطنة ربيبه عباس
٣١٥	ذكر مقتل الظافر بأعداء الله وأخويه
٣١٨	ذكر بيعة الفائز بنصر الله
٣١٨	ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره
٣١٩	ذكر وزارة الصالح أبي الغارات طلائع بن رُزَيْك
٣٢٢	ذكر وفاة الفائز بنصر الله
٣٢٢	ذكر بيعة العاضد لدين الله
	ذكر مُقْتَل الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك ، وقيام ولده
٣٢٤	الملك العادل رُزَيْك
٣٢٨	ذكر ظهور حسين بن نزار وقتله
٣٢٨	ذكر انقراض دولة بني رُزَيْك
٣٣٠	ذكر وزارة شاور الأولى وخروجه منها
٣٣١	ذكر وزارة الضَّرغام بن سوار
٣٣٢	ذكر قدوم شاور من الشام وعُودَه إلى الوزارة ثانياً وقتل الضَّرغام
٣٣٤	ذكر غدر شاور بشيركوه
	ذكر عُوْد أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية بالعساكر
٣٣٥	الشامية وانفصاله
٣٣٩	ذكر وصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر
	ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية
٣٤١	ورحيل الفرنج عنها
٣٤٢	ذكر مقتل شاور

الصفحة	الموضوع
	ذكر انقراض الدولة العبيدية والخطبة
٣٤٤	للمستضىء بنور الله العباسى
٣٤٦	جامع أخبار الدولة العبيدية ومدتها ومن ملك من ملوكها
٣٥١	ذكر أخبار الدولة الأيوبية
٣٥١	ذكر نسب الملك الأفضل نجم الدين
	ذكر ابتداء حال الملك الأفضل نجم الدين أيوب وأخيه
٣٥٤	أسد الدين شيركوه
	ذكر وزارة الملك المنصور أسد الدين شيركوه
٣٥٦	بالديار المصرية ووفاته
	ذكر أخبار الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك
٣٥٨	الأفضل نجم الدين أيوب ووزارته بالديار المصرية
	ذكر مقتل مؤتمن الخلافة جوهر زمام القصور
٣٦٠	وانتقال وظيفته إلى قراقوش الأسدى وحرب السودان
٣٦٢	ذكر الحوادث في الأيام الناصرية غير الفتوحات والغزوات
	ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب والد
٣٦٢	الملك الناصر إلى الديار المصرية
٣٦٢	ذكر إبطال الأذان بحى على خير العمل
	ذكر ما أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة
٣٦٣	ومصر من المدارس والخوانق
	ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية للقاضى
٣٦٤	صدر الدين بن درباس
٣٦٥	ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب
٣٦٥	ذكر عمارة قلعة الجبل والسور
٣٦٧	ذكر قتل جماعة من المصريين
	ذكر ما استولى عليه الملك الناصر من
٣٧١	البلاد الإسلامية بنفسه وأتباعه

الصفحة	الموضوع
٣٧٣	ذكر استيلائه على اليمن
٣٧٤	ذكر ملكه مدينة دمشق
٣٧٥	ذكر ملكه مدينة حمص وحماه
٣٧٦	ذكر حصره حاب وعوده منها وملكه قلعة حمص وبعلك
٣٧٧	ذكر انهزام عسكر سيف الدين غازى من الملك الناصر وحصره حلب ثانيا
٣٧٨	ذكر الحرب بين الملك الناصر وسيف الدين غازى وانهزام غازى
	ذكر ما ملكه الملك الناصر من بلاد الملك الصالح
٣٧٩	بعد هذه الوقعة
٣٨١	ذكر حصره مدينة حلب والصلح عليها
٣٨١	ذكر نهبه بلاد الإسماعيلية
٣٨١	ذكر عبوره الفرات وملكه الديار الجزيرية
٣٨٢	ذكر ملكه مدينة سنجار
٣٨٣	ذكر ملكه مدينة آمد وتسليمها إلى صاحب حصن كيفا
٣٨٤	ذكر ملكه تل خالد وعين تاب
٣٨٤	ذكر ملكه حلب
٣٨٥	ذكر فتح الملك الناصر حارم
٣٨٦	ذكر حصار الموصل
٣٨٧	ذكر ملكه ميافارقين
٣٨٨	ذكر عوده إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين صاحبها
٣٩٠	ذكر غزوات الملك الناصر وما افتتحه من بلاد الفرنج
٣٩١	ذكر غزوة بلاد الفرنج وفتح أيلة
٣٩١	ذكر محاصرة الشوبك وعوده عنها
٣٩٢	ذكر وصول أسطول صقلية إلى ثغر الإسكندرية وانهزامه
٣٩٣	ذكر مسيره إلى عسقلان وغيرها ، وانهزام عسكر وعوده

الصفحة	الموضوع
٣٩٤	ذكر وقعة مرج عيون وانهمزام الفرنج وأسر ملوكهم
٣٩٥	ذكر هدم بيت الأحزان
٣٩٦	ذكر مسير الملك الناصر إلى بلاد الأرمن
	ذكر مسيره إلى الشام والإغارة على طبريه ويسان ،
٣٩٦	وما كان من الظفر بمراكب الفرنج ببحر عذاب
٣٩٨	ذكر الإغارة على الغور
	ذكر غزوة الكرك والشوبك وفتح
٣٩٨	طبريه ومجدل بابا ويافا
	ذكر فتح عكا ونابلس وحيفا وقيسارية وصغورية والناصرية
٤٠١	ومعلبا والفولة والطور والشقيف وغير ذلك
٤٠١	ذكر فتح تبنين وصيدا وصرفند وبيروت وجبيل
٤٠٢	ذكر فتح عسقلان وما يجاورها
٤٠٣	ذكر فتح البيت المقدس
٤٠٥	ذكر رحيله ومحاصرة صور
٤٠٧	ذكر فتح هونين
٤٠٨	ذكر فتح حصن برزية
٤٠٩	ذكر فتح قلعة دَرَبَسَاك
٤٠٩	ذكر فتح قلعة بَغْرَاس
٤١٠	ذكر الهدنة بين المسلمين وبين صاحب أنطاكية
٤١٠	ذكر فتح الكرك والشوبك وما يجاورهما
٤١١	ذكر فتح قلعة صفد
٤١١	ذكر فتح كوكب
٤١٣	ذكر فتح شقيف أرنوم
	ذكر مسير السلطان من مرج عيون إلى صور
٤١٤	وما كان عليها من الوقائع

الصفحة	الموضوع
٤١٥	ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها
٤١٩	ذكر رحيل السلطان عن منزله وتمكن الفرنج من حصار عكا ..
٤٢٠	ذكر وصول العسكر المصرى فى البر والأسطول فى البحر
٤٢١	ذكر خبر ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته
٤٢٥	ذكر الوقعة العادلة على عكا
	ذكر وصول الكندهرى إلى عكا نجدة للفرنج
٤٢٦	وما جده من آلة الحصار
	ذكر ما كان من أمر الفرنج بعد وصول ابن ملك الألمان
٤٢٧	إلى عكا وما اتخذوه من آلات الحصار
٤٣٠	ذكر وصول ملك افرنسيس
٤٣١	ذكر وصول ملك الإنكلتبر
٤٣٢	ذكر استيلاء الفرنج على عكا
٤٣٤	ذكر ما كان بعد أخذهم عكا
٤٣٤	ذكر هدم عسقلان
٤٣٦	ذكر وقوع الصلح والهدنة العامة بين المسلمين والفرنج
٤٣٧	ذكر وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
	ذكر من ملك الممالك التى كانت جارية فى ملك السلطان
٤٤٠	الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى
	ذكر أخبار الملك العزيز عماد الدين أبى الفتح عثمان ابن الملك
٤٤٢	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
٤٤٢	ذكر استيلاء الفرنج على جبيل
	ذكر مسير الملك العزيز إلى الشام والصلح بينه وبين
٤٤٤	أخيه الملك الأفضل وعوده إلى القاهرة
	ذكر خروج الملك العزيز لقصد الشام ثانيا ورجوعه
٤٤٦	وقصد العادل والأفضل الديار المصرية وما تقرر من القواعد ..
٤٤٨	ذكر ملك الملك العزيز دمشق وخروج الأفضل إلى صرخد ...

الصفحة	الموضوع
٤٥٣	ذكر استيلاء الفرنج على بيروت
	ذكر وفاة سيف الإسلام بن أيوب ملك اليمن
٤٥٤	وملك ولده شمس الملوك
٤٥٥	ذكر وفاة الملك العزيز وشيء من أخباره
	ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك العزيز بن
٤٥٦	الملك الناصر وهو الثالث من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية
	ذكر وصول الملك الأفضل إلى القاهرة
٤٥٧	واستقراره في تدبير دولة المنصور
	ذكر مسير الملك الأفضل إلى الشام وحصار دمشق وعوده
٤٥٨	عنها وخروجه عن الديار المصرية

انتهى بحمد الله الجزء الثامن والعشرون - من تجزئة المطبوع - من
كتاب نهاية الأرب ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء التاسع
والعشرون .

مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٧٩/١٩٩٢

ISBN 977-01-2945-3